تأويلات القرآن

١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

تحقيق

الأستاذ المساعد الدكتور

مرتضى بدر

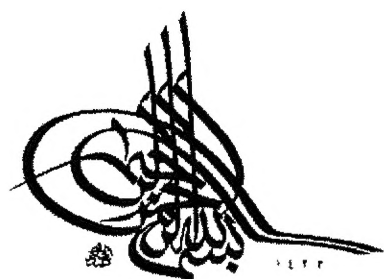
مراجعة

الأستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي

الجزء الثالث عشر

المؤمن - محمد

دار الميزان



ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٧

تأويلات القرآن

١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور خليل إبراهيم قجار

مراجعة
الأستاذ الدكتور بكر طوپال أوغلي

استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ر: نسخة راشد أفندي - مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

ن: نسخة نور عثمانية - مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ث: نسخة نور عثمانية - مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٣.

م: نسخة مهرشاه - مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية - مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح ه: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ر ه: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة حم المؤمن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿حمٓ﴾[١]

قوله عز وجل: **حم**، قال بعضهم: هو هجاء أسماء[3] الرب جل وعلا، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. وقال بعضهم: [هو] فواتح السور كلها، وكذلك قال في سائر الحروف المقطَّعة.[4] وقال بعضهم: أصله حُمَّ،[5] أي قُضِي، كقول الشاعر:

ألست ترى أن الذي حُمَّ كائن[6]

أي الذي قُضِي كائن. إلا أنه[7] ذكَره بالهجاء كمن ذكَر زيدا بالهجاء.[8] وقد قلنا نحن: إن تفسير الحروف المقطعة ما ذُكِر على إثرها. وقد ذكرنا أقاويل الناس واختلافهم فيها في غير موضع ما أغنانا عن ذكرها في هذا الموضع.[9] *والله أعلم*.

---

[1] ر – سورة حم المؤمن؛ ن م + مكية؛ ث + وهي ثمانون وخمس آيات مكية.

[2] ن + وبه أستعين.

[3] ن: اسم.

[4] ن: الهجاء.

[5] وحُمّ هذا الأمرُ حَمًّا إذا قُضِيَ، وحُمَّ له ذلك: قُدِّرَ. وحَمَّ اللهُ له كذا وأَحَمَّهُ: قضاه (*لسان العرب*، «حمم»).

[6] من أشعار النابغة، وأصله هكذا:

ألست ترى أن الذي حُمَّ واقعٌ   وكل امرئٍ يوما له الدهرُ راهنُ

انظر: *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم* لنشوان بن سعيد الحميري، «رهن».

[7] م: لأنه.

[8] ن – إلا أنه ذكره بالهجاء كمن ذكَر زيدا بالهجاء.   لعله يقصد بالهجاء هكذا: ز ي د.

[9] انظر مثلا تفسير الآية ١–٢ من سورة البقرة وسورة آل عمران.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٢]

وقوله: **تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم**، قد ذكرنا قوله: **تنزيل الكتاب**، في سورة[١] الزمر،[٢] غير[٣] أنه ذكر[٤] في الزمر:[٥] العَزِيزِ الْحَكِيمِ، وهاهنا ذكر:[٦] **العزيزِ العليمِ**، وهما واحد. *والله أعلم*.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣]

وقوله **غافر الذنب**،[٧] يخرج على وجهين. أحدهما **غافر الذنب**، أي متجاوز الذنب،[٨] وهو في حق المؤمنين[٩] خاصة. والثاني **غافر الذنب** أي ساتر الذنب، وهو يحتمل الكافر[١٠] والمؤمن جميعا، فإنه يستر[١١] على المؤمن والكافر جميعا[١٢] في الدنيا ولم يَفْضَحْهما،[١٣] ويتجاوز عن المؤمن خاصة[١٤] في الآخرة. *والله الموفق*.

وقوله: **وقابِل التَّوْب**، يُخبِر أنه يقبل التوبة وإن عظُمت المعصية وجلّت الذنوب وكثرت.[١٥] *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجَة:[١٦] التوب جماعة التوبة.[١٧] وقوله: **شديد العقاب**، لمن لم يتب.

---

[١] ن – سورة.

[٢] سورة الزمر، ١/٣٩.

[٣] ن: سوى.

[٤] ن: يذكر.

[٥] ر ث م – في الزمر.

[٦] ن: ويذكر ههنا.

[٧] ن + هذا.

[٨] ن – الذنب.

[٩] ن: وهو للمؤمنين.

[١٠] ر ث م: للكافر.

[١١] ر ث م + كثيرا؛ ن: ستر.

[١٢] ر ث م + الذنب.

[١٣] ن – ولم يفضحهما.

[١٤] ن – خاصة.

[١٥] ن: وكثرت.

[١٦] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجَيمي النحويّ الأعرابيّ، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتريدي في الأدب، روى عنه شيحان بن الحسين ابن حازم المؤدب من محلة أشتابديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).

[١٧] ن – قال أبو عوسجة التوب جماعة التوبة.   أي صيغة جمعها.

وقوله: **ذي الطَّوْل**، قال أبو عَوْسَجة: أي ذي القدرة.[١] وقال القُتَبِي:[٢] ذي التفضل، يقال: طُلْ عليَّ برحمتك، أي تفضل.[٣] وقيل: ذي السعة والغَناء.[٤] وقيل: ذي النعم.[٥] وكله قريب بعضه من بعض.

وقوله: **لا إله إلا هو إليه المصير**،[٦] وَحّد نفسه وأخبر أن مصير الخلق إليه في الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم. ***والله أعلم.***[٧]

﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾[٤]

وقوله: **ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا**، أي ما[٨] يجادل في دفع آيات الله والطعن في آيات الله،[٩] **إلَّا الذين كفروا بالله**، أي كَفَروا[١٠] بآيات الله. وكانت مجادلتهم ما ذكر، حيث قال: لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ،[١١] أي يُبطِلوا به الحق. [فإنّ] أهل الكفر هم[١٢] الذين كانوا يجادلون في دفع آيات الله والطعن فيها. فأما أهل الإيمان بها[١٣] كانوا يفرحون بنزولها ويَزدَاد لهم بذلك إيمانًا؛ كما قال تعالى: وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ،[١٤]

---

[١] ن: ذي الطول قيل ذي القدرة.

[٢] جميع النسخ: العتبي. وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَري الكاتب اللغوي، الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جدا في أنواع العلوم، من كتبه *غريب القرآن*، و*مشكل القرآن*: يقال له القتبي نسبة إلى جده (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م). انظر: *تهذيب الأسماء واللغات* للنووي، ٢/٢٨١؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣/٢٩٦-٣٠٠.

[٣] ن – وقال القتبي ذي التفضل يقال طل علي برحمتك أي تفضل. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٥.

[٤] ن: وأيضا.

[٥] ن: ذي التفضل على الخلق.

[٦] ن + وقيل ذي النعم لا إله إلا هو إليه المصير.

[٧] ن + قال أبو عوسجة قابل التوب التوب جماعة التوبة ذي الطول ذي القدرة وقوله عز وجل ما يجادل في آيات الله وقال القتبي ذي الطول ذي التفضل يقال طل علي برحمتك أي تفضل والله أعلم.

[٨] ر م – ما.

[٩] ن – أي يجادل في دفع آيات الله والطعن في آيات الله.

[١٠] ر ث م: أو كفروا؛ ن: وكفروا. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٧و.

[١١] يشير إلى الآية التالية؛ وقد تقدمت أيضا في سورة الكهف، ١٨/٥٦.

[١٢] ن – هم.

[١٣] ن – كانوا يجادلون في دفع آيات الله والطعن فيها فأما أهل الإيمان بها.

[١٤] سورة الرعد، ١٣/٣٦.

وكقوله: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[1] ونحو ذلك من الآيات، كانوا[2] يستسلمون لها ويقبلونها ويستقبلون لها بالتعظيم والتبجيل. *وبالله التوفيق*.

وقوله عز وجل: **فلا يَغْرُرْكَ تقلّبهم في البلاد**. معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يغُرّه تقلُّبهم في البلاد، لكنه ذكر هذا[3] الخطاب له وأراد به غيره،[4] لما يحتمل أن يظن قوم أن أهل الكفر -لِما كانوا في أمْن في التقلّب[5] في البلاد والسّعَة في عَيْشهم وأن أهل الإيمان في ضِيق وشدة وخوف- أن أولئك على الحق وهؤلاء على الباطل. فجائز[6] أن يظن ظانٌّ ما ذكرنا، فأخبر عز وجل أن الأمن والسعة ليس بدليل على كون صاحبه على الحق ولا الضيقَ[7] والشدةَ بدليل على كون صاحبه على الباطل؛ ولكن محنةٌ امتحنهم بها،[8] مرة بالسعة والأمن، ومرةً بالضيق والخوف. دليل ذلك وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف[9] مذاهبهم وتضادِ[10] أقاويلهم. ويحتمل أن يكون المراد منه أهلَ مكة، أي لا يَغْرُرْهم[11] تقلّبهم في البلاد وأَمنهم وسعتهم بعد ما نزل بأهل الآفاق والنواحي ما نزل[12] أنهم على الحق، وأن ذلك إنما يَدفَع[13] عنهم لمكانهم، وإنما يدفع ذلك عنهم ويكونون على أمن[14] لمكان كونهم بقربٍ من البيت[15] لحرمته[16] وشرفه.[17]

---

[1] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).

[2] ر ث م: كان.

[3] ر ث م - هذا.

[4] ن - الخطاب له وأراد به غيره.

[5] ن: في أمر من التقلب.

[6] ن: جائز.

[7] ر ث م: للضيق.

[8] ر ث م - بها.

[9] ن: ما يختلف.

[10] ن: ويتضاد.

[11] ن: أو أن يذكر عز وجل فلا يغررك تقلبهم في البلاد لأهل مكة أن لا يغرر.

[12] ر ث م - ما نزل.

[13] ن: يرفع.

[14] ن: أمر.

[15] ن: قرب البيت.

[16] ن: لحرمة ذلك البيت.

[17] ن - وشرفه.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **كذّبت قبلهم قومُ نوحٍ والأحزابُ من بعدهم**، ذكر[1] هذا ليُصبّر[2] رسول الله[3] صلى الله عليه وسلم على تكذيب قومه إياه ومجادلتهم إياه[4] بالباطل.[5] يقول عز وجل:[6] لست أنت بأول من كذبه قومه[7] ولا بأول من جادله قومه بباطل. لم يزل الأمم المتقدمة يُكذبون رسلهم ويجادلونهم[8] بالباطل، فصبروا على ذلك. فاصبر أنت على تكذيب قومك ومجادلتهم إياك بالباطل، كما صَبَرَ أولئك. كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[9] وهو[10] ما ذكر في قوله عز وجل: **وهمّت كلُّ أمّةٍ برسولهم ليأخذوه وجادَلوا بالباطل ليُدْحِضوا به الحق**، همّت كل أمة برسولهم ما ذكَر. لكن الله تعالى بفضله عصم رسله عما هَمّ أولئك الكفَرَة بهم ما همّوا[11] من القتل والمجادلة[12] بالباطل. وفي ذلك آية / من آيات الرسالة لهم، حيث حَفِظهم عما همّوا بهم، وكانوا[13] بلا أعوان كان للرسل ولا أنصار[14] مع كثرة أولئك الكفرة. ***والله أعلم.*** [٦٧٣ظ]

وقوله عز وجل: **فَأَخَذْتُهُم فكيف كان عقابِ**،[15] أي كيف وجدوا عقابي، أليس وجدوه حقا على ما وعد الرسل عليهم السلام أنه نازل بهم؛ أو يقول: أليس وجدوه أليما شديدا. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: يذكر.

[2] ر م: لتصبير.

[3] ر ث م: رسوله.

[4] ر م - ومجادلتهم إياه.

[5] ن: بباطل.

[6] ر ث م - عز وجل.

[7] ن - بأول من كذبه قومه.

[8] ن: ويجادلونه.

[9] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعةً من نهار بلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلا القوم الفاسقون﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

[10] ر ث م: وهي.

[11] ر ث م - ما هموا.

[12] ن: والمخادعة.

[13] ر ث م: كادوا؛ ن: وكادوه. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٢٤و.

[14] ر م: بلا أعوان وأنصار كان الرسل؛ ث: بلا أعوان وأنصار كان للرسل.

[15] ن + قوله عز وجل فكيف كان عقاب.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار**، يحتمل قوله: **حقت كلمة ربك على الذين كفروا**، ما ذكر في قوله: سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ،[1] الآية، وقوله: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.[2] ويحتمل[3] أن يكون قوله: **حقت كلمة ربك على الذين كفروا**، ما قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،[4] فذلك الذي حَقَّ عليهم من كلمة ربك.[5] *والله أعلم*.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم**، قد ذكرنا في غير موضع[6] أن التسبيح بحمد رَبِّهم[7] هو الثناء عليه والحمد له بالتبرئة[8] والتنزيه عن جميع أوصاف الخلق ومعانيهم وعن جميع ما قالت الملحدة[9] فيه.

وقوله عز وجل: **ويستغفرون للذين آمنوا**. هذه أرجى آيةٍ للمؤمنين[10] والآياتُ التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو[11] قول نوح عليه السلام:[12] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[13] وقولِ إبراهيم صلوات الله عليه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ،[14] وما أمَرَ الله رسوله أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات،

---

[1] سورة الأحزاب، ٦٢/٣٣.
[2] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغْفَرْ لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).
[3] ر م: يحتمل؛ ن: أو يحتمل.
[4] ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١٩/١١).
[5] ن: ربه.
[6] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» في أواخر المجلدات، «التسبيح»، «الحمد».
[7] ن: ربه.
[8] ن + له.
[9] ر: قال الملحدة؛ م: قال الملاحدة.
[10] ن: للذين آمنوا إن جاء الآية للمؤمنين هذه.
[11] ن – نحو.
[12] ر ث م + حيث قال.
[13] سورة نوح، ٢٨/٧١.
[14] سورة إبراهيم، ٤١/١٤.

حيث قال له: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[١] لأنه لا يحتمل أن يأمر بالاستغفار لهم ثم لا يجيبه إذا فعل.

ثم قال بعض المعتزلة: إن قوله عز وجل: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، إنما هو في الذنوب التي ليس له أن يعذبهم عليها، وهي الصغائر، إذ من مذهبهم أن ليس لله أن يعذب أحدًا على الصغائر،[٢] وليس له أن يغفر الكبائر. ويَستدِلُّ على ذلك بقوله: **فَاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك**، إنما أمَره أن يستغفر للذي تاب، فأما من لم يتب و لم[٣] يأمره بالاستغفار[٤] فيجب القول بما قلنا عملا بالآيتين.[٥]

لكن نقول نحن: إنه[٦] لو كان استغفارُه لمن ذكر خاصةً لأصحاب الصغائر على ما قالوا، يصير كأنه أمَر النبيَّ صلى الله عليه وسلم[٧] أن يقول: اغفر[٨] لهم ولا تَجُرْ[٩] عليهم، إذ هم[١٠] مغفورة ذنبهم، فيحصل[١١] قولهم على ما ذكرنا. وذلك كفر ووَحِش[١٢] من القول. ***والله أعلم***.
ثم يجب[١٣] أن يكون المعتزلة والخوارج في الظاهر أبعد الخلائق في المعاصي وأقربهم إلى الطاعات، ونحن أقربَ الخلائق[١٤] إلى المعاصي وأبعدهم[١٥] عن الطاعات. لأنهم لا يرون النجاة إلا بأعمالهم، ولا يرون برحمة الله ولا شفاعة أحد ولكن بأعمالهم. فيجب أن يكونوا أبدا مُتْكَيِّين[١٦] مُلازِمين على الطاعات في كل وقت وساعة، لا يعصون الله طَرْفَةَ عينٍ.

---

[١] ن – حيث قال له واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. سورة محمد، ٤٧/١٩.
[٢] ر ث م – إذ من مذهبهم أن ليس لله أن يعذب أحدا على الصغائر.
[٣] ن: فلم.
[٤] ن: بالمغفرة.
[٥] ن – فيجب القول بما قلنا عملا بالآيتين.
[٦] ن – نقول نحن إنه.
[٧] ن – النبي صلى الله عليه وسلم.
[٨] ر ث م: استغفر.
[٩] ر م: ولا تحزن.
[١٠] ن: هي.
[١١] ن: عندهم فيجعل.
[١٢] ر ث م: كفر وحش.
[١٣] ر ث م: يجيء.
[١٤] ن: الخلق.
[١٥] ن: وأبعد.
[١٦] ر م: متكلين؛ ن: متكئين.

ونحن لم نر النجاة بالأعمال، ولكن إنّما نَرى ذلك برحمة الله تعالى وبشفاعة من ارتضى[1] شفاعتَه.[2] فيجب أن نكون نحن[3] معتمدين على رحمة الله وفضله، غيرَ مشتغلين بشيء من الطاعات. ثم في الحقيقة يجب أن يكونوا هم أقرب الخلائق إلى المعاصي وأبعدهم من الطاعات، ونحن ألزم الخلائق بالطاعات وأبعدهم[4] عن المعاصي، لأنا نرى عند الله لطائف وفواضل باقيةً لم يُعطِنا ما لو أعطانا لم يَصدُر منا[5] إلا الخيرُ والطاعاتُ،[6] وسُلِّمْنا عن المعاصي وأنواع الشرور وعُصِمْنا.[7] فيجب[8] أن نكون[9] نحن[10] مُتَكَبِّين[11] على الطاعات لنَصِل إلى تلك اللطائف. وهم لا يَرَون[12] بَقِي عنده شيء من اللطائف، بل يقولون: قد أعطانا كل شيء حتى لم يَبقَ عنده شيء من مصالح الدين،[13] فيجب[14] أن يكونوا ما ذكرنا. **والله أعلم.**

ثم قولنا: إن الله تعالى يُنجّينا برحمته وبشفاعة من جعل له الشفاعة لا بأعمالنا؛ وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي[15] صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «لن يَدخُل الجنةَ [أحدٌ] إلا برحمة الله». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟[16] قال: «ولا أنا إلا أن يتغَمَّدَنِيَ الله برحمته».[17]

---

[1] ر م – وبشفاعة من ارتضى.
[2] ر ث م: بشفاعته.
[3] ر م – نحن.
[4] ن: وأبعد.
[5] ن + لاهتدينا.
[6] ن – إلا الخير والطاعات.
[7] ن – عن المعاصي وأنواع الشرور وعصمنا.
[8] ن + فيجب.
[9] ر م: يكون.
[10] ر ن م – نحن.
[11] ر م: متكبين.
[12] ث: لا يرونه.
[13] ن – من مصالح الدين.
[14] ن: فيجيء.
[15] ن + عن نبي الله.
[16] ن – لن يدخل الجنة إلا برحمة الله قيل ولا أنت يا رسول الله.
[17] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٥٢؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ١٨؛ وصحيح *مسلم*، صفة الجنة والنار ٧٣؛ واللفظ من *المسند*.

والمعتزلة يقولون: لا، بل ندخل بأعمالنا، وكذلك قول الخوارج. وأصل قولنا: إن الله عز وجل أن يعذب[١] عباده على جميع المعاصي على الصغائر والكبائر جميعا، وله أن يغفر جميع المعاصي[٢] سوى الشرك والكفر،[٣] على ما ذكرنا من دلائل[٤] الآيات وغيرها.

وقوله: **ربنا وسعتَ كل شيء رحمةً وعلمًا**، قوله: **وسعت كل شيء رحمة**، فرحمة[٥] الدنيا يدخل[٦] فيها الكافر والمؤمن جميعا. وأما[٧] رحمة الآخرة فهي للمؤمنين خاصة. وهو كما ذكر في قصة موسى عليه السلام، حيث قال: وَاكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ -إلى قوله- وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ،[٨] الآية؛ وكقوله:[٩] قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[١٠] كأنه يقول: قل هي للذين آمنوا والذين لم يُؤمنوا، ثم هي خالصةٌ للذين أمنوا يوم القيامة. فعلى ذلك قوله: **وسعتَ كل شيء رحمةً**،[١١] هي رحمة الدنيا، جُمِع[١٢] المؤمن والكافر في تلك؛[١٣] فأما[١٤] رحمة الآخرة ليست إلا للذين / آمنوا.[١٥] ***والله أعلم.*** [٦٧٤و]

وقوله: **وعلمًا**، أي عَلِم مَنْ فيها[١٦] من الخلق.

---

[١] ن: إن الله عز وجل له أن يعذب.

[٢] ن + صغائر كانت أو كبائر.

[٣] ن – سوى الشرك والكفر.

[٤] ن: دليل.

[٥] ن: رحمة.

[٦] ن: دخل.

[٧] ر ث م: فأما.

[٨] ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هُدْنا إليك قال عذابي أُصيبُ به من أشاء ورحمتي وَسِعَت كلَّ شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٦/٧).

[٩] ن – واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الآية وكقوله.

[١٠] سورة الأعراف، ٣٢/٧.

[١١] ن + وعلما.

[١٢] ر ن م: جميع.

[١٣] ن: والكافر جميعا.

[١٤] ن: وأما.

[١٥] ن: إلا للمؤمنين.

[١٦] ن: فيهما.

وقوله عز وجل: **فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك**، يحتمل وجوها. أحدها فاغفر للذين تابوا من الشرك واتبعوا[1] دينك وهو[2] الإسلام. والثاني أي[3] فاغفر للذين تابوا عن الكبائر والفواحش، واتبعوا سبيلك أي طاعتك. والثالث فاغفر للذين تابوا عن جميع المعاصي صغائرها وكبائرها،[4] واتبعوا طاعتك. *والله أعلم*. وقوله: **وقِهِم عذاب الجحيم**، ظاهر.[5]

ثم قوله: **ربنا وَسِعْتَ كل شيء رحمة وعلما**، لا يمكن العمل بها[6] على قول المعتزلة، لأن رحمة الله عندهم[7] لا تسع لذنبٍ واحد، فإنه[8] ليس له أن يعفو عنه، فإن عندهم أن[9] من ارْتَكَب كبيرة ليس له أن يرحمه، ولكن يعاقبه على زعمهم خالدًا مخلّدًا. وإذا كان قولهم ومذهبهم هذا[10] فليست رحمته بواسعة بزعمهم.[11] ثم يقولون أيضا:[12] إن الله تعالى قد هدى كل كافر وأعطاه ما يهتدي به.[13] لكنه لم يهتد به،[14] وإنه لم يبق عنده ما يهتديه به.[15] فعلى هذا القول رحمته لا تسع لهداية الكافر.[16] فإذًا رحمة الله تعالى بزعمهم[17] على خلاف ما ذَكَر الله تعالى[18] ووصفها[19] بالسعة.[20] *والله الموفق*.

---

[1] ر ث م + سبيلك إلى.
[2] ر ث م: هو.
[3] ن – أي.
[4] ن: أو كبائرها.
[5] ن – وقوله وقهم عذاب الجحيم ظاهر.
[6] ن – لا يمكن العمل بها.
[7] ن – لأن رحمة الله عندهم.
[8] ن – واحد فإنه.
[9] ن: لأنهم يقولون.
[10] ر ث م – هذا.
[11] ن: ولكنه يعاقبه فهو على زعمهم ليس بواسعة على ما ذكرنا من قولهم ومذهبهم.
[12] ن: ثم هم يقولون.
[13] ن – به.
[14] ن – به.
[15] ن: يهديه.
[16] ر ث م: كافر؛ ن + على ما ذكرها.
[17] ن: فهي على زعمهم.
[18] ن: عز وجل.
[19] ن: وصفه.
[20] ن – بالسعة.

وأما عندنا فهو على[1] ما ذكرنا من جمع[2] الكل في ذلك، لما ذكرنا أن تلك الرحمة هي الرحمة الدنيوية،[3] أو ما ذكرنا من كون اللطائف عنده، من أعطاها اهتدى. *والله الموفق.*

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ربنا وأدخلهم جناتِ عدن التي وعدتهم**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أن الوعد كان منه لجملة المؤمنين، فسألوا أن يُدخِل قوما على الإشارة والتعيين[4] في جملة ذلك الوعد، لاحتمال خصوص في الجملة.[5] *والله أعلم.* والثاني سألوه أن يَختِمهم[6] على الأسباب والأعمال التي يستوجبون ذلك[7] الوعد.[7] *والله أعلم.* والثالث يجوز أن[8] يكون الوعد لهم بالشرط[9] الذي سألوه، والله تعالى عالم في الأزل أنه يوجد ذلك الشرطُ وهو سؤالهم، فيكون لهم ذلك الوعد. ومثل ذلك جائز،[10] كقوله عز وجل:[11] ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾،[12] إنما يَعِدهم[13] بسؤال هؤلاء. على ذلك كان[14] جرى[15] تقديره * أنه لا يعذبهم إذا سألوا، وعَلِم أنهم سألوا. وعلى ذلك الحديث الوارد «إن الصدقة تزيد في العمر»،[17]

[1] ر ث م - على.
[2] ر م: جميع.
[3] ن: في رحمة الدنيا.
[4] ن - والتعيين.
[5] ن - لاحتمال خصوص في الجملة.
[6] ر ث م: يجيبهم.
[7] ر ث م - الوعد.
[8] ن - يجوز أن.
[9] ر ث م: بشرط؛ ن: بالسؤا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٨و.
[10] ن - والله تعالى عالم في الأزل أنه يوجد ذلك الشرط وهو سؤالهم فيكون لهم ذلك الوعد ومثل ذلك جائز.
[11] ر ث م: قال الله تعالى.
[12] ر ث م: كان على ربك حتما مسئولا. لعله من خطأ الناسخين لأن هذه العبارة لا توجد في القرآن الكريم. ﴿لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا﴾ (سورة الفرقان، ١٦/٢٥).
[13] ن م: يعذبهم.
[14] ث - كان.
[15] ر ث: جزاء.
* ابتداء من هنا إلى آخر «والله الموفق» لا توجد في نسخة ن.
[17] انظر حول مختلف روايات الحديث والآراء في صحته: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢٨-٢٩.

جرى تقديره في الأزل أنه يوجد منه الصدقة فيكون عمره زائدا على ما لو عُلِم أنه لا يتصدق. وإنما لا يجوز التعليق بالشرط في حق الله تعالى على نحو ما يكون في حق العباد أنْ يُوجد عند وجود الشرط ولا يوجد عند عدمه، ولا عِلْم لهم بعاقبة ذلك، والله تعالى عالم بالعواقب. فمتى علّق بشرط كان ذلك منه في الأزل حُكمًا على أن يوجَد مع ذلك الشرط لا محالة، لما عَلِم وجود ذلك الشرط، مع علمه أنه لو لم يكن ذلك الشرط كيف كان. ***والله الموفق.*** *
أما ظاهر الآية أنه إذا وعدها لهم لأدْخلها، لا محالة فيها، فلا معنى للسؤال في ذلك لما يخرج السؤال في مثله مخرج السؤال في تصديق الوعد والامتناع عن الخُلْف، ولكن الآية تخرج[٢] على الوجوه التي ذكرنا.

وقوله: **ومن صلَح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم**، الآية، سألوه أيضا إدخال هؤلاء في ذلك الوعد أيضا على ما ذكرنا.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٩]

وقوله: **وقِهِم السيئات**، هذا يحتمل أنهم[٤] سألوا[٥] أن يَقِيَهم في الآخرة أمورا تسوؤهم من الأهوال والأفزاع وغير ذلك من العذاب. ويحتمل في الدنيا أمر[٦] الشرك وغيره، يدل عليه قوله: **ومن تَقِ السيئات يومئذ فقد رحمته**، أي ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يومئذ، **وذلك هو الفوز العظيم.**[٧]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[١٠]

وقوله: **إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم**، الآية، ذُكر أن أهل النار إذا دخلوا النار وعاينوا ما أنكروا من البَعث والعذاب، فجعل كلُّ إنسان منهم يَمقُت نفسه

---

* انتهت هنا العبارة التي كانت ناقصة في نسخة ن، ورقة ٦٢٠ظ سطر ٣١.
[٢] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٨و.
* ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: وإلا ظاهر قوله عز وجل ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم أنه إذا وعدها لهم لا محالة أدخلهم فيها لكن الآية يخرج على الوجوه التي ذكرنا والله أعلم.
[٤] ن: أن.
[٥] ن: سألوه.
[٦] ن – أمر.
[٧] ن: وقوله عز وجل وذلك هو الفوز العظيم.

ويَلُومها[١] فينادون: لمقت الله إياكم فيما أوجب عليكم من اللعن والنقمة أكثر[٢] مما تَمْقُتون[٣] به أنفسكم وأشدُّ. هذا وجه. ووجه[٤] آخر جائز أن يقال لهم: إن الواجب عليكم أن تروا مَقْت الله إياكم وقت ارتكابكم العصيان وعند تعاطيكم ما تعاطيتم أكبر وأشدَّ من مقتكم أنفسكم[٥] حين معاينتكم العذابَ[٦] ودخولكم النار. لأنكم لو رأيتم[٧] مَقْت الله إياكم عند ارتكابكم ما ارتكبتم أنه يَنْزِل بكم لَزَجَركم ومنعكم عن ارتكاب ذلك وتعاطيه، وحَمَلكم على إيثار ما[٨] دُعِيتُم إليه من التوحيد لله تعالى والإيمان به.[٩] **والله تعالى أعلم.**

وعلى هذين التأويلين يرجع تأويل قوله تعالى: وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ.[١٠] أحدهما أن ذكر الله إياكم بالرحمة والمغفرة أكبر وأعظم من ذِكْركم إياه وصلاتكم وعبادتكم له. والثاني أن ذكر نفسٍ[١١] نَهْيَ الله تعالى إياها[١٢] عن المعاصي وقت ارتكابها أكبرُ في الزجر[١٣] عنها والمنع من الصلاة نفسِها، وإن[١٤] كانت الصلاة تنهى عن ذلك، لقوله[١٥] تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى[١٦] عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ،[١٧] لِما أن الصلاة فيها أعْمَال تَشْغَل عن ذكر النهي. **والله أعلم.**

---

[١] ن: ويلزمها.
[٢] ن ث: أكبر.
[٣] ر م: يمقتون.
[٤] م - ووجه.
[٥] ن: مقت أنفسكم.
[٦] ر م: من مقتكم العذاب.
[٧] جميع النسخ: إن رأيتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٥ظ.
[٨] ن - وحملكم على إيثار ما.
[٩] ن: حين دعيتم إلى الإيمان بالله تعالى والتوحيد.
[١٠] ﴿اُتْلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقِمِ الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥).
[١١] ن: سر.
[١٢] جميع النسخ: إياكم.
[١٣] ر م: في الرحمن.
[١٤] ث: إن.
[١٥] ن: قوله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٨ظ.
[١٦] ر ث م - ذلك لقوله تعالى إن الصلاة تنهى.
[١٧] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥.

ثم قوله تعالى: **مِن مَقتِكم أنفسَكم**، يحتمل وجهين. أحدهما، أي مِنْ مَقْت[1] بعضكم بعضًا،[2] كقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.[3] *ويحتمل[4] أن[5] يَمْقُت كل إنسان نفسه لِما كان من العصيان والكفر. وإنما احتمل هذين الوجهين / لأن المنع لهم من طاعة الله تعالى [٦٧٤ظ] واتباع أمره ونهيه يكون بأنفسهم ويكون من بعضهم بعضا، فيكون محتملا لكلا الوجهين. وهو كقوله تعالى: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ،[6] وقوله: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ،[7] ونحوه أي[8] لا يُهلِكُ بعضكم بعضا،[9] إذ الظاهر أن المرء مع قيام عقله لا يُهلِك نفسه ولا يلقيها في التهلكة، وكذا لا يُسلِّم على نفسه. ويحتمل الظاهر أيضا أن يُسلِّم على نفسه إذا دخل البيت ولم يكن معه غيره. ولذلك نهى عن إهلاك نفسه عند شدة الغضب ونحو ذلك.* *والله أعلم*.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [١١]

وقوله عز وجل: **قالوا ربنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَين**، قال بعض أهل التأويل: كانوا أمواتا في أصلاب أبائهم، فأحياهم الله تعالى في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لابد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة. فهما حياتان وموتتان.[11] وهو قول ابن عباس وابن مسعود[12] فيما أُرَى؛[13]

---

[1] ر م: أن مقت.
[2] ن: يحتمل قوله عز وجل أنفسكم أي بعضكم بعضا.
[3] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مَوَدَّة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).
[4] ر ث م + ذلك لقوله إن الصلاة تنهى.
[5] ر ث م: أي.
[6] سورة النور، ٢٤/٦١.
[7] ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٥).
[8] ر ث م – ونحوه أي.
[9] ر ث م: لا تهلكوا بعضكم لبعض.
* ن: وقعت العبارة التي بين النجمتين في نسخة ن هكذا: ويحتمل أن يمقت كل إنسان نفسه بما كان منها من العصيان والكفر إذ المنع لهم من طاعة الله تعالى واتباع أمره ونهيه بأنفسهم وبعضهم بعضا وهو ما ذكرنا في قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله عز وجل فسلموا على أنفسكم ونحوه أي لا يهلك بعضكم بعضا ويحتمل على أن يهلك أحد نفسه ولا يلقيها في التهلكة وكذلك قوله عز وجل فسلموا على أنفسكم أي يسلم بعضكم بعضا أو يسلم على نفسه إذا لم يكن معه غيره فعلى ذلك الأول يحتمل ما ذكرنا.
[11] ن: موتان.
[12] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/٢٩١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٢٣-٢٤.
[13] ن: وهو قول ابن عباس فيما أرى وابن مسعود.

ويقولون: هو[1] كقوله تعالى: وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،[2] الآية. وقال بعضهم: قوله: **ربنا أَمَتَّنا اثْنَتَين وأحْيَيتنا اثْنَتَين**، إحدى الموتتين هي التي تنقضي بها آجالهم، ثم يُحييهم في القبر ثم يميتهم ثم يحييهم للبعث يوم القيامة؛ فهما مَوْتَتان وحياتان. وإلى هذا يذهب ابن الراوندي؛[3] ويُحتجّ بهذا على عذاب القبر. وهو أشبه وأقرب، لأنهم بكونهم في أصلاب آبائهم أمواتا لا يقال: **أَمَتَّنا**، وهم كانوا[4] أمواتا من الأصل.[5]

وقوله عز وجل: **فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل**، يحتمل اعترافهم بذنوبهم هو ما أنكروا في الدنيا قدرة الله تعالى على البَعْث والإحياء بعد الموت والعذاب لهم، لِما عاينوا ذلك وشاهدوا[6] وأقرّوا به،[7] فإنكارهم ذلك هو ذَنْبهم. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون ذنوبهم التي اعترَفوا بها ما ذَكَر في سورة تبارك حين قال لهم الخَزَنَة لمّا أُلْقوا في النار: قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ،[8] فيكون اعترافهم بذُنوبهم هذا. ***والله أعلم***.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[١٢]

وقوله: **ذلكم بأنه إذا دُعِي الله وحدَه كفرتم**، قوله: **ذلكم بأنه** أي ذلك المَقْت الذي ذُكِر أو العذاب الذي نزل بكم إنما كان **بأنه إذا دُعِي الله وحده كفرتم**، أي كفرتم بتوحيده. **وإن يشرك به**، أي بتوحيد الله **تُؤمِنوا به**، أي تُصَدِّقوا. هذه الآية كقوله: وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ،[9] فهما بمعنى واحد. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م - هو.
[2] ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٨).
[3] ر ث م: ابن الرويدي؛ ن: ابن المروندي. هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الرُّونْدِي أو الرَّاوَنْدي أو ابن الراوندي، (ت ٩١٠/٢٩٨)؛ كان في البداية متكلما معتزليا ثم اتهم بالزندقة؛ غير أن أبا منصور الماتريدي قد ذكره من بين المقرين بالنبوة ونقل عنه في ذلك في *كتاب التوحيد*. انظر: *كتاب التوحيد* للماتريدي، فهرس الأعلام، ص ٦٧٨.
[4] ث - كان.
[5] ر ث م - من الأصل.
[6] ن: وشاهدوه.
[7] ر ث م: أقروا.
[8] ﴿تكاد تَمَيَّزُ من الغيظ كلما أُلقي فيها فوج سألهم خَزَنَتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ (سورة الملك، ٦٧/٨-٩).
[9] سورة الزمر، ٣٩/٤٥.

وقوله عز وجل: **فالحُكْم لله العلي الكبير**. قال قتادة: لمّا خرج أهل حروراء[1] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مَنْ هؤلاء؟ قيل:[2] المُحَكِّمون. قال قائل: هم القُرّاء. قال علي عليه السلام: ليسوا بالقُرّاء، ولكنهم العيابون الخيّابون،[3] قالوا: إنهم يقولون: لا حُكْم إلا لله. قال علي رضي الله عنه: كلمةُ حقٍ أُريد بها باطل وذُكِر وعيٌ[4] بها باطل.[5]

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾[١٣]

وقوله: **هو الذي يُريكم آياته**، اختُلِف في[6] قوله عز وجل: **يُريكم آياته**، قال بعضهم:[7] هو ما أراهم بمُكذِّبي رسله ومُصَدِّقيهم من أوائلهم، حيث استأصل مكذبيهم[8] بتكذيبهم رسله[9] وأنجى مُصدِّقيهم بتصديقهم إياهم؛[10] أراهم أن مُكذّبيهم إنما استأصلهم وأهلكهم بتكذيبهم رسله، وأن مُصدّقيهم إنما أنجاهم وأبقاهم لتصديقهم إياهم،[11] ليَحْذَر هؤلاء عن تكذيب رسوله.[12] وقال بعضهم: أراهم آياتِ وحدانيته وربوبيته وقدرته وسلطانه في السماوات والأرض ما لو تأمّلوا لعرفوا ذلك، وهو كقوله تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[13] أخبر أنه قد أراهم الآيات في السماوات والأرض،[14] آياتِ وحدانيته وربوبيته، وذكر أنهم يمرونَ عليها[15] أي يرونها، لكنهم يعرضون عنها. **والله أعلم.**

---

[1] وهم الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد أن كانوا معه، وهم يسمون أهل الحروراء لأنهم اجتمعوا بعد حادثة التحكيم بموضع يسمى حروراء؛ ومنه الحرورية، الفرقة الخارجية الأولى.

[2] ن – قيل.

[3] عاب يعيب عيبا: نسبه إلى لعيب. عيّاب: كثير العيب للناس. وخاب يخيب خيبا: حُرم و لم ينل ما طلب. وخاب: خسر. والخيّاب: صفة المبالغة. (*لسان العرب*، «عيب» و«خيب»).

[4] ن ث: وعزي.

[5] والرواية موجودة في *المصنف* للصنعاني (١٠/١٥٠) بلفظ: «لما سمع علي المُحكمة قال: من هؤلاء؟ قيل له: القراء. قال: بل هم الخُيابون العيابون. قيل: إنهم يقولون: لا حكم إلا لله، قال: كلمة حق عزي بها باطل».

[6] ن: اختلف فيه.

[7] ر ث م – قال بعضهم.

[8] ر م: هؤلاء؛ ن: مكذبهم؛ ث + بمكذبيهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٩و.

[9] ر ث م: رسلهم.

[10] ر ث م: إياه؛ ن: رسلهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٩و.

[11] ر ث م – أراهم أن مكذبيهم إنما استأصلهم وأهلكهم بتكذيبه رسله وأن مصدقيهم إنما أنجاهم وأبقاهم لتصديقهم إياهم.

[12] ن: رسلهم.

[13] ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يَمُرُّون عليها وهم عنها معرضون﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٠٥).

[14] ر ث م – أخبر أنه قد أراهم الآيات في السماوات والأرض.

[15] ن: عنها.

*وقال بعضهم في قوله: **هو الذي يُريكم آياته**، [أي] يا أهل مكة إذا سافرتم في الأرض[١] رأيتم آيات المتقدمين ومنازلهم وهلاكهم؛ وهو الأول بعينه.*

وقوله تعالى: **ويُنزّل لكم من السّماء رزقا**، يخبر عن آيات وحدانيته أيضا أنه[٣] ينزل رزقهم من السماء، وجِبِلُ الخلق تَنقطِع[٤] عن استنزال الرزق من السماء ليعلموا أن منشئ الأرض والسماء واحد، حيث اتصل منافع السماء بمنافع الأرض على بُعْدِ ما بينهما. ويحتمل أنه يذكر[٥] نِعَمه عليهم، حيث[٦] يعلمون أنه هو الذي أنزل[٧] أرزاقهم من السماء دون من يعبدون من الأصنام؛ فكيف تصرفون[٨] عبادتكم وشكركم إلى غيره؟

وقوله: **وما يَتذكّر إلا من ينيب**، وما يتذكر بما ذُكِر من الآيات ولا يتأملها إلا من ينيب إليه بطاعته. أو يقول: لا يتذكر ولا يتَعظ بآياته ومواعيده[٩] **إلا من ينيب** إليه بالقبول لأمره وطاعته.

﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١٤]

وقوله: **فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**، كأن هذا صلة ما تَقدّم من قوله تعالى: وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ،[١٠] الآية، وصلة قوله: ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ.[١١] يقول: فادْعُوا الله يا أصحاب محمد وأيها المؤمنون مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ذلك، ووحِّدوه ولا تشركوا به شيئا على ما يشرك[١٢] به أهل مكة. **والله أعلم**.

---

[١] ر ث م – في الأرض.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن متأخرا عن موضعه، بعد تفسير القسم من الآية ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾.

[٣] ر م: آية.

[٤] ر ث م: ينقطع.

[٥] ن: أو يذكر.

[٦] ر ث م – حيث.

[٧] ن: هو إنزال.

[٨] ر م: يصرفون.

[٩] ن – ومواعيده.

[١٠] سورة الزمر، ٤٥/٣٩.

[١١] سورة المؤمن، ١٢/٤٠.

[١٢] ر ث م: تشرك.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[١٥]

وقوله:[١] **رفيع الدرجات**، يحتمل وجهين. أحدهما رَفيع[٢] السماوات درجةً على درجةٍ وطبقا على طَبَقٍ على ما رَفَعها واحدةً على أخرى. والثاني قوله: **رفيع الدرجات**، أي درجاتِ أهلِها ومنازلهم التي جعلها[٣] لهم في الآخرة على تفضيل بعض على بعض / في الدرجات، [٦٧٥و] كقوله تعالى: أُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً،[٤] أخبر أنه[٥] فضل بعضا[٦] على بعض في الدرجات في الآخرة. فجائز أن يكون ما ذكر من رفع الدرجات ما ذكر في هذه الآية. فإن كان المراد ما ذكر من رفع الدرجات[٧] هي رفعَ[٨] السماوات درجةً فدرجةً،[٩] فهو إخبار[١٠] عن قدرته وسلطانه أن[١١] من قَدَر على رفع السماوات في الهواء وإقرارها فيه بلا سبب من أسباب إمساكها من التعليق بشيء مع[١٢] ثِقَلها وغِلَظها، ولا شيءَ يَقِرّ في الهواء وإن خف ذلك، فمن قدر علي رفع ما ذكر وإقرارها وإمساكها في الهواء،[١٣] بحيث[١٤] لا يَنْحطّ ولا يتَسَفَّل ولا يَرْتَفع عن أماكنها بلا سبب من الأسفل والأعلى،[١٥] لا يُحتَمل أن يُعْجِزه شيء أو يَخْفى عليه شيء أو يَمْنَعه[١٦] شيء[١٧] عما يريد. *والله علم*.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: رفع.
[٣] ن: جعل.
[٤] سورة الإسراء، ٢١/١٧.
[٥] ن + قد.
[٦] ن: بعضهم.
[٧] ر ث م – ما ذكر في هذه الآية فإن كان المراد ما ذكر من رفع الدرجات.
[٨] ن – رفع.
[٩] ن – درجة فدرجة.
[١٠] ن: يخبر.
[١١] ر ث م: أنه.
[١٢] ر: من.
[١٣] ر ث م – وإن خف ذلك فمن قدر علي رفع ما ذكر وإقرارها وإمساكها في الهواء.
[١٤] ن – بحيث.
[١٥] ن – بلا سبب من الأسفل والأعلى.
[١٦] ن: ويمنعه.
[١٧] ر م – شيء.

وإن كان المراد بالدرجات الدرجاتِ[1] التي تُجعَل[2] لأهلها في الآخرة ففيه إخبار أن الفضيلة التي تُجعَل لهم[3] إنما يستوجبونها[4] بالله تعالى بأعمال تكون[5] لهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذو العرش[6] يلقي الروح من أمره**، أُختلف فيه؛ قال بعضهم: هو جبريل عليه السلام يُلْقي أي يُنزل الوحي[7] والنبوة[8] على من يشاء من عباده، كقوله: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ [لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ]؛[9] أخبر أنه أمين، ليُعلَم أنه ليس في إنزاله غَلَطٌ ولا شيء مما قاله بعض الروافض:[10] إنه بُعِث إلى فلان لكنه[11] أداه[12] إلى غيره. وقال بعضهم: الروح هاهنا هو الوحي والرسالة، يقول: **يُلْقي**، ويُنزل الوحي[13] على من يختار ويصطفي[14] من عباده.[15] *والله أعلم*.

وقوله: **لِيُنْذِرِ يَوْمَ التَّلَاقِ**، اختُلِف فيه. قال بعضهم: يوم يلقى[16] أهلُ الأرض أهل[17] السماء. وقال بعضهم يوم يَلقى الآخِرون الأولين.[18] وجائز أن يكون قوله: **يَوْمَ التَّلَاقِ**،[19] يوم يلقى الإنسان عمله وأفعاله التي عملها في الدنيا.[20] *والله أعلم*.

---

[1] ر م – الدرجات.

[2] ر م: يجعل.

[3] ر ث م – ففيه إخبار أن الفضيلة التي تجعل لهم.

[4] ن: يستوجبون.

[5] ر ث م: يكون.

[6] ن – ذو العرش.

[7] جميع النسخ: بالوحي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٦٩ظ.

[8] م: فالنبوة.

[9] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦–١٩٤.

[10] ن: الرافضة.

[11] ر ث م – لكنه.

[12] ر م: أواه.

[13] ر ث م: وهو الوحي.

[14] ن + له.

[15] ن – من عباده.

[16] ر م: تلقي؛ ث: تلقاء.

[17] ن: وأهل.

[18] جميع النسخ: الأولون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٦ظ.

[19] ر م – يوم التلاق.

[20] ر ث م – في الدنيا.

وقالت الباطنية: أي[1] يوم تَلْقى[2] الصُوَرُ[3] المتولدة من الأجساد بأعمال البر والخير[4] التي كانت لهم في الدنيا الصُوَرَ[5] التي كانت لهم روحانيةً. لأن من مذهبهم[6] أن من مات منهم[7] يَحْدُث ويتولد بالأعمال التي كانت لهم من الخير صورًا روحانية،[8] يَلْقي هذه[9] الصور[10] الحادثةُ المتولدة من الأجساد الصورَ[11] الرحانيةَ التي خرجت من الأجساد[12] بعد الموت. ويكون البعث عندهم للأرواح، فيتصل هذه الأرواح النورانية بالنور الصِرْف.[13] ويستدلون[14] لهذا[15] بقوله: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ،[16] أي يَبرُز تلك الصور الروحانية من الأجساد، إذ الخلائق كلهم في جميع الأحوال والأوقات بارزون ظاهرون لله تعالى، لم يكونوا في وقت مستورين عنه.

ولكن هذا فاسد لأنه لو كان[17] الأمر[18] على ما يقوله الباطنية لكانت الأنفس إذا نامت وخرجت منها الصور الروحانية فرأت رؤيًا كانت تراها[19] مختلطة غير متحققة، وفي حالة اليقظة تراها متحققة غير مختلطة. دل على أنه ليس على ما تصوروا وتوهموا، ولكن على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.[20]

---

[1] ن – أي.

[2] ر م: يلقى.

[3] ن: صورهم.

[4] ر ث م: الخير والشر؛ ن: الشر والخير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٦ظ.

[5] ر ث م: الصورة.

[6] ن: قولهم.

[7] ن – منهم.

[8] ر ث م: صور روحانية.

[9] ن: تلك.

[10] ر ث م: الصورة.

[11] ن: للصور.

[12] ر م – الصور الرحانية التي خرجت من الأجساد.

[13] ن – التي خرجت من الأجساد بعد الموت ويكون البعث عندهم للأرواح فيتصل هذه الأرواح النورانية بالنور الصرف.

[14] ن: يستدلون.

[15] ر ث م – لهذا.

[16] الآية التالية.

[17] ن: لكن الوجه فيه عندنا ما ذكرنا ولو كان.

[18] ن – الأمر.

[19] ر ث م: يراها.

[20] ر ث م: دل أن الإدراك للأجساد بواسطة الصور الروحانية يجب أن يكون البعث للكل ولكن الوجه في ذلك ما ذكرنا والله أعلم.

وأصله أنه سُمّي **يَوْمَ التَّلَاقِ**،[١] على[٢] ما سُمّي "يومَ الجمْع"[٣] و"يوم التغابن"[٤] و"يوم الحشر"[٥] وغير ذلك. سُمّي ذلك اليوم على أسماء مختلفة، كل اسم من ذلك لمعنى غير المعنى[٦] الآخر. ***والله أعلم***.

﴿**يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يوم هم بارزون**، قال بعضهم: أي ظاهرون لاشيء هنالك يسترهم، أي[٧] يرتفع يومئذ جميعُ السواتر. وهو كقوله تعالى: [فَيَذَرُهَا] قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا،[٨] أي لا شيء يُستَر فيها.[٩] يذكر هذا لأن من الناس من يقول: تستر[١٠] الأشياء عن الله تعالى بالسواتر، رَدًّا لقولهم. ويحتمل[١١] أن يكون قوله: **يوم هم بارزون**، سمّي ذلك اليوم يوم البروز لما[١٢] يتفقون جميعا ويقرون بالكلمة التي اختلفوا في الدنيا فيها،[١٣] فيبرزون[١٤] جميعا متفقين مقرين[١٥] على تلك الكلمة يومئذ وهي كلمة التوحيد. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون[١٦] سماه يومَ البروز والمصير والرجوع وما ذَكَر، لأن[١٧] المقصود من إنشاء الدنيا وما فيها من الخلائق ذلك اليوم وتلك الدارُ، وبذلك[١٨] صار إنشاء الدنيا[١٩] وإنشاء ما فيها[٢٠] حكمة،

---

[١] ن + لمعنى الذي ذكرنا.
[٢] ر ث م: وأصله أنه سمي ذلك اليوم على.
[٣] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[٤] سورة التغابن، ٩/٦٤.
[٥] سورة ق، ٤٤/٥٠.
[٦] ن + في.
[٧] ن – أي.
[٨] ن: قاعا صفصفا لا شيء عليها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. سورة طه، ١٠٦/٢٠-١٠٧.
[٩] ن – أي لا شيء يستر فيها.
[١٠] جميع النسخ: يستر.
[١١] ن: وجائز.
[١٢] ر م: مما.
[١٣] م – فيها.
[١٤] ن: ميرزون.
[١٥] ن: متفقون مقرون.
[١٦] ن: أو أن يكون.
[١٧] ر ث م: أن.
[١٨] ر ث م: وكذلك.
[١٩] ن: إنشاءها.
[٢٠] ن + أعني الدنيا.

لما عُرِف أن الإنشاء للإفناء خاصةً ليس بحكمة،[1] فخَصّ[2] ذلك اليوم بما ذكرنا،[3] وإن كانوا في جميع الأحوال بارزين إليه ظاهرين له. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لا يَخْفى على الله منهم شيء**، ظاهر؛ وهو ردّ[4] لقول من يقول: إن شيئا يُستر على الله تعالى.[5] تعالى الله[6] عن ذلك علوّا كبيرا.[7]

وقوله عز وجل: **لِمَن المُلْك اليومَ لله الواحد القهار**. قال عامة أهل التأويل: إذا أهلك الله[8] تعالى أهل الأرض وأهل السماء، فلم يبق أحد إلا الله تعالى فعند ذلك يقول: **لِمَن المُلْك اليومَ؟** فلم يُجِبْه أحد، فيقول هو في نفسه ويُجيب نفسَه: **لله الواحد القَهّار**. لكن هذا بعيد، لا يحتمل أن يقول: **لمن الملك اليوم**، ولا أحدَ سواه، ويجيب نفسَه: **لله الواحد القهار**، لما لا حكمة في ذلك أن يسأل نفسه ثم يجيبها. لكن الوجه فيه -والله أعلم- أنه إنما يقول لهم ذلك إذا بعثهم وأحياهم: **لمن الملك اليوم**، فيقول الخلائق له بأجمعهم: **لله الواحد القهار**، يقرون له جميعا يومئذ بالملك[9] والربوبية، وإن كان بعض الخلائق في الدنيا قد نازعوه في الملك فيها وادّعوا لأنفسهم، فيقرون[10] يومئذ أن الملك في الدنيا والآخرة / لله تعالى. *والله أعلم*. [٦٧٥ظ]

﴿اَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت**، أي من خير أو شر. **لا ظلم اليوم**، أي لا تُجزَى غيرَ ما كسبت. ويحتمل **لا ظلم**،[11] أي لا نقصان في الحسنات التي عملوها ولا زيادة على السيئات التي اكتسبوها.[12] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم. وقوله عز جل: **إن الله سريع الحساب**، قد ذكرنا هذا أيضا. *والله أعلم*.

---

[1] ن - لما عرف أن الإنشاء للإفناء خاصة ليس بحكمة.
[2] ن: محض.
[3] ن: بما ذكر لما ذكرنا.
[4] ن: هو ظاهر رد.
[5] ن + شيئا.
[6] ر م - تعالى الله.
[7] ن - علوا كبيرا.
[8] ر ث م - الله.
[9] ن + له.
[10] ن + له.
[11] ن: أو لا ظلم.
[12] ن - التي اكتسبوها.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[١٨]

وقوله: **وأنذرهم يوم الآزفة**، سَمّى ذلك اليوم يومَ الآزفة[١] لقربه ودنوّه منه. وعلى ذلك سماه غدا[٢] وقريبا، كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[٣] وقوله: اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ،[٤] الآية. فعلى ذلك سماه آزفة لدنوه وقربه منهم. يقال:[٥] أزِف فلان إلى فلان، أي قرب ودنا منه. ومعناه[٦] أي أنذرهم بما إليه مرجع عاقبتهم ومصيرهم، لأن أهل العقل والتمييز إنما يعملون ويسعَون[٧] للعاقبة وما إليه يرجع أمورهم،[٨] وهو ذلك اليوم. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **إذ القلوب لدى الحناجر**، يخبر عن شدة حالهم وفزعهم في ذلك اليوم. ليس أن قلوبهم تزول[٩] عن أمكنتها وترتفع[١٠] إلى الحناجر حقيقة، ولكنه وصفٌ لشدة حالهم في ذلك اليوم وكثرة خوفهم وفزعهم وضيق صدورهم. وهو كقوله تعالى: وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ،[١١] أي ضاقت صدورهم وقلوبهم بما حلّ بهم من الشدائد والأهوال، ليس أن صارت الأرض في الحقيقة مضيقةً لا يَسَعون فيها، ولكن وَصْفٌ لضِيق صدورهم لعِظَم[١٢] ما نَزَل بهم، فكَنّى بضِيق الأرض عن ضيق صدورهم. فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذُكر من كون القلوب لدى الحناجر كناية عن ضيق صدورهم لشدة حالهم وعظم[١٣] ما حل بهم. **والله أعلم**.
والحناجر هي[١٤] مواضع الذبح من الشاة وغيرها من الدواب، واحدها[١٥] حَنجَرة.

---

[١] ن: اليوم آزفة.
[٢] ﴿أأُلقِيَ الذكر عليه من بيننا بل هو كَذّاب أَشِرٌ سيعلمون غداً مَنِ الكذاب الأشِر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٢٥-٢٦).
[٣] ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١).
[٤] ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١).
[٥] ن: وهو القرب والدنو منه يقول.
[٦] ن: وقوله: وأنذرهم.
[٧] ن: ويسمعون.
[٨] ن: بصورهم.
[٩] ر ث م: ليس أن يزول قلوبهم.
[١٠] ر ث: يرتفع.
[١١] ﴿لقد نصركم الله في مواطنَ كثيرةٍ ويومَ حُنَيْنٍ إذ أعجبَتْكم كثرتُكم فلم تُغنِ عنكم شيئا...﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٥).
[١٢] ن: لعظيم.
[١٣] جميع النسخ: وعظيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٠و.
[١٤] ن: الحناجر من.
[١٥] ن: وواحدها.

وقوله: **كاظمين**، قال بعضهم: الكاظم المغموم الذي يتردّد حزنه في جوفه غيظا لما كان منه في الدنيا. وقيل: الكاظم[1] الذي[2] لا يتكلم، قد كَظَم من الخوف.[3] وقيل: الذي لا يفتح فمه. وهو قريب بعضه[4] من بعض.[5]

وقوله عز وجل: **ما للظالمين من حميم**، أي قريب. وقيل: الحميم هو الذي يَهْتَمُّ بأمر صاحبه، ويسعى في دفع ما نزل به من البلاء. وقوله:[6] **ولا شَفِيعٍ يطاع**، أي يجاب. يذكر أن لا يكونُ لهم في الآخرة قريب يَهْتَمّ لأمرهم ولا شفيعٌ يَشْفع لهم فيجاب كما يكون في الدنيا. وكذلك[7] قوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[8] أي لا يكون لهم شفعاء تنفعهم شفاعتهم، وهو ما قال عز وجل في آية أخرى: وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[9] الآية.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **يعلم خائنة الأعين**، الخائنة[10] والخيانة[11] واحد،[12] وهو ما قال عز وجل: وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ،[13] أي خيانةٍ منهم. وقال بعضهم: هي النَّظْرة بعد النظرة؛ أما الأولى فليس فيها[14] شيء، وأما الثانية فعليه مأثمها.[15] وقوله: **وما تُخفي الصدور**،

---

[1] ن – يتردد حزنه في جوفه غيظا لما كان منه في الدنيا وقيل الكاظم.

[2] جميع النسخ – الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٦ظ.

[3] ن: في الخوف.

[4] ر م: بعضهم.

[5] ن: وهو واحد.

[6] ن – وقوله.

[7] ر م: ولذلك.

[8] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.

[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ والكافرون هم الظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٤).

[10] جميع النسخ – الخائنة. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٠و.

[11] ن: وخيانة الأعين.

[12] ر ث م: واحدة.

[13] سورة المائدة، ١٣/٥.

[14] ن: منها.

[15] عن بُرَيْدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «يا علي! لا تُتْبع النظرةَ النظرةَ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة». سنن *أبي داود*، النكاح ٤٤؛ وسنن *الترمذي*، الأدب ٢٨. وزاد الترمذي أنه حديث حسن غريب؛ وأخرجه الحاكم أيضا في *المستدرك* (٢/٢٣١)، وقال: إنه صحيح على شرط مسلم.

أي ما لم يتكلم به المرء[1] ولم يعمل،[2] كل ذلك يعلمه الله تعالى. وقال بعضهم: **خائِنَة الأَعْيُن**، هي النظرة فيما لا يحل والغَمْزَة بعينه، وهو مثل الأول. وقال بعضهم: **خائنة الأعين**، هي التي ينتظر بها[3] غفلة الناس، إذا غفلوا عنه نظر إلى من[4] يهواه ويحبه مما لا يحل.[5] **وما تخفي الصدور**، هو ما ذكر عز وجل: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ.[6] يذكر هذا ليكونوا أبدا[7] مراقبين أنفسهم حافظين لها عما لا يحل من السمع والبصر والفؤاد، على[8] ما ذكر في آية أخرى: إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً،[9] ليكونوا أبدا على حذر من ذلك وخوف. **والله أعلم**.

﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٢٠]

وقوله عز وجل: **والله يقضي بالحق**، قال أهل التأويل: أي يحكم[10] بالحق. والقضاء المذكور في الكتاب يخرج على وجوه. أحدها يقضي أي يأمر، كقوله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[11] أي أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه،[12] وكقوله: إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا،[13] أي إذا أمَر[14] أمْرًا. يقول: **والله يقضي بالحق**، أي يأمر بالحق.[15] **والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء**، أي[16] لا يملكون الأمر بالحق، فكيف تعبدون مَن[17] دونه.

---

[1] ن – المرء.

[2] ن + به.

[3] ر ث م: ينتظرها.

[4] ر ث م: ما.

[5] ر ث م – مما لا يحل.

[6] سورة النمل، ٧٤/٢٧.

[7] ن – أبدا.

[8] ر م: وعلى.

[9] ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (سورة الإسراء، ٣٦/١٧).

[10] ر م: الحكم.

[11] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧).

[12] ر م – أي أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه.

[13] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخِيَرَة من أمرهم﴾ (سورة الأحزاب، ٣٦/٣٣).

[14] ن + الله.

[15] ن + وقوله عز وجل.

[16] ن – أي.

[17] ن – من.

والثاني القضاء هو[1] الوحي والخبر، كقوله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ،[2] أي أوحينا إليهم. فكأنه يقول: والله يوحي بالحق ويخبر به، والذين تعبدون[3] من[4] دونه لا يملكون الوحي ولا الخبر، فكيف اخترتم عبادتهم[5] على عبادة من يوحي بالحق ويخبر به. *والله أعلم*.

والثالث القضاء[6] هو الخلق والإنشاء، كقوله تعالى: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[7] أي خلقهن. فيكون قوله على هذا: **والله يقضي بالحق**، أي يخلق بالحق، والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا. وقد يعلمون أن[8] استحقاق العبادة إنما يجوز بالخلق والإنشاء، وهو كقوله تعالى: أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ،[9] وكقوله تعالى: خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ،[10] يقول: [هل] تخلق من يدعون[11] دونه كخلق الله حتى تشابه ذلك عليهم فعبدوهم، أي[12] يعلمون أنها لم تخلق شيئا وقد خلق الله جميع الخلائق فكيف يعبدون دونه، أو[13] يعلمون أن من خلق ليس كمن لم يخلق. وقد تعلمون[14] أنها لم تخلق شيئا، فكيف عبدتموها. *والله أعلم*.

ثم قول أهل التأويل:[15] **يقضي بالحق**، أي يحكم بالحق،[16] يخرج على وجهين. أحدهما يحكم بالحق[17] في الدنيا بالآيات والحجج ما عرف كلّ أحد أنها حجج وآيات وبراهين، فالحكم[18] بما ذكرنا حكم بالحق. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م – هو.

[2] سورة الإسراء، ٤/١٧.

[3] ر ث م: يدعون.

[4] ن – من.

[5] ر ث م: عبادته.

[6] ن + في الكتاب.

[7] ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾ (سورة فصلت، ١٢/٤١).

[8] ر ث م – أن.

[9] سورة النحل، ١٧/١٦.

[10] ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء﴾ (سورة الرعد، ١٦/١٣).

[11] ن: يعبدون.

[12] ر ث م: إذ.

[13] ر ث م – أنها لم تخلق شيئا وقد خلق الله جميع الخلائق فكيف يعبدون دونه أو.

[14] ر ث م: وقد يعلمون.

[15] ر م: أقول أصل التأويل؛ ن: قال بعض أهل التأويل.

[16] ن – أي يحكم بالحق.

[17] ر م – يخرج على وجهين أحدهما يحكم بالحق.

[18] ر ث م: والحكم.

/ والثاني أي يحكم بالحق في الآخرة، وهو الشفاعة؛ أي لا يجعل الشفاعة لمن يعبدون على [٦٧٦و] رجاء الشفاعة،[١] كقوله:[٢] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[٣] ولكن إنما يجعل[٤] لمن ارتَضى، كقوله تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[٥] *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **إن الله هو السميع البصير**. تروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: السميع للمؤمن، والبصير بعقاب الكافرين. وتأويل قوله:[٦] السميع للمؤمن، أي المجيب للمؤمن، والبصير بعقاب[٧] أولئك. وقيل: السميع[٨] لأقوالهم، البصير بأفعالهم.[٩] وجائز أن يكون قوله تعالى: **إن الله هو السميع البصير**، صلةَ ما تقدم من قوله: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ،[١٠] يقول: السميع بما يكون منهم ظاهرا من قول أو فعل، والبصير بما أخفوا في قلوبهم وتُكِنّ صُدورهم. يخبر بهذا[١١] ليكونوا أبدا مراقبين حافظين أنفسهم ما ظهر منهم[١٢] وما خفي. *والله أعلم*.

﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [٢١]

وقوله عز وجل: **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة**، هذا[١٣] يخرج على وجوه. أحدها[١٤] ما قال الحسن: إنهم لو ساروا فنظروا في آثار من كان قبلهم من مكذبي الرسل لكان لهم في ذلك زجر ومنع عن مثل صنيع أولئك.[١٥]

---

[١] ن: تعبدون على رجاء الشفاعة لكم.

[٢] ر ث م: كقولهم.

[٣] ن + يقول لا يجعل الشفاعة لمن يعبدون. ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[٤] ن - إنما يجعل.

[٥] ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٨).

[٦] ر ث م - السميع للمؤمن والبصير بعقاب الكافرين وتأويل قوله.

[٧] ر ث م: لعقاب.

[٨] ن + وقال بعضهم إنه هو السميع.

[٩] ر م: لأفعالهم.

[١٠] من الآية السابقة.

[١١] ن + ويذكر لهم.

[١٢] ر ث - منهم.

[١٣] ن: إنه.

[١٤] ر ث م: على وجهين أحدهما.

[١٥] ن + من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره.

وقال[١] بعضهم: هو على الخبر، أي قد ساروا في الأرض ونظروا في آثار من تقدمهم، لكنهم لم ينظروا نظر اعتبار أنه لماذا أصابهم ما أصابهم. *والله أعلم*. وقال قائلون: هو على الإيجاب والإلزام، أي سيروا في الأرض وانظروا في آثار أولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء، كقوله من قبلُ: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا.[٢] ولكن نقول: ليس على حقيقة السير في الأرض بالأقدام ولا نَظَرِ العين والبصر، ولكنه أمرٌ منه لهم بالتفكر والاعتبار في آثار من كان قبلهم، وإلى ماذا صار عاقبة أمرهم[٣] من صنيع[٤] مكذبي الرسل ومصدقيهم،[٥] لينزجروا عن مثل صنيع مكذبيهم[٦] ويرغبوا في مثل صنيع مصدقيهم.[٧] *والله أعلم*.

وقوله: **كانوا هم أشدّ منهم قوة**، في أبدانهم وأنفسهم. **وآثارا في الأرض**، أي خبرا وذكرا في الأرض؛ ويحتمل[٨] **وآثارًا في الأرض**، أي أشدّ أعمالا في الأرض. وليس كما يقول بعض المعتزلة:[٩] إنهم كانوا أشدّ منهم قوّة في الخيرات، فإن كان ما ذَكَر فذلك ليكون[١٠] أصلح لهم. وهذا بعيد سَمْج[١١] من القول؛ والوجه فيه ما ذكرنا أنهم كانوا أشد منهم قوة في أبدانهم وأنفسهم.

وقوله عز وجل: **فأخذهم الله بذنوبهم**، يخبر أن أولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كانوا أشد[١٢] من هؤلاء قوة وأشد آثارا في الأرض، ثم لم يمنعهم شدة قواهم في أبدانهم وأنفسهم وما ذَكَر من آثارهم في الأرض[١٣] ولم يدفعوا عن أنفسهم ما[١٤] نزل بهم من عذاب الله. فأنتم يا أهل مكة دونهم في البطش والقوّة، فكيف تمنعون[١٥] عذاب الله إذا نزل بكم. *والله أعلم*.

---

[١] ن: وقد قال.
[٢] ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ (سورة النمل، ٢٧/٦٩).
[٣] ر م – أمر.
[٤] ن – صنيع.
[٥] ث: من صنيع ما كذبوا مكذبي الرسل ومصدقيهم.
[٦] ر م: مكذبهم.
[٧] ر م: مصدقهم.
[٨] ن: أي.
[٩] ر ث م + أي.
[١٠] ن: يكون.
[١١] السمج والسميج: القبيح الذي لا ملاحة فيه (*لسان العرب*، «سمج»).
[١٢] ن – أشد.
[١٣] ر ث م: من آثار الأرض.
[١٤] ر م: وما.
[١٥] ن: يمتنعون عن.

وقوله عز وجل: **وما كان لهم من الله من واق**، يذكر[١] -والله أعلم- أن أولئك قد عبدوا الأصنام رجاء أن تشفع[٢] لهم في الآخرة، وتقرّبهم[٣] عبادةُ الأصنام[٤] إلى الله زلفى،[٥] كما تعبدون أنتم على رجاء الشفاعة لكم والتقريب[٦] إليه. فلو[٧] كانت عبادتهم إياها طريق الشفاعة وسببَ التقريب[٨] لكان يغنيهم من عذاب الله في الدنيا.[٩] وهو كما ادعت اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، فقال ردا عليهم بقوله:[١٠] قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ،[١١] أي في الدنيا لو كنتم على ما تزعمون، إذ لا أحد يُهلك ويعذب ولده وحبيبَه، فعلى ذلك الأول.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات**، فقوله: **ذلك**، يقول: ذلك[١٢] العذاب والإهلاك الذي نزَل بهم لِمَا كانت أتاهم رسلهم بالبينات فكفروا وكذبوا الآيات والأدلة التي أتاهم [بها] رسلهم أنهم رسل الله إليهم، فأصابهم ما أصابهم. لذلك[١٣] فأنتم يا أهل مكة! إذا كذبتم الرسول بعد ما أتاكم بالبينات والأدلة على رسالته ينزل بكم ما نزل بأولئك بالتكذيب والعناد وردّ الآيات والأدلة. *والله أعلم*.

---

[١] ر ث م: ذكر.
[٢] جميع النسخ: أن يشفع. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٠و.
[٣] ن: ويقربهم.
[٤] ر ث م – عبادة الأصنام.
[٥] ن – زلفى. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[٦] ن: والتقرب.
[٧] ر ث م: ولو.
[٨] ن: فلو كانت عبادتكم إياها على رجاء ذلك.
[٩] ن + لأن عبادتهم إياها لو كانت يقربكم إلى الله زلفى على ما تزعمون لكان الله لا يعذبهم في الدنيا ونفى عنهم ما نزل.
[١٠] ن: حيث قال.
[١١] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾ (سورة المائدة، ١٨/٥).
[١٢] ن – يقول ذلك.
[١٣] ر م: كذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٢٣]

وقوله: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا**، يحتمل **بآياتنا**، أي[١] بحُجَجِنا والآيات التي آتاها إياه. وقوله عز وجل: **وسلطان مبين**، يحتمل بحجج بينة.[٢] وذكرنا أنه يحتمل أن[٣] الآيات والسلطان واحد،[٤] ويحتمل أنهما غيران.[٥]

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٢٤]

وقوله: **إلى فرعون وهامان وقارون**، مرة قال: إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ،[٦] ومرة قال: إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ،[٧] ومرة قال: **إلى فرعون وهامان وقارون**،[٨] ليُعلَم أنه كان مبعوثا إلى الكل، لم يُبعَث إلى بعض دون بعض.[٩]

وقوله: **فقالوا ساحر كذاب**، دل قولهم: **ساحر كذاب**، على أن موسى عليه السلام قد أتاهم من الآيات والحجج ما عجزوا عن إتيان مثلها والمقابلة لها، فخافوا أن يتّبعه الناس لذلك، فمَوَّهوا[١٠] بقولهم: **ساحرٌ كذاب**، على سائر الناس لئلا يتبعوه فيما يدعو،[١١] لما عرف الناس أن السحر ليس يعرفه كل أحد، وأن أكثر الناس يعجزون عن السحر. وكانوا يعرفون أن السحر يكون كذبا[١٢] فمَوَّهوا بذلك القول أمرَ موسى عليه السلام[١٣] على أتباعهم،[١٤]

---

[١] ث – أي.

[٢] ر ث م – والآيات التي آتاها إياه وقوله عز وجل وسلطان مبين يحتمل بحجج بينة.

[٣] ن – وذكرنا أنه يحتمل أن.

[٤] ن: والسلطان والحجج واحد.

[٥] ن – ويحتمل أنهما غيران. انظر: تأويل الآية ٩٦ من سورة هود.

[٦] ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملإه فظلموا بها﴾ (سورة الأعراف، ١٠٣/٧).

[٧] ﴿وأدخل يَدَكَ في جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِن غير سُوءٍ في تِسعِ آياتٍ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ (سورة النمل، ١٢/٢٧).

[٨] ر ث م – مرة قال إلى فرعون وملاه ومرة قال إلى فرعون وقومه ومرة قال إلى فرعون وهامان وقارون.

[٩] ن + ولكن إليهم جميعا.

[١٠] مَوَّهَ الشيءَ: طلاه بذهب أو بفضة وما تحت ذلك شَبَه أو نُحاس أو حديد، ومنه التمويه وهو التلبيس، ومنه قيل للمخادع: مُمَوِّه. وقد موه فلان باطله إذا زينه وأراه في صورة الحق (*لسان العرب*، «موه»).

[١١] ر م: فيما يدعوا؛ ن – فيما يدعو.

[١٢] ن – وكانوا يعرفون أن السحر يكون كذبا.

[١٣] ن – القول أمر موسى عليه السلام.

[١٤] ن + لئلا يتبعوه وقالوا إنه كذاب قالوا ذلك.

ونسبوه إلى الكذب من غير أن ظهر من موسى كذب قطّ.[١] وقد كان لم يزل من فرعون[٢] تمويه وتلبيس على قومه أمر موسى مخافة أن يتبعوه لما أتاهم من الحجج والأدلة التي ظهرت عندهم أنها حجج وأدلة. من ذلك قوله عز وجل: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ؛[٣] وقوله: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[٤] قال هذا بعد ما اتّبعه السحرة وآمنوا به،[٥] ليُموّه / بذلك أمرهم على من لم يتبع موسى[٦] من الأتباع؛ وقوله:[٧] إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا،[٨] وغير ذلك من التمويهات التي كانت منه. فعلى ذلك هذا القول منهم حيث قالوا: ساحر كذاب.[٩] وجائز أن يكون قولهم: إنه كذاب، لأنهم[١٠] اعتادوا عبادة الأصنام دون الله تعالى. فلما جاء موسى صلوات الله عليه[١١] بما يمنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد ودعاهم إلى عبادة الواحد قالوا: إنه كذاب. وكذلك قال[١٢] أهل مكة لرسولنا وسيدنا محمد[١٣] صلى الله عليه وسلم:[١٤] [هَٰذَا] سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا،[١٥] سموه كذابا لما دعاهم إلى عبادة الواحد ومنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد. **والله أعلم**.

[٦٧٦ظ]

---

[١] ن + لكنهم لما قالوا إنه ساحر قالوا ذلك لما كانوا يعرفون أن السحر يكون كذبا يموهون بذلك القول أمر موسى عليه السلام على أتباعهم ويلبسونه عليهم.

[٢] ن: وكذلك كان من فرعون.

[٣] ﴿قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يُخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣٤-٣٥).

[٤] ﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٤٧-٤٩).

[٥] ن – وآمنوا به.

[٦] ن – موسى.

[٧] ن: و قال.

[٨] ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذنَ لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٢٣).

[٩] ر م + لأنهم اعتادوا.

[١٠] ن: لما.

[١١] ن – موسى صلوات الله عليه.

[١٢] ر م + إنه وكذا.

[١٣] ن: لرسول الله.

[١٤] ر م + إنه.

[١٥] ﴿وعَجِبوا أن جاءهم مُنذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إنّ هذا لشيء عُجاب﴾ (سورة ص، ٣٨/٤-٥).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم بالحق من عندنا**، قال بعضهم: أي جاءهم بالتوحيد.[١] وقال بعضهم:[٢] أي جاءهم[٣] بالرسالة. وكأنّ غير هذا أقرب، لما[٤] جاءهم بما[٥] يظهر عندهم من الحُجج أنها آيات وأنها[٦] من عندنا جاء.[٧] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم**، أمر أتباعه[٨] أن يقتلوا أبناء من آمن منهم لينزجروا بذلك عن متابعة موسى، لما رأى أن ما كان من التمويهات والحيل لم يمنعهم عن اتباعه، بل كانوا يتبعونه. فأوعدهم بقتل الأبناء، كما[٩] كان أمر بقتل الأبناء عند ما قيل له: إن ذهاب ملكك[١٠] بولد[١١] يولَد كذا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما كيد الكافرين إلا في ضلال**، لا شك أن كيدهم في الآخرة في ضلال، ولكن[١٢] كان كيدهم في الدنيا ظهر أنه ضلال، حيث لم يمنعهم كيده وحيله وتمويهاته عن اتباعهم[١٣] موسى عليه السلام.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[٢٦]

وقوله: **وقال فرعون ذَرُوني أقتل موسى**، قال هذا لِمَا رأى أنه لم يمنعهم عن اتّباع موسى عليه السلام ما ذكر من قتل الأبناء، [ف]قال عند ذلك: **ذروني أقتل موسى**. ثم يحتمل قوله:

---

[١] ن + من عندنا.

[٢] ن: وقال قائلون.

[٣] ن + بالحق من عندنا.

[٤] ر ث م: هذا أقرب أي فلما.

[٥] ن: مما.

[٦] ن – آيات وأنها.

[٧] ن: ما جاء.

[٨] ن: أمرهم.

[٩] ن: على ما.

[١٠] ن: إن ملكك يذهب.

[١١] ر: ولد.

[١٢] ر ث م + أراد.

[١٣] ر ث م: اتباع.

ذروني أقتل موسى،[١] وجوها. أحدها[٢] أنه هَمَّ فرعون[٣] أن يقتل موسى عليه السلام،[٤] فمنعه قومه أو الملأ من قومه عن قتله،[٥] فقال عند ذلك: **ذَرُونِي أَقْتُل موسى**. والثاني يحتمل أنه[٦] قال هذا مُبْتَدِئًا[٧] من غير أن كان منهم منْع إياه عن قتله. وهو[٨] كما قال ربنا جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا،[٩] من غير أن كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم منع له عن ذلك. وهذا في كلام العرب[١٠] موجود[١١] سائغٌ التكلمُ به[١٢] على الابتداء من غير أن كان من أحد منع عما يريدون أن يفعلوا. ***والله أعلم***. والثالث يحتمل **ذَرُونِي أَقْتُل موسى**، أي ذَرُوا[١٣] لائِمَتي في قتل موسى، أي لا تلوموني إذا أنا قتلته. ***والله أعلم***.

وقوله: **وَلْيَدعُ ربه**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه كان ذلك من فرعون، يقول: **ذروني أقتل موسى وليدع ربه**، فيمنعني[١٤] عن قتله إن كان صادقا فيما يدعي من الرسالة. لأن من أرسل رسولا فهمَّ أحد قتله أو الضرر به منعه المرسِل عن ذلك،[١٥] فعلى ذلك يقول فرعون.[١٦] ***والله أعلم***. والثاني يكون ذلك أمرا من الله عز وجل موسى بالدعاء على فرعون بالهلاك، لِما هَمَّ قتله. وعلى ذلك الرسل عليهم السلام قد أُذِن لهم بالدعاء بالهلاك[١٧] على فَرَاعِنَتهم ومعانديهم ومكابريهم إذا بلغوا في العناد غايتهم والتمرّدِ نهايتَهم.[١٨] ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م – ثم يحتمل قوله ذروني أقتل موسى.
[٢] ر ث م + يحتمل.
[٣] ن – فرعون.
[٤] ن: أن يقتله.
[٥] ن: أو ملئه عن قتله؛ ث: والملأ من قومه عن قتله.
[٦] ن – يحتمل أنه.
[٧] ن: مبتدرا.
[٨] ن: منع عن قتله كما.
[٩] سورة المدثر، ٧٤/١١.
[١٠] ن: كلام الناس.
[١١] ن – موجود.
[١٢] ن: بهذا.
[١٣] ر ث م: ذروني.
[١٤] ر ث م: يمنعني.
[١٥] ن: عن الخلق الضرر به.
[١٦] ر م – فرعون.
[١٧] ر ث م – بالهلاك.
[١٨] ن: في العناد والتمرد نهايتهم وغايتهم.

وقوله عز وجل: **إني أخاف أن يُبدّل دينكم**، قد كان هناك[1] تبديل الدين، فإنه قد أظهر موسى عليه السلام دين الحق وآمن [البعض] من[2] أتباعه،[3] لكن كأنه أراد -والله أعلم- بقوله:[4] **أن يُبدّل دينكم**، أي يَذهب بدينكم من الأصل. وقوله عز وجل: **أو أن يُظهِر في الأرض الفساد**، ذكر اللعين و سمّى[5] إظهار التوحيد في الأرض ودين الإسلام فسادا ليُعلَم أن كل مدّع[6] شيئا، وإن كان مبطلا في دعواه، فعنده أنه على حق وأن خصمه على[7] باطل، فلا يُقبَل قول أحد على أحد إلا ببرهان. ***والله أعلم***. ويحتمل أن[8] فرعون اللعين[9] أراد بقوله: **أو أن يُظهِر في الأرض الفساد**، قتل أبنائهم، أي يقتل[10] موسى أبناءكم[11] مجازاة لما[12] قتلتم أنتم أبناءهم. ***والله أعلم***.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [٢٧]

وقوله عز وجل: **وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب**، يحتمل قوله: **من كل متكبر**، أي متكبر[13] على التوحيد. ويحتمل[14] من كل[15] متكبر على الرسل، لا يؤمن بما يدعوه الرسول إلى الإيمان بالله والتوحيد له. أو من كل متكبر على الرسل، لا يؤمن بما يدعوه الرسول إلى الإيمان[16] بيوم الحساب. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: هنالك.
[2] م – من.
[3] ن – فإنه قد أظهر موسى عليه السلام دين الحق وآمن من أتباعه.
[4] ر: يقول.
[5] ن – وسمى.
[6] ن ث: مدعي.
[7] ر ث م – على.
[8] ن: وجائز أن يكون.
[9] ن – اللعين.
[10] ر: بقتل؛ ن: قتل.
[11] ن: إياكم.
[12] ن: ما.
[13] ن – أي متكبر.
[14] ن: أو.
[15] ر ث م – من كل.
[16] ر ث م – بالله والتوحيد له أو من كل متكبر على الرسل لا يؤمن بما يدعوه الرسول إلى الإيمان.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وقال رجل مؤمن من آل فرعون**، هذا[١] يحتمل وجهين. أحدهما من آل فرعون في الظاهر،[٢] لأنه كان يكتم إيمانه، وهو عندهم في الظاهر أنه من آله،[٣] وإلا لم يكن في الحقيقة من آله وإنما هو من آل موسى وأتباعه، حيث آمن به وترك اتباع فرعون. ***والله أعلم***. والثاني من آله، أي من نسبه لأنه ذُكِر أنه كان ابن[٤] عمه. ***والله أعلم***.

وقوله: **يكتم إيمانه**، إشفاقا على نفسه. ففيه أن من خاف على نفسه هلاكها لأمر يخالف قومه كان له أن يكتم ذلك عليهم إشفاقا على نفسه،[٥] ولا يُظهِر الموافقة لهم على ما هُم فيه إذا[٦] قدَر على الكتمان دون إظهار الموافقة لهم.[٧] وعلى ذلك[٨] المكرَه على إظهار الكفر، إذا قدَر على أن لا يُظهِر ما أريد منه من كلمة الكفر ولا يُقتَل[٩] بالامتناع[١٠] لا يَسَع له إظهار ذلك لهم، فإن لم يقدر فحينئذ يسع. فعلى ذلك[١١] ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله**، / فيه إخبار أنه[١٢] كان يكتم إيمانه إشفاقا على نفسه، فلما خاف إهلاك رسول الله موسى عليه السلام فعند ذلك أظهر ما كان يكتمه، وإن كان في إظهار ذلك إهلاكُ نفسه، بعد أن يرجُوَ[١٣] نجاة نبي من الأنبياء عليهم السلام.[١٤] [٦٧٧و]

---

[١] ن – هذا.
[٢] ر ث م – لأنه كان يكتم إيمانه وهو عندهم في الظاهر أنه من آله.
[٣] ن + لأنه كان في الظاهر من آله.
[٤] ن: من.
[٥] ر ث م – ففيه أن من خاف على نفسه هلاكها لأمر يخالف قومه كان له أن يكتم ذلك عليهم إشفاقا على نفسه.
[٦] ر ث م: إذ.
[٧] ن – على ما هم فيه إذا قدر على الكتمان دون إظهار الموافقة لهم.
[٨] ن: كذلك.
[٩] ن: ولا يقبل.
[١٠] ن – بالامتناع.
[١١] ن – ذلك.
[١٢] ن – فيه إخبار أنه.
[١٣] ن: يرجعوا.
[١٤] ن + ورسول من الرسل.

وهكذا يجب أن لا يسع كتمانُ ما كان يكتمه،[1] وإن كانت[2] نفسه يَهلِك إذا أظهر[3] ذلك، إذا كان في إظهار ذلك رجاءُ[4] نجاة رسول من رسل الله تعالى، بحجج يدفع الهلاك بها عن نفس ذلك الرسول. ولذلك[5] ذُكِر عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أن أهل مكة لمّا هَمُّوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإهلاكه ألْقَى أبو بكر رضي الله عنه نفسه عليه وقال ما قال ذلك الرجل[6] الذي كان يكتُم إيمانه، حيث[7] قال: **أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله**، فعند ذلك نزَلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يكن نزَل قبل ذلك.[8] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم**، أي جاءكم من البينات[9] ما يبين أنها آيات من عند الله لا اختراع[10] من موسى عليه السلام، ويبين أنه صادق فيما يقول ويدعي. وقوله:[11] **وإن يَكُ كاذبا فعليه كَذِبه وإن يَكُ صادقا يُصِبْكم بعض الذي يَعِدُكم**، أي وإن كان[12] كاذبا فيما يدعوكم إليه فعليه كذبه، أي عليه إثم كذبه لا عليكم.[13] وإن كان صادقا فيما يقول ويدعي يصيبكم[14] بعض الذي يعدكم. فهو[15] يعلم أنه صادق فيما يقول حقيقة؛ ولكن لما كان عند القوم احتمل الأمرُ ذكر على ما في زعمهم دفعا للقتل عن موسى عليه السلام.

---

[1] ن: تكتمه.

[2] ر ث م: وإن كان.

[3] ن: ظهر.

[4] ر ث م – رجاء.

[5] ن: وكذلك.

[6] ن – الرجل.

[7] ن: حين.

[8] «عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقْبَة بن أبي مُعَيْط فأخذ بمَنْكِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَوَى ثوبه في عنقه فَخَنَقَه خنقا شديدا. فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾» (صحيح *البخاري*، التفسير ٤١؛ فضائل أصحاب النبي ٥). وانظر أيضا: مجمع *الزوائد* للهيثمي، ٤/١٥-١٧.

[9] ن: بالبينات.

[10] جميع النسخ: لا اختراعا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٢و.

[11] ن – وقوله.

[12] ن – كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي وإن كان.

[13] ر ث م – أي عليه إثم كذبه لا عليكم.

[14] م: يصيبكم.

[15] أي الرجل المؤمن.

ثم الإشكال أنه قال: **يُصِبْكم بعض الذي يعدكم**،[١] ذُكر أنه يصيبهم بعض الذي يعد،[٢] والرسل إذا وعدوا شيئا يصيبهم بكماله، لا يجوز أن يكون[٣] خلاف ما أخبروا أو دون[٤] ما ذكروا. لكن قوله: **يُصِبْكم بعض الذي يَعِدُكم**[٥] يخرج على وجوه. أحدها أنه كان وَعْده إياهم أن يصيبهم العذاب في الدنيا والآخرة فيقول: **يصبكم بعض الذي يعدكم**، وهو ما وعد لهم أن[٦] يصيبهم في الدنيا، وأما ما وعد لهم في الآخرة فهو يصيبهم في وقت آخر، وهو في الآخرة. فما أصابهم في الدنيا[٧] فهو بعض ما جرى الوعيد[٨] منه لهم، لأن الوعيد كان منه[٩] في الدنيا والآخرة. *والله أعلم*.[١٠] والثاني *يحتمل أنه كان عليه السلام وعدهم بأنواع من العذاب، وقد أصابهم بعض ذلك من الطُّوفان والجَرَاد والقُمَّل والضَّفَادِع والدَّم ونحو ذلك،[١١] وفي بعض ما وعدهم هو هلاكهم. فكأنه يقول لهم: إنه[١٢] قد أصابكم كثير[١٣] من ذلك فيُصيبكم بعض ما يعدكم الذي فيه هلاككم، مبالغةً في الزجر، لما قد أصابهم ما وعد لهم من أنواع العذاب، ولم يكن وعده كذبا، فبعض ما يعدهم[١٤] -وهو الهلاك- كيف يكون كذبا. *والله الموفق*.* والثالث يراد بالبعض الكل، لأنه أراد بهذا البعض الهلاك، وهو البعض الأقصى فيدخل العالي فيه.[١٦]

---

[١] ن - فهو يعلم أنه صادق فيما يقول حقيقة ولكن لما كان عند القوم احتمل الأمر ذكر على ما في زعمهم دفعا للقتل عن موسى عليه السلام ثم الإشكال أنه قال يصبكم بعض الذي يعدكم.

[٢] ن: بعض ما يعد.

[٣] ن - أن يكون.

[٤] ن: أو ما دون.

[٥] ن + لكن وقوله يصبكم بعض الذي يعدكم.

[٦] ن: أنه.

[٧] ن - في الدنيا.

[٨] ن: الوعد.

[٩] ن: منه كان.

[١٠] ن - والله أعلم.

[١١] لعله يشير إلى هذه الآية: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٣/٧).

[١٢] ر م: إنهم.

[١٣] ر ث م: كثيرا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٢و.

[١٤] جميع النسخ: ما يعدكم.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: والثاني أنه كان وعدهم بأنواع من العذاب فأصابه بعض ذلك إهلاكهم وفي بعض ذلك هلاكهم. انظر: ورقة ٦٢٧ظ سطر ٢-٣.

[١٦] ن: والثالث يراد بالبعض كل لأنه إذا أريد بعض الأقصى دخل العالي فيه.

*لأنه إذا أوعده بأنواع من العذاب، منها الهلاك، يكون الهلاك هو البعضَ الأقصى، إذ لا عذابَ في الدنيا بعد الهلاك. فيكون سائر أنواع العذاب في الدنيا يكون قبل الهلاك. فإذا أريد به هذا البعض يدخل فيه ما قبله، ويكون ذِكره ذِكرا للكل، إذ لا وجود له بدون سائرها. لذلك قال: **يصبكم بعض الذي يعدكم**، أي يُصبكم كل الذي يعدكم.[1] *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **إن الله لا يهدي مَن هو مسرف كذاب**، هذا يخرج على الوجهين. أحدهما أنه لا يهدي من هو في علمه أنه يُؤْثر الإسراف والكذب.[3] والثاني لا يهدي من هو مختار للإسراف[4] والكذب وقت[5] اختياره[6] الإسراف والكذب.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **يا قوم لكم المُلك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا**، يخرج على الوجهين. أحدهما يحتمل أن يقول ذلك بعد ما سألوه أن يتبع دينهم وما هم فيه. أي[7] لو اتبعتكم وأجبتكم، ومعكم الملك والحَشَم[8] والغَلَبة وليس معي ذلك، فإذا جاء[9] بأس الله وعذابه فصرتم أنتم مُمْتَنِعين عنه بما معكم، فمن ينصرنا من[10] عذاب الله[11] وليس معنا ذلك،[12] وإن كان يعلم حقيقة أن ما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب الله. لكن قال ذلك بناء على اعتقادهم إظهارا للعذاب عندهم كيلا يُقْدِموا على قتله لصيانة حياته، ومثل هذا لا بأس به.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ر م – أي يصبكم كل الذي يعدكم.

* ما بين النجمتين لا يوجد في نسخة ن. انظر: ورقة ٦٢٧ظ من وسط السطر الثالث.

[3] ر م: والكذاب.

[4] ر ث م: مختار الإسراف.

[5] ن + ووقت.

[6] ر ث م: اختيارهم. أي وقت اختيار العبد الإسراف والكذب وطلب حصولها.

[7] ر ث م: إني.

[8] حُشْمَةُ الرجل وحَشَمُهُ وأَحشامُهُ: خاصَّتُهُ الذين يغضبون له من عبيدٍ أو أهلٍ أو جيرةٍ إذا أصابه أمر. والحَشَم: جماعة الأنسان اللائذون به لخدمته (*لسان العرب*، «حشم»).

[9] ن + جاءنا.

[10] ر م: بأمره.

[11] ن: عذابه.

[12] ن + أو كلام نحو هذا.

[13] ن – وإن كان يعلم حقيقة أن ما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب الله لكن قال ذلك بناء على اعتقادهم إظهارا للعذاب عندهم كيلا يقدموا على قتله لصيانة حياته ومثل هذا لا بأس به.

والثاني يقول[1] على الرفق بهم وإظهار الموافقة لهم في الظاهر، يقول: إنه قد جاءنا من الله البينات ما أوضح الحق وبين السبيل. فإذا رددنا ذلك وكذبناهم[2] جاءنا بأس الله جملة وعذابه، فمن يمنعنا عنه[3] وينصرنا من عذابه إذا خالفنا أمره وتركنا اتباع دينه. على هذين الوجهين[4] يخرج هذا[5] القول منه. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **قال فرعون ما أُرِيكم إلا ما أَرَى**، قال بعضهم: أي ما آمُرُكم إلا بما رأيته لنفسي. وقال بعضهم: ما أختار لكم إلا ما أختار لنفسي ذلك.[6] لكن اللعِين ليس له[7] أن يَختار لهم ما اختار لنفسه، لأن ما اختار لنفسه باطل فاسد.[8] *وكذب اللعين أيضا، حيث قال: ما أختار لكم إلا ما أختار لنفسي، لأنه اختار لهم أن يعبدوه، ولم يَختر لنفسه عبادة أولئك أن يعبدهم، فهو كَذِب من القول.*

وقوله عز وجل: **وما أَهدِيكم إلا سبيل الرشاد**، كَذِب أيضا في قوله:[10] إنه[11] / لا يهديهم [٦٧٧ظ] إلا سبيل الرشاد، بل كان يهديهم سبيل الغيّ.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾[٣٠] ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم**، كأن فيه إضمارا يقول:[12] إني أخاف عليكم يوما مثل يوم الأحزاب،

---

[1] ن + لهم.
[2] ن: وكذبنا ثم.
[3] ن: منه.
[4] ر ث م: القولين.
[5] ر ث م - هذا.
[6] ن - ذلك.
[7] ر ث م - ليس له.
[8] ن: فاسد باطل.
* ما بين النجمتين يأتي في نسخة ن بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾. ورقة ٦٢٧ظ/سطر ١٦-١٥. وعبارته هكذا: وفي الأول حيث قال ما أختار لكم إلا ما أختار لنفسي كذب أيضا لأنه كان يختار لهم أن يعبدوه ولم يختر لنفسه عبادة أولئك أن يعبدهم فهو كذب من القول والله أعلم.
[10] ن: كذاب اللعين لعنه الله.
[11] ر م: إنهم.
[12] ر ث م: إضمار القول؛ ن: إضمار. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٢ظ.

ويوما مثل يوم قوم نوح وعاد وثمود.[1] فهو -والله أعلم- صِلَة قوله فيما تقدم: يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا،[2] وَعَظَهم مرة واحتج عليهم بما جاءهم موسى بالبينات، حيث قال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ،[3] وتتركون[4] اتِّباعه وتَتَّبِعون[5] رجلا لم[6] يأتِكم بالبينات.[7] هذا منه احتجاج عليهم أنْ كيف تقتلون رجلا وتتركون اتِّباعه بعد ما جاءكم بالبينات من ربكم وتتبعون من لا بينة معه ولا برهان، يسفههم في صنيعهم الذي أرادوا أن يصنعوا[8] به. *والله أعلم*. ووعظهم أيضا وعظا لطيفا فيه رفق، حيث قال: يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا، يقول -*والله أعلم*-: إنكم إن قتلتم ذلك الرجل بعد ما جاءكم بالبينات وتركتم اتباعه فجاءكم عذاب الله وبأسه، فمن ينصركم عن ذلك العذاب ويمنعكم عنه، إذ[9] قتلتم نبيّه[10] بغير حق.

ثم وعظهم وعظا بما نزل بمُكذبي من كان قبلهم[11] من الرسل، حيث قال: **إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ**، يقول: إني أخاف عليكم أن ينزل بكم ويقع عليكم من عذاب الله بتكذيبكم[12] الرسول موسى عليه السلام وترككم اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات أنه رسول وأنه صادق فيما يقول ويدعي. كما نزَل ووقع من العذاب بالأحزاب الذين كانوا مِن قبلكم ممن ذكر بتكذيبهم الرسل واستقبالهم إياهم بما استقبلوا، بعد ظهور صدقهم عندهم بما يستقبلون أنتم رسولكم موسى بعد ما ظهر صدقه عندكم بالبينات التي جاءكم بها.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م - وثمود.
[2] الآية ٢٩ من هذه السورة.
[3] الآية ٢٨ من هذه السورة.
[4] ن: يتركون.
[5] ر ن م: ويتبعون.
[6] ن: لما.
[7] ن + ولا شيء.
[8] ر: أن يصيغوا؛ م: أن يضيعوا.
[9] ر م: إذا.
[10] ن - نبيه.
[11] ن: قتلهم.
[12] ن: بتكذيبهم.
[13] جميع النسخ - بها.

ثم ما ذكر من الأحزاب فيحتمل أن يكون تفسيره ما ذكر على إثره من قوم نوح وعاد وثمود، ويحتمل سواهم من الأمم.[١] *والله أعلم*. ثم قوله: **مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود**، قال بعضهم: أي مثل صنيع قوم نوح ومن ذكر وفِعْلِهم. وقال بعضهم: أي مثل عذاب قوم نوح ومن ذكر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما الله يريد ظلما للعباد**. في هذه الآية للمعتزلة نوعُ أدنى[٢] تَعَلُّق، يقولون: إنكم تقولون:[٣] إن الله تعالى قد أراد من العباد ما يفعلون من أفعال الظلم والجور، وقد أخبر الله تعالى[٤] أنه[٥] لا يريد ظلما للعباد.[٦] ولكن الآية في التحقيق عليهم؛ لأنه قال في آية أخرى: يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ،[٧] أخبر أنه أراد أن لا يجعل لهم حظًا في الآخرة. ولو لم يرد منهم ما يستوجبون به العذاب كان في تعذيبه[٨] إياهم ظالما على زعمهم. دل أنه أراد منهم ما يستوجبون به العذاب، وهو فعل الظلم. *والله أعلم*.[٩]

ثم تأويل الآية يخرج على وجهين. أحدهما[١٠] أن الإرادة هي صفة كل فاعل يفعل عن اختيار،[١١] فكأنه قال: والله لا يَظلِم عباده، كقوله تعالى: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ،[١٢] *والثاني فيه إخبار أنه لا يعاقب أحدا بذنب غيره، ولا يؤاخذ بجريمة غيره، ولا يزيد على قدر ما يستحقون به العذاب أو لا ينقصهم من ثواب حسناتهم شيئا. كقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[١٣] وغير ذلك من الآيات ما فيها إخبار أنه لا يجزيهم بأكثر مما يستوجبون، ليس على ظن أولئك. *والله أعلم*.*

---

[١] ر ث م: سؤالهم من الأمم؛ ن: ويحتمل غيرهم من الأمم وسواهم.
[٢] ر ث م - أدنى.
[٣] ر م - إنكم تقولون.
[٤] ن: وهو أخبر.
[٥] ر ث م: أن الله.
[٦] ن + وقال عز وجل وما الله يريد ظلما للعباد.
[٧] ﴿ولا يَحْزُنْكَ الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يَضُرُّوا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٧٦).
[٨] ر م: تعذيبهم.
[٩] ن + وبعد فإن ذلك على زعمهم فاسد محال لأنهم لا يصفونه بالقدرة على المحال.
[١٠] ن - على وجهين أحدهما.
[١١] ن - يفعل عن اختيار.
[١٢] ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٦).
[١٣] ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تَكُ حسنةً يُضاعِفْها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ (سورة النساء، ٤/٤٠).
* ما بين النجمتين ساقط من نسخة ن، ورقة ٦٢٧ظ/سطر ٤٠.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[٣٢] ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين**، الآية. وعظهم أيضا بعذاب الآخرة وما يكون منهم يومئذ[١] من الندامة بتركهم[٢] اتباع الرسول بعد ما وعظهم بعذاب[٣] الدنيا وما نزل بأوائلهم بصنيعهم[٤] مثل صنيعهم، وهو[٥] ما قال: **إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين**، الآية.[٦] ثم قوله: **يوم التناد**، فيه لغاتٌ ثلاثٌ. إحداها يوم التنادي[٧] بالياء، والثانية بالتخفيف على حذف الياء،[٨] والثالثة بالتشديد: التنادِّ.[٩] فمن قرأها بالتشديد[١٠] يقول: هو من نَدَّ يَنِدُّ نَدًا، إذا مَضَى على[١١] وجهه هاربا فارًا من عذاب الله إذا عاينوا العذاب، وهو من نَدّ الإبل وغيره.[١٢] *والله أعلم*. *ومن قرأ بالياء[١٣] فهو التفاعل من النداء، فهو على نداء بعضهم بعضا يوم القيامة، كقوله تعالى: وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا،[١٤] وقوله عز وجل: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ،[١٥] وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[١٦]

---

[١] ر ث م – يومئذ.
[٢] ن: تركهم.
[٣] ر + وبعذاب.
[٤] ن – بصنيعهم.
[٥] ن – هو.
[٦] م – وعظهم أيضا بعذاب الآخرة وما يكون منهم من الندامة بتركهم اتباع الرسول بعد ما وعظهم وبعذاب الدنيا وما نزل بأوائلهم بصنيعهم مثل صنيعهم وهو ما قال إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين الآية.
[٧] ن + يوم.
[٨] ن: بغير الياء.
[٩] ر ث م – التناد.
[١٠] م – فمن قرأها بالتشديد.
[١١] ر ث م – على.
[١٢] نَدّ البعير يَنِدّ ندودا: إذا شَرَد. وندّت الإبلُ تَنِدّ نَدّا ونَدِيدا: نفرت وذهبت شُرودا فمضت على وجوهها (*لسان العرب*، «ندد»).
[١٣] ن + بالياء.
[١٤] سورة الأعراف، ٧/٤٤.
[١٥] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).
[١٦] سورة القصص، ٢٨/٦٢.

وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ،[1] ونحوه. ومن قرأ بغير الياء فقد حذف الياء، كقوله: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.[2] وأصله التنادي. *والله أعلم*.*

ثم قوله تعالى: **يوم تُوَلُّون مُدبرين**، قال بعضهم: يوم تولون[4] هاربين من النار مدبرين عنها. وقال بعضهم: يوم تولون بكم إلى النار. وجائز أن يكون قوله عز وجل: **يوم تولون مدبرين**،[5] كقوله:[6] يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ.[7] وقوله عز وجل: **ما لكم من الله من عاصِم**، أي مالكم من عذاب الله إذا نزل بكم من مانع يمنعكم من عذابه.[8] وقوله عز وجل: **ومن يضلل الله فما له من هاد**، قد ذكرناه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات**، أي جاءكم يوسف[9] من قبل موسى عليهما الصلاة والسلام **بالبينات**، أي بالآيات والأدلة على رسالته وصدقه. جائز أن يكون هذا قول[10] ذلك الرجل[11] لقومه يخبرهم عن سفه[12] أوائلهم / من تكذيبهم يوسف[13] بأرض مصر قبل موسى، [٦٧٨و]

---

[1] سورة القصص، ٦٥/٢٨.

[2] ﴿قالوا لن نُؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فَطَرنا فاقض ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ (سورة طه، ٧٢/٢٠).

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: «ومن قرأ بالياء يقول أي ينادون بأعمالهم كقوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ونحوه ومن قرأ بغير الياء يحمله على نداء بعضهم بعضا يوم القيامة كقوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقوله عز وجل ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ونحوه والله أعلم». ولكن هذا الترتيب خطأ، وما أثبت في المتن صحيح، لأن جميع الأمثلة تصح أمثلة للوجه الثاني لا للثالث؛ والوجه الثالث ذكر لأن تشار إلى حذف الياء فقط.

[4] ن – يوم تولون.

[5] ر ث م – وقال بعضهم يوم تولون بكم إلى النار وجائز أن يكون قوله يوم تولون مدبرين.

[6] ن – كقوله.

[7] سورة عبس، ٣٤/٨٠.

[8] ن – من عذابه.

[9] ن – جاءكم يوسف.

[10] ر م: قوله.

[11] ن: ذلك المؤمن.

[12] ن + أولئك من.

[13] ن – يوسف.

وما كان من القول منهم بعد ما ذهب من بينهم، وردِّهم آياته وحججه التي أتاهم بها، وما أخبر أنهم وأوائلهم لم يزالوا في شك وريب مما جاءتهم الرسل من الآيات والأدلة، وهو ما قال عز وجل: **فما زِلْتُم في شكّ مما جاءكم به**، يقول: لم تزل[1] عادتكم وعادة أوائلكم هذا.

وقوله: **حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**، جائز أن يكون -وإن خاطبهم بقوله: **جاءكم يوسف بالبينات**، وقوله: **فما زلتم في شك مما جاءكم**، وقوله: **قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**- إنما أراد أباءهم وأوائلهم،[2] لأن يوسف عليه السلام لم يكن في زَمَن هؤلاء مبعوثا إليهم، على ما عاتب الأبناء بصنيع[3] آبائهم في غير آي من القرآن، كقوله: فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ،[4] وقوله: ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ.[5] وهؤلاء لم يقتلوا الأنبياء ولا اتخذوا العجل إلها،[6] وإنما فعل ذلك آباؤهم وأوائلهم، ثم جاء العِتاب لهم بسوء صنيع آبائهم وأوائلهم، فعلى ذلك هذا. وجائز أن يكون[7] -وإن خاطبهم بما ذكر من سُوء الصنيع والتكذيب- إنما يُخبر عن صنيع آبائهم وأوائلهم[8] فيحذرهم[9] عن مثل صنيع أولئك من التكذيب لهم والرد لأدلتهم والقول بعد ذهابه من بينهم والكذب على الله: إنه لم يَبعث رسولا. يقول: إياكم أن تُكذِّبوه[10] وتردوا آياته وحججه ثم تقولوا[11] إذا مات موسى: **لن يبعث الله من بعده رسولا**. كما قال أوائلكم إذا مات يوسف: لم يكن من بعده رسول،[12] بقولهم:[13] **حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا**، يشبه أن يخرج الآية على هذا. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: كم نزل.

[2] ر م: أباء أوائلهم.

[3] ر ث م: بصنع.

[4] ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة البقرة، ٢/٩١).

[5] ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٩٢).

[6] ر ث م - إلها.

[7] ن: وأوائلهم فعلى ذلك جائز هذا أن يكون.

[8] ر ث م: وإياهم.

[9] ر م: فحذرهم.

[10] ر م: يُكذبوه.

[11] ن: تقولون.

[12] ن - لم يكن من بعده رسول.

[13] ن: حيث قال عز وجل.

وقوله عز وجل: **كذلك يُضلّ الله من هو مُسْرف مُرْتاب،** *فقد ذكرنا تأويله من وجهين فيما تقدم.[١] ثم قوله: **حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا،*** يخرج على وجهين. أحدهما آمنوا به وأنكروا رسالة غيره بعده بقولهم: **لن يبعث الله من بعده رسولا**. والثاني أي أنكروا رسالته في حال حياته ولم يؤمنوا به، فإذا هلك أنكروا أن يكون هو مبعوثا إليهم رسولا. فيحذر هؤلاء صنيع أولئك أن لا يكونوا كأولئك: آمنوا به وأنكروا رسالة غيره من الرسل بعده. أو يقول: لا تكونوا كأولئك يكذبونه ما دام حيا، فإذا هلك يكذبون[٢] رسالته، يُحذرهم سفه أوائلهم. *والله أعلم*.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **الذين يجادِلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم**، أي يجادلون في دفع آيات الله وردّها بغير حجة وسلطان أتاهم من الله، أو بغير حجة مكّن لهم الاحتجاج بها، وإلا كان أهل الإيمان قد يجادلون فيها حتى إذا ظهر أنها آيات الله آمنوا بها وأقروا بها. لكن الوجه فيه ما ذكرنا، أي جادلوا في دفع آيات الله وردّها بغير حجة أتاهم، كقوله تعالى: وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ.[٤] *والله أعلم*.

وقوله: **كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا**، هكذا الواجب على أهل الإيمان أن يَمقُتوا من الأعمال ما مَقَتها الله تعالى، أو يمقتوا مَنْ مقته الله من أعدائه. وعلى ذلك ذكر أن خير أعمالكم حب ما أحبّه الله وبغض ما أبغضه الله،[٥] أو كلام نحوه، وشر أعمالكم حب ما أبغضه الله تعالى[٦] وبغض ما أحبه.[٧]

---

[١] انظر: الآية ٢٨ من هذه السورة.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: أي هكذا يضل الله من هو في علمه أنه يوثر الإسراف والارتياب على ما ذكرنا من الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله عز وجل إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب والله أعلم.

[٢] م ح: ينكرون.

[٤] الآية ٤ من هذه السورة.

[٥] ن – الله.

[٦] ر ث م – الله تعالى.

[٧] ر ث م + الله تعالى. لم أستطع أن أجد نفس هذه الرواية في كتب الأحاديث ولكن توجد روايات قريبة المعنى منها: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله» *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/١٤٦؛ وسنن *أبي داود*، السنة ٣، واللفظ لأبي داود.

وقوله: **كذلك يطبع الله على كل قلبِ متكبّرٍ جبّار**، أي هكذا يطبع[1] الله على كل قلبِ مَن جادل في دفع آيات الله وردها بغير حجة، أي يطبع على كل من تعوّد[2] التكبُّر والتجبر على الآيات والرسل. *والله أعلم*.

ثم قوله: كذلك يطبع الله من هو كذا، وكذلك يضل الله من هو صاحبه[3] ونحوُه كله حروف الاعتلال، بيّن الله تعالى العلل التي لها لا يَهديهم ويُضلهم. وكذلك في قوله: لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ؛[4] و مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ،[5] ونحوه، أي لا يهدي من كان طبعه وعادته الإسراف والكذب وكفران النِعَم ودفع الآيات والحجج بلا حجة وبرهان.[6] فأما من كان طبْعه وعادته غير هذا، لكن[7] لجَهْل جهِل ذلك، أو لما يتحقق عنده لظنه وقلة التأمل، أو لاشتغاله بأمور الدنيا،[8] أو لمعنى من المعاني، يجوز أن يهديه الله تعالى[9] ويرشده. على هذا يخرج هذه الآيات.[10] *والله أعلم*.

وعلى ذلك ما كان من فرعون اللعين من التمويهات والتلبيسات على أتباعه في أمر موسى عليه السلام، بعد معرفته أن ذلك ليس يقدح[11] في الآيات والحجج التي أتاهم بها[12] موسى عليه السلام، لكنه[13] أراد أن يموّه ويلبّس على قومه.[14] فكل من كانت عادته وطبيعته[15] ما ذكرنا من التمويه والتلبيس والمجادلة في دفع الآيات بلا حجة والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى، ويطبع على قلبه.[16] *والله أعلم*.

---

[1] ن: فطبع.
[2] ر م: يعود؛ ن: عود.
[3] ر م – الله من هو صاحبه؛ ث – من هو كذا.
[4] الآية ٢٨من هذه السورة.
[5] الآية السابقة.
[6] ن + فهدى من كان طبعه وعادته هذا.
[7] ن – لكن.
[8] ن – لظنه وقلة التأمل أو لاشتغاله بأمور الدنيا.
[9] ن – الله تعالى.
[10] ن + التي ذكر.
[11] ر م: بقدح.
[12] ر ث م – بها.
[13] جميع النسخ – لكنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٣ظ.
[14] ن: لكنه أراد تمويه ذلك وتلبيسه على قومه.
[15] ن: وطبعه.
[16] ن – والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى ويطبع على قلبه.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾[٣٦] ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وقال فرعون يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحا لعلّي أبلُغ الأسباب أسباب السماوات فأطّلع إلى إله موسى**. للمشبهة تعلقٌ بظاهر هذه الآية،[١] يقولون: لولا أن موسى عليه السلام كان ذكر وأخبر فرعون أن الإله في السماء وإلا لَمَا أمر فرعون هامانَ أن يَبْني له ما يَصْعَد به إلى السماء ويطّلِع إلى[٢] إله موسى على ما قال تعالى خبرا عن اللعين.[٣]

لكنا نقول: لا حجة لهم، فإنه جائز[٤] أن يكون هذا من بعض التمويهات التي / كانت منه [٦٧٨ظ] على قومه في أمر موسى عليه السلام، ومن بعض مكائده[٥] التي كانت منه به من[٦] نحو قوله: سَاحِرٌ كَذَّابٌ،[٧] وقوله: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[٨] وقوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[٩] ونحو ذلك من التمويهات التي كانت منه. فعلى ذلك قوله: **[يا هامانُ] ابْنِ لي صَرْحا ... فأطّلِع إلى إله موسى**، تمويه منه على قومه[١٠] بموسى. يقول: إن موسى[١١] إنما يدعو[١٢] إلى إله في السماء، فهو نَحْوُ إله يكون في الأرض. يموّه بذلك على الناس أَمْرَ موسى من غير أن كان من موسى ذكر أو خبر[١٣] أن الله[١٤] في السماء، على ما كان منه سائر[١٥] التمويهات.[١٦] ***والله أعلم***.

---

[١] ن: للمشبهة بظاهر هذه الآية سؤال وتعلق.
[٢] ن: على.
[٣] ن: على ما قال اللعين له.
[٤] ن: يقال لهم: جائز.
[٥] ن: مكاره.
[٦] ن – به من.
[٧] انظر الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٨] ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ (سورة طه، ٧١/٢٠).
[٩] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ن: بموسى أن يقول موسى.
[١٢] ن: يدعوا.
[١٣] ر م: ذكرا وأخبر.
[١٤] ن: من غير أن كان موسى ذكر أو أخبرا أنه.
[١٥] ن: من.
[١٦] ر ث م + وإن لم يكن من موسى ذكر تلك التمويهات له.

ويحتمل أن فرعون قال ذلك[1] لِمَا رأى أن البركات والخيرات تنزل[2] من السماء، فظَنَّ[3] أنه في السماء.

ثم اختلف في الأسباب؛[4] قال بعضهم: أسباب السماوات أبوابها. ويحتمل الأسباب[5] أسبابَ السماوات[6] هي الطرقُ التي تَصعَد[7] إلى السماء، وهو واحد. وحقيقة الأسباب هي ما يوصل بها إلى أشياء[8] يُقصَد إليها. وقد علم اللعين أنه لا يصل إلى ذلك بما[9] ذكر من بناء الصَّرْح، لكنه أراد بذلك ما ذكرنا من التمويه[10] والتلبيس على قومه. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وإني لأظُنّه كاذبا**، قال هاهنا: **لأظنّه كاذبا**، بعد ما قطع القول فيه: إنه كاذب وإنه كذاب، ليُعلَم أنه كان يعلم أنه[11] على حق وأنه صادق،[12] لكنه يموّه بذلك على قومه.

وقوله: **وكذلك زُيِّن لفرعون سوءُ عمله**، قال بعضهم: أي زَيَّن الشيطان عليه سوء عمله. ويحتمل أن يقال: زُيِّن له سوء عمله بالأتباع وكثرة الأموال والحَشَم التي[13] أَعْطَى له،[14] زُيِّن له سوء عمله بالأسباب التي أعطيت له، فيكون الله تعالى مزيِّنا له سوء عمله بإعطاء الأسباب. ويحتمل زُيِّن له سوء عمله، أي خُلِق في طبعه أن[15] يرى ذلك حسَنًا مزيَّنًا، وإن كان قبيحا في نفسه حقيقةً على ما تقدم ذكره.[16]

---

[1] ن: أو قال فرعون ذلك.

[2] جميع النسخ: ينزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٩و.

[3] ن: ظن.

[4] ن + وقوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات؛ – ثم اختلف في الأسباب.

[5] ر ث م – الأسباب.

[6] ن: السماء.

[7] جميع النسخ: يصعد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٣ظ.

[8] ر م: الأشياء.

[9] ر م: بها.

[10] ر ث م: التمويهات.

[11] ر ث م – يعلم أنه.

[12] أي كان فرعون يعلم أن موسى عليه السلام على حق وأنه صادق في ادعاء الرسالة.

[13] ر ث م: الذي.

[14] ن: أو يقال زين له سوء عمله بالأسباب التي أعطى له من كثرة الأموال والأتباع وغير ذلك.

[15] ر م: أي.

[16] ن – زين له سوء عمله بالأسباب التي أعطيت له فيكون الله تعالى مزينا له سوء عمله بإعطاء الأسباب ويحتمل زين له سوء عمله أي خلق في طبعه أن يرى ذلك حسنا مزينا وإن كان قبيحا في نفسه حقيقة على ما تقدم ذكره.

*وقوله: **وصُدّ عن السبيل**، وقُرِئ وصَدّ بالفتح. فمن قرأ بالفتح فله معنيان. أحدهما صَدّ هو بنفسه صُدودا. والثاني صدّ هو الناسَ عن سبيله صَدًّا.[1] ومن قرأ صُدّ بالضم، أي لم يُوَفّق ولم يُرشَد لما عُلم منه اختيار صدّه.*

وقوله: **وما كيد فرعون إلا في تَباب**، أي في خسار. التباب الخسار.[3] يقال في قوله:[4] تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ،[5] أي خسرت. ويقال:[6] تبًّا له، أي هلاكا له، وقيل: تبت يدا[7] الرجل، أي خابت.

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٣٨]

ثم أخبر عما ذكر ووعظ ذلك الرجل[8] المؤمن من آله، وهو قوله تعالى: **وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد**، أي أبيّن[9] لكم سبيل الرشاد. مرةً خوّفهم بما نزل بأوائلهم بتكذيب الرسل وترك اتباعهم، ومرة بين سفههم في أنفسهم بسوء صنيعهم، ومرة وعظهم ونصحهم ودعاهم إلى اتباعه ليبين لهم سبيل الرشاد ويهديهم إليه، وإن خاف على نفسه الهلاك بعد ما أظهَر الإيمان ولم يبال هلاك نفسه. *وقال الكسائي: الرشاد والرُّشْد والرَّشَد[10] ثلاث لغات، ولا يُقرَأ هاهنا غير الرشاد.*

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[٣٩]

ثم قال: **يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع**، أي متاع ومنفعة يبلغ إلى[12] منتهى آجالكم، يبلغ به العاصي والمطيع إلى أجله.[13] يخبر أنها على الانقضاء والذهاب عن قريب،

---

[1] الصَدّ: الإعراض والصُدُوف. صَدّ عنه يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدًّا وصُدُودًا: أعرض. ويقال: صدّه عن الأمر يَصُدُّه صَدًّا منعه وصرفه عنه (*لسان العرب* «صدد»).

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن بعد الآية الآتية برقم ٤٠ من هذه السورة.

[3] ن: أي في خسران التباب الخسار تب أي خسر.

[4] ن: ومنه قول الله عز وجل.

[5] سورة تبت، ١/١١١.

[6] ن: وقيل إلا في هلاك يقال.

[7] ث م: يد.

[8] ن – الرجل.

[9] ن: يبين.

[10] م – والرشد.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن بعد الآية الآتية برقم ٤٠ من هذه السورة.

[12] ن: الحياة الدنيا متاع منفعة إلى.

[13] ن + فلا يعصي لأجلها فهي للعاصي والمطيع جميعا إلى ذلك الوقت أو.

ويخبر أن دار[1] الآخرة هي دار القرار، أي يَقِرّ بأهلها إن كان أهلها أهل خير، وقرّت[2] بهم خيرا أبدًا لا يزول. وإن كان أهلها أهل شر يَقِرّ بهم[3] الشر أبد الآبدين.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤٠]

ثم أخبر عن عدل الله تعالى في أعدائه وفضله في أوليائه، حيث قال: **من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها**، أي لا يَجزيهم[4] ولا يَزيد لهم على مثل جنايتهم،[5] لأن المثل هو العدل في جميع الأشياء. يخبر أن لا يزيد على عقوبة عملهم ولكن يَجزيهم بمثله. وأما جزاء الحسنة فإنه يزيد لهم على قدر ما يستوجبون فضلا منه وإحسانا. ثم فيه دلالة نقض[6] قول المعتزلة:[7] إن صاحب الكبيرة في النار أبدا. لو كان على ما ذكروا كان في ذلك تسويةُ بين صاحب الكبيرة وبين صاحب الشرك: فإما أن يكون نقصانا لصاحب الشرك عن مثل عقوبته أو زيادة لصاحب الكبيرة. وقد أخبر أنه لا يجزى إلا مثلها، فذلك خلاف لظاهر[8] الآية.

وقوله عز وجل: **ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة**، دلّ هذا على أن العمل الصالح لا ينفع[9] ولا يُجزى به[10] إلا من كان منه الإيمان به. وقوله: **يُرزَقون فيها بغير حساب**، يحتمل بلا تَبِعَة، ويحتمل بغير تقدير وعدد.[11] وقد ذكرنا في غير موضع.[12] *والله أعلم*.*

---

[1] ن – دار.

[2] ر ث م: قرت؛ ن: وقرب.

[3] ن + إلى.

[4] ر ث م: لا يجزي.

[5] ن: ولا يزيدهم على مثل عقوبتهم.

[6] ن: بعض.

[7] ن + لقولهم.

[8] ر ث م: ظاهر.

[9] ن: لا يرفع.

[10] ر ث م – به.

[11] ن – وعدد.

[12] ر ث م: قد ذكرناه فيما تقدم.

* وقعت هنا قطعتان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٧ ورقم ٣٨ في نسخة ن. انظر: ورقة ٦٢٤ظ/ سطر ٤٠–٤١، ٦٢٥و/ سطر ١–٢.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار**، كأنه قال: يا قوم ما لي أدعوكم[١] إلى ما به نجاتكم وأَنْصَحُ لكم، وتدعونني أنتم إلى ما[٢] به هلاكي، فمتى يكون بيننا موالاة واجتماع؟ أي لا يكون. إنما يُذكَر هذا وأمثالها[٣] في المواعظ إذا[٤] انتهت غايتها وبلغت نهايتها فلم[٥] يَنْجَعْ[٦] فيهم، عند ذلك يقال.[٧] وهو كقوله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[٨] وقوله تعالى: لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ،[٩] الآية.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾[٤٢]

ثم فسّر ما يدعونه[١٠] إليه وما هو[١١] يدعوهم إليه من النجاة، حيث قال: **تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار**، هذا منه تفسيرُ ما دعاهم إلى النجاة وبيانُ ما يدعونه / إلى الهلاك. ثم قوله:[١٢] **وأُشْرِكَ به ما ليس لي به علم**، قد يستعمل قوله: **ما ليس لي به علم** في نفي العلم،[١٣] أي ليس ذلك. وذلك[١٤] في إثبات العلم بخلافه وضده، يقول: وأشرك به ما ليس لي به علم،[١٥] ولا كان من الشريك[١٦] وغيره. أو يقول: تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لكم به علم. *والله أعلم*. [٦٧٩و]

---

[١] ن: كأنه يقول ما لي أدعوكم.
[٢] ر م – ما.
[٣] ن: وأمثاله.
[٤] ر م – إذا.
[٥] ر ث م: فلما.
[٦] نجع فيه القول والخطاب والوعظ: عمل فيه ودخل وأثّر (*لسان العرب*، «نجع»).
[٧] ر ث م – عند ذلك يقال.
[٨] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[٩] ﴿وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ (سورة يونس، ٤١/١٠).
[١٠] م: ما يدعون.
[١١] ر ث م – هو.
[١٢] ن: وقوله عز وجل.
[١٣] ن: بمعنى المعلوم.
[١٤] ن – ذلك.
[١٥] ن – لي به علم.
[١٦] ن: الشرك.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[٤٣]

ثم بيّن عجز ما يعبدون من الأصنام وغيرها، وهو ما قال عز وجل: **لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، لا جَرَم**، أي حقًا.[١] يقول -والله أعلم-: لَحَقٌّ[٢] أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة.[٣] اختلف في قوله: **ليس له دعوة**.[٤] قال بعضهم: ليس له دعوة أي شفاعة، وقال بعضهم: **ليس له دعوة** مستجابة. وقال بعضهم: **ليس له دعوة**،[٥] أي لم تدعكم[٦] إلى عبادة نفسها، أي الأصنامُ التي عبدوها. والأول أشبه لأنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام رجاء أن يشفَع[٧] لهم، فأخبَر أنها لا تَشفَع[٨] بقوله: **ليس له دعوة**، أي شفاعة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأن مردّنا إلى الله**، يقول -والله أعلم-: أن مرجِعَنا جميعا[٩] إلى ما أعد الله لنا؛ أعد لكم النار وأعد لي الجنة. وقوله عز وجل:[١٠] **وأن المسرفين هم أصحاب النار**، والمقتصدين من أصحاب الجنة. ***والله أعلم***.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **فستذكرون ما أقول لكم**، أي ستذكرون إذا عايَنتم ما أعد الله[١١] لكم وأعد لنا أن ما كنتم عليه ودعوتموني[١٢] إليه دعاء إلى الهلاك، وما دعوتكم إليه هو دعاء إلى النجاة.[١٣] أو يقول: ستذكرون ما نصحت بدعائي إياكم إلى ما[١٤] به نجاتكم.

---

[١] ث: لا خير من أن حقا.

[٢] جميع النسخ: بحق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٤ظ.

[٣] ن – لا جرم أي حقا يقول والله أعلم لحق أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة.

[٤] ر ث م – اختلف في قوله ليس له دعوة.

[٥] ر ث م – اختلف في قوله ليس له دعوة قال بعضهم ليس له دعوة أي شفاعة وقال بعضهم ليس له دعوة مستجابة وقال بعضهم ليس له دعوة.

[٦] ر ث م: لم يدعوكم؛ ن: لم يدعكم.

[٧] ر م: ينتفع.

[٨] ن: لا يشفع.

[٩] ر ث م – جميعا.

[١٠] ر ث م – وقوله عز وجل.

[١١] ر ث م – الله.

[١٢] ر م: ووعدتموني.

[١٣] ر ث م: الجنة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٦٩ظ.

[١٤] ن – هو دعاء إلى النجاة أو يقول ستذكرون ما نصحت بدعائي إياكم إلى ما.

وقوله عز وجل: **وأفوض أمري إلى الله**، هذا يخرج على وجوه. أحدها كأنهم خوّفوه وأوعدوه بأنواع الوعيد[1] والتخويف، فقال عند ذلك: **وأفوض أمري إلى الله**، وأتوكل عليه فيحفظني ويدفع عني شركم وما تقصدون بي. *والله أعلم*.

والثاني **وأفوض أمري إلى الله**، أي عليه أتوكل و[به] أَكِلُ في جميع الأمور من الخيرات والشرور، وهو الكافي لذلك.

والثالث إظهار الحاجة إليه. والمؤمن أبدا يكون مُظهِرا الحاجة[2] إلى الله تعالى في كل وقت وكل ساعة. *والله أعلم*.

والرابع **وأفوض أمري إلى الله**، لا أشتغل بشيء في أمري، أُصَيِّره إلى الله تعالى.[3] وعلى قول المعتزلة لا يصح تفويض إلى الله تعالى،[4] لأنهم يقولون: إن عليه أن يعطيه جميع ما يحتاج إليه المكلف[5] حتى لا يبقى عنده مزيد، وإذا لم يبق عنده شيء، فليس لتفويض الأمر إليه معنى. *والله الموفق*.

﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[٤٥] ﴿اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **فوقاه الله سيئات ما مكروا**، دل هذا على أنهم قد قصدوا قصد المكر به حيث أخبر أنه وقاه سيئات ما مكروا. فجائز أن هَمُّوا به قتله، ويحتمل غيره. ثم يحتمل ما وقاه عن مكرهم بما وقى موسى عليه السلام لمَّا أهلكهم وأنجاه عن شرهم. ويحتمل بوجه[6] آخر لا نفسره لأنا لا نحتاج إليه، وإنما حاجتنا[7] إلى أن نعلم أن كل من[8] بذل نفسه لله تعالى ووَكَلَ[9] أمره إليه وقاه الله تعالى[10] وحفظه.

---

[1] ن: التوعيد.
[2] ر: للحاجة.
[3] ولعله يعني: لا أشتغل بشيء في أمري إلا أصيره إلى الله تعالى.
[4] ن: تفويض الأمر إليه.
[5] ن – المكلف.
[6] ر ث م: توجيه.
[7] ر م: حاجاتنا.
[8] ر م – من.
[9] ن: فوكل.
[10] ر م – ووكل أمره إليه وقاه الله تعالى.

وقوله عز وجل: **وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النارُ يُعرَضون عليها غُدوًا وعَشِيًا.** استدل بعض الناس على عذاب القبر بقوله: **النار يُعرَضون عليها**، وإنما يعرض أرواحهم على النار، فتألمت أجسادهم في القبور لذلك. وكذلك يعرض أرواح أهل الجنة على الجنة[1] فيتلذذ أجسادهم[2] بتلذذ الأرواح بعد أن أُحدث فيها الحياة التي بها[3] يتحقق الألم واللذة،[4] هذا في القبور. ثم إذا أُدخلوا[5] النار[6] يكون لهم ما ذكر من العذاب، حيث قال: **ويوم تقوم الساعة أدخِلوا آلَ فرعون أشد العذاب.** ***والله أعلم.*** وجائز أن يكون ما ذكر من العرض على النار قبل القيامة، قبل أن يُدخَلوا النار، كقوله تعالى: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ،[7] يكون عرضهم على النار هو وقتَ وَقْفهم للسؤال وحبسهم لذلك. ثم يُدخَلون النار فيكون لهم العذاب الذي ذكَر، وهو قول الحسن.[8]

ثم قوله: **غُدوًا وعَشيًا،**[9] يحتمل قَدْرَ غدو وقدرَ عَشي. فإن كان التأويل في عذاب القبر يحتمل[10] ما قال بعضهم أن يقال لهم: هذا لكم ما دامت الدنيا. ويحتمل أنه ذكَر[11] لا[12] على إرادة الغدو والعشي حقيقةً، ولكن[13] كل وقت، لكن يتجدد التألم والوَجَع بقدر كل[14] غدو وعشي.[15] ***والله أعلم.*** وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جعلت أرواح آل فرعون في أجواف طير سُود،[16]

---

[1] ر م – على الجنة.

[2] ن – في القبور لذلك وكذلك يعرض أرواح أهل الجنة على الجنة فيتلذذ أجسادهم.

[3] ر م – بها.

[4] ن – بعد أن أحدث فيها الحياة التي بها يتحقق الألم واللذة.

[5] جميع النسخ: دخلوا. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦٧٠و.

[6] ن + يوم القيامة.

[7] سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٤.

[8] ن – وهو قول الحسن.

[9] ن + وهو قول الحسن.

[10] ن: أما إذا كان ذلك في القبر فهو يحتمل.

[11] ن: أو يذكر.

[12] ر ث م – لا.

[13] ر ث م – ولكن، + ذلك.

[14] ر ث م: بكل قدر.

[15] ر ث م: عشي وغدو.

[16] السود: جمع الأسود والسَّوْداء.

يعرضون على النار كل يوم مرتين، يقال: يا آل[1] فرعون هذه داركم؛ قال عبد الله: فذلك عرضها.[2] فإن ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو تفسير لما ذكر من الغدو والعشي. ثم إن ثبت هذا عنه فهو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه باب ما[3] لا يُدرَك بالتدبر.[4] مع ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن نبي الله[5] صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات أحدكم عُرِض عليه[6] مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال له: هذا[7] مقعدك حتى يُبْعَث إليه يوم القيامة».[8] فإن ثبت هذا وصح عنه فهو دليل لوجوب[9] عذاب القبر.[10] **والله أعلم.**[11] وجائز أن يكون قوله: **النار يُعرَضون عليها غدوًا وعشيا**، أي يُعذَّبون[12] في الأوقات كلها بعد إدخالهم فيها. وذكر الغدو والعشي يخرج على سكون النار في أوقاتٍ تَخْمُدُ[13] ثم تلتهب،[14] كقوله تعالى: كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا.[15] **والله أعلم.**

---

[1] ث: بآل.

[2] رواه ابن أبي حاتم الرازي عن ابن مسعود، *تفسير القرآن العظيم*، ٣٢٦٧/١٠؛ وروى الطبري أيضا نحوه عن الهذيل بن شرحبيل والسدي والأوزاعي، *تفسير الطبري*، ٣٣٧/٢٠-٣٣٨).

[3] ر ث م – ما.

[4] جميع النسخ: بالتدبير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠و.

[5] ن: رسول الله.

[6] ر ث م: على.

[7] جميع النسخ: هاذاك. والتصحيح من مصادر الحديث.

[8] ولفظ الحديث في *موطأ مالك* هكذا: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» *موطأ مالك*، الجنائز ٤٨. وانظر أيضا: *صحيح البخاري*، الجنائز ٨٩؛ و*صحيح مسلم*، الجنة ٨٣.

[9] ن: لهون.

[10] حول تفسير هذه الآية انظر: *تفسير الطبري*، ٣٣٩/٢٠-٣٤٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٥/١٣-٤٦.

[11] ن + وقال بعضهم في قوله فستذكرون ما أقول لكم في الدنيا فيعلمون أنه الحق وأني قد نصحتكم حيث دعوتكم وأنكم كنتم تعينونني حين دعوتموني إلى ما به هلاكي وهو ما ذكر والله أعلم وقوله عز وجل لا جرم أني حقا والله يقول نحن إنما يدعونني إليه ليس له دعوة.

[12] ن: يعرضون.

[13] ر ث م – تخمد.

[14] ر م: يلهب؛ ث: يلتهب.

[15] ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا مأواهم جهنم كلما خَبَتْ زدناهم سعيرا﴾ (سورة الإسراء، ٩٧/١٧).

[٦٧٩ظ] فإن قيل: ما الحكمة فيما ذكر من إدخال / آل فرعون في[١] أشدّ العذاب والخصوصيةِ لهم في ذلك من بين غيرهم من الكفرة؟

قيل: لوجهين. أحدهما أن غير موسى من الرسل عليهم الصلاة والسلام[٢] قد[٣] نُسِبوا إلى السحر كما نسب إليه موسى، لكن[٤] لم يتبين ولا تحقق[٥] لقومهم[٦] براءة رسلهم[٧] فيما[٨] قَرَفَهم[٩] الروساء والقادة منهم بالسحر والكذب[١٠] بما وُجد منهم التمويه على السفلة والأتباع.[١١] وقد[١٢] تحقق لآل فرعون[١٣] براءة موسى مما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم[١٤] صدق ما ادعى من الرسالة.[١٥] وذلك[١٦] لما[١٧] أقر جميع سحرة فرعون أن ما جاء به موسى حق وما يقوله صدق، وإيمانُهم بموسى عليه السلام نَهارا جِهارا،[١٨] واختاروا القطع والصلب، ولم يمتنعوا عن متابعته، وما رأوا من انقلاب العصا حية تَسْعى وتَلقّف ما صنعوا. فيكون عنادهم أشد ومكابرتهم أكبر، فلذلك استحقوا أشد العذاب.[١٩] **والله أعلم.**

---

[١] ن – في.
[٢] ن: أن غيرهم من الرسل سوى موسى عليه السلام.
[٣] ن – قد.
[٤] ن – كما نسب إليه موسى لكن.
[٥] ن: ولا يتحقق.
[٦] ن: بقومهم.
[٧] ن: الرسل.
[٨] ن: ما.
[٩] قَرَفْتُ الرجلَ أي عِبْتُه. ويقال: هو يُقْرَفُ بكذا أي يُرْمى به ويُتَّهم. وقَرَفَ الرجلَ بسوء: رماه. قَرَفْتُ الرجلَ بالذنب قَرْفًا إذا رَمَيْته (*لسان العرب*، «قرف»).
[١٠] ن – والكذب؛ + وغيره وكذلك أولئك ما تبين.
[١١] ن – بما وجد منهم التمويه على السفلة والأتباع.
[١٢] ن – قد.
[١٣] ن + من.
[١٤] ن – مما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم.
[١٥] ن + والوحي إليه وكذب فرعون وأولئك.
[١٦] ن: وهو.
[١٧] ر ث ك: مما.
[١٨] ن + ظاهر.
[١٩] ن – واختاروا القطع والصلب ولم يمتنعوا عن متابعته وما رأوا من انقلاب العصا حية تسعى وتلقف ما صنعوا فيكون عنادهم أشد ومكابرتهم أكبر فلذلك استحقوا أشد العذاب.

والثاني أن آيات موسى عليه السلام أكثرها[1] كانت حسية، وآيات غيره كانت عقلية. ومعرفة ما كان سبيله الحس مما لا يتمكن فيه شبهة،[2] وقد يتمكن الشبهة فيما كان سبيله[3] العقل فيكون عنادهم أشد.

وبعدُ، فإنهم قد اتبعوا فرعون لما ادعى لنفسه من الألوهية بلا حجة وبرهان طلبوا منه، وتركوا اتباع موسى عليه السلام بما ادعى من الرسالة بعد ما أقام على ذلك من البينات والحجج والبراهين، فلذلك كان لهم أشدُّ العذاب.[4] **والله أعلم.**

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **وإذ يتحاجُّون في النار**، مُحاجّتهم في النار ما ذُكر هاهنا وفي آي من القرآن، وهو ما ذكر: **فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار**، قد علم الضعفاء والأتباع أن المتبوعين[5] لا يملكون دفع ما هم فيه. لأنهم لو كانوا يملكون ذلك لدفعوا عن أنفسهم، فإذْ[6] لم يَملِكوا دفع ذلك عن أنفسهم فلَأَنْ لا يملكوا[7] دفع ذلك عنهم أحقُّ. لكنهم قالوا ذلك لهم ليزداد لهم[8] حسرة وندامةً،[9] وهو كقوله تعالى في آية أخرى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ.[10] ويحتمل أنهم إنما قالوا لهم ذلك لِمَا[11] قالوا لهم في الدنيا:[12]

---

[1] ن: أكثر ما.

[2] ن: مما لا شبهة يتمكن فيه.

[3] ن: سبيل دركه؛ م: سبيل.

[4] ن: والحجج والبرهان فيكون لهم أشد العذاب لذلك.

[5] ر ث م – أن المتبوعين.

[6] ر ث م: فإذا.

[7] ر ث: لا يملكون؛ فلا يملكوا.

[8] ر ث م – لهم.

[9] ن + على ذلك.

[10] ن – وهو كقوله تعالى في آية أخرى فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص. وصدر الآية: ﴿وَبَرَزُوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون...﴾ (سورة إبراهيم، ٢١/١٤).

[11] ن: أو يقولوا ذلك لقولهم حيث.

[12] ن – في الدنيا.

إِتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[1] فيقولون لهم ذلك[2] في الآخرة: **فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء**، أي حاملون[3] عنا بعض الذي علينا من العذاب إنا كنا لكم تَبَعًا في الدنيا؟ فقالوا:[4] إِنَّا كُلٌّ فِيهَا، أي[5] نعذَّب[6] في النار.[7] إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ.[8]

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[٤٨]

*وقوله عز وجل: **قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد**، هذا من أولئك الذين استكبروا جوابا للضعفاء على أحد التأويلين، ولا يكون جوابا للآخر.* وهو جواب لقولهم الذي قالوا في الدنيا: وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ،[10] فيقولون: إن الله قد حكم بين العباد أن لا يزيدَ العذابُ على مثل السيئة، وقد حكم الله تعالى على كل منا[11] بالمثل، فلا يزيد على ذلك. *والله أعلم.*

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب**، كان فزَعُ الكفرة أبدا إلى الخلق إذا نزل بهم البلاء في الدنيا إلا[12] أن يُضْطَرُّوا، فعند ذلك يَفزَعون إلى الله تعالى، فأما ما لم يَيْأَسوا منهم فلا يفزعون إليه. فعلى ذلك يكون فزعهم في الآخرة إلى الخلق، وهو ما سألوا أهل الجنة من الماء. أخبر الله تعالى عنهم بقوله:

---

[1] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾ (سورة العنكبوت، ١٢/٢٩).

[2] ن: ذلك لهم.

[3] ن: جاهلون.

[4] ر ث م: قالوا.

[5] ر ث م – أي.

[6] ر م: يعذب.

[7] ر ث م – في النار.

[8] ن – إن الله قد حكم بين العباد. الآية التالية.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن هكذا: وكان من جواب أولئك ما قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وهذا القول منهم يكون جوابا لأحد التأويلين ولا يكون للآخر.

[10] سورة العنكبوت، ١٢/٢٩.

[11] ر م: منها.

[12] ن: إلى.

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ.[1] فلما أيسوا من ذلك عند ذلك فزعوا إلى مالك، وهو ما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ،[2] سألوه الموت. فلما أخبرهم أنهم ماكثون، فعند ذلك فزعوا إلى الخزنة وقالوا: **ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب.**

﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[٥٠]

قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات،[3] فلما أيسوا[4] منهم ومما سألوهم من تخفيف العذاب عنهم عند ذلك فزعوا إلى الله تعالى، وهو قولهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[5] وقولهم: رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ،[6] الآية ونحوه.[7] لم يفزعوا إلى الله تعالى إلا بعد ما انقطع رجاؤهم منهم وأيسوا. ***وبالله العصمة والنجاة.***

وقد استدل بقوله تعالى:[8] **أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى،** من لا يرى الحجة والحكم يلزمهم بمجرد العقل دون الرسل عليهم السلام،[9] حيث احتج عليهم الخزنة بتكذيبهم الرسل وردهم البينات التي أتتهم[10] [بها] الرسل. واستدلوا أيضا بقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا،[11] وبقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ،[12] وقوله تعالى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا،[13]

---

[1] سورة الأعراف، ٧/٥٠.
[2] سورة الزخرف، ٤٣/٧٧.
[3] ن + قالوا بلى وما دعاء الكافرين.
[4] ث – أيسوا.
[5] سورة فاطر، ٣٥/٣٧.
[6] سورة إبراهيم، ١٤/٤٤.
[7] ر ث م – الآية ونحوه.
[8] ن: وقوله عز وجل.
[9] ن: ثم من لا يرى الحجة والحكم يلزمهم بدون الرسل وآياتهم يستدل بهذه الآية.
[10] ن: أتاهم.
[11] سورة الإسراء، ١٧/١٥.
[12] ﴿...فنتبع آياتك من قبل أن نَذِلّ ونَخزَى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣٤).
[13] ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥٩).

وغيرها من الآيات التي أخبر[١] فيها أنه لا يعذبهم إلا بعد ما قامت عليهم الحجة من جهة الرسل ولزمهم الحكم بهم،[٢] فعند ذلك يعذبون.

لكن تأويل هذه الآيات[٣] يخرج عندنا[٤] على وجهين. أحدهما أن يكون ذلك في قوم[٥] خاصّ الذين لا يَرَوْن لزوم الحجة / والحكمِ إلا من جهة الرسالة، فيُحتجَ عليهم بما كانوا يرون به،[٦] ليكون أقرب إلى الإلزام والحجة، وإن كان يجوز أن يُحتَجَ عليهم بما هو حجة وهم لا يرونه[٧] حجة. *والله أعلم*. [٦٨٠و]

والثاني إنما ذكر ذلك على المبالغة والنهاية في الحجة، وإن كانت الحجة قد تلزمهم[٨] والحكم قد ثبت بدون ذلك، وهو العقل؛ لأن إرسال الرسل وإقامة المعجزات أقرب إلى الوصول إلى الحق، وقد أقام كِلَا الحجتين، فذكر[٩] أظهر الحجتين ليكون أقرب إلى أظهار[١٠] عنادهم.[١١] وهذا كما في تعذيب الكفرة في الدنيا أنهم لم يُعذَّبوا بنفس الكفر،[١٢] حتى كان منهم مع الكفر الاستهزاء بالرسل والعنادُ لهم وغير ذلك. وإنما كانوا يستوجبون العذاب بنفس الكفر، لكن[١٣] تَرَك تعذيبهم حتى يبلغوا النهاية والإبلاغ في التكذيب والعناد. وهو[١٤] كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾،[١٥] ذكَر هذا على النهاية والإبلاغ في الجناية منهم،[١٦]

---

[١] ر ث م – أخبر.
[٢] ن: به.
[٣] ر ث م: الآية.
[٤] ن: عندنا يخرج.
[٥] ر م – قوم.
[٦] ن + كقوله ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا والحكم قد يجب بغير ذلك.
[٧] جميع النسخ: لا يرونها.
[٨] ر م: يلزمهم.
[٩] جميع النسخ: فذكروا.
[١٠] ر م: أظهر.
[١١] ن – ليكون أقرب إلى الإلزام والحجة وإن كان يجوز أن يحتج عليهم بما هو حجة ... فذكر أظهر الحجتين ليكون أقرب إلى أظهار عنادهم.
[١٢] ن: نحو تكذيب الكفرة لكنهم أنهم لا يعذبون لنفس الكفر.
[١٣] ن: لكنه.
[١٤] ن – وهو.
[١٥] سورة فصلت، ٤١/٧.
[١٦] ن – في الجناية منهم.

وإن كانوا يستوجبون العذاب[1] بجحودهم الزكاة دون جحود البعث أو جحود[2] البعث دون جحود الزكاة.[3] فعلى ذلك الآيات التي ذكرها[4] هي على الإبلاغ والنهاية، وإن كانت[5] الحجة يلزمهم والحكم يثبت بدون الرسل.[6] *والله الموفق.*[7]

وبعد، فإن في[8] قوله: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا[9] دلالةَ[10] أن الحجة والحكم قد لزمهم بدون الرسل، لأنه لو لم يلزَم ذلك[11] لكان في التعذيب ظالما، لأنه يعذِّب[12] قبل أن يلزمهم الحكم، فيصير تقدير الآية: ولو أنا ظلمناهم بعذاب من قبله لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك فلا تكونَ ظالما فيما عذَّبتَنا. والظلم من الله تعالى محال، فيستحيل تقدير الآية على هذا الوجه. دل أن التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة وليس بظلم. *والله الموفق.*[13] وبعد، فإن في قوله: **أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات**، دلالةَ أن الحجة إنما تلزم[14] بالبينات لا بنفس[15] الرسل،[16] والبينات قد وُجدت وسبب المعرفة وطريقها -وهو العقل- قائم.[17]

---

[1] ن + بأحدهما.

[2] ن: وبجحود.

[3] ن + يستوجبون ذلك لكنه ذكر ذلك على المبالغة والنهاية.

[4] ن: ذكر.

[5] ر ث م: كان.

[6] ن: وإن كانت الحجة والحكم قد تلزمهم بدون الرسل على ما ذكرنا.

[7] ن: والله أعلم.

[8] ر م - في.

[9] ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نَذِلَّ ونَخزَى﴾ (سورة طه، ١٣٤/٢٠).

[10] ر ث م - دلالة.

[11] ر ث م - ذلك.

[12] ن: عذب.

[13] ن - فيصير تقدير الآية ولو أنا ظلمناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك فلا تكون ظالما فيما عذبتنا والظلم من الله تعالى محال فيستحيل تقدير الآية على هذا الوجه دل أن التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة وليس بظلم والله الموفق.

[14] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٥ظ.

[15] ث: لا بأنفس.

[16] ن + حيث قالوا أو لم تك تأتيكم مسلكم بالبينات قالوا بلى.

[17] ن - والبينات قد وجدت وسبب المعرفة وطريقها وهو العقل قائم.

وقوله عز وجل:[1] **قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال،**[2] ليس على الأمر بالدعاء، ولكن[3] معناه[4] وإن دعوتم لا ينفعكم دعوتكم، كقوله: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا،[5] أي هلاكا.[6] ***والله أعلم.***[7]

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**، يحتمل ما ذكر من النصر للرسل والمؤمنين[8] وجوها. أحدها أن[9] ينصرهم في الدنيا بالحجج والآيات التي أعطاهم في الدين، حتى يدفعوا[10] بها تسويلات[11] الشيطان[12] وتمويهات السَّحَرَة وتغلّبها،[13] ويعلُوا[14] على الكل. هذا في الدنيا، وفي الآخرة أيضا ينصرهم بما يشهد لهم عليهم الملائكة والجوارح بالتكذيب للرسل والمؤمنين،[15] وأنهم[16] دعوهم إلى التوحيد والإيمان، لكنهم[17] كذبوهم وكفروا بما دعوهم إليه.[18] فذلك نصره[19] إياهم في الدنيا والآخرة.[20] ***والله أعلم.***

[1] ن – وقوله عز وجل.

[2] ر ث م – قالوا فادعوا؛ ن – وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٥ظ.

[3] ن: لكن.

[4] ن: إنكم.

[5] سورة الفرقان، ١٤/٢٥.

[6] ن + وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.

[7] ن – والله أعلم.

[8] ن: والذين آمنوا.

[9] ن – أن.

[10] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ. حتى يدفعوا أي الرسل.

[11] سوّلت له نفسه كذا: زينته له. وسول له الشيطان: أغواه (*لسان العرب*، «سول»).

[12] ن: الشياطين.

[13] ن: وتعليها.

[14] ر ث م: وتعلوا.

[15] ن: والذين آمنوا. أي تشهد الملائكة والجوارح (جوارح الكافرين) للرسل على الكافرين بأنهم كذبوا الرسل وعابو المؤمنين.

[16] ن: أنهم.

[17] ن – دعوهم إلى التوحيد والإيمان لكنهم.

[18] ن + وهو التوحيد.

[19] ن: نصرة.

[20] ن – في الدنيا والآخرة.

والثاني ينصرهم لما يجعل لهم العواقب وآخر الأمر، وإن كان في الابتداء قد يكون عليهم.[١] وعلى ذلك لم يُذكَر عن أحد من الرسل إلا وقد كان عاقبة الأمر له، وهو كقوله تعالى: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[٢] فهذا النصر هو النصر في الأبدان، والأول هو[٣] نصر في الدين. ولكن وإن كان[٤] هو نصرا في الأبدان فهو[٥] نصر يرجع إلى الدين، لما يقوم الدين بسلامة الأبدان، ويتحقق به عن المسلمين.[٦] *والله الموفق.*

والثالث ذكر نصرهم لما أعطاهم من النعمة في الدنيا والسَّعَة فيها. وهي[٧] تُذْكَر[٨] للرسل والمؤمنين نصرا ونعمة ومعونة. وهي[٩] للكفرة فتنة[١٠] ومحنة لا غير،[١١] لا تذكر[١٢] باسم النصر والنعمة. إذ هي في حق المسلمين وسيلة[١٣] إلى النعمة الأبدية، وفي حق الكفرة إلى العذاب الأبد، فتكون[١٤] نقمة[١٥] في حقهم حقيقة.[١٦] ولذلك قال تعالى:[١٧] الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ،[١٨] وقال: بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ،[١٩] وقوله: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ.[٢٠]

---

[١] ن: والثاني ينصرهم لا يجعل لهم العواقب وآخر الأمر وإن كانوا في الابتداء عليهم. أي قد يكون الأمر على الرسل والمؤمنين.
[٢] سورة الأعراف، ١٢٨/٧؛ وسورة القصص، ٨٣/٢٨.
[٣] ن – هو.
[٤] ر ث م: ولكن إن كان؛ ن: لكنه وإن كان.
[٥] ن – كان هو نصرا في الأبدان فهو.
[٦] ن – لما يقوم الدين بسلامة الأبدان ويتحقق به عن المسلمين.
[٧] ن: هي.
[٨] ر ث م: وهو يذكر؛ ن – تذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ.
[٩] ر ث م: أما هي.
[١٠] ر ث م: فيه.
[١١] ن – لا غير.
[١٢] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ.
[١٣] ر ث م: وسبيله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٠ظ.
[١٤] ر ث م: فيكون.
[١٥] ر م: نعمة.
[١٦] ن – إذ هي في حق المسلمين وسيلة إلى النعمة الأبدية وفي حق الكفرة إلى العذاب الأبد فتكون نقمة في حقهم حقيقة.
[١٧] ن: وهو كقوله عز وجل.
[١٨] سورة العنكبوت، ١/٢٩-٢.
[١٩] ﴿فإذا مسّ الإنسانَ ضُرٌّ دعانا ثم إذا خوّلناه نعمةً منا قال إنما أُوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الزمر، ٤٩/٣٩).
[٢٠] سورة المؤمنون، ٥٦/٢٣.

وقد[1] أخبَر أن ما أعطاهم من الأموال والسَّعة إنما هي فتنة ومحنة لهم،[2] وما أعطى الرسل والذين آمنوا إنما هو نصر ومعونة لهم.[3] *والله أعلم*.[4]

فإن قيل: ذَكَر أنه ينصرهم، وقد نرى مؤمنا قد ينقطع حججه ويعجز عن إقامتها، ونراه مغلوبًا، والكافرَ هو الغالبَ. قيل: لهذا[5] جوابان.[6] أحدهما ما ذكرنا[7] مِنْ جَعْلِ العاقبة له والغلبة والنصر[8] في آخر الأمر. والثاني جائز أن يكون نصره إياهم[9] بالشريطة، وهي القيام بوفاء[10] ما لله عليهم من الحق في ذلك.[11] فالنصر والظفر بالحجة في المناظرة أن يكون يُزَجِّي[12] عُمْره في معرفة الحجج والدلائل، وأن يكون عارفا بطرق النظر. ومتى كان هذا الشرط موجودا يكون النصر له لا محالة. وشرط الظفر في المحاربة أن يكونوا قاصدين إعزاز دين الله تعالى دون ابتغاء الدنيا، وكلمتهم واحدة ونحوها. ومتى كانت[13] المحاربة بشرائطها يكون الظفر لا محالة للمسلمين، وذلك[14] كقوله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ.[15] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويوم يقوم الأشهاد**، قال بعضهم: الأشهاد هم الملائكة[16] الذين[17] يكتبون أعمال بني آدم، يشهدون عليهم بما[18] عملوا من الأعمال. وقال بعضهم:[19] **الأشهاد**،

---

[1] ن – وقد.

[2] ن: فتنة لهم ومحنة.

[3] ر ث م – وما أعطى للرسل والذين آمنوا إنما هو نصر ومعونة لهم.

[4] ن + على هذه الوجوه الثلاث يخرج ما ذكر من نصرة الرسل والذين آمنوا.

[5] ر ث م: عن هذا.

[6] ر ث م: جوابين؛ ن: وجهان.

[7] ر ث م – ما ذكرنا.

[8] ن + له على الكافر.

[9] ر ث م: جائز أن يكون وعده النصر لهم والظفر بالحجة.

[10] ن: إذا قاموا في وفاء.

[11] ن: فعند ذلك نصرهم.

[12] يقال: زجيت الشيء تزجية إذا دفعته برفق. يقال: كيف تزجي الأيام أي كيف تدافعها (*لسان العرب*، «زجا»).

[13] جميع النسخ: كان.

[14] ن – فالنصر والظفر بالحجة في المناظرة أن يكون يزجي عمره ... يكون الظفر لا محالة للمسلمين وذلك.

[15] سورة البقرة، ٢/٤٠.

[16] ر م: هو الملائكة؛ ن: قال بعضهم الأشهاد هم الملائكة

[17] ر ث م – الذين.

[18] ن + فعلوا أو.

[19] ن: بني آدم فعلوا أو يشهدون عليهم بما يوم يقوم.

هم الرسل يشهدون / عند رب العالمين على الكفرة[١] بالتكذيب والردّ. وقال بعضهم: يشهد [٦٨٠ظ] عليهم الجوارح يومئذ بما كان منهم. *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم**، ذكر هاهنا لا ينفع الظالمين معذرتهم. وذكر في موضع آخر:[٢] وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ.[٣] وبينهما اختلاف من حيث الظاهر؛ لأن القول بأنه لا تنفع[٤] معذرتهم بعد وجودها منهم،[٥] وقد أخبر أنه لا يُؤذَن لهم بالاعتذار. لكن يحتمل أنهم، وإن لم يُؤذَن لهم الاعتذار،[٦] لكنهم يعتذرون بلا إذن لهم، فلا يُقبَل اعتذارهم[٧] ولا ينفعهم ذلك، فيكون جمعا بينهما من هذا الوجه.[٨] ويحتمل[٩] **لا ينفع الظالمين معذرتهم**، لو كان منهم الاعتذار لكان لا يُقبل[١٠] اعتذارهم، لكن لم يُؤذَنوا[١١] بالاعتذار حتى يعتذروا.[١٢] وهو كقوله تعالى: لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ،[١٣] أي لو كان منهم فذلك لا يقبل. وكذا قوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[١٤] أي لو كانت لهم شفعاء يشفعون لهم لكان لا تنفعهم شفاعتهم، لا أن كان لهم شفعاء.[١٥] فعلى ذلك قوله تعالى: **لا ينفع الظالمين معذرتهم**، أي لو كانوا يعتذرون لا يقبل اعتذارهم، ولا ينفعهم معذرتهم. *والله أعلم*.

---

[١] ن: عليهم.

[٢] ن: وقال عز وجل في آية أخرى.

[٣] سورة المرسلات، ٣٦/٧٧.

[٤] جميع النسخ: لا ينفع.

[٥] ن – وبينهما اختلاف من حيث الظاهر لأن القول بأنه لا تنفع معذرتهم بعد وجودها منهم.

[٦] ر ث م – لكن يحتمل أنهم وإن لم يؤذن لهم الاعتذار. والتصحيح من *شرح التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٦و.

[٧] ن: لكن جائز أن لا يؤذن لهم بالاعتذار لكنهم يعتذرون وإن لم يؤذن لهم الاعتذار لكن لا يقبل اعتذارهم.

[٨] ن – ولا ينفعهم ذلك فيكون جمعا بينهما من هذا الوجه.

[٩] ن: أو أن يكون قوله عز وجل.

[١٠] ر ث م: ولا يقبل.

[١١] ر م: لم يؤذن.

[١٢] ن – لكن لم يؤذنوا بالاعتذار حتى يعتذروا.

[١٣] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئا ولا يُقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنصَرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).

[١٤] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.

[١٥] ن – شفعاء.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴿[٥٣] ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى الهدى**، يحتمل الهدي هاهنا وجوها.[١] أحدها أي آتيناه التوراة،[٢] وفيها البيان والدعاء[٣] إلى الرشد. وجميع كتب الله تعالى فيه هدى ونور ورحمة. والثاني أنه آتاه الهدى، أي التوحيد[٤] والإسلام. ويحتمل آتاه النبوّة[٥] والرسالة. أو آتاه[٦] كل ما لله عليه من حق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب**، يحتمل قوله: **الكتاب**، التوراة خاصة. ويحتمل التوراة وسائر الكتب، لأن الكتب في بني إسرائيل كانت كثيرة؛ كان فيها التوراة والزبور والإنجيل وغير ذلك. فجائز أن يريد بالكتاب جميع الكتب التي كانت فيهم، إذ ذكر الكتاب بالألف واللام، وإنه يحتمل الجنس والعهد، فيجوز الصرف إلى التوراة لمكان العهد، ويجوز الصرف إلى الجميع لمكان الجنس. *والله أعلم*.[٧] وفي الآية[٨] دلالة[٩] أَنْ لا جميعُ كُتُب الله التي أُنزِلت فيهم غُيِّرت وبُدِّلت، بل فيهم ما لم يُغيَّر ولم يُبدَّل، حيث قال: **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب**.

ثم قوله[١٠] تعالى: **هدى**، هو[١١] ما ذكرنا أن[١٢] جميع كتب الله تعالى هُدى من الضلالة إلى الرشد، وبيانا لما[١٣] لله عليهم، وما لبعض على بعض. وقوله: **وذكرى**، قال بعضهم: موعظةً،

---

[١] ن: وجوه.

[٢] ن: أحدها آتينا موسى الهدى أي التوراة.

[٣] ن: بيان ودعاء.

[٤] ر ث م: والثاني أي أتاه التوحيد.

[٥] ن: أي النبوة.

[٦] ر ث م: وآتاه.

[٧] ن – إذ ذكر الكتاب بالألف واللام وإنه يحتمل الجنس والعهد فيجوز الصرف إلى التوراة لمكان العهد ويجوز الصرف إلى الجميع لمكان الجنس والله أعلم.

[٨] ن: وفيه.

[٩] ن – دلالة.

[١٠] ن: وقوله.

[١١] ن – هو.

[١٢] ن: أي.

[١٣] ن: بما.

وقال بعضهم: تَفكُّرًا لأهل اللبّ والعقل. وجائز أن يكون[١] **ذكرى**، أي ذِكْر لما[٢] سبق[٣] أي يُذكِّرهم ما نَسُوا. وقوله: **لأولي الألباب**، ذكر أولي الألباب[٤] لأن أهل اللبّ هم الذين يتفكرون ويتأملون فيه. أو أنّ أهل اللبّ هم المنتفعون بالذكرى وما ذكر.[٥] *والله أعلم*.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **فاصبر إن وعد الله حق**، يحتمل قوله: **فاصبر** وجوها. أحدها اصبر على أذاهم إياك ولا تكافئهم.[٦] ثم يحتمل الأذى له وجوها. أحدها التكذيب، كان يتأذى بتكذيبهم إياه. والثاني كان يتأذى باستهزائهم به. والثالث أنواع ما يَكِيدونه[٧] من هَمّهم قتْلَه وضرْبَه وغير ذلك.

والثاني[٨] يحتمل قوله تعالى: **فاصبر**،[٩] أي اصبر على تبليغ الرسالة إليهم ولا يُضْجِرَنَّك[١٠] تكذيبهم إياك ولا يَمنَعنَّك[١١] ذلك عن[١٢] تبليغها. *والله أعلم*.

والثالث[١٣] اصبر ولا تستعجل لهم العذاب قبل ميقاته؛ وذلك أن الرسل عليم السلام كانوا لا يستعجلون العذاب ما لم يؤذن لهم بذلك. *والله أعلم*.

ثم قوله:[١٤] **فاصبر إن وعد الله حق**، إن كان المراد من وعده نفسَ الوعد فيكون تأويله: إن وعد الله صدق، أي لا يُخلَف[١٥] ولا يكون كَذِبًا. لأن خُلف الوعد في الشاهد إنما يكون لأحد معنيين:

---

[١] ر ث م - أن يكون.
[٢] ر م: ما.
[٣] ن: أي ذكرى لما نسوا.
[٤] ر م - ذكر أولي الألباب.
[٥] ن - وقوله لأولي الألباب ذكر أولي الألباب لأن أهل اللب هم الذين يتفكرون ويتأملون فيه أو أن أهل اللب هم المنتفعون بالذكرى وما ذكر.
[٦] ن: ولا يخافيهم.
[٧] ر م: ما يكيدون.
[٨] ر ث م: والثالث.
[٩] ن: يحتمل أمره إياه بالصبر.
[١٠] ر م: ولا يضجربك.
[١١] جميع النسخ: ولا يمنعك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٦ظ.
[١٢] ر: تكذيبها.
[١٣] ر ث م: والرابع.
[١٤] ن: وقوله عز وجل.
[١٥] ن: إن وعد الله حق أي الصدق لا يخلف.

إما لعجزه عن القيام بوفائه، وإما لضرر يخاف أن يلحقه لو قام بوفاء ما وعد، والله تعالى بريء عن المعنيين جميعا متعالٍ عن ذلك.[1] وإن كان المراد من قوله تعالى: **إن وعد الله حق**، أي موعودَ الله، فيكون تأويله: إن موعود الله تعالى لكائن حقًّا. فوعْد الله تعالى على الوجهين اللذَيْن ذكَرناهما.[2] وعلى هذا يُذكَر أمر الله تعالى ويراد[3] به نفس الأمر، كقوله تعالى: لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.[4] و يُذكَر ويراد به المفعول،[5] كقوله تعالى:[6] وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً،[7] أي ما يكون بأمره [يكون] مفعولا، ويكون موعود الله مفعولا. ***والله أعلم.***[8] وما ذُكِر: "الصلاة أمرُ الله" أي بأمر الله، وإلا الصلاة لا يكون أمره ولكن يكون بأمره، فعلى ذلك قوله عز وجل: وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً.

*ثم لسنا ندري ما كان من وعده لرسوله حتى أخبر أنه كائن. فجائز أن يكون ما قال بعض أهل التأويل: إنه وعد له أن يُعذب كفار مكة يوم بَدْر بالقتل وغير ذلك، فكذَّبوه وقالوا مستهزئين به: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ فقال: **فاصبر إن وعد الله حق**. ويَحتمل غيرَه.*

وقوله: **واستغفر لذنبك**، وجائز أن يكون ما ذكر في قوله: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،[10] باستغفاره إياه. وجائز أن يكون قوله: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ، ما[11] يغفر له من أمته بشفاعته، كما ذُكِر في الخبر:[12] «يُغْفَرُ لِلْمُؤَذِّنِ مَدَّ صَوْتِهِ»،[13] أي يُجعَل له الشفاعة إلى حيث يَبلُغ صوتُه.

---

[1] ر ث م: عن ذينك.

[2] ن: لأن وعد الله عز وجل يخرج على ما ذكرنا من الوجهين.

[3] ر ث م: وقد يراد.

[4] ﴿الم غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهم سَيَغْلِبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١-٤).

[5] ن: إن أراد نفس الوعد فيكون تأويل الحق الصدق وإن كان المراد الموعود فهو الكائن.

[6] ن: وكذلك يخرج قوله عز وجل.

[7] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٧.

[8] ن - أي ما يكون بأمره مفعولا ويكون موعود الله مفعولا والله أعلم.

* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن في آخر تفسير هذه الآية. انظر: ورقة ٦٢٦ظ/ سطر ٢٠-٢٣.

[10] ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويُتِمّ نعمته عليك ويهديَك صراطا مستقيما﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢).

[11] ن: من ما.

[12] ن - في الخبر.

[13] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُغفر للمؤذن مَدّ صوته، ويَشهد له كل رَطْب ويابس، وشاهد الصلاة يُكتَب له خمس وعشرون، ويكفَّر عنه ما بينهما». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٦٠؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ٣١؛ و*صحيح ابن خزيمة*، الصلاة ٩٠.

وقوله: **وسبّح بحمد ربك**، قد[1] ذكرنا التسبيح بحمد ربه.[2] ثم جائز أن يريد بالتسبيح نفس التسبيح؛ فإن كان كذلك،[3] فيكون ذِكْر العشي والإبكار ليس هو ذِكْرَ التوقيت له، ولكن الأوقات / كلها الليل والنهارَ، كقوله[4] تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[5] ليس يريد نفس الغداة والعشي[6] خاصة دون[7] غيرهما من الأوقات، بل هما عبارة عن جميع الأوقات،[8] كأنه يقول:[9] اصبر[10] نفسك مع الذين يدعون ربهم آناء الليل والنهار. فعلى ذلك الأول يحتمل[11] هذا.[12] *والله أعلم*. وإن كان المراد من[13] التسبيح هاهنا هو[14] الصلاةَ، فكأنه يقول: فصل[15] بحمد ربك بالعشي والإبكار، أي صل في هذين الوقتين، فيكون العشي كناية عن صلاة الليل والإبكار[16] كناية عن صلاة النهار؛ أو أن يكون الإبكار كناية عن صلاة الغداة، والعشي كناية عن صلاة العشاء، على ما ذكره بعض الناس. *والله أعلم*.*

[٦٨١و]

---

[1] ن: وقد.
[2] انظر: تفسير سورة طه، ١٣٠/٢٠.
[3] ن: هذا.
[4] ن: وكقوله.
[5] ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ (سورة الكهف، ٢٨/١٨).
[6] ن: نفس الغداة نفس العشي.
[7] ن: لا يريد.
[8] ن – بل هما عبارة عن جميع الأوقات.
[9] ن: قال.
[10] ن: واصبر.
[11] ن: يحتمل الأول.
[12] ن: ما ذكرنا.
[13] ن – المراد من.
[14] ر ث م – هو.
[15] ن: وصل.
[16] ر ث م – أي صل في هذين الوقتين فيكون العشي كناية عن صلاة الليل والإبكار.

* وقعت هنا قطعة من تفسير جزء هذه الآية متأخرا في نسخة ن هكذا: ثم لسنا ندري ما كان من وعده عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم حتى أخبر أنه كائن فجائز أن يكون ما قال بعض أهل التأويل إنه وعد له أن يعذب كفار مكة يوم بدر بالقتل وغير ذلك؛ فكذبوه وقالوا مستهزئين به متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فقال فاصبر إن وعد الله حق ويحتمل غيره. انظر: ورقة ٦٢٦ظ/ سطر ٢٠-٢٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم**، قال عامة أهل التأويل: إن اليهود جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه[١] في الدجال أنه منهم وأنه في الطُول كذا ونحوه، وعلى ذلك نسقوا[٢] الآيات التي تتلو[٣] هذه الآية.[٤] ولكن لسنا ندري بماذا[٥] صرفوا[٦] مجادلتهم في آيات الله إلى[٧] المجادلة في الدجال، ولا يسعنا[٨] أن نحمل[٩] ما ذكر من مجادلتهم في آيات الله على المجادلة في الدجال إلا أن يثبُت خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر[١٠] أن المجادلة المذكورة في الآية في الدجّال، فحينئذ يُصرَف إلى ذلك. ***والله أعلم***.[١١]

ثم قوله: **إن الذين يجادلون في آيات الله**، أي يجادلون في دفع آيات الله بغير حجة أتتهم[١٢] من الله. وكانت[١٣] المجادلة[١٤] في دفع آيات الله من رؤساء الكفرة وأكابرهم، كانوا يُمَوِّهون بمجادلتهم في دفع آيات الله تعالى والطعن فيها على أتباعهم وسَفَلَتهم، ليَبقى لهم الرياسة والمأكُلة[١٥] التي كانت لهم. وهو كما[١٦] ذكر: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[١٧] الآية؛

---

[١] ر ث م – وأصحابه.

[٢] ن: فسقوا.

[٣] جميع النسخ: يتلو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧١ظ.

[٤] انظر: *تفسير البغوي*، ١٥٣/٧؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣٧٢/١٨-٣٧٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٩/١٣-٥٠.

[٥] ن: ولكنا لسنا ندري أنهم لماذا.

[٦] ن + ما ذكر من.

[٧] ن – إلى.

[٨] ر ث م: ولا يسع.

[٩] ن: يحمل.

[١٠] ن – بطريق التواتر.

[١١] ن – والله أعلم.

[١٢] ر م: أتاهم.

[١٣] م: ويكون.

[١٤] ن: مجادلتهم.

[١٥] والمأكُلة: ما جُعل للإنسان لا يحاسَب عليه (*لسان العرب*، «أكل»).

[١٦] ر ث م: ما.

[١٧] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ١١٢/٦).

وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا،[١] وغير[٢] ذلك من الآيات. لم يزل الأكابر منهم والرؤساء يطعنون في آيات الله تعالى ويدفعونها، يريدون التمويه والتلبيس على أتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم العز والشرف الذي كان لهم، ويُبطلوا به الحق ويطفئوا[٣] نوره، كقوله عز وجل: لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ،[٤] وقوله عز وجل: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ،[٥] هذا كان مرادهم من مجادلتهم في آيات الله والطعن فيها.

ثم أخبر عز وجل: أنهم يجادلون ويفعلون ذلك تكبرا منهم على آيات الله تعالى والخضوع لرسله عليهم السلام، حيث قال عز وجل: **إنْ في صدورهم إلا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالغيه**، أي ما في صدورهم إلا كبر، أي كبرهم هو الذي حملهم على المجادلة في آيات الله. ثم الذي حملهم[٦] على الكبر جهلهم بسبب[٧] العز والشرف. ظنوا أن العز والشرف إنما يكون بالأتباع الذين يصدرون عن آرائهم.[٨] ولو عرفوا فِيمَ[٩] يكون العز والشرف لكانوا لا يفعلون ذلك. إنما العز والشرف في طاعة الله عز وجل واتّباع أمره، ليس في اتّباع مَن اتَّبَعهم ولا في ائتمار[١٠] مَن ائتمرهم، ولكن فيما ذكرنا. ***والله أعلم***. ثم أخبر أنهم ليسوا ببالغين إلى ما قصدوا من إطفاء النور الذي[١١] أَعْطَى المؤمنين ولا إدحاض الحق وإبطاله، حيث قال عز وجل: **ما هم ببالغيه**، وهو كقوله تعالى:[١٢] وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.[١٣]

---

[١] في نسخة ن ترد هذه الآية قبل الآية السابقة، ثم تأتي آية أخرى، وهي: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢١). سورة الأنعام، ٦/١٢٣.

[٢] ن: ونحو.

[٣] ن: ويطعنوا.

[٤] ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٥٦).

[٥] سورة التوبة، ٩/٣٢.

[٦] ر: حملكم.

[٧] ر: لسبب.

[٨] صدر الشيء عن غيره: نشأ. يقال: فلان يصدر عن كذا: أي يستمد منه (*المعجم الوسيط*، «صدر»).

[٩] ر م: منهم؛ ن: فيهم.

[١٠] ن: لائتمار.

[١١] ت: الذين.

[١٢] ر ن م: وقوله.

[١٣] ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٢).

وقوله عز وجل: **فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير**، قال عامة أهل التأويل: أمره أن يستعيذ بالله من فتنة الدجال.[1] لكن عندنا أمره أن يتعوذ بالله من مكائد أولئك الأكابر والفراعنة الذين قد[2] هموا[3] أن يمكروا به ويكيدوه. أمره أن يتعوذ[4] بالله[5] من مكرهم وكيدهم، كما أمره أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، حيث قال: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[6] الآية. وهذا أولى من الأول. *والله أعلم*.

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**، قال أهل التأويل:[7] أي لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الدجال، لكن قد ذكرنا بُعْدَ[8] صرف الآية إلى الدجال. ثم يحتمل قوله: **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**، وجهين. أحدهما الآية نزلت[9] في المقرين[10] بخلق السماء والأرض منكري البعث.[11] يقول: إن خلق السماوات والأرض مُبْتَدَأً بلا احتذاء[12] بغيرٍ أكبر وأعظمُ من إعادة الناس. فإذا عرفتم أنه قدَر على خلق السماوات والأرض مبتدأ بلا احتذاءٍ بِغَيْرٍ لكان قدرته على إعادة الخَلق أحقَّ، إذ إعادة الشيء في عقولكم أهون من البداية،[13] كقوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[14] فكيف أنكرتم قدرته على البعث وقد أقررتم بقدرته على خلق ما ذكر؟[15]

---

[1] ن: الرجال. قد مرت مراجع هذا التأويل آنفا.

[2] ن – قد.

[3] ر: تهموا.

[4] ر م: ويكيدوا أمره أن يتعوذوا.

[5] ن – بالله.

[6] ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٨).

[7] ن: قال أولئك.

[8] ن: الرجال لكن قد ذكرنا بقدر.

[9] ن – نزلت.

[10] ر ث م: مقرين؛ ن: في المقر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٧ظ.

[11] ر ث م: منكرين بالبعث.

[12] ث: بالاحتذاء.

[13] ن: من ابتدائه.

[14] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٧).

[15] ن – على خلق ما ذكر.

والثاني[١] أن تكون[٢] الآية نزلت في المقرّين[٣] بخلق الناس منكرين بخلق السماوات والأرض، يقول: إن خلق السماوات والأرض وإمساكها في الهواء بلا تعليق من الأعلى ولا عماد من الأسفل مع غِلَظها وكثافتها أكبر وأعظم في الدلالة على حَدَثها وخلقها من خلق[٤] الناس، / لأن خلق الناس إنما يكون بالتغير والتولُّد من حال إلى حال،[٥] فيجوز أن يُتوَهّم كُمُون ذلك [٦٨١ظ] في الأصل وافتراقه ثم اجتماعه من بعدُ وظهور ذلك منه. وأما السماء فهي على حالة[٦] واحدة فلا يمكن[٧] توهُّم[٨] ذلك[٩] لما ذكرنا.[١٠] ويحتمل أن تكون[١١] الآية في نازلةٍ كانت وسببٍ لسنا نحن نعرف[١٢] ذلك. *والله أعلم*.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [٥٨]

وقوله عز وجل: **وما يستوي الأعمى والبصير**، قال بعضهم: لا يستوي من عَمِيَ عن[١٣] توحيد الله وشكر نِعَمه [و]من[١٤] أبصر وحدانية الله وقام بشكر نعمه، كما لم يستو عندكم من جَهِل حقَّ آخَرَ وكفر نِعَمَه وإحسانه ومن[١٥] عرف حقه وقبل إحسانه وقام بشكره. فإذا عرفتم أنه لا استواء بين هذين عندكم فاعرفوا أنه لا يستوي من عمي عن توحيد[١٦] الله

---

[١] ن: أو.
[٢] جميع النسخ: أن يكون.
[٣] ر ث م: مقرين.
[٤] ن – خلق.
[٥] ن: من حال إلى الحال الأخرى.
[٦] ن: حال.
[٧] جميع النسخ: فلا يتمكن. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٧١ظ.
[٨] ن: يتوهم.
[٩] ن + لذلك كان.
[١٠] ن: ما ذكر.
[١١] ر ث م: أن يكون؛ ن: أو أن يكون.
[١٢] ن + سبب.
[١٣] ر م: من.
[١٤] م + من.
[١٥] ر ث م: من؛ ن: لمن. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦٧١ظ.
[١٦] ر ث م: وحدانية.

وشكر نعمه [و]من أبصر وحدانيته وقام بشكره. وكذلك ما ذكر من قوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء**، يقول: إذ[1] عرفتم أنه لا يستوي من[2] صدق[3] آخر وأحسن إليه [و]من[4] كذبه وأساء[5] إليه، فعلى ذلك لا يستوي من آمن بالله وصدقه وقابل[6] إحسانه بالشكر [و]من[7] كذّبه وكفر[8] نعمه وإحسانه.

وقال بعضهم: أراد بقوله تعالى:[9] **وما يستوي الأعمى والبصير**، حقيقة الأعمى عَمَى البصرِ[10] والبصيرَ[11] نفسَه. يقول: تعرفون[12] أنه لا يستوي الأعمى أعمى البصر البصيرَ نفسَه[13] في الدنيا، فعلى ذلك لا يستوي من عمي عن دينه [و]من أبصر في الآخرة. وقد عرفتم أنهم قد استَوَوْا في هذه الدنيا، أعني[14] المسيء والمحسن، والصالح والمفسد، والمطيع والعاصيَ؛[15] وفي الحكمة التفريق بينهما. دل أن هناك دارًا[16] أخرى يُفرَّق بينهما فيها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قليلا ما تتذكرون**، أي قليلا ما تتذكرون[17] أن لا استواء[18] بين من ذكر من[19] المحسن والمسيء والصالح، والمفسد والمطيع والعاصي.[20] *والله أعلم*.

---

[1] ر م: إذا؛ ث + قد.
[2] ر ث م + آمن بالله و.
[3] ر ث م: صدقه.
[4] ن: ممن.
[5] ر ث م: وأساءت.
[6] ن: قبل.
[7] ن: ممن.
[8] ر م: كفره.
[9] ن – أراد بقوله تعالى.
[10] ر م: حقيقة لا عمي البصر.
[11] ث: والبصر.
[12] ر ث م: تعرفوا.
[13] ن – نفسه.
[14] ن – أعني.
[15] ن: المحسن والمسيء والصالح والعاصي.
[16] ن: دار.
[17] ن – أي قليلا ما تتذكرون.
[18] ر ث م: أن الاستواء.
[19] ن: بين.
[20] ن: من ذكر بين المحسن والمسيء وبين الصالح والعاصي.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**،[١] أخبر أنها آتية لا محالة.[٢] وقد ذكرنا[٣] إنما صار خلق الدنيا وما فيها حكمةً[٤] بالساعة، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها. ***والله أعلم***.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**، إن كانت الآية في أهل الإيمان فقوله عز وجل: **ادعوني أستجب لكم**، يخرج على الاستغفار مرة،[٥] لما كان منهم من التضييع في حقوق الله تعالى وما أمرهم به ونهاهم عنه والتفريطِ في ذلك، يقول عز وجل:[٦] استغفروني[٧] أغفرلكم.[٨] ويحتمل[٩] **ادعوني أستجب لكم**،[١٠] اطلبوا مني التوبة عن ذلك أتوب عليكم. ***والله أعلم***. وإن كانت الآية[١١] في أهل الكفر فيكون قوله: **ادعوني أستجب لكم**، أي وَحِّدُوني أَغفر لكم أو[١٢] اعبدوني أغفرلكم،[١٣] وهو كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[١٤] وقد جاء في بعض الأخبار عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: **ادعوني أستجب لكم**.[١٥] وفي بعض الأخبار: «الدعاء مُخّ العبادة».[١٦]

---

[١] ن + بها آتية كائنة.
[٢] ن – أخبر أنها آتية لا محالة.
[٣] ن + أنها آتية لا محالة.
[٤] ن: حكمها.
[٥] ر ث م: إن الآية نزلت في أهل التوحيد يقول ادعوني أستجب لكم ثم تخرج على الاستغفار مرة.
[٦] ر ث م – يقول عز وجل.
[٧] ر ث م: استغفروا.
[٨] ن: استغفر لكم.
[٩] ن: أو يقول.
[١٠] ن – ادعوني أستجب لكم.
[١١] ن: وإن كان ذلك.
[١٢] ر ث م: ويحتمل.
[١٣] ن: يغفر لكم.
[١٤] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).
[١٥] سنن *ابن ماجة*، الدعاء ١؛ وسنن *أبي داود*، الوتر ٢٣؛ وسنن *الترمذي*، تفسير القرآن، ١٦/٢.
[١٦] سنن *الترمذي*، الدعوات ١.

وأصل هذا[1] أنه ينظر كل أحد إلى ما ارتكبه.[2] فإن كان شيئا[3] يستوجب به[4] العقوبة كان استغفاره القيامَ بقضاء ما تركه وضيّعه، والعزمَ على أن لا يعود إلى ذلك[5] أبدا. وإن كان شيئا[6] غيرَ معروفٍ تَرَكه،[7] يستغفر الله تعالى في ذلك، ويطلب منه التجاوز والمغفرة. **والله أعلم**.

وأصل ذلك ما قال الله[8] تعالى: أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[9] وقوله: فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي.[10] ذكر[11] الإجابة بالشريطة، وهو أنهم[12] إذا آمنوا به وأوفوا عهده يُوفِ لهم ذلك.[13] **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**، استدل بعض الناس بهذه الآية[14] على أن قوله: **ادعوني**، إنما أراد به العبادة على ما ذكرنا.

فإن قيل: إن هذه السورة نزلت بمكة، وأهل مكة كانوا يقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى،[15] وفي ظاهر ذلك أنهم لا يستكبرون[16] عن عبادته، لكنهم لم يروا أنفسهم أهلا[17] لعبادة الله فعبدوا غيره دونه، كمن يعظّم ويَخدِم خادما مِن خَدَمِ مَلِك من ملوك الدنيا لا يكون مستكبرًا عن خدمة الملك.

---

[1] ن: وأصله.

[2] ن: ارتكب.

[3] ر ث م: سببا.

[4] ن: يستوجبه.

[5] ن: أن يعود إلى ترك ذلك.

[6] ر ث م: سببا.

[7] ن + أن.

[8] ن – الله.

[9] ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ (سورة البقرة، ٤٠/٢).

[10] ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ (سورة البقرة، ١٨٦/٢).

[11] ن + له.

[12] ن – وهو أنهم.

[13] ن: بعهده توف لهم بذلك.

[14] ن: استدل بعض الفقهاء بهذا.

[15] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[16] ن: لم يستكبروا.

[17] ن: أهل العبادة.

لكن تأويل الآية يخرج على وجهين. أحدهما أن الله تعالى أمر عباده[١] بطاعة رسوله والإجابة له إلى ما يدعوهم إليه. فإذا لم يجيبوه إلى ما يدعوهم إليه و لم يطيعوه استكبارا منهم[٢] وتكبرا عليه صار ذلك منهم كالاستكبار عن طاعة الله وعن عبادته.[٣] والثاني أنهم وإن كانوا[٤] عبدوا الأصنام رجاء أن يقربهم إلى الله زلفى و لم يقصدوا قصد الاستكبار عن عبادته، فهم حيث[٥] تركوا عبادته مع أنهم أمروا بها وبلغ إليهم أمره على ألسن الرسل،[٦] فكأنهم[٧] استكبروا عن عبادة الله تعالى.[٨] *إذ في الشاهد يخدم المرء بعض[٩] خواصّ الملك ليقربه إليه، لكن إذا أمره المَلِك أن يخدمه وقرّبه إلى مجلسه فامتنع يُعَدّ[١٠] ذلك منه استكبارا، وتَبَيَّن[١١] أن خدمته لذلك / ما كان ليقرّبه إلى الملك، حيث قرّبه فلم يتقرب،[١٢] ففي[١٣] الغائب كذلك، لذلك كان استكبارا منهم. [٦٨٢و]
والله أعلم.

وقوله: **سيدخلون جهنم داخرين**، قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: داخرين: صاغرين ذليلين.[١٤]*

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا**، يُذَكِّرهم نِعَمه التي أنعم عليهم يستأدي بذلك شكره، حيث قال: **جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**،

---

[١] ن: عبادة.
[٢] ن: عنه.
[٣] ث: عبادة الله.
[٤] ن: والثاني أنهم كانوا إنما.
[٥] ر ث م – حيث.
[٦] ن – مع أنهم أمروا بها وبلغ إليهم أمره على ألسن الرسل.
[٧] ن: كأنهم.
[٨] ن: عبادته.
[٩] جميع النسخ: لبعض.
[١٠] ن ر ث: يقدر.
[١١] ر ث م: يبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٧٢و.
[١٢] ر م: فلم يقرب.
[١٣] ر م: نفي.
[١٤] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٧.
* ما بين النجمتين لا توجد في نسخة ن.

راحةً لأنفسكم وأبدانكم. **والنهار مبصرا**، تُبصِرون فيه معاشكم وما تحتاجون إليه. ثم قوله: **والنهار مبصرا**، أي يُبْصَر به وفيه.[1] وقوله عز وجل: **إن الله لذو فضل على الناس**، أخبر أن ذلك كله منه لهم فضل ومنة ورحمةٌ، لا باستحقاق يستحقون[2] ذلك قِبَلَه. **ولكن أكثر الناس لا يشكرون**.

﴿ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون**، يقول: ذلك الذي صَنَع[3] بكم هو ربكم لا الأصنامُ التي تعبدون من دونه. **خالق كل شيء**، هو خلقكم وخلق كل شيء، واحد لا شريك له. **فأنى تؤفكون** أي أنى[4] تصْرفون وتَعدِلون عن عبادته والقيام بشكره. ***والله أعلم***.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون**، أي يُصرفون مثل ما يصرف الذين كانوا بآيات الله يجحدون[5] عن عبادته والقيام بشكره قبلكم.[6] وأصل الأَفْك الصرف،[7] كقوله: أَجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا،[8] أي لتَصرِفنا. ***والله أعلم***.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء**، يُذكِّرهم عِظَمَ[9] نِعَمه عليهم، حيث جعل لهم الأرض بحيث يَقِرُّون عليها ويَتعيَّشون فيها،[10] **والسماءَ بناءً**، عليهم،

---

[1] ن - وفيه.

[2] ن: يستحق.

[3] ن: ضيع.

[4] ر: أنا.

[5] ر ث م - أي يصرفون مثل ما يصرف الذين كانوا بآيات الله يجحدون؛ ن: يقول مثل الذي يصرف عن ذلك الذين كانوا جاحدين بآياته. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٨و.

[6] ن - عن عبادته والقيام بشكره قبلكم.

[7] والأَفْك: مصدر قولك أَفَكَه عن الشيء يَأْفِكُه أَفْكًا: صَرَفه عنه وقلبه، وقيل: صرفه بالإفك (*لسان العرب*، «أفك»).

[8] ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (سورة الأحقاف، ٢٢/٤٦).

[9] ن: عظيم.

[10] ر م - فيها؛ ن + وقوله عز وجل.

حيث[١] لا يسقط عليهم، وجعل منافع بعضها متصلة بمنافع البعض على[٢] بُعْد ما بينهما، ليُعلَم أن ذلك كله صنع واحدٍ.

وقوله: **وصوركم فأحسن صوركم**، يحتمل[٣] وجهين. أحدهما قوله: **فأحسن**، أي أحكم وأتقن في الدلالة على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته على ما أظهر في كل شيء من الدلالة على وحدانيته وربوبيته. والثاني قوله: **فأحسن صوركم**، أي حَسَّن[٤] تركيبها مُنْتَصِبا قامَتُها غيرَ مُنْكَبَّةٍ[٥] كسائر الصور التي خلقها مُنْكَبَّةً على وجهها.

وقوله عز وجل: **ورزقكم من الطيبات**، قال بعض أهل التأويل: أي رزقكم من الحلال. لكن الأشبه[٦] أي رزقكم مِن أطْيَب ما أخرج من الأرض، لأن الله تعالى أخرج من الأرض نباتا مختلفا،[٧] جعل أطْيَبه وألْيَنه رزقا للبشر، وسائرَه رزقا للدواب. وقوله: **ذلكم الله ربكم**،[٨] ذلك الذي صَنَع بكم هذا هو ربّكم[٩] لا الأصنام التي تعبُدونها.[١٠] **فتبارك الله رب العالمين**.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **هو الحي لا إله إلا هو**، قال أهل التأويل: الحي هو[١١] الذي لا يموت أبدا، لكن هذا مما يعرفه كل أحد. وأصل الحي هو النهاية والغاية في الثناء عليه والمدح، لأن[١٢] كل شيء يبلغ في الانتفاع به غايتَه يسمَّى[١٣] حيا، نحو الأرض والأشجار وكل شيء يبلغ في الانتفاع به غايتَه.[١٤] ***والله أعلم***.

---

[١] ن: بحيث.
[٢] ر + ما.
[٣] ن + هذا.
[٤] ن: من حسن.
[٥] ن: منكب.
[٦] ن – قال بعض أهل التأويل أي رزقكم من الحلال لكن الأشبه.
[٧] ر ث م: مختلفة.
[٨] ن + يقول.
[٩] ر ث م: ربك.
[١٠] ن: يعبدونها.
[١١] ن – هو.
[١٢] ر م: لا.
[١٣] ن: سمي.
[١٤] جميع النسخ – غايته. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٨ظ.

وقوله: **لا إله إلا هو**، الإله[1] هو المعبود في لسان العرب، ويُسمِّي العرب كل معبود إلها، كأنه يقول: لا إله ولا معبود[2] يستحق العبادة إلا هو.

وقوله عز وجل: **فادعوه مخلصين له الدين**، أي ادعوه بإخلاص[3] الدين له. ثم يحتمل قوله: **فادعوه مخلصين**، وجهين. أحدهما أي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا فيها غيره، من نحو ما كانوا يعبدون الأصنام دونه رجاء الشفاعة لهم وتقريبهم إليه. يقول:[4] أخلصوا العبادة والدين؛ والإخلاص هو التصفية له. والثاني ادعوه على حقيقة الدعاء له والتسمية، كأنه يقول -والله أعلم-: ادعوه وسَمُّوه إلها، لا تدعوا ولا تُسمّوا غيره[5] إلها، لأنهم كانوا يسمّون ويدعون الأصنام التي عبدوها آلهة.

وقوله عز وجل: **الحمد لله رب العالمين**، قال الحسن: هذا على التعليم منه للخلق [أن يقولوا] «الحمد لله».[6] ويحتمل أن يكون قوله: **الحمد لله**،[7] أي الحمد لله رب العالمين على خلقه بما[8] أنعم عليهم وصنع إليهم. ***والله أعلم.***

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي**، كأنّ الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم[9] إلى عبادة ما عبدوا هم من الأصنام، فقال: إني نُهيت عن ذلك. وهو كما[10] ذُكِر في غير آي من القرآن، حيث قال:[11]

---

[1] ر ث م - الإله.

[2] ن: لا إله إلا هو أي ولا معبود.

[3] ن: بالإخلاص.

[4] ر ث م - يقول.

[5] ر ث م: غيرا.

[6] لم أجده مرويا عن الحسن في المراجع، لكن الطبري روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير نحو هذا. انظر: *تفسير الطبري*، ٣٥٧/٢٠-٣٥٨.

[7] جميع النسخ - قال الحسن هذا على التعليم منه للخلق الحمد لله ويحتمل أن يكون قوله الحمد لله. والزيادة من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٧٨ظ.

[8] ن: لما.

[9] ن: كأنهم دعوه.

[10] ن: ما.

[11] ن + لما جاءني البينات من ربي.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ،[1] وقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[2] وغير ذلك من الآيات.

وقوله: **لَمَّا جَاءَنِيَ البيناتُ من ربي**، *يحتمل وجهين. [أحدهما] إن كان المراد من البيّنات القرآنَ أو الآياتِ التي نزلت معجزة له، على[3] ما قاله أهل التأويل، فهو على التأكيد والإبلاغ، وإن كان[4] النهي عن عبادة غير الله تعالى والشرك بالله لازما قبل مجيء الرسل وما أتوا من البينات، على ما تقدم. ***والله أعلم***. والثاني يحتمل قوله: **لَمَّا جاءني البينات من ربي**، العقل، وما يعرف[5] به ذلك،* ويكون قوله: **جاءني**، أي ظهر لي؛[7] كقوله تعالى: جَاءَ الْحَقُّ،[8] أي ظهر الحق. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأُمرتُ أن أُسْلِمَ لرب العالمين**، أي أمرت أن أجعل الخلق وكل شيء لله سالما خالصا، لا أشرك فيه[9] غيره. ***والله الموفق***.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة**، يُذكِّرهم الوجوه / التي بها يُوصَل إلى معرفة شكر ما أنعم عليهم، حيث[10] قال: **هو الذي خلقكم من تراب**، [٦٨٢ظ] أي خلق أصلكم من تراب. **ثم من نطفة**، أي خلقكم من نطفة. يُذكِّرهم[11] هذا ليُعلَم خلقُه إياهم من تراب؛ أعني خلق أصلهم ليس باستعانة منه بذلك التراب؛ لأنه لو كان على الاستعانة منه به[12]

---

[1] سورة الزمر، ٣٩/١١.
[2] ﴿قل إني أُمرت أن أكون أولَ من أسلم ولا تكونَنَّ من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤).
[3] ر م: وعلى.
[4] جميع النسخ: فإن كان.
[5] ر م: ولم يعرف.
* وقع ما بين النجمتين في نسخة ن (ورقة ٦٢٧ظ/سطر ٣٣-٣٥) هكذا: إن كان القرآن و الآيات التي نزلت على ما قاله أهل التأويل في التأكيد والإبلاغ وإن كان النهي كان قبل مجيء البينات من ربي بالعقل وما به يعرف ذلك.
[7] ن – لي.
[8] ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨١).
[9] ر ث م: فيها.
[10] ر ث م – حيث.
[11] ن: يذكر.
[12] ر م – به.

لكان لا معنى لخلق أنفسهم من الماء على الصورة التي خلق[1] من تراب وعلى جنسه. إذ ليس في الماء من آثار التراب شيء، ولا في الماء والنطفة من آثار العلقة شيء، ولا في العلقة من آثار الطفولية شيء[2] من اللحم والعَظم والجلد والشَّعْر وغير ذلك.[3] لأنه[4] ليس في التراب معنى الماء، ولا في الماء معنى التراب. ولو كان على الاستعانة بذلك لكان[5] المخلوق من أحدهما لا يكون مثل المخلوق من الآخر[6] في تركيبه وتصويره. وهما مما يختلفان في أنفسهما.[7] وكذلك ما ذكر من تقليبه[8] من حال إلى حال وتبديله من نوع إلى نوع، وليس في كل حال الخلق التي[9] تُقلَّب إليها من الحال التي كانت[10] شيء ولا من شِبْهِها،[11] ليُعْلَم أن كل ذلك[12] إنما كان بقدرة ذاتية وعلم ذاتي وتدبير ذاتي[13] كذلك، لا باستعانةٍ بشيء[14] مما ذكَر، ولا سببٍ له في ذلك، ولكن كان[15] لمعنى جعَل[16] فيه، كان ذلك كذلك بوجود[17] ذلك المعنى في الكل.[18] *والله أعلم.*[19]

---

[1] ن: خلقه.

[2] ث – ولا في العلقة من آثار الطفولية شيء.

[3] ن – إذ ليس في الماء من آثار التراب شيء ولا في الماء والنطفة من آثار العلقة شيء ولا في العلقة من آثار الطفولية شيء من اللحم والعظم والجلد والشعر وغير ذلك.

[4] ر ث م – لأنه.

[5] ن + الخلق.

[6] ر م: الآخرة.

[7] ن: وهما يتضادان.

[8] ر ث م: تقلبه.

[9] ر ث م – الخلق التي.

[10] ن: إليها من ذلك.

[11] ن: من شبهة.

[12] ن: ذلك كله.

[13] ن – ذاتي.

[14] ر ث م: شيء.

[15] ن – كان.

[16] ن: حصل.

[17] ن: لوجوه.

[18] ر ث م – في الكل.

[19] ن + إذ ليس في التراب من آثار الماء والنطفة شيء ولا في النطفة من آثار العلقة شيء ولا في العلقة من آثار الطفولية والإنسان شيء من اللحم والعظم والشعر والجلد وغير ذلك ليعلم ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **ثم لِتَبلُغوا أَشُدَّكم**، أي تبلغوا حتى يَشتدَّ كل شيء منه من[1] البِنيَة والعقل وغير ذلك. وقوله: **ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل**، أي منكم *من يتوفى من قبلِ أنْ[3] يبلغ شيخا. وقوله: **ولتبلغوا أجلا مسمى**، أي لتبلغوا الأجل الذي جُعل لكم. وقوله: **لعلكم تعقلون**، أي تعقلون ما بيّن لكم وذَكر لكم.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦٨]

وقوله: **هو الذي يحي ويميت**، أي وهو الذي يخلق حياة كل شيء ويخلق موت كل شيء. وعلى قول المعتزلة يجوز أن يُسمَّى كلّ عبد محييا مميتا، لقولهم: إن القتيل ليس بميّت بأجله، بل يُميته[4] القاتل، وقولهم: إن المتولِّدات من الفعل هو فعل ذلك الفاعل. فعلى قولهم هذا يجوز تسمية كل أحد مُحييا [و]مُميتا.

وقوله عز وجل: **فإذا قضى أمرا فإنما [يقول له كن فيكون]**، يُترجم بقوله: **كن**، من غير أن كان منه كاف ونون،[5] فذلك تكوينه. ***والله الموفق***. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم على الإبلاغ.[6]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله**، قوله: **ألم تر**، هو على حقيقة الرؤية والنظر. ويحتمل **ألم تر**، ألم تعلم؛ معناه ألم تعلم سَفَه الذين يجادلون في آيات الله، أو جَهْل الذين يجادلون في آيات الله، أي في دفع آيات الله والطعن فيها بلا حجة، على ما تقدم ذكره في قوله: [اَلَّذِينَ] يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ،[7] فعلى ذلك هذا. وقوله عز وجل: **أنى يُصْرَفون**، أي أيّةُ حجةٍ تَصرِفهم أو صَرَفتهم عن آيات الله، أو مِن أين يُصرَفون ويُعرِضون عن آيات الله بعد ما تقرر عندهم أنها آيات الله. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: في.

* ابتداء من هنا إلى أواخر تفسير الآية ٧٠ من هذه السورة لا توجد أي عبارة في نسخة ن غير «على الابتداء في قوم آخرين على غير تفسير للأول»؛ ويبدو أنه من خطأ ناسخ نسخة جار الله، إذ ناسخ نسخة ن استنسخ سورة المؤمن كلها من نسخة جار الله. انظر: نسخة ن، ورقة، ٦٢٨و/سطر ٧؛ ونسخة جار الله، ورقة ١٥٤ظ/سطر ٥.

[3] م: أي.

[4] ر م: ميته.

[5] ن ث: أو نون.

[6] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» في أواخر المجلدات، «التكوين».

[7] الآية ٣٥ من هذه السورة.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٧٠]

وقوله: **الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا**، جائز أن يكون قوله: **الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا**، تفسيرَ مجادلتهم التي ذكَر في دفع آيات الله. وجائز أن يكون قوله: **الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا**، أي الذين كذبوا[١] بالكتاب الذي أتاهم الرسل به، وكذبوا **بما أرسلنا به رسلنا**، أي كذبوا أيضا بما أمَر بهم الرسل بالوحي من غير كتاب. إذ الوحي نوعان: متلوّ وغير متلوّ، فلم يكن قوله: **وبما أرسلنا**، تفسيرا للكتاب. وعلى التأويل الأول، قوله: **وبما أرسلنا به رسلنا**، أي الكتاب، فيكون تفسيرا له. ***والله أعلم***. وقوله: **فسوف يعلمون**، وعيد لهم،[٢] أي سوف يعلمون علم عِيان بعدما علموا علم خبرٍ. ***والله أعلم***.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[٧١] ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم**، ذُكر أن في[٣] السلاسل ثلاثَ لغاتٍ: الرفع والنصب والخفض. فمن رفعها يقول: معناه إذ[٤] جُعِل الأغلال والسلاسل في أعناقهم يُسحَبون بها في الحميم، أي يُجَرُّون فيها.[٥] ومن قال بالخفض فتأويله: إذ الأغلال في أعناقهم وفي السلاسل، أي تجعل[٦] الأغلال في السلاسل ثم في أعناقهم،[٧] فيُسحَبون بها في الحميم. ومن قال بالنصب كأنه قرأ: إذ الأغلال في أعناقهم،[٨] والسلاسلَ يَسْحَبون في الحميم، أي يَسحَبون السلاسلَ في الحميم.[٩] وقوله: **يُسحَبون**، أي يُجَرُّون. **والحميم**، قد مَرّ تأويله،[١٠] وهو ما يُشرَب منه قد انتهَى حَرُّه غايته.[١١]

---

[١] م – وبما أرسلنا به رسلنا أي الذين كذبوا.

[٢] ن – وعيد لهم.

[٣] ن – في.

[٤] ن – معناه إذ.

[٥] ر ث م – أي يجرون فيها.

[٦] جميع النسخ: يجعل.

[٧] ر ث م – ثم في أعناقهم.

[٨] ن – كأنه قرأ إذ الأغلال في أعناقهم.

[٩] ن – أي يسحبون السلاسل في الحميم.

[١٠] انظر: تفسير الآية ٧٠ من سورة الأنعام (*تأويلات القرآن*، ٥/١٠١-١٠٢).

[١١] ر م: غاية.

وقوله: **ثم في النار يُسجَرون**، أي يُوقَدون. ذكر ما يسقَون فيها وهو الحميم، وذكر ما يُحرَقون به. قال أبو عَوْسَجَة: **يُسحَبون**، أي يُجَرُّون؛ وصرفه سَحَب يَسحَب سَحْبا،[1] أي جَرَ يجُرّ.[2] وقوله: **يُسجَرون**، أي يُوقَدون [بها]،[3] يقال: سَجَرتُ التَنُّور[4] أي أوْقَدْتُ فيه، وصرفه سَجَر يَسجُر سَجْرا.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[٧٣] ﴿مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾[٧٤]

وقوله: **ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله**، ظاهر هذه الآية أن هذا القول لهم بعد ما دخلوا النار، لأنه ذُكِر على إثْر قوله: إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ.[5] فظاهرها[6] أن قوله: **ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله**، بعد دخولهم / النار.[7] وظاهر قوله بعد هذا متصلا به:[8] أُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ؛[9] على[10] أن ذلك القول إنما يقال[11] لهم قبل[12] أن يدخلوا النار. [٦٨٣و]

وقوله عز وجل: **قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا**، هذا القول منهم يخرج على وجهين. أحدهما على إنكارهم وجحودهم عبادة الأصنام التي عبدوها في الدنيا وأشركوها إياه[13] في ألوهيته. وهو[14] كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[15]

---

[1] ر م: وصرفه يسحب إسحابا.
[2] ر ث م – يجر.
[3] ر ث م: بها؛ ن: يوقدونهم.
[4] ر ث م – التنور.
[5] الآيتان السابقتان.
[6] ن: ظاهره.
[7] ن: في النار.
[8] ن – بعد هذا متصلا به.
[9] الآية ٧٦ من هذه السورة.
[10] ن – على.
[11] ن – إنما يقال.
[12] ن: قيل.
[13] ن: وإشراكهم غيره.
[14] ن – وهو.
[15] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

وكقوله:[1] ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾،[2] أنكروا ما كان منهم وأقسموا على ذلك. وهذا يدل على أن الآية لا تضطر[3] أهلها إلى قبول الآيات والتصديق لها، لأنهم أنكروا[4] أن يكونوا مشركين بعد ما عاينوا العذاب،[5] وظهر لهم خطأهم وكونهم على الباطل، ثم لم يمنعهم ما عاينوا من الكذب.

والثاني[6] قوله: **بل لم نكن ندعو من قبل شيئا**، ليس على الإنكار والجحود، ولكن لما رأوا أن عبادتهم الأصنام لم ينفعهم يومئذ، و لم يُغْنِهم عما نزل بهم، فقالوا[7] عند ذلك: **بل لم نكن ندعو من قبل شيئا**، أي إن[8] الذي كنا نعبده[9] في الدنيا كان باطلا لم يك شيئا، حيث لم ينفعنا ذلك في هذا اليوم. فإن كان تأويل الآية هذا، فهذا[10] يدل[11] على[12] أن قوله: **أين ما كنتم تشركون من دون الله**، بعد ما دخلوا النار. وإن كان تأويله الأول على[13] الإنكار والجحود فذلك يدل على أن ذلك القول[14] قبل[15] أن يدخلوا النار حين تشهد[16] عليهم الجوارح.[17] وذلك يقرر قوله:[18] ﴿ٱدْخُلُوٓا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾.[19] *والله تعالى أعلم*.

---

[1] ر م: بقوله.

[2] ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).

[3] جميع النسخ: لا يضطر.

[4] ن + أنهم.

[5] ن – العذاب.

[6] ن – الثاني.

[7] ن: قالوا.

[8] ر ث م – إن.

[9] ن: نعبد.

[10] ن: فذلك.

[11] ر ث م: بها.

[12] ث ن – على.

[13] ن – على.

[14] ن – يدل على أن ذلك القول.

[15] ن: قيل.

[16] جميع النسخ: يشهد.

[17] ن + فإن كان التأويل هو الثاني فذلك بعد الدخول.

[18] ن: يدل قوله عز وجل.

[19] الآية ٧٦ من هذه السورة.

وقوله عز وجل: **كذلك يضل الله الكافرين**، أي هكذا يضل الله من علم منه اختيار الكفر والضلال، يضله. وهو كقوله: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ،[١] أي إذ[٢] علم منهم اختيار الانصراف صرفهم. وكذلك قوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ،[٣] أي إذ[٤] عِلِم منهم أنهم يختارون[٥] الزيغ أزاغهم. *والله أعلم*.

﴿ذٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[٧٥]

وقوله: **ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون**، أي ذلك[٦] جزاؤكم[٧] من النار[٨] بما كنتم[٩] تُسَرُّون في الدنيا[١٠] بالباطل. إذ هم[١١] كانوا كذلك[١٢] في الدنيا يفرحون ويُسَرُّون على كونهم[١٣] على الباطل. وقيل: **تفرحون**، أي تَبطَرون،[١٤] لكن هو على الفرح والرضاء بما اختاروا لأنفسهم.[١٥] وقوله: **وبما كنتم تمرحون**، أي وبما كنتم تتكبرون، كذلك كانوا يُسرون وَيرضَون بكونهم على الباطل، ويتكبرون[١٦] بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. والمرح التكبر،[١٧] وهو كقوله: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا،[١٨] أي تكبرا.[١٩]

---

[١] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة نَظَر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ١٢٧/٩).

[٢] ن – إذ.

[٣] سورة الصف، ٦١/٥.

[٤] ن: إذا.

[٥] ر م: يختار.

[٦] ن + الذي.

[٧] ر ث م: جزيتكم.

[٨] ن: في الدنيا.

[٩] ن + تفرحون أي.

[١٠] ن: في الأرض.

[١١] ن – إذ هم.

[١٢] ن: كذلك كانوا.

[١٣] ن: على كذبهم.

[١٤] وهو شدة المرح (*لسان العرب*، «بطر»).

[١٥] ن – وقيل تفرحون أي تبطرون لكن هو على الفرح والرضاء بما اختاروا لأنفسهم.

[١٦] ر ث م: وينكرون.

[١٧] ن: المتكبر.

[١٨] سورة الإسراء، ١٧/٣٧.

[١٩] ن: متكبرا.

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٧٦]

وقوله: **ادخلوا أبواب جهنم**، الآية؛ وقد ذكرنا فيما تقدّم.[1]

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[٧٧]

وقوله: **فاصبر إن وعد الله حق**، قد ذكرنا هذا[2] أيضا.[3] وقوله: **فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون**، كأنه كان[4] يتوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول ما وعد لهم ويخطر ذلك بباله، ويطمع[5] ذلك، فنهاه عن توقع نزول العذاب الذي[6] وعد للكفرة في الوقت الذي يطمع فيه، وعن الخطر[7] بباله النصر له وإهلاكَ أولئك في الوقت الذي يتوقع. كأنه[8] يقول: إن شئنا أريناك بعض الذي نعدهم،[9] وإن شئنا توفيناك ولم نُرِك[10] شيئا. وهو كقوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ.[11] وإلا ظاهر قوله: **فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك**،[12] حرف شك لا يحتمل ذلك من الله[13] تعالى، إذ هو يعلم أنه يفعل ذا[14] أو لا يفعل أو يكون ذا أو لا يكون. لكن[15] الوجه فيه ما ذكرنا أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه[16] يطمع نزول ما وعد ويتحدّث نفسه بذلك، فيقول له: ليس ذلك إليك إنما ذلك إلينا، على ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: خالدين فيها فبئس مثوا المتكبرين قد ذكرنا هذا. انظر: تفسير الآيتين ٧١-٧٢ من هذه السورة.

[2] ن - هذا.

[3] انظر: تفسير الآية ٥٥ من هذه السورة.

[4] ر ث م: قال.

[5] ن: ويطمعه.

[6] م - الذي.

[7] ن: فنهاه عن طمع ذلك ونزوله في الوقت الذي يطمع ويخطر.

[8] ن - في الوقت الذي يتوقع كأنه.

[9] ن: وعدناهم.

[10] ر ث م: ولم نترك.

[11] ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٢٨).

[12] ن + هو.

[13] ن: منه.

[14] ن - إذ هو يعلم أنه يفعل ذا.

[15] ن: ولكن.

[16] ر ث م - كأنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «هذه الآية من المكتوم»،[١] لأن ظاهره شك. وفي[٢] الآية دلالة الرسالة له،[٣] لأنها[٤] خرجت مخرج العتاب للنبي صلى الله عليه وسلم[٥] والتوبيخ له.[٦] ثم أظهر ذلك[٧] على الناس، والسبيل في مثله في عرف الناس الإخفاء والإسرار عن الناس،[٨] فدل[٩] أنه إنما أظهره لهم[١٠] للأمر بالتبليغ.[١١] وكذلك في قوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ،[١٢] إذ المرء لا يُظهِر مثل ذلك من غير أمر وتكليف ممن وجب عليه طاعته.[١٣] *والله الموفق.*

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك**، يقول: لست أنت بأول رسول أُرسِلتَ إليهم فاستبعدوك وأنكروك وكذبوك، بل قد[١٤] أُرسل إلى الأمم السالفة رسل مثل ما أُرسلت أنت إلى هؤلاء.

---

[١] نقل المفسرون هذه العبارة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير كثير من الآيات المتشابهة؛ وهو يريد المكتوم الذي لا يفسَّر، كما كانت في الحروف المقطعة؛ ولم يزل السلف في هذا وأمثاله يؤمنون ويَكِلُون فهم معناه إلى علم المتكلم به وهو الله تعالى، ولكن المتأخرين يرجحون التأويل. والإمام الماتريدي يأوِّل الآية كما ترى وينقل الرواية عن ابن عباس قولا، ولكن لم أعثر عليها في كتب التفاسير والأحاديث في سياق تفسير هذه الآية خاصة ولتفسير آية أخرى. انظر مثلا: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣/٣٩٨؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان الأندلسي، ٢/١٣٣.

[٢] ن + هذه.

[٣] ر ث م – له.

[٤] ن: أنها.

[٥] ن: له.

[٦] ن – له.

[٧] ن: أظهره.

[٨] ن: على الناس.

[٩] ن: فإذا أظهر ذلك للناس دل.

[١٠] ر ث م: أظهر عليهم.

[١١] ن + تبليغ الرسالة.

[١٢] سورة آل عمران، ٣/١٢٨.

[١٣] ن – إذ المرء لا يظهر مثل ذلك من غير أمر وتكليف ممن وجب عليه طاعته.

[١٤] م ر ث – قد.

وقوله: **منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**، في الآية[1] دلالة أنا لم نؤخذ بمعرفة أعين[2] الرسل وأساميهم على التعيين.[3] إنما أُخذ علينا معرفتهم على الإجمال وتصديقُهم في جميع ما أخبروا عن الله من غير أن نَعرِف[4] أنفسهم وأساميهم.[5] كما أنا لا نُؤخَذ[6] بالإيمان بالله تعالى بجميع ما جاء عنه[7] على التفصيل والتعيين بأساميهم لكن[8] على الجملة.[9] وعلى هذا قلنا:[10] إن[11] الإيمان برسول واحد[12] من الرسل إيمان بجميع الرسل إذا لم[13] يوجد منه[14] الإنكار لغيره من الرسل[15] على الجملة أو التعيين.[16] وكذلك الإيمان بالله[17] إيمان بالرسل جميعا، لأن الإيمان بالله إيمان بأمره ونهيه،[18] فيكون إيمانا بمن جاء[19] الأمر والنهي على يده.[20]

والله الموفق.[21]

---

[1] ن: فيه.

[2] ن: أعني.

[3] ن – على التعيين.

[4] ن: إنما أخذ علينا معرفتهم بإخبار صدقهم وتصديقهم على الخبر وإن لم نعرف.

[5] ر ث م – إنما أخذ علينا معرفتهم على الإجمال وتصديقهم في جميع ما أخبروا عن الله من غير أن نعرف أنفسهم وأساميهم. والزيادة مع التصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠و.

[6] ر م: نأخذ.

[7] ر: علمه.

[8] ر ث: لك. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠و.

[9] ن – كما أنا لا نؤخذ بالإيمان بالله تعالى بجميع ما جاء عنه على التفصيل والتعيين بأساميهم لكن على الجملة.

[10] ن: وكذلك.

[11] ن – إن.

[12] ن – واحد.

[13] ر ث: إذ المرء. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠و.

[14] ن: إذا لم يكن.

[15] ر ث – من الرسل.

[16] ن – من الرسل على الجملة أو التعيين.

[17] م – بجميع ما جاء عنه على التفصيل والتعيين بأساميهم لكن على الجملة وعلى هذا قلنا إن الإيمان برسول واحد إيمان بجميع الرسل إذا لم يوجد منه الإنكار لغيره على الجملة أو التعيين وكذلك الإيمان بالله. صح هـ.

[18] ن + فإذا آمن بأمره يكون إيمانا برسله.

[19] ث: بما جاء.

[20] ن – فيكون إيمانا بمن جاء الأمر والنهي على يده.

[21] ن + وكذلك الإيمان برسول من الرسل إيمان بجميع الرسل إذا لم يكن الإنكار لغيره من الرسل.

وقوله: **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**، كأنهم سألوه أن يأتي بآية بعد آية وآية[١] على إثر آية أخرى، فقال عند سؤالهم ذلك: **وما كان لرسول / أن يأتي بآية إلا بإذن الله**، [٦٨٣ظ] أي ليس لرسول أن يأتي الآية على شهوته أو على شهوة السائل. وهذه الآية تدل[٢] على نقض قول الباطنية، فإنهم[٣] يقولون: إن في[٤] أنفُس الرسل جواهرَ روحانية يأتون بها الآية حيث شاءوا وكيف شاءوا، أو كلام نحوه.[٥] فكان للرسل عندهم بسبب الجواهر[٦] الروحانية التي فيهم قدرةُ إتيان الآيات كيف شاءوا من غير إذن من الله تعالى، ومن غير سؤال منهم إياه في وقت الإتيان.[٧] ولو كان الأمر[٨] على ما قالوا لم يكن لقوله: **وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**، معنى؛ وإنه مخالف للآية، فإن فيها[٩] إخبارا أنه لا يأتي الرسل بالآيات إلا بإذن من الله تعالى.[١٠] ***والله الموفق***.

وقوله عز وجل: **فإذا جاء أمر الله قُضي بالحق وخسِر هنالك المبطلون**، أي إذا جاء الأمر بعذاب الله،[١١] أو إذا جاء الأمر بموعود الله. يُعبّر بالأمر عن الموعود الذي أُوعِدوا. وقد ذكرنا معنى الخسران فيما تقدم.[١٢]

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٧٩] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[٨٠]

وقوله: **الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**، ذكّرهم بهذه الآية وبالآية[١٣] التي تقدم ذكرها وجهين. أحدهما يذكّرهم النعمة التي أنعمها عليهم، حيث قال:

---

[١] ر ث م – وآية؛ ن: وأنه.

[٢] ر ث م: يدل.

[٣] ن: تدل على بعض قول الباطنية لأنهم.

[٤] ر ث م – في.

[٥] ر ث م – أو كلام نحوه.

[٦] ر م: الجوهر.

[٧] ن – فكان للرسل عندهم بسبب الجواهر الروحانية التي فيهم قدرة إتيان الآيات كيف شاءوا من غير إذن من الله تعالى ومن غير سؤال منهم إياه في وقت الإتيان.

[٨] ن – الأمر.

[٩] ن – وإنه مخالف للآية فإن فيها.

[١٠] ن: أخبر أنه إذا أمره وأذن له فعند ذلك يأتي به.

[١١] ن – الله.

[١٢] انظر: تفسير الآية ١١٩ من سورة النساء والآية ١١ من سورة الحج.

[١٣] ن: ذكرهم بهذه الآيات.

جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ،[1] وقال: [اَللّٰهُ الَّذِي] جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ،[2] ثم قال هاهنا: **جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون**، ذكَّرهم أولا بدء إنشائهم، حيث قال: هُوَ الَّذِي[3] خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ،[4] إلى آخر ما ذكر، وفيه دلالة وحدانيته وعلمه وتدبيره وقدرته. ثم ذكَّرهم من بعدُ نِعَمه[5] إلى آخره،[6] يستأدي بذلك[7] شكره وحمده على ذلك، هذا وجه.

والثاني يُذكِّرهم أنه إنما[8] أنشأ هذه الأشياء التي ذكرها وعدَّها عليهم للبشر لم يُنشئها لأنفسها ولكن لهم،[9] كأنه[10] يقول[11] -والله أعلم-: قد أنشِئتْ هذه الأشياء لكم لتنتفعوا بها وتستعملوها[12] كيف شئتم، فما بالكم أشدُّ إنكارا وكفرا بالنعمة من غيركم من العالَم؟ وسائر العالم أشد خضوعا واستسلاما لنعمه والقيام بشكرها له.

ثم في الآية دلالة[13] نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: ليس لله تعالى أن يُؤْلم طفلا ولا نَعَما[14] إلا بعوض يُعوِّضه.[15] ثم لا شك أن ما سخر من الأنعام والدواب للبشر ومكّن لهم استعمالها والانتفاع بها بأنواع[16] المنافع أنها يتأذى ويتألم[17] بذلك. فيجب على قولهم أن لا يكون لله تعالى

---

[1] ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٧٣).
[2] سورة المؤمن، ٤٠/٦٤.
[3] ر م - قال هو الذي.
[4] ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من عَلَقة ثم يُخرجكم طفلا ثم لتَبلُغوا أَشُدّكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يُتَوَفَّى مِن قَبلُ ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٦٧).
[5] ر م: نعمة.
[6] ن: إلى آخر هذا؛ ث: إلخ.
[7] ث: بذاك.
[8] ن: لما.
[9] ر ث م - ولكن لهم.
[10] ن - كأنه.
[11] ن: فيقول.
[12] ر ث م: تنتفعون بها وتستعملونها.
[13] ر ث م - دلالة.
[14] ن: ولا أنعاما.
[15] ر ث م: يعوضها.
[16] ر ث م: أنواع.
[17] ن: إنما يتألم ويتأذى.

أن يُؤلم[1] إلا بعوض ترضى[2] به هذه الأشياء، إذ هكذا حكمُ كل مجعول بعوض[3] أن يُشتَرط رضا أربابها[4] في العوض؛ وإذا لم يكن هذه الأشياء من أهل الرضا يجب[5] أن لا يجوز التعويض. فدل أن ذلك بناءً على ما قلنا من أن الأصلح ليس بواجب. **والله الموفق**.[6]

ثم جعل[7] منافعها مختلفة؛ منها الركوب ومنها الأكل وغير ذلك من الانتفاع بصوفها[8] ووَبَرِها، وما أعطاهم[9] أيضا من السُّفُن يركبون بها البحار ليصلوا إلى حوائجهم في الأمصار[10] التي[11] بعدت منهم[12] ونأت[13] فضلا منه ومنّةً، فذلك قوله: **ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تُحمَلون**.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾[٨١]

وقوله: **ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون**، يحتمل أنه أراهم آيات وحدانيته وألوهيته وأراهم[14] آيات نعمه وإحسانه[15] إليهم ونحوها،[16] يقول: فأيَّ آيات الله[17] [التي] أراكم تنكرونها[18] أنها ليست من الله تعالى.

---

[1] ن: فيجئ أن يكون على قولهم أن ليس أن يؤلم.

[2] جميع النسخ: يرضى.

[3] ن – ترضى به هذه الأشياء إذ هكذا حكم كل مجعول بعوض.

[4] ن: بشرط رضاء أربابها والله أعلم.

[5] ر ث م: بحيث.

[6] ن – وإذا لم يكن هذه الأشياء من أهل الرضا يجب أن لا يجوز التعويض فدل أن ذلك بناء على ما قلنا من أن الأصلح ليس بواجب والله الموفق.

[7] ن + منه.

[8] ن: من صوفها.

[9] ر ث م: وما أعطى لهم.

[10] ن – في الأمصار.

[11] ن: إلى حيث.

[12] ن: عنهم.

[13] ن: بات.

[14] ن: أو أراهم.

[15] ن + وآيات إحسانه.

[16] ن: نحوه.

[17] ن + ينكرون التي.

[18] ر م: ينكرونها؛ ن: ينكرون.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم،** قد ذكرنا معناه[١] في غير موضع.[٢] وقوله: **كانوا أكثر منهم وأشد قوة،** أي كانوا أكثر عددا منكم وأشد في القوة والبطش. وقوله: **وآثارا في الأرض،** أي أكثر أعمالا[٣] منكم.[٤] ثم كانت عاقبتهم الهلاك والاستئصال. وقوله: **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون،** يقول: لم يُغنِ عنهم كثرة العدد والحَشَم والأموال ولا قوةُ الأبدان في دفع العذاب عن أنفسهم، فأنتم يا أهل مكة أحق أن لا تقدروا على دفع العذاب عن أنفسكم إذا نزل بكم مع ضعفكم وقلة عددكم. ***والله أعلم.****

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم،** يحتمل قوله: **فرحوا بما عندهم من العلم،** وجهين. أحدهما أي فرحوا بما عندهم أنه علم،[٦] وليس[٧] هو في الحقيقة علم، لكن عندهم أن ذلك عِلْم. وهو كقوله: وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[٨] أي انظر إلى إلهك الذي هو عندك إله. وإلا لم يكن ذلك عند موسى عليه السلام إلها،[٩] ولكن ذَكَر على ما عند ذلك الرجل للتعريف. فعلى[١٠] ذلك قوله: **فرحوا بما عندهم من العلم،** أي بما هو[١١] عندهم أنه علم، وإن لم يكن في الحقيقة علما.[١٢] ***والله أعلم.***

---

[١] ن: معنى هذا.

[٢] انظر مثلا: سورة يوسف، ١٢/١٠٩.

[٣] ن + وأشد قوة.

[٤] ن – منكم.

* وقعت هنا قطعات من تفسير الآيات السابقة برقم ٥٦، ورقم ٦٠، ورقم ٧٦، ورقم٨١ في نسخة ن: ورقة ٦٢٨ظ/سطر ٣٥-٦٢٩و/سطر ٢؛ ووردت بعضها مكررة بعد ورودها في مواضعها.

[٦] ن: بما هو عندهم علم.

[٧] ن + وأنه ليس.

[٨] سورة طه، ٢٠/٩٧.

[٩] ن: إله.

[١٠] ن: ولكن ذكر بما عنده فعلى ذلك.

[١١] ر ث م – هو.

[١٢] ن: وإن لم يكن ذلك الحقيقة علم.

والثاني يحتمل أن يكون على حقيقة العلم، وذلك من أهل الكتاب.[١] قد كان من أهل الكتاب الإيمان بما عندهم من الكتاب، وهو على الحقيقة علم[٢] لا شك فيه.[٣] لكنهم لما كذبوا غيره من الكتب والعلوم وكفروا بها لم ينفعهم إيمانهم / بما عندهم من العلم،[٤] كقوله تعالى: [٦٨٤و] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾،[٥] كان إيمانهم بما أنزل عليهم[٦] حقا،[٧] لكنهم لمّا كفروا بغيره أبطل ذلك الكفر إيمانهم بالذي أنزل عليهم.[٨] فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله: **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**، أي يحق بهم[٩] العذاب بما كانوا يستهزءون بالرسل.[١٠]

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾[٨٤] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[٨٥]

وقوله: **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما[١١] يحتمل أن يكون[١٢] هذا القول منهم وما ذكر من الإيمان منهم إذا رأوا بأس الله بعد وفاتهم في قبورهم، أي عذابَ الله.[١٣] فإن كان التأويل هذا فهذا يدل على عذاب القبر لمن شاء الله تعالى في حقه العذاب.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] ن – يحتمل أن يكون على حقيقة العلم وذلك من أهل الكتاب.
[٢] ن: وهو العلم على الحقيقة.
[٣] ن – فيه.
[٤] ن – من العلم.
[٥] سور البقرة، ٩١/٢.
[٦] ر ث م: إليهم.
[٧] جميع النسخ: حق. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٠ظ.
[٨] ر ث م: إليهم.
[٩] ر ث م: يحويهم.
[١٠] ر ث م: الرسل.
[١١] ر ث م – أحدهما.
[١٢] ن – يحتمل أن يكون.
[١٣] ن – أي عذاب الله.
[١٤] ن: فإن كان هذا منهم بعد الوفاة فهذا يدل لمن يقول بعذاب القبر.

والثاني[1] يحتمل أن يكون ذلك منهم في حياتهم حين[2] رأوا بأس الله في الدنيا آمنوا بما ذكر.[3] فإن كان ذلك في الحياة فلم ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت،[4] كما قال الله تعالى: **فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا**. وقد تقدم ذكر هذا في سورة يونس على الاستقصاء.[5] *والله أعلم*.

وقوله: **سنة الله التي قد خلت في عباده**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما قوله: **سنة الله**، أي كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده في[6] أن[7] لا يُقبَل الإيمان عند رؤية بأس الله ومعاينة عذابه. والثاني أي كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده من التعذيب والانتقام من مكذبي الرسل في الدنيا واستئصالهم. يُخوِّف أهل مكة بما نزل بأولئك[8] ليحذروا مثل صنيعهم. وقوله عز وجل: **وخسر هنالك**، أي خسر عند ذلك، **الكافرون**. *وبالله العصمة والنجاة*.

---

[1] ن: والله أعلم ويحتمل.

[2] ن – حين.

[3] ر ث م: ذكروا.

[4] ن + إنما رفع العذاب عن أنفسهم لا إيمان حقيقة فلم يقبل منهم ذلك لما علم أن إيمانهم إيمان دفع العذاب عن أنفسهم لا إيمان حقيقة وقيل من قوم يونس لما آمنوا عند معاينتهم العذاب لما علم منهم تحقيق الإيمان فقبل والله أعلم والثاني لم ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت لأن أنفسهم قد خرجت من أيديهم في ذلك الوقت فلم يقبل منهم ذلك بعد خروج أنفسهم من أيديهم ومن ملكهم والله أعلم. انظر: تفسير الآية ٩٨ من سورة يونس.

[5] ن – كما قال الله تعالى وقد تقدم ذكر هذا في سورة يونس على الاستقصاء.

[6] ر ث م – يحتمل هذا وجهين أحدهما قوله سنة الله أي كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده في.

[7] ر: أي.

[8] ر ث م: أنزل إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة حم فصلت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿حٰمٓ﴾[١] ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **حم تنزيل من الرحمن الرحيم**، ظاهر هذا أن تفسير **حم** هو قوله: **تنزيل**؛ و**حم** خبر لمبتدأ محذوف مقدّر. **تنزيل**[2] مبتدأٌ **من الرحمن الرحيم**؛ وكذلك قوله: حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.[3] والأصل في حواميم وسائر الحروف المقطّعة أنها تَبْعَث سامعَها على التفكّر والتأمّل؛ لأنه لا يفهمها وقت قَرْعها السمع حتى يتأمل ويتفكر فيها. لأنها كلام لم[4] يسمعوه قبل ذلك، فيَحمِلهم ذلك على الاستماع[5] والتفكر فيها والنظر. فيقع ما هو المقصود من الخطاب في سماعهم ويعرفوا وجه الإعجاز، فيتوصلوا بذلك إلى الحق. *والله أعلم*.[6] وقد ذكرنا في الحروف المقطعة وجوها آخر فيما تقدم.[7]

ثم ذكر هاهنا رحمته ورأفته ليرغِبهم فيما يرحمهم ويَرْأَف بهم، وهو قوله: **حم تنزيل من الرحمن الرحيم**. وذكر في السورة الأولى عزه وقدرته وسلطانه وعلمه، ليَحذَروا مخالفته وعصيانه ظاهرا وباطنا، حيث قال: حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.[8] وليطلبوا[9] العز من عنده. *والله أعلم*.[10]

---

[1] ر ن – سورة حم فصلت؛ ث + وهي مكية؛ م: ذكر أن سورة حم فصلت وهي مكية.

[2] م: فتنزيل.

[3] سورة المؤمن، ٤٠/١–٢.

[4] ر م: لا.

[5] ر م: على الاستمتاع.

[6] ر م – والله أعلم.

[7] انظر مثلا تفسير الآية ١–٢ من سورة البقرة وسورة آل عمران.

[8] سورة المؤمن، ٤٠/١–٢.

[9] ر م: ليطلبوا.

[10] ر م – والله أعلم.

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣]

وقوله: **كتاب فصلت آياته**، قال أهل التأويل: **فصلت آياته**، أي بيّنت[١] فيه من الحلال والحرام وما لهم وما عليهم وما يُؤتَى وما يُتقى ونحوه. وعندنا يحتمل قوله: **فصلت آياته**، وجهين. أحدهما **فصلت آياته**، أي فُرِّقت كل آية من الأخرى، من نحو آية التوحيد فُرِّقت من آية الرسالة، وفرقت آية البعث من غيرها؛ فُرِّق كل آية من الأخرى. *والله أعلم*. والثاني يحتمل التفريقَ في الإنزال، أي فرقت آياته في الإنزال، لم يُجْمَع بينهما في الإنزال ولكن فُرِّق في أوقات متباعدة. ويحتمل قوله: **فصلت**، بُيِّنت على غير ما قاله أهل التأويل؛ وهو أن بينت[٢] آياته بالحجج والبراهين حتى يُعلَم أنها آيات من الله تعالى. *والله أعلم*.

وقوله: **قرآنا عربيا لقوم يعلمون**، أي أنزله بلسان يعلمونه[٣] ويفهمونه،[٤] لا بلسان لا يعلمونه ولا يفهمونه، أي أنزله بلسانهم. ويحتمل **لقوم يعلمون**، أي ينتفعون بعلمهم،[٥] أي حصل إنزاله لقوم ينتفعون؛[٦] فأما من لم ينتفع به فلم يحصل إلا[٧] الإنزالُ له. *والله أعلم*. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: قرآنا عربيا لقوم[٨] يعقلون.[٩]

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٤]

وقوله: **بشيرا ونذيرا**، البِشارة والنِذارة هي بيان ما يكون في العاقبة من الخير والشر. أو يقال: البشارة هي الدعاء إلى ما يوجِب لهم من الحسنات والخيرات في العاقبة، والنذارة هي الزجر عما يوجب لهم من السيئات والمكروهات في العاقبة، والنذارة هي الزجر. فصار معنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أُرسِل داعيا إلى الحسنات وزاجرا عن السيئات. *والله أعلم*.

---

[١] ر ث م: ثبت.

[٢] ر ث م: يثبت.

[٣] ن: يعلمون.

[٤] ر ن ث: ويفهمون.

[٥] ن: به.

[٦] ن – أي حصل إنزاله لقوم ينتفعون.

[٧] ن – إلا.

[٨] ن + يعلمون.

[٩] لم أجده في المراجع.

وقوله: **فأعرض أكثرهم**، يحتمل إعراضهم عنه وجهين. أحدهما أي أعرضوا عن التفكر فيه والتأمل. والثاني أعرضوا عن اتِّباعه بعد ما تأملوا فيه وتفكروا، وعرفوا[1] أنه حق وأنه من الله تعالى، لكنهم تركوا اتباعه عنادا منهم ومكابرة، حَذَرًا عن ذهاب الرياسة. ***والله أعلم***.

وقوله: **فهم لا يسمعون**، أي لا يجيبون على ما ذكرناه.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[٥]

وقوله: / **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر**، لا شك أن قلوبهم على ما ذكروا أنها في أكنة، وفي آذانهم وقر؛ لأنه ذكر جل وعلا أنه جعل على قلوبهم أكنة[2] وفي آذانهم وقرا، حيث قال تعالى: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا،[3] على ما أخبروا أن قلوبهم في أكنة وغطاء، وفي آذانهم وقر، لا يفقهون ما يُدعَون إليه ولا يسمعون ذلك، وإن كانوا يفقهون غيره ويسمعون، لأنهم كذلك قالوا: إن قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه. [٦٨٤ظ]

وقوله: **ومن بيننا وبينك حجاب**، إن ثبت ما ذكر بعض أهل التأويل أن ثوبا رفعوا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: كن أنت يا محمد في جانب ونكون نحن في جانب آخر، ونحوه من الكلام[4] فهو ذلك. وإلا احتمل أن يكون قوله: **ومن بيننا وبينك حجاب**، هو ما حجبتهم ظلمة الكفر وغطّتهم عن فهم ما دُعُوا إليه وعِلم ما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **فاعمل إننا عاملون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما اعمل أنت بدينك فإنا عاملون بديننا، أو أن يقولوا: اعمل أنت لإلهك فإنا عاملون لآلهتنا،[5] كقوله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[6] والثاني فاعمل أنت في كيدنا فإنا عاملون في كيدكم والمكر بكم.[7] ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: وأعرضوا.

[2] ن + أن يفقهوه.

[3] ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٥).

[4] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٨٦؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٩٧/٢٤.

[5] جميع النسخ – أو أن يقولوا اعمل أنت لإلهك فإنا عاملون لآلهتنا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٥٩و.

[6] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.

[7] جميع النسخ + ويحتمل أن يقولوا اعمل أنت لإلهك فإنا عاملون لآلهتنا (ر م: لإلهنا؛ ن – لآلهتنا).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٦] ﴿اَلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**، هذا الحرف يخرج على وجهين. أحدهما كأنه يقول لهم: إنما أنا بشر مثلكم أفهَم وأعقِل، يوحى إليّ وأسمع ذلك. فأنتم في قولكم: إن قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر[١] لا عذر لكم، لأنه إنما يَحجُبُكم عن ذلك ويُغطِّي[٢] قلوبَكم عن فهم ذلك الكفرُ الذي أنتم عليه والضلالُ الذي أنتم فيه، فاتركوا ذلك حتى تفهموا وتعقلوا ما تُدعَوْن إليه وتؤمَرون به كما أفهم أنا وأعقل، إذ أنا بشر وأنتم بشر.[٣] ***والله أعلم***.

والثاني يقول: **إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ**، أي إنما أنا[٤] بشر مثلكم أمرت أن أبلّغ إليكم أن إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه. وإلا لو لم[٥] أُومَرْ[٦] بتبليغ الرسالة إليكم إنما إلهكم إله واحد لكنت أترككم وما أنتم عليه، كقولكم: إن قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر[٧] فاعمل إننا عاملون. على هذين الوجهين يخرج[٨] تأويل الآية. ***والله أعلم***.

وقوله: **فاستقيموا إليه**، قال بعضهم: أي فاستقيموا إليه بالطاعة، وقيل: أي استقيموا إلى ما دعاكم إليه من التوحيد. وقوله: **واستغفروه**، أي انتهُوا عما أنتم عليه من الكفر والضلال، ليَغفِر لكم ما كان منكم في حال الكفر، كقوله تعالى: إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[٩] ويحتمل أي كونوا على حال بحيث يُقبَل استغفاركم وطلب تجاوزكم. ***والله أعلم***.[١٠]

وقوله: **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون**. والإشكال أنه لماذا خَصَّ المشرك الذي لم يُؤت الزكاة وينكر الآخرة بالويل، وقد يَلحق الويل للمشرك آتى الزكاة أو لم يؤت، آمن بالآخرة أو كفر بها؟ فنقول: قال بعض أهل التأويل:[١١]

---

[١] جمع النسخ: وقرا.
[٢] ر ث م: وتغطي.
[٣] ر م – وأنتم بشر.
[٤] ر م – أنا.
[٥] جميع النسخ – لم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨/ ظ.
[٦] ر م: أمر.
[٧] ر م: وقرا.
[٨] جميع النسخ – يخرج. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٥٩ظ.
[٩] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).
[١٠] ر م – والله أعلم.
[١١] حول تفسير هاتين الآيتين انظر: *تفسير الطبري*، ٣٧٩/٢٠-٣٨٠؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣٩٢/١٨-٣٩٣.

معناه وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بإيتاء الزكاة ولا يؤمنون بالآخرة، وخصّهم بذكر جحود الزكاة والآخرة لما كان سببَ كفرهم ذلك.[١] وكان سبب كفرهم[٢] مختلفا. منهم من كان سبب كفره بُخله في المال وشُحه، حمله ذلك على إنكاره الزكاة والامتناع عن الإيتاء. ومنهم[٣] من كان كفره إنكاره جزاء الأعمال، حمله ذلك على إنكار الآخرة. ومنهم من كان سبب كفره الخضوع لمن دونه أو مثله في أمر الدنيا، حمله ذلك على إنكار الرسالة والجحود لها، وغيرُ ذلك من الأسباب التي حملتهم على الكفر والضلالة وهي مختلفة. ويحتمل قوله: **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**، لا على زكاة الأموال، ولكن على زكاة الأنفس. كأنه يقول: وويل للمشركين الذين لا يعملون[٤] ولا يَسعَوْن فيما به تَزْكُو[٥] أنفسُهم ويَشرُف[٦] ذِكرُها ويصلُح أعمالهم به، ولا ما يُجزَوْن به في الآخرة، أي ويل لمن لا يعمل ذلك. *والله أعلم*. وهذان الوجهان جواب عمن تعلق بظاهر هذه الآية على أن الكفار يخاطَبون بالشرائع، حيث ألحق الوعيد بهم بترك إيتاء الزكاة، والزكاة من الشرائع. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون**، أي غير مقطوع، وذلك في الآخرة. وقال بعضهم: أي غير محسوب، وقال بعضهم أي غير مُمْتَنٍّ عليهم، وذلك في الآخرة أيضا. ومعناه -والله أعلم- أنه يزاد لهم في الأجر[٧] على قدر أعمالهم ولا يُمَنّ عليهم في تلك الزيادة. وقال بعضهم: **غير ممنون**، أي غير منقوص ولا ممنوع؛ وذلك -والله أعلم- أن من كان يعمل في حال شبابه وقوته الصالحات والطاعاتِ، ثم كبِر و عجَز عن إتيانها أنه لا يُمنَع ولا يُنقَص منه الأجر الذي كان يُجرى[٨] عليه ويُكتَب له في حال شبابه وقوته. *والله أعلم*.

---

[١] ن: ذاك.

[٢] ر م - ذلك وكان سبب كفرهم.

[٣] ر: منهم.

[٤] م: لا يعلمون.

[٥] ر ث م: تركوا؛ ن: يزكو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨١ظ.

[٦] جميع النسخ: ويسرف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨١ظ.

[٧] ر ث م: الآخرة.

[٨] جميع النسخ: يجرى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨١ظ.

﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين**[١] **وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين**، تأويل هذه الآية كما ذكرنا في قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ،[٢] الآية. وهو يخرج على وجوه. أحدها كيف تكفرون وتُنكرون وحدانية الله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم وما ذكر؟ أي[٣] كيف تُنكرون وحدانيته وتكفرونه وهو الذي أحياكم لا الأصنامُ التي تعبدونها؟ والثاني / كيف[٤] تُنكرون قدرة الله في البعث [٦٨٥و] وقد رأيتم قدرته في ابتداء[٥] إنشائكم وتقليبكم من حال إلى حال؟ والثالث كيف تكفرون برسول الله[٦] صلى الله عليه وسلم وقد خلقكم الله تعالى وامتحنكم بأنواع المحن وكلّفكم وأمركم بأوامر ونواهِيَ ما لو لم يكن رسول الله لا يمكنكم القيام بأكثرها وكان خلقه إياكم عبثا؟

فعلى هذه الوجوه يخرج قوله تعالى: **قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين**، الآية، أي أإنكم لتكفرون وحدانية الله تعالى وقد خلق الأرض في يومين وما ذكر؟ *والله أعلم*.[٧] والثاني أإنكم[٨] لتكفرون وتنكرون[٩] قدرته على البعث، وقد[١٠] خلق الأرض في يومين على بُعد أطرافها وسَعَتها، فكيف تُنكرون قدرته على البعث، وقد رأيتم قدرته على خلق ما ذكر؟ والثالث أإنكم لتكفرون نِعَمَه[١١] التي أنعمها عليكم من خلق ما ذكر من الأرض وغيرها وما أنعم عليكم من بعث الرسول عليه الصلاة والسلام، فكيف تصرفون شكرها إلى غير الذي لم يفعل ذلك بكم وتنكرون رسالة رسوله؟ ولا بد من رسول يُرسَل إليكم وذلك من أعظم النعم وأجلّها.

---

[١] ن – وقوله عز وجل قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين.
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٨.
[٣] ر ث م – كيف تكفرون وتنكرون وحدانية الله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم وما ذكر أي.
[٤] ر ث م – كيف.
[٥] جميع النسخ: في ابتدائه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨١ظ.
[٦] ر م: رسوله.
[٧] ر م – والله أعلم.
[٨] ر م: إنكم.
[٩] ن: وينكرون.
[١٠] ر: قد.
[١١] ر م + الله.

فيخرج تأويل الآية على هذه الوجوه التي ذكرنا: أحدها في إنكار وحدانية الله وألوهيّته، والثاني في إنكار قدرته على البعث، والثالث في إنكارهم رسالة الرسول وصرفهم شكر نعمه إلى غيره بعبادتهم غير الله.

ثم الحكمة في خلق الأرض وجَعْلِه الحدَّ الذي ذَكَر يومين، وإن كان قادرا على خلق كل شيء بلا تحديد[1] ولا توقيت، فقال بعضهم: فيه تعريفُه الخلق والتعليمُ لهم الأناةَ[2] في الأمور وترك الاستعجال فيها. والأصل في ذلك عندنا أن الله جل وعلا جعل أمر الدنيا وأمر هذا العالم على التجديد والتقليب من حال إلى حال، نحو ما ذكر من تقليبه وتغييره من حال النطفة إلى حال العلقة، ومن حال العلقة إلى حال المضغة، ومن حال المضغة إلى حال تركيب الجوارح، ثم إلى حال الإنسان، ثم من تلك الحال إلى أن يَكبُر، يُقلّبه من حال إلى حال أخرى.[3] وكذلك أمر الدنيا وما فيها من الفواكه والنبات وغير ذلك، يُنشئها ويُحدثها في كل عام، وإن كان لو شاء أحدثها في عام واحد أو في ساعة واحدة، وأبقاها إلى آخر الأبد. لكن لم يفعل ذلك، لما بنى أمر هذا العالم على الفناء والفساد، فيستدل بطَرَيان[4] هذه الأحوال عليها على أصل الوضع. ولذلك ركّب فيهم المرض والسَّقَم والسلامة والصحة، وبنى أمر الآخرة على البقاء والدوام، فعلى ذلك من التحديد والتوقيت في خلق الأرض. **والله أعلم**.[5] ويحتمل أن يقال: جعل ذلك على التحديد والتقدير لأنها دار محنة وابتلاء، والابتلاء إنما يقع على التوقيت والتقدير في أوقات متباينة وأسباب مختلفة. فأما الآخرة فلا محنة فيها ولا بَلِيّة، فهي على الدوام والبقاء، لذلك كان ما ذكر. **والله أعلم**.[6]

---

[1] ن: بلا تحذير.

[2] الأناة: التُّؤَدة. يقال: لا تُؤْنِ فُرصتَك أي لا تؤخرها إذا أمكَنَتْك. وكل شيء أخّرته فقد آنيْتَه. آناه يُؤنيه إيناء، أي أخّره وحبَسه وأبطأه؛ وتأنّى في الأمر أي ترَفّق وتَنَظّر. والاسم الأناة مثل قناة (*لسان العرب* «أني»).

[3] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من عَلَقة ثم من مُضْغَة مُخلّقة وغير مُخلّقة لنُبيّن لكم ونُقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نُخرجكم طفلا ثم لِتَبْلُغوا أَشُدّكم ومنكم من يُتَوَفّى ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلمَ من بعد علم شيئا﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥). وانظر أيضا: سورة المؤمن، ٤٠/٦٧.

[4] وطرأ علينا فلان، جاء من بعيد فُجَاءَةً من باب منع ومصدره الطُّرُوء... وأما الطَّرَيان فخطأ أصلا (*المغرب في ترتيب المعرب* للمطرزي، «طرأ»).

[5] ر م – والله أعلم.

[6] ر م – والله أعلم.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[١٠]

وقوله تعالى: **وجعل فيها رواسي من فوقها**، أي جعل في الأرض جبالا أرسى بها الأرض وأثبتها. لأنه ذُكِر أن الأرض كانت على الماء وكانت تميد[١] بأهلها، لكنه أرساها بالجبال وأقرّها بها.[٢] وفيه نوعُ وَهَاءٍ،[٣] لأنه معلوم أن الجبال التي أُثبت بها الأرضَ وأقرّها بها[٤] كانت تزيد في ثِقَل الأرض؛ فالسبيل فيه الترسّب[٥] في الماء والانحدار فيه، لا الإثبات بها والإقرار. لكنه جعل الجبال سبب إثبات الأرض وإقرارها تعليما منه الخلق تعليق الأشياء بعضِها ببعض، وتعليقها بالأسباب من غير أن يكون الأسباب معونة له على ذلك. ولو شاء أثبتها وأرساها بلا سبب ولا شيء علقه به، لكنه علق الأشياء بالأشياء والأسباب لما ذكرنا من تعليم الخلق[٦] تعليقَ الأشياء بالأسباب. *والله أعلم*.[٧]

وقوله عز وجل: **وبارك فيها**، يحتمل **وبارك فيها**، أي في الجبال، فقد جعل الله تعلى فيها البركات الكثيرة، منها المياه التي أُخرجت منها والعيون، ومنها الذهب والفضة وغيرهما،[٨] ومنها الثمار والأشجار التي يُنتفَع بها وأنواع النبات التي تصلح للأدوية وغير ذلك من المنافع التي يكثر عدّها وإحصاؤها. ويحتمل قوله: **وبارك فيها**، أي في الأرض، فقد جعل الله تعالى في الأرض البركاتِ الكثيرةَ من المياه التي تخرج منها وأنواع النبات والثمار وغير ذلك مما بها قوام[٩] الخلق جميعا وغذاؤهم من البشر والدواب. *والله أعلم*.[١٠] والبركة هي اسم كل خير[١١] يكون أبدا على الزيادة والنماء.

---

[١] أي تتمايل وتضطرب وتتحرك.

[٢] ث: وأقر بها.

[٣] الوهاء بالمد خطأ، وإنما هو الوَهْيُ مصدر وهي الْحَبْلُ يَهِي وَهْيًا إذا ضعف. (*المغرب في ترتيب المعرب* للمطرزي، «وهي»).

[٤] جميع النسخ: وأقر بها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٠ظ.

[٥] ر: الترتيب؛ ن هـ: الترب؛ ث: الترب. رَسَبَ الشيء في الماء يرسُب رُسُوبًا، ورَسُبَ: ذهب سُفْلاً (*لسان العرب* «رسب»).

[٦] ر ث م + تعليم.

[٧] ر م – والله أعلم.

[٨] ر م: وغيرها.

[٩] ن: قوله من.

[١٠] ث + وقوله عز وجل.

[١١] م: خير.

وقوله: **وقدّر فيها أقواتها في أربعةِ أيامٍ سواءً للسائلين**، أي قدّر في الأرض أقوات أهلها وأرزاقهم في أربعة أيام. **سواء للسائلين**، قال الزجاج: في قوله: **سواء للسائلين**، ثلاثُ لغات، بالنصب والرفع والخفض. فمن خفَضَه **سواءٍ للسائلين**، صيّره صفة ونعتا للأيام؛ كأنه قال: في أربعة أيام سواءٍ أي مستوياتٍ، ليس بعضها أطوَل من بعض. ومن قرأه[١] بالنصب **سواءً**، صيّره مصدرا، أي سواءً وتسويةً. ومن قرأه[٢] بالرفع صيّره على الابتداء؛[٣] يقول[٤] -والله أعلم-: أي ذلك الأقوات التي قدّرها سواءٌ للمحتاجين، أي كفاية لهم على قدر حاجتهم. ثم اختلف في قوله: **سواءً للسائلين**، عن ابن / عباس رضي الله عنه[٥] قال: من سأل عن ذلك وَجَدَه[٦] |٦٨٥ظ| كما قال الله تعالى؛ ويقول ابن عباس رضي الله عنه: وأنا من السائلين. فكان قول ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكرنا، أي كفايةً للسائلين المحتاجين على السواء. وقال بعضهم: عدلا للسائلين. والعدل يخرج على وجهين. أحدهما العدل الذي يناقض[٧] الجور،[٨] أي[٩] عدلا[١٠] للسائلين ليس بجور.[١١] والثاني عدلا للسائلين، أي سواءً، يقول لمن يسأل[١٢] الرزق من السائلين. وقال الحسن: في أربعة أيام سواءٍ لمن يسأل عن خلقه في أربعة أيام[١٣] للسائلين، أو كلام نحوه. وقال بعضهم: هو من مقاديم الكلام، يقول: قدّر فيها أقواتها سواءً في أربعة أيام للسائلين، تلك الأقواتُ والأرزاقُ سواءٌ. ***والله أعلم***.[١٤]

---

[١] ن ث: قرأ.

[٢] ن ث: قرأ.

[٣] انظر: *معاني القرآن وإعرابه* لأبي إسحاق الزجاج، ٤/٣٨١.

[٤] ن: تقول.

[٥] ث: رضي الله عنهما.

[٦] جميع النسخ: وحده. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ.

[٧] ن: تناقض.

[٨] ر: الجوار؛ ن: الجواري.

[٩] ن – أي.

[١٠] جميع النسخ: عدل.

[١١] ن – ليس بجور.

[١٢] ر ث م: يشاء.

[١٣] جميع النسخ – أيام. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٦٠ظ.

[١٤] انظر حول آراء وأقوال ابن عباس والحسن وغيرهما في تفسير هذه الآية: *تفسير الطبري*، ٢٠/٣٩٠؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٨/٣٩٥-٣٩٦.

ثم في هذا مسألتان. إحداهما في تكوين الخلق وإحداثه وما ذكر من تقدير[1] الأقوات في الأوقات. فعندنا أن الله تعالى لم يزل مكوِّنا محدِثا، وأن ما كان ويكون إلى آخر الأبد إنما يكون بتكوينٍ كان منه في الأزل[2] لا بتكوين يَحدُث منه في كل وقت [فيه] يَحدُث المكوَّنُ والخلقُ. والأصل في ذلك ما ذكرنا فيما تقدم أنه إذا أضيف الأوقات إلى فعله فيكون[3] التوقيت للخلق أعني المفعول لا لفعله، لما ذكرنا أنه لا حاجة تقع[4] له في المعونة بشيء مما ذُكر من التوقيت، وإنما ذُكر ذلك لئلا يُتوهَم قِدَم المفعول والخلق وليُعلم أنه مُحدَث. ومسألة أخرى في ذكر[5] التحديد والتوقيت في خلق ما ذكر لحكمة جعل[ها] في ذلك من غير أن يَصعُب عليه خلق ذلك في ساعة أو طرفة عينٍ. إذ المعنى الذي[6] في خلق ما ذَكَر في أيامٍ وأوقاتٍ ذلك في طرفة عين[7] موجود على السواء، وهو أن الله تعالى عالم بذاته قادر بذاته، له قدرة ذاتية وعلم ذاتي لا مستفاد. فالأوقات إنما يحتاج إليها من كان يعمل بقدرة مستفادة وعلم مستفاد استعانةً له بذلك. فأما الله سبحانه وتعالى [فـ]ما يكون منه إنما يكون بقدرة ذاتية وعلم ذاتي، لا حاجة تقع[8] له[9] إلى الاستعانة بشيء من ذلك، لذلك كان ما ذكرنا.

ثم قوله: **وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**، الأربعة[10] الأيام التي ذَكَر هي مع خلق الأرض: يومان لخلق الأرض ويومان[11] لتقدير الأقوات لأهلها[12] والأرزاق فيكون أربعة؛ ثم ذكر لخلق السماوات يومين، فإذا جُمِع يكون ستة أيام. وهو ما ذَكَر في آية أخرى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ،[13] فكان تمام ذلك في ستة أيام. وقد ذكرنا معنى ستة أيام في غير موضع.[14]

---

[1] ت: تقدر.

[2] جميع النسخ: في الأول. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ.

[3] جميع النسخ: فتكوين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٢ظ.

[4] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٢ظ.

[5] ن: في ذلك.

[6] جميع النسخ – الذي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ، ومن نسخة جار الله، ورقة ١٦١ظ.

[7] ر: وأوقات ذلك عين؛ م: أوقات ذلك غير.

[8] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٢ظ.

[9] جميع النسخ – له. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٦١ظ.

[10] م – الأربعة.

[11] جميع النسخ: يومين لخلق الأرض يومين.

[12] ن: لأجلها.

[13] ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٥٩).

[14] انظر مثلا: تفسير سورة الأعراف، ٧/٥٤، وسورة يونس، ١٠/٣.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [١١]

وقوله: **ثم استوى إلى السماء**، يخرج على وجهين. أي ثم استوت المنافع والأقوات التي قدّرها[1] في الأرض وجعلها معايش أهلها بالسماء؛ لأنه جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء، ما لولا السماء لم تستو[2] منافع الأرض وما قدّر لهم فيها. فبالسماء استوى ذلك لهم، أي تم بذلك. ***والله أعلم***.

والثاني قوله: **ثم استوى إلى السماء**، أي ثم استوى الهواء والجو الذي بين الأرض والسماء إلى السماء، ما لولا ذلك الهواء لم تستو؛ لأن السماء لو كانت ملتزقة بالأرض لا هواء بينهما لكانت لا تَخرُج ما جُعل في الأرض من الأقوات والمعايش، فبالهواء استوى ذلك. ***والله أعلم***.

ومنهم من يَصرف الاستواء إلى الله تعالى؛ ومعنى ذلك استوى أمره وملكُه بخلق السماء، أو استوى المقصود بخلق الأرض وأهلها وما فيها بخلق السماء. وأما التأويلان اللذان ذكرناهما يتوجهان إلى غير ذلك. أحدهما رجع إلى استواء الهواء، والثاني[3] إلى استواء ما جُعل في الأرض. وعلى هذا يخرج ما سُئِل ابن عباس رضي الله عنه عندنا، روي أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنه فقال: قرأتُ آيتين إحداهما تخالف[4] الأخرى. فقال له: مِن قِبَل رأيك أُتيتَ، ما هما؟ فقال ذلك السائل: قوله تعالى: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ،[5] إلى قوله: **ثم استوى إلى السماء**؛ وقوله تعالى: أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، إلى قوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا.[6] فمراد السائل أن ظاهر الآية الأولى أنه خلق الأرض في يومين قبل خلق السماء، وفي ظاهر الآية الثانية أنه خلق السماء ثم خلق الأرض. فقال ابن عباس رضي الله عنه: خلق الله تعالى الأرض قبل أن يخلق السماء فدحا الأرض بعد ما خلق السماء[7] -والله أعلم- أراد به بسط الأرض بعد خلق السماء، فأما خَلْقُ أصل الأرض [فهو] قبل خلق السماء. ***والله أعلم***.[8]

---

[1] م: قدر.

[2] جميع النسخ: لم يستو.

[3] ث - إلى استواء الهواء والثاني.

[4] جميع النسخ: يخالف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣و.

[5] الآية السابقة.

[6] ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها﴾ (سورة النازعات، ٧٩/٢٧-٣٠).

[7] انظر: *تفسير الطبري*، ١/٤٦٤.

[8] ر م - والله أعلم.

وعندنا أَنْ ليس في ظاهر[1] هاتين الآيتين مخالفة ولا فيه بيانُ أنه خلق الأرض قبل السماء، ولا هذا بعد هذا. لأنه ذكر هاهنا أنه خلق الأرض في يومين، ثم قال: **ثم استوى إلى السماء**، ذكر الاستواء إلى السماء،[2] وليس فيه[3] أنه خلقها بعد خلق الأرض، بل فيه إنما استوى إليها بعد خلقها، وليس فيه إثبات خلقها قبل ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **وهي دخان**، قال بعضهم: دل قوله: **وهي دخان**، على أنه كان هناك نار حتى خلق السماء بدخانها، لكن لا نعلم ذلك إلا بالسمع. ويحتمل أن يكون قوله: **وهي دخان**، أي شِبْهُ الدخان لا حقيقة الدخان، ومنه / خلق السماء والأرض. ***والله أعلم***.[4] [٦٨٦و]

وقوله عز وجل: **فقال لها وللأرض ائتِيا طَوعا أو كَرها قالتا أَتَيْنا طائعين**، قال بعضهم في قوله: **اِئْتِيا**، أَعْطِيا ما جُعِل فيكما من المنافع والأقوات طوعا[5] أو كرها. ثم اختلف فيه أنه على التكوين والتسخير[6] ما ذكر من الطَّوع والكَره أو على حقيقة القول والأمر في ذلك. قال بعضهم: ذلك على التكوين والتسخير خِلْقَةً،[7] أي أنشأهما وخلقهما[8] على إخراج ما فيهما من المنافع والأقوات والأرزاق التي جعل فيهما. وكذلك ما ذكر من الطوع والكره لا قولا منه لهما وأمرا، لكنه طبَعهما وأنشأهما كذلك. وقال بعضهم: ذلك[9] على حقيقة القول والأمر منه لهما، نحو ما ذكر لكل شيء من الجبال وغيرها أنه يُسبّح لله تعالى على الوجهين ولكن[10] بشرط[11] خلق الحياة التي[12] لا بد منها للنطق والسماء، فعلى ذلك هاهنا. ***والله أعلم***.[13]

---

[1] ر م: ليس ظاهر.

[2] م – ذكر الاستواء إلى السماء.

[3] ر م: وليس منه.

[4] ر م – والله أعلم.

[5] م – طوعا.

[6] ث + خلقة أي أنشأهما.

[7] جميع النسخ: خلقه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣و.

[8] ن: وخلقها.

[9] ر م – وقال بعضهم ذلك.

[10] ر م: لكن.

[11] ر م: شرط.

[12] ن + هي.

[13] ر م – والله أعلم.

وقال بعضهم في قوله: **ائْتِيا طوعا أو كرها**، أي ائتِيا عبادتي ومعرفتي؛ وذلك أن الله تعالى حين خلقهما عَرَض عليهما الطاعة والشهوة واللذات على الثواب والعقاب، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا،[1] الآية، فهذا الإباء والإعطاء[2] هو إعطاء الخلقة والتكوين على ما ذكرنا.[3] ***والله أعلم.***[4]

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فقضاهن سبع سماوات في يومين**، أي خلقهن في يومين. هو موصول بقوله: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وكذلك بقوله[5] تعالى: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ،[6] وقد ذكرنا الوجوه في ذلك. ثم الأعْجُوبة في خلق السماوات ورفعها[7] أعظم وأكبر من خلق الأرض؛ وقد ذكر في خلق السماوات من الوقت مثل الوقت الذي ذكر في الأرض وهو يومان، ليعلم أن الوقت الذي ذكر في ذلك ليس لما يتعذّر عليه ذلك ويَصعُب بدون ذلك الوقت، ولكن لحكمة جعل في ذلك لم يُطْلِع الخلقَ على ذلك، أو كانت الحكمة فيه ما ذكرنا. ***والله أعلم.***[8]

وقوله: **وأوحى في كل سماء أمرها**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: أنشأ وجعل في كل سماء أهلها،[9] وهم الملائكة الذين جعلهم أهلا لها. وقال قائلون: أي أَمَرَ كل أهل سماء أَمْرَها وامتحنهم بمحنة. وقال بعضهم: هو مما أمر به وأراد، وهما واحد. ***والله أعلم.***[10]

وقوله: **وزينا السماء الدنيا بمصابيح**، أي بالكواكب. وقوله: **وزينا السماء الدنيا**، التي دنت منكم هي مقابلُ القصوى، من الدُنُوّ. ليس أن هذه السماء التي نراها ونشاهدها

---

[1] ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٧٢).

[2] ر م - والإعطاء.

[3] أي في سورة الأحزاب.

[4] ر م - والله أعلم.

[5] جميع النسخ: قوله.

[6] الآيتين السابقتين برقم ٩ و١٠.

[7] ر: ورفعهما.

[8] ر م - والله أعلم.

[9] جميع النسخ - قال بعضهم أنشأ وجعل في كل سماء أهلها؛ والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣و.

[10] ر م - والله أعلم.

مزيَّنةً بالكواكب -هي سماءُ الدنيا- فانيةٌ، وغيرها من السماء الآخرة لا تَفْنَى،[1] بل كلها يَفْنَى يعني هذه وغيرها بقوله: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[2] وقوله: وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ،[3] فهن[4] كلهن دنيويات[5] فانيات. دل أن قوله: **وزيّنا السماء الدنيا**، أي التي دنت منكم وهي مقابل القُصْوى، لا مقابل الآخرة. *والله أعلم*.

وقوله: **وحفظا**، يحتمل وجهين. أحدهما أي حفظناها وجعلناها محفوظة بما ذكَر من أن تَستَرِقَ[6] الشياطين والجن أسماعَهم إلى خبر السماء، وما يتحدَث به الملائكة فيما بينهم، فيُلقون ذلك على أسماع[7] أهل الأرض على ما كانوا يفعلون من قبل. أي حفظناها بالكواكب التي جعل فيها لتَرمِيهم الكواكبُ وتَقذِفهم ليكون سماع ذلك من جهة الوحي عن لسان الرسول صلى الله عليه وسلم دون إلقاء مَن ذكَر، وهو كما ذكر في آية أخرى، حيث قال: إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى [وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ]،[8] الآية. ويحتمل وجها آخر: **وحفظا**، أي حفظناها على ما هي، حتى لا يَسقُط على الخلق، كقوله: إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا،[9] وقوله تعالى: وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ [إِلَّا بِإِذْنِهِ]،[10] ونحوه. *والله أعلم*.[11]

وقوله:[12] **ذلك تقدير العزيز العليم**، يقول: ذلك الذي ذكر كلُّه وصَنَع هو **تقدير العزيز العليم**، أي تقدير من لا يُعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء. ويحتمل قوله: **ذلك تقدير العزيز العليم**، أي تقدير من له العز الذاتي والعلم الأزلي، لا أنه قدر ذلك وصنع ليستفيد بذلك العز أو العلمَ، إذ هو عزيز بذاته وعليم بذاته. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لا يفنى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣ظ.
[2] ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماواتُ وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٨/١٤).
[3] ﴿وما قَدَرُوا الله حق قَدْرِه والأرضُ جميعا قَبْضَتُه يومَ القيامة والسماوات مَطْوِيَّاتٌ بيمينه﴾ (سورة الزمر، ٦٧/٣٩).
[4] ر ث م: فهو.
[5] ن: دنياويات.
[6] جميع النسخ: يسترق. والاستِراق: الخَتْل سِرًّا كالذي يستمع (*لسان العرب*، «سرق»).
[7] ر م: سماع.
[8] سورة الصفات، ٣٧/٦-٨.
[9] سورة فاطر، ٤١/٣٥.
[10] سورة الحج، ٦٥/٢٢.
[11] ر م - والله أعلم.
[12] م: وكقوله.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[١٣]

وقوله سبحانه وتعالى: **فإن أعرَضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**،[١] كانوا يُعرضون مرة عن الإيمان والتوحيد له، ومرة يعرضون عن الإيمان بالبعث، ومرة يعرضون عن الإيمان بالرسول، فيكون حاصل قوله: **فإن أعرضوا**، عن الإجابة لما دُعُوا إليه والإقرار به -إذ ما دُعُوا إليه مختلف- فقُل: أنذرتُكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود،[٢] دل قوله: **أنذرتُكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**، أن صاعقة عادٍ وثمودَ[٣] كانت معروفة عندهم ظاهرة أنها نزلت بهم لتكذيبهم الرسل وتركهم إجابتهم إلى ما دُعُوا إليه، حيث خوّف هؤلاء بذلك، كأنه يقول: أنذرتكم بتكذيبكم إياي وترككم إجابتي إلى ما دعوتكم إليه بالذي نزل بعاد وثمود بتكذيبهم[٤] الرسول الذي أُرسِل إليهم وتَرْكِهم الإجابة إلى ما دُعُوا إليه. ***والله أعلم.***

وقوله:[٥] **صاعقةً مثلَ صاعقة عاد وثمود**، لم يُرِد به عين عذاب أولئك ومثله في رأى العين، ولكن مثلَه في الهلاك والاستئصال. ألا ترى أن عذاب عاد وثمود كان مختلفا[٦] في رأي العين، عذابُ عادٍ خلاف عذاب ثمود، لكن[٧] هما / في المعنى واحد. فعلى ذلك ما أوعد هؤلاء [٦٨٦ظ] بمثل عذاب عاد وثمود لم يُرِد مثله في رأى العين، ولكن في المعنى. وهو كما ذكَرَ في قوله:[٨] تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ،[٩] وقوله: يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ،[١٠] لم يُرِد التشابه والمضاهاة على أن نفس القول منهم وعينَ[١١] الكلام كان واحدا. بل كان سبب كفرهم مختلفا؛

---

[١] ر ث م + كانت معروفة عندهم ظاهرة.

[٢] جميع النسخ – كانوا يعرضون مرة عن الإيمان والتوحيد له ومرة يعرضون عن الإيمان بالبعث ومرة يعرضون عن الإيمان بالرسول فيكون حاصل قوله فإن أعرضوا عن الإجابة لما دعوا إليه والإقرار به إذ ما دعوا إليه مختلف فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٣ظ.

[٣] رث م – وثمود.

[٤] ر م: وتكذيبهم؛ ث: وبتكذيبهم.

[٥] ن: ثم قوله.

[٦] م: ألا ترى أن عذاب عاد وثمود مختلفا؛ ن: ألا يرى أن عذاب عاد وثمود كان مختلفا.

[٧] ر ث م – لكن.

[٨] ن: من قوله.

[٩] ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٨).

[١٠] ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[١١] جميع النسخ: وعن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦ (هكذا في جار الله)، ورقة ٨٣ظ.

وقول هؤلاء خلاف قول أولئك، وما كان من هذا الفريق خلاف ما كان من الفريق الآخر. لكن لَمّا كان التكذيب من هؤلاء له كالتكذيب من أولئك، والردُّ له من هؤلاء كهو من أولئك في أنْ كان كفرا واحدا سواءً، فمن هذه الجهة وصَف قلوبَهم بالتشابه وأقوالهم بالمضاهاة. وهذا يدل على أن الاستواء من جهة واحدة يوجب التشابه والتماثل. *والله أعلم*.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله**، هذا يحتمل وجوها. أحدها إذ[١] جاءتهم الرسل بنبإ من كان قبلهم[٢] ونبأ من كان بعدهم أنهم جميعا قالوا لقومهم: أن لا تعبدوا إلا الله. والثاني أي[٣] **إذ جاءتهم الرسل** بالوعيد والتخويف بعذاب ينزل بهم، **من بين أيديهم**، أي من حيث يرونه ويعلمونه؛ **ومن خلفهم**، أي من حيث لا يرونه ولا يعلمونه.[٤] وهو كقوله عز وجل: أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ،[٥] ونحوه. وقيل: يبعث الله الرسل قبلهم وبعدهم بالذي ذكر، وهو الدعاء إلى توحيد الله وجَعْلِ العبادة له. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون**، هذا القول منهم يناقض[٦] قولهم وتكذيبهم الرسلَ وإنكارهم رسالة البشر وطمعَهم رسالة الملائكة. لأنهم ما عرَفوا الملائكة ولا عاينوهم،[٧] فإنما عرَفوا الملائكة وعلموا بمكانهم برسل البشر، فكيف أنكروا رسالتهم مع ما لو كان الرسل إليهم الملائكةَ لم يعرفوا أنهم[٨] ملائكة إلا بقولهم، لما لم يتقدم لهم المعرفة بالملائكة، فهذا يناقض إنكارهم الرسل من البشر. والثاني ما قالوا: **إنا بما أرسلتم به كافرون**، قد أقرّوا رسالتهم، حيث قالوا: **إنا بما أرسلتم به كافرون**،

---

[١] ر م: إذا.
[٢] ر م - قبلهم.
[٣] ر م - أي.
[٤] ر م: ولا يعلمون.
[٥] سورة الأعراف، ٧/٩٧-٩٨.
[٦] ن: تناقض.
[٧] ر م: ولا عاينوا.
[٨] ث: أنتم.

لأنهم لم يقولوا: إنا بما جئتم به إلينا كافرون، ولكن قالوا: **إنا بما أرسلتم**، فذلك مما يناقض[١] قولهم ويرُدّ تكذيبهم. وإنما قالوا ذلك، أعني قولهم: لو شاء الله لأنزل ملائكة، تعنتا منهم وعنادا، وإلا قد علموا أنهم[٢] رسل الله، فيُناقِضون بما قالوا على التعنت منهم. ***والله أعلم***.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[١٥]

وقوله: **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا مَن أشَدّ منا قوةً**، جائز أن يكون استكبارهم في الأرض بغير الحق على أهل الأرض بما ذُكروا من فضل القوة لهم وشدّتها من بين غيرهم، كقوله تعالى: وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ،[٣] فيهم[٤] ذِكْرُ[٥] ذلك. فجائز أن يكون استكبارهم على أهل الأرض بغير الحق لشدة بَطْشهم وقوتهم على غيرهم. ***والله أعلم***.[٦] ويشبه أن يكون استكبارهم على الرسل[٧] وأَتْباع الرّسل، فلم يَرَوْا أنفسهم أن يجعلوها تحت تدبير الرسل وأمرِهم وأن يخضعوا لهم ويستسلموا لِما دَعَوْهم إليه وقالوا: من أشد منا قوة. ثم قال الله: **أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة**. هذا استفهام على طريق التقرير؛ معناه قد رَأوْا وعلموا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم[٨] قوة، والرسل عليهم السلام لم يكونوا يوعدونهم ويُخوّفونهم بقُوى أنفسهم ولا بعذاب يكون منهم حتى قالوا: مَنْ أشَدّ منا قوة، ولكن إنما كانوا يوعدونهم ويُخوّفونهم بعذاب ينزل من عند الله؛ وبقوته وسلطانه يوعدونهم، وقد عرفوا قوته وسلطانه. لذلك قال: **أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة**.

وقوله: **وكانوا بآياتنا يجحدون**، دل هذا على أنهم قد كذّبوا هودا وأنكروا آياته، وذلك قولهم: يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ،[٩] وأنه قد أتاهم بآيات رسالته.

---

[١] ن: تناقض.
[٢] ث + أنهم.
[٣] سورة الشعراء، ١٣٠/٢٦.
[٤] ر ث م: فهم.
[٥] ث: ذكروا.
[٦] ر م – والله أعلم.
[٧] ر م – على الرسل.
[٨] ر م – منهم.
[٩] ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ (سورة هود، ٥٣/١١).

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾[١٦]

وقوله: **فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا**، ذكر ما[١] أهلكهم من العذاب وهو الريح الصرصر، أي[٢] الباردة، كذا[٣] قال أبو عَوْسَجة. وقوله: **في أيام نَحِسَاتٍ**، وهو ما ذكر في سورة الحاقة، حيث قال: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا؛[٤] وقال في موضع آخر: فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ.[٥] ثم اختلف في تأويلها؛ قال بعضهم: **نحساتٍ**، مَشئومات نكِدات،[٦] وهذا[٧] قول القُتَبِي.[٨] وقال بعضهم: **نحسات**، أي شِدَاد. وقيل: **نحسات**، من النَّحْس؛ يقال: نَحِس يومنا،[٩] والنَّحْس الغُبار في الأصل.[١٠]

وقوله: **لِنُذِيقَهم عذابَ الخزي في الحياة الدنيا**، أي عذابا يُذِلّهم ويَفْضَحهم عند الخلق جميعا. وقوله: **ولعذاب الآخرة أخزى**، أخبر أن عذاب الآخرة[١١] عليهم أذل وأفضح وأشد من عذاب الدنيا. وقوله: **وهم لا ينصرون**، يحتمل لا يُنصَرون[١٢] بقوتهم[١٣] التي كانت لهم، واعتمدوا عليها بقولهم:[١٤] مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[١٥] ويحتمل **لا يُنصَرون**،[١٦] بالأصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم والشفاعة.

---

[١] ر م: ذكرها.

[٢] ر م - أي.

[٣] ن: وكذا.

[٤] ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صَرْعَى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٦-٧).

[٥] ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١٩).

[٦] ر م: نكرات.

[٧] ن: وهو.

[٨] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٨.

[٩] ر م: مؤمنا.

[١٠] النَّحْسُ: الغُبار. يقال: هاج النَّحْسُ أي الغبار. وقيل: النحس الريح ذات الغبار، وقيل: الريح أيًّا كانت (*لسان العرب* «نحس»).

[١١] ر م - أخبر أن عذاب الآخرة.

[١٢] ن: لا يبصرون.

[١٣] ن: لقوتهم.

[١٤] ر ن م: واعتمدت عليهم بقوتهم؛ ث: واعتمدت عليهم بقولهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ.

[١٥] الآية السابقة.

[١٦] ن: لا يبصرون.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٧]

وقوله: **وأما ثمود فهديناهم**، يحتمل ما ذكر من الهداية لهم حقيقة / الهدى، وهو التوفيق، [٦٨٧و] وحقيقة خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين. وهو ما سألوا من الآية وهي الناقة، فلما أتاهم بالناقة[١] على ما سألوا آمنوا به وصدقوه، ثم كفروا به بعد ذلك وكذبوه وعقروا الناقة على ما ذكر. *والله أعلم*.[٢] ويحتمل قوله: **فهديناهم**، أي بيّنّا لهم غاية ما يتبين[٣] [به] الحق من الباطل بما يعرفه كل ذي لب وعقل أنها آية وأنها من الله تعالى حيث جاء بهم[٤] الآية التي سألوها على الإشارة والتعيين وهي الناقة. *والله أعلم*.[٥]

وقوله: **فاستحبوا العمى على الهدى**، أي اختاروا الكفر على الهدى واختاروا ما به يَعْمَوْن على ما يُبيِّن لهم. ثم أخبر عما نزل بهم من العذاب باختيارهم العمى على الهدى، وهو ما قال:[٦] **فأخذتهم صاعقة العذاب الهون**، أي عذابٍ يُهانُون فيه، وهو من الهوان والإذلال. وكل عذاب الله صاعقة.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[١٨]

وقوله: **ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**، أي أنجينا[٧] الذين اختاروا الهدى على العمى، وكانوا يتقون اختيارَ العمى على الهدى.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١٩]

وقوله: **ويوم يحشر أعداء الله إلى النار**، أي يجمع، والحشر الجمع؛ يُجمعون، ثم[٨] يُجعلون في النار، وهو كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ.[٩]

---

[١] ر م – بالناقة.
[٢] ر م – والله أعلم.
[٣] جميع النسخ: ما يبين.
[٤] ن: جائتهم.
[٥] ر م – والله أعلم.
[٦] ر: وهو قال.
[٧] م: نجينا.
[٨] ر م – يجمعون ثم.
[٩] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣).

وقوله: **فهم يوزعون**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: **يوزعون**،[1] أي يساقون، كقوله تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا.[2] وقال بعضهم: **يوزعون**، أي يُدفعون، كقوله تعالى: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا،[3] يدفعون فيها دفعا،[4] والوَزْع الدفع. وقال بعضهم: **يوزعون**، أي يُحبَسون، أي يُحبَس أوّلُهم على آخِرهم، حتى إذا اجتمعوا جميعا فعند ذلك يُجعَلون في النار، كقوله تعالى: لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ،[5] الآية.

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢٠]

وقوله عز وجل: **حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**، كأنهم يوقَفون ويحبَسون في مكان يعاينون[6] النار فيُسألون عما كانوا يعملون. وهو كقوله تعالى: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ.[7] فينكرون ما كان منهم، كقوله تعالى: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[8] وقوله: بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا.[9] فعند ذلك يُنطِق الله جوارحَهم فتشهد[10] عليهم بما عملوا وما كان منهم، وهو قوله: **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**. وقال بعضهم: **جلودهم**، كناية عن الفروج، وهو قول الحسن.[11]

---

[1] ر م – اختلف في تأويله قال بعضهم يوزعون.

[2] سورة الزمر، ٧١/٣٩.

[3] سورة الطور، ١٣/٥٢.

[4] ر م – يدفعون فيها دفعا.

[5] ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعلَ الخبيث بعضَه على بعض فيَرْكُمَهُ جميعا فيجعلَه في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ (سورة الأنفال، ٣٧/٨).

[6] ر: فيعاتبون؛ ن ث م: فيعاينون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ.

[7] سورة الصافات، ٢٤/٣٧.

[8] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).

[9] ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل﴾ (سورة المؤمن، ٧٣/٤٠-٧٤).

[10] جميع النسخ: فيشهد.

[11] ذكر الطبري هذا القول وروى في الآية روايتين؛ إحداها قول عبيد الله بن أبي جعفر، والأخرى حديث مرفوع؛ ولم يسند الطبري القول إلى الحسن، ثم انتقد هذا القول. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٠٦/٢٠؛ والقرطبي أيضا يسند هذا القول إلى عبيد الله بن أبي جعفر والسدي والفراء. انظر: *الجامع لأحكام القرآن*، ٤٠٥/١٨؛ وانظر أيضا: *معاني القرآن* للفراء، ١٦/٣.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢١]

وقوله: **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**، أي أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء[١] يَنطِق، إذ لا[٢] كل شيء يَنطِق؛ ذكروا كل شيء وأرادوا به الخاصّ لا العامّ. *والله أعلم*. وكأن غير هذا أقرب، يقولون: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء به[٣] يعصون الله تعالى، وهو ما يُنطِق الله الأشياء التي بها عصوا ربهم، وهي الأصنام التي عبدوها وغيرُها مما عبدوا دون الله، كقوله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ،[٤] الآية، وقوله: وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ،[٥] وما ذكر من أخبار الأرض وحديثها بما عملوا عليها بقوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[٦] وغير ذلك من الآيات التي فيها بيان أنه يُنطِق الله تعالى الأشياء التي عبدوها وعصوا بها ربهم. فعلى ذلك يُنطِق الله الجوارح التي عصوا بها ربهم فتشهد[٧] عليهم بجميع ما كان منهم. *والله أعلم*.[٨]

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢٢]

وقوله: **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: أي ما كنتم تعلمون وتستيقنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. وقال بعضهم: وما كنتم تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون.[٩]

---

[١] جميع النسخ – أي أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ.

[٢] ر: ذلا.

[٣] ر م – به.

[٤] ﴿ويومَ يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/ ١٧-١٨).

[٥] ﴿ويومَ نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيّلْنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨-٢٩).

[٦] سورة الزلزال، ٩٩/٤.

[٧] جميع النسخ: فيشهد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ.

[٨] ر م – والله أعلم.

[٩] جميع النسخ – وقال بعضهم وما كنتم تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٤ظ-٨٥و.

الظن هاهنا على هذا التأويل حقيقةُ الظن أو الجهلُ، أي ولكن جهلتم [وقلتم] أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. فإن كان[1] تأويل الآية ما ذكر هؤلاء ففيه دلالة أن العذاب قد يلزم ويجب وإن جهل ذلك ولم يتحقق عنده العلم به إذا كان بحيثُ إمكانُ الوصول إلى علم ذلك ومعرفته بالنظر والتأمل والتفكر أو[2] بغير ذلك من الأسباب، لكنه ترك التأمل فيه فلم يعلم ذلك فلم يُعذَر بجهله. وهكذا الحكم أنّ من مُكِّن له العلم وأسبابُ المعرفة فلم يتكلف معرفته لم يُعذَر في جهله. ولهذا قال أبو حنيفة في الأطفال: «أن لا علم لي لهم»، لما لا يُعْلَم أنهم قد بلغوا المبلغ الذي يدركون الأشياء بالتأمل والتفكر أم لا. وقال بعضهم: **وما كنتم تستترون**، أي كنتم لا تقدرون أن تستتروا من سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، فأَحَدٌ لا يستطيع أن يستتر من نفسه إذا عمل شيئا. فذلك ظنكم أنْ ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون في السر.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٣]

وقوله: **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم**، أي وذلكم ظنكم حملكم على ما صنعتم[3] بأن الله تعالى لا يعلم ذلك، وهو لا يخفى عليه خافية. فظنكم ذلك **أرداكم**، أي أغواكم وأضلّكم عن الهدى. ***والله أعلم***.[4] وقال قتادة: يا ابن آدم! إن عليك لَشهودا غيرَ مُتَّهَمَة مِن بدنك،[5] فراقِبهم واتّق الله في سرّ أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية. ومن استطاع أن يموت وهو بالله حَسَن الظن فليفعل، ولا قوة إلا بالله.[6] ثم قال: الظن ظنان، ظنٌ مُنجٍ / وظن مُردٍ.[7] فأما المُنجي فقوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾،[8] الآية، وما قال: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.[9] وأما الظن المُردي فقوله: [٦٨٧ظ]

---

[1] جميع النسخ: فلو كان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٥و.

[2] ر م - أو.

[3] جميع النسخ: وذلكم جهلكم على ما صنعتم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٥ظ.

[4] ر م - والله أعلم.

[5] ر ث م: من يديك.

[6] انظر لهذه الرواية المنسوبة إلى قتادة: *تفسير ابن كثير*، ٢٠٢/١٠.

[7] جميع النسخ: ظن منجي وظن مردي.

[8] ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ (سورة البقرة، ٤٥/٢-٤٦).

[9] ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ (سورة الحاقة، ١٩/٦٩-٢٠).

وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم، وقوله: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا،[١] ونحوه.[٢] وذُكِر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويحدّث ذلك عن ربه تعالى: «عبدي أنا عند ظنك بي وأنا معك إذا دعوتني».[٣] وقال الحسن: إنما عمِل الناس على قدر ظنونهم بربهم. فأما المؤمن فأحسن بربه الظن فأحسن العمل. وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن فأساءا[٤] العمل، ثم تلا قوله عز وجل: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ،[٥] الآية. وقال: الجلود كناية عن الفروج.[٦] وفي حرف حفصة رضي الله عنها: وَمَا كُنْتُمْ تَخْشَوْنَ. وفي حرف أُبَيّ وابن مسعود رضي الله عنهما: وَلٰكِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَذَا. وكذلك في حرفهما: فَذٰلِكُمْ زَعْمُكُمُ الَّذِي زَعَمْتُمْ.[٧] والزَّعم في كلام العرب الكذب، وفيه يستعمل. وقوله تعالى: **أرداكم**، قال بعضهم: أهلككم، والرَّدَى الهلاك. وقيل: أَوْرَدَكم[٨] المهالك. ويحتمل **أرداكم**، أي أغواكم وأضلّكم على ما ذكرنا.

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾[٢٤]

وقوله **فإن يصبروا فالنار مثوى لهم**، هذا يخرج على الوجهين. أحدهما أي فإن يصبروا[٩] على ما هم عليه من الأعمال إلى أن خُتِموا به، **فالنار مثوى لهم** في الآخرة. والثاني أي فإن يصبروا[١٠] في الآخرة في النار[١١] **فالنار مثوى لهم**، أي لا ينفعهم الصبر على ذلك، ولا يكون الصبر سبب الفَرَج عن ذلك؛ وهو كقوله سبحانه وتعالى خبرا عنهم: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ.[١٢] فيكون أحد التأويلين في الدنيا والثاني في الآخرة.

---

[١] ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٣٢).

[٢] ر م + قال. انظر للقطعة الأخيرة من الرواية المنسوبة إلى قتادة: *تفسير الطبري*، ٢٠/٤١٤.

[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...» *صحيح البخاري*، التوحيد ١٥؛ وصحيح *مسلم*، التوبة ١؛ واللفظ للبخاري.

[٤] ر م: فأساء الظن فأساء.

[٥] الآية السابقة.

[٦] *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٠٦؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٨/٤٠٥.

[٧] لم أجده في المراجع.

[٨] جميع النسخ: أورد. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.

[٩] جميع النسخ: فإن تصبروا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.

[١٠] جميع النسخ: فإن تصبروا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٥و.

[١١] ر م – في النار.

[١٢] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.

وقوله: **وإن يستعتبوا فما هم من المعتَبين**، معناه -والله أعلم- وإن يستقيلوا[1] ما كان منهم فما هم[2] من المُقالين، أي لا يقال[3] ذلك منهم ولا يرضى[4] عنهم وإن استرضَوا.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[٢٥]

وقوله: **وقيضنا لهم قرناء**، [هو] كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا،[5] الآية. ثم اختلف في قوله: **وقيضنا**. قال بعضهم: هيّأنا[6] لهم في الدنيا قرناء[7] من الشياطين وغيرهم. وقال بعضهم أي مكّنّا للشياطين حتى تَقذِفوا[8] في قلوبهم من الوساوس وغيرها، أو كلام نحوه. وقال بعضهم: أي خلَّينا بينهم وبين الشياطين حتى عملوا[9] بهم ما ذكر.

وقوله عز وجل: **فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم**. اختلف في قوله: **ما بين أيديهم وما خلفهم**. قال بعضهم: **فزينوا لهم ما بين أيديهم**، أي حسّنوا لهم التكذيب بالآخرة والحساب والثواب والعقاب، أي ليس ذلك. وقوله عز وجل: **وما خلفهم**، أي حسّنوا لهم أمر الدنيا وأنها دائمة باقية. وقيل: **ما بين أيديهم**، أي ما عملوا، **وما خلفهم**، أي وما يريدون أن يعملوا من بعدُ. والثالث **ما بين أيديهم**، ما عملوا بأنفسهم، **وما خلفهم**، ما سَنُّوا لغيرهم من بعدهم، كقوله تعالى: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ.[10] *والله أعلم.*

---

[1] ر: وإن تستقيلوا؛ ن ث: وإن يستقبلوا؛ م: وإن تستقبلوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و. وهو من الإقالة وتكون الإقالة في البيعة والعهد. ويقال: أقال فلانا عَثْرته بمعنى الصفح عنه. والإستقالة: طلب الإقالة (*لسان العرب* «قيل»). قال القرطبي: وفي التفاسير: وإن يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين...أي إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله من الشقاء. *الجامع لأحكام القرآن*، ٤١١/١٨.

[2] ن – فما هم.

[3] ر ث م: أثقال.

[4] جميع النسخ: ولا يرض. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.

[5] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.

[6] ث: يقذفوا.

[7] جميع النسخ: قوما. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥و.

[8] ن ث: هيأ.

[9] جميع النسخ: علموا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٥ظ.

[10] سورة الانفطار، ٥/٨٢.

وقوله عز وجل: **وحق عليهم القول**،[1] يحتمل وجب عليهم القول بالعذاب والسخط. وقوله: **في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس**، أي مع أمم، وذلك جائز. وقوله: **قد خلت من قبلهم**، أي من قبل هؤلاء من الإنس والجن من الأمم الخالية أنهم كانوا خاسرين.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**، أي لا تسمعوا أنتم بأنفسكم. **والغوا فيه**، لئلا[2] تُسمَع[3] منه قراءته ولا صوته. دل هذا القول على أنهم قد عرفوا أنه حجة، وأنه[4] من عند الله جاء، وأن من سمع ذلك أذعن له وأطاع[5] إذا لم يكابر عقلَه. ولهذا قالوا: **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**، لئلا يَذْعَنَ ولا يُطاعَ، **لعلكم تغلبون**. وقال بعضهم: قوله: **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**، بالمُكَاء والتصدية. وكانوا يفعلون ذلك لِيَخلِطوا عليه صلاته وقراءته، **لعلكم تغلبون**،[6] بالمكاء والتصدية، كقوله عز وجل:[7] وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً.[8]

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون**، أي نذيقنّ[9] الذين كفروا وداموا على الكفر حتى ماتوا على ذلك. فأما من كفر في وقت ثم ترك ذلك وأسلم فليس له ذلك. ثم من الناس من يقول: إن قوله عز وجل: **فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا**، أراد به في الدنيا. وقوله: **ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون**، في الآخرة، يجعل أحد العذابين في الدنيا والآخر في الآخرة.[10] وجائز أن يكون كله في الآخرة.

---

[1] جميع النسخ: وحق الحق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥ظ.

[2] ث: حتى لا.

[3] ر ث م: يسمع.

[4] ن: وآية.

[5] ر ث م: أطاع.

[6] جميع النسخ – تغلبون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥ظ.

[7] جميع النسخ: لقولهم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٦ظ.

[8] سورة الأنفال، ٣٥/٨.

[9] ر م: يذيقن.

[10] ر م: في الدنيا الآخرة.

ثم دل قوله: **ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون**، أي لهم محاسن في الدنيا، لكن تلك المحاسن تبطل،[1] ولا يُجزَون بها شيئا، وإنما يُجزون على المَساوِئ التي عملوها في الدنيا. لأن المحاسن إنما تثبت وتبقى[2] ويُستوجب[3] بها الجزاء إذا أَتوا بالإيمان والتوحيد؛ فأما إذا لم يأتوا به لم ينتفعوا بتلك المحاسن و لم يُجزَوا بها. وقد ذكر للمؤمنين مقابل ذلك: أن يُكَفَّر عنهم سيئاتهم ويُجزَوا[4] بأحسن ما كانوا / يعملون، وهو قوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،[5] وقوله: لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[6] وَعَد للمؤمنين تكفير المَساوِئ التي عملوها في الدنيا والجزاءَ لهم بالمحاسن التي عملوها، ووعد للكافرين إسقاط محاسنهم والجزاءَ على مَساوِئهم لما لم يأتوا بالإيمان. ***والله أعلم.***

[٦٨٨و]

﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ذلك جزاء أعداء اللهِ النارُ**، هذا يدل على أن ذلك في الآخرة. وقوله: **لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون**،[7] قوله: **دار الخلد**، أي دار البقاء يبقَون فيها أبدا، فيكون اسما للجنة كلها.[8] ويحتمل أن يكون في الجنة دار أو موضع يسمى دار الخلد، فيكون اسم موضع خاص. ***والله أعلم.***

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين**، قال بعضهم: الذي أضلهم من الجن هو إبليس، لأنه أول من عصى الله تعالى وسَنَّ لهم ذلك. ومن الإنس ولد آدم الذي قتل أخاه، لأنه أول من سَنَّ القتل.

---

[1] ن ث: يبطل.

[2] ن: يثبت ويبقى.

[3] ر ث م: وتستوجب.

[4] ث: ويجزون.

[5] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.

[6] سورة الزمر، ٣٥/٣٩.

[7] جميع النسخ: جزاء بما كانوا يعملون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٥ظ.

[8] ر ث م – كلها.

ولكن عندنا أنهم سألوا أن يُرِيَهم الذي أضلّهم: كلَّ جنيّ يُوسوس ويَقذِف في قلوبهم الوَساوِس والمَساوِئ، وكلَّ إنسيّ يدعوهم ظاهرا إلى الضلال. وهكذا كل ضالّ وكافر، إنما كان ذلك الضلال والكفر لِوَساوِسَ من جنيّ أو تلقين من إنسي بلسانه. سألوا الله تعالى أن يجعلهم ظاهرين، فيجعلوهم تحت أقدامهم لما يكون العذاب في كل ما كان أسفلَ أشدّ، لذلك سألوا ذلك. وهو ما سألوا ربهم زيادة العذاب لهم في آية أخرى حيث قال:[1] [حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا] قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[2] وقوله: فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،[3] فعلى ذلك سؤال هؤلاء. *والله أعلم*.[4]

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[5] لما نزلت هذه الآية قال: «أمتي أمتي، لأن اليهود قالوا: ربنا الله، ثم قالوا: عزير ابن الله، وأن النصارى قالوا: ربنا الله، ثم قالوا: المسيح ابن الله، وإن أمتي قالوا: ربنا الله ولم يشركوا به أحدا». وكذلك روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه[6] قال: **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**، قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئا.[7] فإن ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو تفسير الاستقامة التي ذَكَر. *والله أعلم*. وقال بعضهم: أي قالوا ربنا الله ثم استقاموا في إخلاص العمل له والقيام بذلك، وقال بعضهم: ثم استقاموا على أداء الفرائض والشرائع والحدود، وقيل: ثم استقاموا في الطاعات له. والاستقامة تحتمل[8] وجوها ثلاثة.

---

[1] ن ث: قالوا؛ م – قال.

[2] سورة الأعراف، ٧/٣٨.

[3] ﴿قالوا ربَّنا من قدَّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار﴾ (سورة ص، ٣٨/٦١).

[4] ر م – والله أعلم.

[5] جميع النسخ – أنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦و.

[6] جميع النسخ – أنه. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٨٦و.

[7] حديث عمر لم أستطع أن أجده، لكن القرطبي يروي عن أنس رواية قريبة لما في المعنى، وهي هكذا: وقال أنس: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هم أمتي وربِّ الكعبة». انظر: *الجامع لأحكام القرآن*، ١٨/٤١٧. والأثر المروي عن أبي بكر موجود بسنده في *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٢٢-٤٢٣.

[8] ر م – تحتمل؛ ن ث: يحتمل.

أحدها في الاعتقاد؛ اعتقدوا أن لا يعصوه ويجتنبوا جميع ما يخالف أمره ونهيه. والثاني استقاموا في اجتناب جميع ما يخالف ما أعطَوْا بلسانهم: أنه ربنا الله، وقاموا[1] بوفاء ما أعطوا بلسانهم قولا وفعلا. والثالث قاموا في جميع الأعمال مخلصين لله تعالى، لم يشركوا فيها أحدا ولا أعطوا[2] لأحد فيها نصيبا من المُراءاة[3] وغيرها،[4] بل خالصا لله تعالى سالما. والله أعلم بما أراد بذلك.

وقوله عز وجل: **تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك عند قبضهم الأرواح في الدنيا، تُبشِرهم[5] بما ذكر. وقال بعضهم: تقول[6] لهم الملائكة ذلك[7] يوم القيامة عند معاينتهم الأهوال والأفزاع ليَسكُن بذلك قلوبهم عند تلك الأهوال والشدائد.[8] *والله أعلم*. ثم اختلف في قوله: **ألا تخافوا ولا تحزنوا**، أي لا تخافوا ما أَمَامَكُمْ ولا تحزنوا على ما خَلَّفتم من الأهل والأولاد. وقيل: لا تخافوا ما تَقْدَمون[9] عليه من الموت وأمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خَلَّفتم[10] من أهل أو دَيْن. وقال بعضهم: لا تخافوا من العذاب ولا تحزنوا على فوت ما وُعِدتم من النعيم فإنها دائمة لا تفوت ولا تنقطع[11] أبدا.

وقوله عز وجل: **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**، على ألسن الأنبياء والرسل عليهم السلام. فمن قال: إن البِشارة التي ذكر هي[12] في الدنيا عند قبض الأرواح فلِما ذُكر في الخبر عن النبي صلى الله عيه وسلم أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».[13] لأن المؤمن يُرَى له الجنة ويُبشَّر بها في ذلك الوقت، فيصير الدنيا له سجنا، لما عاين مما هُيِّئ[14] له وجُعل له من الثواب،

---

[1] جميع النسخ: وأقاموا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦و.

[2] ر م - ولا أعطوا.

[3] ر م: المراء.

[4] ر م: غيرها.

[5] جميع النسخ: يبشر لهم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٧و.

[6] ث: يقول.

[7] ر م - ذلك.

[8] ن - والشدائد.

[9] يقدمون.

[10] م: على ما خلفتموا.

[11] جميع النسخ: لا يفوت ولا ينقطع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦و.

[12] ر م - هي.

[13] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٣/٢؛ وصحيح *مسلم*، الزهد والرقائق ١؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٣.

[14] ن: تهيئ.

والكافرَ لِما أُرِي له مكانُه في النار أو بُشِّر بها،[١] صارت له الدنيا جنة. وعلى ذلك يخرج قوله عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله[٢] لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».[٣] ***والله أعلم***.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يشبه أن يكون هذا القول من الذين بَشَّروهم بما بشروا، يقولون: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.[٤] وجائز أن يكون ذلك من الله تعالى، وإن كان المذكور على إثر / البشارة[٥] الملائكة، [٦٨٨ظ] وذلك كقوله تعالى: وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ].[٦] ثم إن كان ذلك من الله سبحانه وتعالى فيكون تأويله: نحن أولياؤكم في عصمتكم في الدنيا، وأولى بكم في الآخرة في المعونة. أو يقول:[٧] نحن أولى بكم في النصر والتوفيق في الدنيا والجزاء والثواب في الآخرة. ***والله أعلم***. وإن كان ذلك من أولئك الذين بَشَّروهم يقولون: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا بالصحبة، فكذلك يكون في الآخرة. ***والله أعلم***.[٨]

وقوله: **ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **ما تشتهي أنفسكم**، أي لكم ما يَرغَب به أنفسكم وتَتُوق[٩] إليه، أو لكم فيها ما تتلذذ[١٠] به أنفسُكم وتَتَنَعّم بها. وقوله: **ولكم فيها ما تدعون**، قيل: ما تَتَمَنَّوْن وتسألون، أو يقول: ما تَدَّعُون[١١] من الدعوى. ***والله أعلم***.[١٢]

---

[١] جميع النسخ: والكافر لما أرى له مكانه في النار أو بشر له. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٧ظ.
[٢] ر م - الله.
[٣] مسند *أحمد* بن حنبل، ٣١٣/٢؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤، ١٨.
[٤] ث - هذا يخرج على وجهين أحدهما يشبه أن يكون هذا القول من الذين بشروهم بما بشروا يقولون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.
[٥] م: بشارة.
[٦] سورة المؤمن، ٥٠/٤٠-٥١.
[٧] ر م: أو نقول.
[٨] ر م - والله أعلم.
[٩] من تاق، أي اشتاق.
[١٠] ر م: يتلذذ.
[١١] ن: ما يتمنون وتسألون أو يقول ما يدعون.
[١٢] ر م - والله أعلم.

﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[٣٢]

وقوله: **نزلا من غفور رحيم**، قال بعضهم: **نزلا**، أي رزقا من غفور رحيم، وهو من الأنزال.[1] وقال بعضهم: **نزلا**، أي إنزالا في المَنزل من غفور رحيم. ***والله أعلم***.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣٣]

وقوله: **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**، كأنه يقول: ومن أحسن مذهبا وسيرة ممن دعا إلى الله، أي إلى توحيد الله ودينه، أو دعا إلى المعروف والنهي عن المنكر، أي دعا غيره إلى ذلك وعمل بنفسه. وهذا الحرف يجمع جميع الخيرات والطاعات. فإن كان قوله: **ومن أحسن قولا**، على ما ذكرنا من المذهب[2] والسيرة فكأنه يقول: ومن أحكم وأتقن مذهبا وسيرة ممن ذَكَر. وإن كان على حقيقة القول، فيكون قوله: **ومن أحسن قولا**، أي ومن أصدق قولا ممن قال ما ذكر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقال إنني من المسلمين**، أي اختار الانتساب إلى الإسلام من بين غيره من الأديان والمذاهب. وقد أبى سائر الفرق الانتساب إلى الإسلام سوى أهل الإسلام. والثاني انتسب إلى ما خص الله سبحانه وتعالى تسميتهم به وهو الإسلام، كقوله تعالى: هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ،[3] وقوله: أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ،[4] وقال في حق إبراهيم عليه السلام: أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[5] ويكون اسم المؤمن خاصا لأهل الحق؛ فإن اليهود والنصارى سَمَّوْا أنفسهم مؤمنين ولا يمتنعون عن إطلاق اسم المؤمن، ويمتنعون عن إطلاق اسم المسلم. ولهذا يقال دار الإسلام[6] ولا يقال دار الإيمان، وإن كان الإسلام والإيمان واحدا لاختصاص هذا الاسم بهؤلاء. ***والله أعلم***. أو يقال: إنه اختار النسبة إلى الإسلام، وغيرهم من الناس انتسبوا إلى ما لهم من العز في الدنيا والشرف فيها أو غير ذلك من الأسباب التي كانت لهم في الدنيا.

---

[1] النُّزْل والنُّزُل: ما هُيِّئَ للضيف إذا نَزَل عليه، والجمع: الأنزال (*لسان العرب*، «نزل»).

[2] ر ن م: من المذاهب.

[3] سورة الحج، ٧٨/٢٢.

[4] ﴿ربنا واجعلنا مسلمَيْنِ لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ (سورة البقرة، ١٢٨/٢).

[5] ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ (سورة البقرة، ١٣٢/٢).

[6] م: دار السلام.

ثم اختلف فيه. قال بعضهم: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: هم المؤذنون؛ وعلى ذلك رويت الأخبار أنها نزلت في المؤذنين.[١] وقال بعضهم: ذلك في كل مؤمن دعا[٢] الخلق إلى طاعة الله تعالى وعمل بنفسه. *والله أعلم*. وعن الحسن أنه تلا قوله تعالى: **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**، قال: هذا صَفوة الله، هذا خِيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله تعالى، أجاب في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته، وقال:[٣] إنني من المسلمين بربه، هذا خليفة الله تعالى.[٤] *والله أعلم*.[٥]

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤]

وقوله عز وجل: **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة**، قيل: و"لا" الأخير هاهنا زائدة،[٦] كأنه قال: ولا تستوي الحسنة والسيئة، وقد يزاد حرف لا في الكلام وقد يُنقص، فعلى ذلك هذا. ثم جائز أن يكون قوله: **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة**، وقوله: **ادفع بالتي هي أحسن**، كل واحد منهما موصولا[٧] بالآخر.[٨] وجائز أن يكون كل واحد منهما مقطوعا من الآخر على الابتداء. فإن كان أحدهما موصولا بالآخر يقول: لا تستوي الحسنة والسيئة في جلب حُبّ القلوب واللين والعطف لها، بل الحسنة تجلُب[٩] حب القلوب والميل إليها لا السيئة؛ **ادفع بالتي هي أحسن**، أي ادفع بالحسنة دون السيئة، وهو كقوله: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ،[١٠] الآية. فعلى ذلك يقول هاهنا: أن لا تستوي[١١] الحسنة والسيئة في الطاعة والميل وجلب حب القلوب، بل هما مختلفان مفترقان، فادفع سيئتهم بالحسنة. *والله أعلم*.

---

[١] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٣٠-٤٣١.
[٢] ر م + إلى.
[٣] ر م: قال.
[٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٢٩.
[٥] ر م - والله أعلم.
[٦] ن: زائد.
[٧] جميع النسخ: موصول. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦ظ.
[٨] ر + يقول لا تستوي الحسنة والسيئة؛ ث م + يقول لا تستوي الحسنة.
[٩] جميع النسخ: يجلب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٦ظ.
[١٠] سورة آل عمران، ٣/١٥٩.
[١١] ن: أن لا يستوي.

وجائز أن يكونا جميعا على الابتداء لا اتصال لأحدهما بالآخر. فإن كان على الابتداء فمعناه -والله أعلم- إنكم تعلمون بعقولكم أن لا استواء بين الحسنة والسيئة، ولا بين المحسن والمسيء، وكذا لا استواء[1] بينهما في الحكمة. وقد رأيتم أنهما[2] قد استويا في هذه الدنيا في جميع منافعها ولذاتها وجُمِع[3] بينهما في هذه؛ وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما. دل أن هنالك دارا أخرى تُفَرِّق بينهما في الجزاء والثواب فيها. *والله أعلم*. وهو ما ذكر في آية أخرى: أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ،[4] وقوله عز وجل: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ،[5] أي لا نجعل هذا كهذا، وقد جعَل هذا كهذا[6] في هذه الحياة الدنيا فدل ذلك على أن هناك دارا أخرى فيها يقع ذلك / التمييز والتفريق، [٦٨٩و] فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.** صرف عامة أهل التأويل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي جهل لعنه الله أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يدفع سيئة أبي جهل بالحسنة.[7] لكن هذا لا يحتمل، لأنه لم يُذكر أن أبا جهل صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذَكر، حيث قال: **فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**، بل دامت عداوته إياه إلى أن خرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأغرى الناسَ عليه فرجع ذلك الإغراء إليه فقُتل[8] في ذلك اليوم،[9] فدل أنه لا وجه لصرف الآية إلى هذا. ثم يخرج قوله: **ادفع بالتي هي أحسن**، على وجهين. أحدهما ادفع سيئتهم في حادث الوقت بحسنة يكون منك إليهم، أي إذا أحسنت إليهم كَفُّوا هم عن الإساءة إليك في حادث الوقت. *والله أعلم*. فيكون كقوله:[10] وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ.[11]

---

[1] ن: وكذا الاستواء.
[2] م: أنها.
[3] ر م: وجميع.
[4] سورة القلم، ٦٨/٣٥-٣٦.
[5] سورة ص، ٣٨/٢٨.
[6] ر م - وقد جعل هذا كهذا.
[7] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٧٤٣.
[8] م: فقيل.
[9] ن + لعنه الله.
[10] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[11] سورة البقرة، ٢/١٧٩.

والثاني أي ادفع سيئتهم بالعفو والصفح عنهم، أي لا تكافئهم[1] بمساوئهم، ولكن تجاوَزْ عنهم واصفح؛ فإذا فعلت ذلك يصير الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، أي لا يعاديك.[2] *والله أعلم.*

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **وما يلقاها إلا الذين صبروا**، أي ما يلقى ولا يؤتى هذه المعاملةَ التي ذكر إلا الذين صبروا[3] على[4] أمر الله والقيام بجميع أوامره.[5] أو يقول: لا يُعطَى ولا يُؤتَى المعاملةَ التي ذكَرَ[6] ولا يوفَّق لذلك إلا من عزم على الصبر على ما أمر الله تعالى وصبر[7] على ذلك. وقوله: **وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**، يقول: وما يُعْطَى[8] هذه المعاملةَ التي ذكر من الدفع بالحسنة والصفح عن المجرم إلا من كان له حظ ونصيب عظيم عند الله تعالى. ***والله أعلم.***

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣٦]

وقوله: **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن يكون الاستعاذة التي ذكر هي مباشرةَ الأسباب التي بها يَدفع نزغ الشيطان ووساوسه. أمَره أن يأتي بالأسباب التي يتهيأ له أن يدفع بها نَزَغَاته وهمزاته. وهذا كالاستغفار الذي أمر به، ليس هو أمرا[9] بأن يقولوا: "نستغفر الله"[10] بألسنتهم، ولكن أمرٌ بمباشرة أسباب تقع[11] وتجب[12] لهم المغفرة بها، فعلى ذلك الاستعاذة. والثاني جائز أن يكون أَمْرُه بالاستعاذة إياه أمرا له بسؤال لطف من عند الله يدفع به نزغاته وهَمَزَاته. ***والله أعلم.***

---

[1] ر م: لا يكافئهم؛ ن ث: لا تكافهم.

[2] ر م: لا يعاد ذلك؛ ن ث: لا تعاد ذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.

[3] جميع النسخ - أي ما يلقى ولا يؤتى هذه المعاملة التي ذكر إلا الذين صبروا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٨٧و.

[4] ر م: عن.

[5] جميع النسخ: أموره. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٩و.

[6] ث: ذكرت.

[7] ر م: والصبر؛ ن ث: أو الصبر.

[8] ر ث م: ولا يعطى.

[9] جميع النسخ: أمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.

[10] ر م: أستغفر الله؛ ث: يستغفر الله.

[11] ر ث م: يقع.

[12] جميع النسخ: ويجب.

وعلى قول المعتزلة لا يصح الاستعاذة منه، لأنهم يقولون: إنه قد أعطى كلًّا ما به يدفع نزغاته وهمزاته، حتى[1] لم يبق عنده شيء يملك إعطاءه إياهم من اللطف وغيره. *والله الهادي*.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**، كأنه يقول -والله علم-: إن الشمس والقمر آيتان من آيات ألوهيته تعالى ووحدانيته، كالليل والنهار إنها آيتان من آيات الله، فإذا لم تعبدوا الليل والنهار فكيف عبدتم الشمس والقمر. *والله أعلم*. أو يقول:[2] إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى سخرهما[3] لمنافع الخلق. والليلَ والنهار هما مسخران[4] للخلق؛ والمنافعُ التي جعل فيهما[5] للخلق إن لم تكن[6] أكثر لم تكن[7] دون منافع الشمس والقمر. فإذ لم تعبدوا[8] الليل والنهار فكيف عبدتم هاتين. يذكر هذا لأن منهم من كان يعبد الشمس، ومنهم من كان يعبد القمر ونحوه، يذكر سفههم بعبادتهم[9] غير الله.

وقوله: **واسجدوا لله الذي خلقهن**، أي اسجدوا لله الذي أنشأ هذه الأشياء وسخرها لكم، **إن كنتم إياه تعبدون**، أي إن كنتم[10] بعبادتكم هذه الأشياء[11] تقصدون[12] القربة عند الله تعالى، أو إن كنتم بعبادتكم هذه الأشياء إياه تريدون، لأنهم كانوا يعبدون هذه الأشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده والزلفى، لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[13]

---

[1] ر م: متى.
[2] جميع النسخ: أو نقول. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[3] ر م: سخرها.
[4] جميع النسخ: كالليل والنهار مسخرات؛ ولي الدين: كالليل والنهار مسخران. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٦٩ظ.
[5] ر م: فيها.
[6] جميع النسخ: إن لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧و.
[7] ر ث م: لم يكن؛ ن - لم تكن. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٧و.
[8] ر م: فإذا لم تعبدوا.
[9] ر م: بعبادة.
[10] ن: أي كنتم؛ ث: وأي إن كنتم.
[11] ن + وسخرها لكم.
[12] ر ث م: يقصدون.
[13] سورة الزمر، ٣٩/٣.

يقول: إن كنتم إياه تقصدون بعبادة هذه الأشياء[1] فاسجدوا له[2] واعبدوه،[3] لما أمركم بالسجود له والعبادة. *والله الموفق*.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾[٣٨]

وقوله: **فإن استكبروا**، قد ذكرنا فيما تقدم أن لا أحد يقصد قصد الاستكبار على الله تعالى.[4] ثم يخرج هذا على وجهين. أحدهما أنهم قد أمروا بطاعة الرسل عليهم السلام، فإذا استكبروا[5] عن الائتمار لهم بما دعوهم إليه،[6] فيصير استكبارهم عليه كالاستكبار على الله تعالى. والثاني لِما تركوا عبادة الله تعالى، وقد جعل في أنفسهم دلالة العبادة لله تعالى، فإذا تركوا العبادة لله تعالى فقد تركوا الائتمار بأمره و لم يعتقدوا[7] الائتمار لذلك الأمر، فيكون استكبارا عليه. ***والله أعلم***.

وقوله: **فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**، يقول -والله أعلم- فإن استكبر هؤلاء على عبادة الله تعالى فأوحشك ذلك فاذكر عبادة من عبده[8] من الملائكة بالليل والنهار حتى تستأنس بذلك، والله أعلم، وهو كقوله: وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ.[9] كان يستوحش[10] باستهزائهم به، فذكَر له استهزاء أولئك بإخوانه ليَقِلّ ذلك فيه لمَا علم أنه ليس أولَ من استُهزئ به، فهذا مثله. والثاني فإن استكبر هؤلاء على عبادة الله وقد عبدوا الملائكةَ والأصنامَ وغيرَهم، فالذين هم عند ربك ممن عبدهم[11] / هؤلاء لم يستكبروا، بل يسبحون له[12] بالليل [٦٨٩ظ] والنهار وهم لا يسأمون. وهو كقوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ،[13] الآية،

---

[1] ث + رجاء القربة عنده والزلفى.

[2] م - فاسجدوا له.

[3] جميع النسخ: واعبدوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧ظ.

[4] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات، «الاستكبار».

[5] ر م: فاستكبروا.

[6] ن - إليه.

[7] ر م: لم يعتقدوا.

[8] ر ث م: عنده.

[9] سورة الأنعام، ١٠/٦.

[10] ر ث م: مستوحش.

[11] ر م: عندهم.

[12] ر ث م: بل هم مسبحون له؛ ن - له.

[13] ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيُّهم أقربُ ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ (سورة الإسراء، ٥٧/١٧).

وكقوله تعالى: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ،[1] يقول: إن استنكف هؤلاء عن أن يكونوا عبيدا[2] لله فالمسيح ومن ذَكَر لم يستنكفوا عن ذلك. وقوله تعالى: **وهم لا يسأمون**، يخبر أنهم لا يسأمون عن عبادته كما يسأم البشر أحيانا عن عبادته. ***والله أعلم.***

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت**، الآية، وقال في ما تقدم: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،[3] فيما ذكر من الآيات آياتُ وحدانيته وآيات قدرته وعلمه وتدبيره وآياتُ حكمته. أما آيات وحدانيته في الليل والنهار والشمس والقمر فهي أنها[4] إذا كان سلطان أحدهما ليلا أو نهارا أو شمسا أو قمرا[5] لم يَمْنَع عن كون الآخر، ولو كان ذلك فِعْلَ عددٍ لكان مَنَع الآخرَ عن إتيان ما يَذهب بسلطانه، فإذا لم يكن دل أنه فِعْلُ واحدٍ. ودل جريان[6] ما ذكر من الليل والنهار والشمس والقمر على سياق واحد وسَنَن واحد مُذْ كانا إلى آخر ما يكونان على أن مُنشئهما عليم مدبّر له[7] علم ذاتي وتدبير ذاتي، ليس بمستفاد ولا مكتسب. ودل سيرهما وجريانهما في يوم واحد وليلة واحدة مسيرةَ كذا وكذا عاما على أن منشئهما قادر له قدرة ذاتية لا يُعجزه شيء، إذ القدرة المستفادة والمكتسبة لا يبلغ ذلك. وكذلك في إحياء الأرض بعد موتها وإخراج النبات منها دلالةُ ذلك كله: من دلالة الوحدانية ودلالة العلم الذاتي والقدرة الذاتية والحكمة والتدبير؛ لأنه لَمّا أحياها بعد موتها وأماتها بعد إحيائه إياها دل أنه فِعْلُ واحدٍ لا عدد. لأنه[8] لو كان فعل عدد لكان إذا أحيا هذا منع الآخرُ عن الإماتة، وكذا إذا أمات هذا منع الآخرُ عن الإحياء على ما يكون من فعل ذي عدد من ملوك الأرض، فإذا لم يُمنع ذلك دل أنه فعل واحد.

---

[1] سورة النساء، ١٧٢/٤.
[2] ر م: عبدا.
[3] الآية السابقة برقم ٣٧.
[4] جميع النسخ: هو أنه.
[5] جميع النسخ: ليل أو نهار أو شمس أو قمر. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٧ظ.
[6] ن: حرمان.
[7] جميع النسخ – له. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٧ظ.
[8] ر م – لأنه.

ودل جريان ذلك كله في كل عام على مجرى واحدٍ وسَنَن واحدٍ وعلى مقدار واحد من النبات وغيره على أنه إنما كان بعلم ذاتي وحكمة ذاتية، ودلت القدرة على إحيائها بعد موتها وإماتتها بعد حياتها أن له قدرة ذاتيةً لا يُعجزه شيء من البعث وغيره. ثم جعل جلّ وعلا في الماء معنى يوافق ذلك المعنى جميعَ النبات الخارج من الأرض على اختلاف أجناسها وجواهرها حتى يكون حياة كل شيء من ذلك به. دل[1] أن ذلك كان كذلك بلطف منه لا يبلغه فهم البشر ولا علمهم. ثم ذلك النبات مع لِينه وضَعْفِه ورقته يَشُق تلك الأرضَ مع شدتها وصلابتها ويخرج منها ما لا يتوهم خروج أشد الأشياء منها بفعل أحد سواه، دل[2] ذلك على قدرته ولطفه. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **وترى الأرض خاشعة**، أي مَيّتة خَشِنة، **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت**، أي تحركت بنباتها وتزينت وصارت حية. وقوله: **وربت**، أي تربو وتزيد ما عليها من النبات. قال القُتَبِي: **اهتزت**، بالنبات، **وربت**: عَلَتْ وانتفخت.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **اهتزت**، أي فَرِحت[4] **وربت** من الزيادة. وقوله: **إن الذي أحياها لمحي الموتى**، هو ما ذكرنا أن الذي مَلَك وقَدَر على إحيائها لقادر على إحياء الموتى بعد موتهم. **إنه على كل شيء قدير**، أي لا يعجزه شيء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين يلحدون في آياتنا**، قرأ بعضهم يُلحدون برفع الياء، وقرأ بعضهم بنصبها.[5] فمن قرأ بالرفع تأويله: إن الذين يميلون عن قبول آياتنا. قال أبو عَوْسَجَة: الإلحاد الميل، وأخِذ اللحد من هذا. ومن قرأ بالنصب يقول: يعملون في آياتنا، أي[6] إن الذين يعملون في دفع آياتنا وإبطالها **لا يَخْفَوْن علينا**. هذا[7] وعيد منه لهم، يقول: لا يخفون هم وما يفعلون[8] علينا، فنجزيهم بذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ – دل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨و.

[2] ر م – دل.

[3] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٩.

[4] ث: فرحت. فرجت: أي انشقت.

[5] قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿يلحدون﴾ هنا [في الأعراف] والنحل وحم السجدة، فقرأ حمزة بفتح الياء والحاء في الثلاثة. انظر: *النشر في القراءات العشر*، ٢/٢٧٣.

[6] ر م – أي.

[7] ر م – هذا.

[8] ر م: لا يخفون هم وما يفعلون؛ ث: وما يعملون.

وقوله: **أفمن يُلْقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة**، يشبه أن يكون هذا صلة لآيتين[1] تقدم ذكرهما؛ أحدهما قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ،[2] الآية، هذه في المؤمنين؛ وقال في الكافرين: فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا،[3] الآية. والآية الثانية قوله عز وجل: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ.[4] يقول: **أفمن يلقى في النار**، بأعماله السوء، **خير أم من يأتي آمنا**، عن ذلك بأعماله الحسنة، أي تعلمون[5] أن من يُلْقى في الآخرة في النار ليس كالذي يأتي آمنا عن ذلك كله. ***والله أعلم***.

وقوله: **اعملوا ما شئتم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على التخيير، لأنه جل وعلا بيّن السبيلين جميعا على المبالغة بيانا شافيا واضحا، وبين عاقبة كل سبيلٍ من سلكه إلى ما يُفضِي، ثم قال: **اعملوا ما شئتم**، أي اسْلُكُوا أيَّ سبيل شئتم؛ فإن سلكتم طريق كذا فلكم كذا، وإن سلكتم طريق كذا فلكم كذا. ***والله أعلم***. والثاني على الوعيد، وكذا قوله: **إنه بما تعملون بصير**، على الوعيد.[6]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[٤١]

وقوله: **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم**، سَمَّى القرآن ذكرا، وهو يحتمل وجوها. أحدها سماه ذكرا لأن من اتبعه وعمل بما فيه صار مذكورا شريفا؛ أو سماه ذكرا لما يُذكِّر لهم ما نَسُوا من أحكام الله؛ أو يذكرهم ما لله عليهم / من حق وما لبعضهم[7] على بعض. ***والله أعلم***. [٦٩٠و]

وإنه لكتاب عزيز، يحتمل قوله: **كتاب عزيز**، أي عزيز لا يُذلّه جحود الجاهلين ولا تكذيب المكذبين؛ أو يقول: عزيز عند الله تعالى أكرم به محمدا صلى الله عليه وسلم، أو عزيز[8] يُعِزّ[9] من اتبعه وعمل به، كما ذكرنا أنه يُشرِّف من اتبعه وعمل بما فيه. ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ر م: لا يتبين.
[2] الآية ٣٠ من هذه السورة.
[3] الآية ٢٧ من هذه السورة.
[4] الآية ٣٤ من هذه السورة.
[5] ر م: يعملون؛ ن: يعلمون.
[6] ث – على الوعيد.
[7] ر م: وما لبعض.
[8] جميع النسخ: وعزيز. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨و.
[9] ر م: تعز.
[10] ر م – والله أعلم.

*ثم قوله: **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم**، لم يخرج له جواب في هذا الموضع؛ [٦٩٠و س١٦
ثم قال بعضهم: جوابه ما ذكر في آية أخرى بعد هذا، وهو قوله: أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ.[١]
وقال بعضهم: بل جوابه ما ذكر في حم المؤمن حيث قال الله تعالى: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ،[٢] الآية. *والله أعلم*.* ٦٩٠و س١٨]

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**، قال بعض أهل التأويل: أي لا يَنزل كتاب مِن بعده يكذّبه أو يُبطله ولا قبلَه كتاب يكذبه أو يبطله، بل خرج موافقا لما قبله من الكتب. *والله أعلم*.[٤] ويحتمل أن يكون قوله: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**، أي إبليس لا يستطيع أن يبطل منه حقا أو يُحق منه باطلا أو يَنقص منه حقا أو يَزيدَ فيه باطلا، بل هو على ما ذكرنا: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.[٥] وقال بعضهم ما ذكرنا: لا يكذبه الكتب التي كانت قبله. وقوله: **ولا من خلفه**، أي لا يجيء من بعده كتاب يكذبه. ومعنى هذا أنهم كانوا يردّون ذلك ويدفعونه، وليس لهم حجة من الله في ردّهم إياه ولا في دفعه، بل يدفعونه[٦] بلا حجة ولا برهان. **تنزيلٌ من حكيم حميد**. وعن الحسن قال في قوله تعالى: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**: إن الله سبحانه وتعالى حفظه من الشيطان، فلا يزيد فيه باطلا ولا يَنقص منه حقا. ثم قرأ: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.[٧] ودل قوله: **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**، على أن كل من[٨] أضيف إليه اليدان[٩] والخَلْف لا يفهم منه بذكر اليدين الجارحتان[١٠] أو بذكر الخلف الظَّهْرُ.

---

[١] الآية ٤٤ من هذه السورة.

[٢] ﴿الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسْحَبون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٠-٧١).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٩٠و/سطر ١٦-١٨.

[٤] ر م - والله أعلم.

[٥] سورة الحجر، ١٥/٩.

[٦] ن - بل يدفعونه.

[٧] انظر لقول الحسن: *معاني القرآن* للنحاس، ٦/٢٧٦.

[٨] جميع النسخ - من. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.

[٩] جميع النسخ: اليدين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٨ظ.

[١٠] جميع النسخ: الجارحتين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٨٨ظ.

إذ القرآن لا جارحة له ولا يد ولا ظهر حقيقة، وقد أضيف إليه الخَلْف[1] واليدان بقوله: **من بين يديه ولا من خلفه**. فعلى ذلك ما أضيف إلى الله تعالى من اليدين، ومن بين يديه[2] لا تفهم[3] [منهما] اليدان حقيقة الجارحتين. *والله الموفق*.

وقوله: **تنزيل من حكيم حميد**، أي هذا القرآن هو تنزيل من حكيم حميد. الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في تدبيره أو في حكمه، والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله. *والله الموفق*.*

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤٣]

وقوله تعالى:[5] **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**، يُعزّي[6] النبيَّ صلى الله عليه وسلم ويُصبّره ليَصبر على ما كانوا يقولون له: إنه كذاب، وإنه ساحر، وإنه مجنون، وإنه إنما يعلمه بشر، وإنه مُفترٍ، وغير ذلك من أنواع الأذى كانوا يؤذونه، وكان يشتد عليه ذلك ويَثْقُل، لأنه كان[7] يدعوهم إلى ما به نجاتهم، وهم كانوا يستقبلونه بما ذُكر، فقال الله تعالى عند ذلك: **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**، من التكذيب والنسبة إلى[8] السحر والجنون وغير ذلك يُصبّره على ذلك. وهو كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[9] الآية. ويحتمل أنه إنما ذكر ذلك له ليتسلّى[10] به عن بعض ما يلحقه من الضَّجَر والوحشة بالذي قالوا فيه بما علم أنه ليس بأول مكذَّب من الرسل ولا بأول متأذٍ[11] في ذات الله تعالى. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م – إذ القرآن لا جارحة له ولا يد ولا ظهر حقيقة وقد أضيف إليه الخلف.

[2] لعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥) وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ (سورة الحجرات، ١/٤٩).

[3] جميع النسخ: لا يفهم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٩٠و/سطر ١٦-١٨.

[5] جميع النسخ – فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم الآية والله أعلم و قوله تعالى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.

[6] ن: لعزى.

[7] ر م: كانوا.

[8] ر: التي.

[9] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

[10] جميع النسخ: ليسلي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.

[11] جميع النسخ: متأذي.

وقوله عز وجل: **إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم**، يقول -والله أعلم- على إثر[1] ذلك: إن ربك لذو مغفرة لو تابوا ورجعوا عن ذلك، وذو عقاب أليم لو ثبتوا وداموا على ذلك. أو يقول -والله أعلم- على الصلة لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ،[2] أي إنه **لذو مغفرة**، يغفر لهم ما كان منهم من التكذيب لك والتكذيب للقرآن لو تابوا ورجعوا وصدّقوا. **وذو عقاب أليم**، إن[3] لم يتوبوا وثبتوا[4] على التكذيب. ***والله أعلم***. أو يذكر هذا، أي ليس إليك مكافأتهم ومجازاتهم بما كان منهم، إنما ذلك إلينا، إن شئتُ غفرتُ لهم إذا رجعوا عنه،[5] وإن شئتُ عاقبتُهم، وهو كقوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ،[6] الآية.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٤٤]

وقوله: **ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي**، وقال في آية أخرى: وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ،[7] وقال في موضع آخر: وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.[8] يذكر في هذه الآيات كلها سفه أهل مكة وشدة تعنتهم. يقول: لو أنزلنا عليك الكتاب جملة في قرطاس بحيث يرون نزوله من السماء ويعاينونه [لـ]قالوا: ما هذا إلا سحر مبين، ويقول أيضا-والله أعلم-: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعجمين بلسان العجم[9] فقرأه عليهم، أي على أهل مكة بلسان العرب بحيث يفهمون ما كانوا به مؤمنين، لأن قراءة الأعجمي إياه بلسان العرب[10] أكبر في الآية وأعظم في الأعجوبة من قراءة العرب بلسان العربية.

---

[1] ر م: أن.
[2] الآية ٤١ من هذه السورة.
[3] ر: أي.
[4] ر ن م: ويثبتوا.
[5] ر م + وإن شئت غفرت لهم إذا رجعوا عنه.
[6] ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم أو يُعذِّبهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).
[7] سورة الشعراء، ١٩٨/٢٦-١٩٩.
[8] سورة الأنعام، ٧/٦.
[9] جميع النسخ - العجم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.
[10] ن - بحيث يفهمون ما كانوا به مؤمنين لأن قراءة الأعجمي إياه بلسان العرب.

أي قراءة كل أحد شيئا بغير اللسان الذي هو لسانه أكبر[1] في الآية وأعظم[2] في الأعجوبة من القراءة بلسان هو لسانه. يقول: لو نزلناه على مَن لسانُه لسان العجم، والقرآن عربي، فقرأ الأعجمي ذلك على أهل مكة بلسان العرب فهو أكبر[3] أعجوبة وأعظم في الآية، / لكانوا لا يؤمنون به. فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: ولو جعلناه قرآنا أعجميا وعاينوا نزول ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم وفَهْمَه وأداءه وقراءته عليهم بلسان العجم، ثم تَرْجَمَه إلى العربية، لقالوا:[4] **لولا فُصِلت آياته أأعجمي**، يعنون القرآن، **وعربي**، أي محمد عليه الصلاة والسلام. يقولون: القرآن[5] أعجمي ومحمد عربي كيف يكون هذا؟ أي لا يكون هذا، ويكذبونه ولا يؤمنون به. وذلك لما ذكرنا أن أداءه بلسان ليس ذلك لسانَه، وقراءتَه بغير[6] ذلك اللسان أكثر في جعله آية وأعظم في الأعجوبة. إذ يمكن الاختلاف من نفسه باللسان الذي هو لسانه وموهوم ذلك؛ وغير موهوم ذلك إذا لم يكن ذلك لسانَه. يخبر عن سفههم وشدة عنادهم في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به. ***والله أعلم***.

[٦٩٠ظ]

وقال بعض أهل التأويل: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أحيانا يدخل على رجل أعجمي، يقال له أبو فُكَيْهَةَ،[7] فقالوا: إنما يعلِّمه بشر، فأنزل الله تعالى: ولو جعلناه قرآنا أعجميا بلسان أعجمي لقال[8] كفار مكة: لولا فصلت آياته بالعربية، أي بُيِّنت حتى نفقهه ونعلمه،[9] أي[10] ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم، ولقالوا: [أبلسان] أعجمي أُنزل عليه القرآن ومحمد عربي؟

---

[1] ن: أكثر.

[2] م: وأعجم.

[3] ن: أكثر.

[4] جميع النسخ: وأداه وقرأه عليهم بلسان العرب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٨ظ.

[5] ر ث م: للقرآن.

[6] جميع النسخ: بعين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٩و.

[7] انظر حول الرواية: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٢/٤٢٨-٤٢٩؛ ١٥/٣٦٨. وأبو فكيهة مولى لبني عبد الدار. يقال: إنه من الأزد أسلم بمكة، وكان يعذَّب ليرجع عن دينه فيأبى. وكان قوم من بني عبد الدار يخرجونه نصف النهار في حر شديد في قيد من حديد ولا يلبس ثيابا ويبطح في الرمضاء، ثم يؤتى بالصخرة فتوضع على ظهره حتى لا يعقل. فلم يزل كذلك حتى هاجر أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة فخرج معهم في الهجرة الثانية. قال ابن إسحاق: أبو فكيهة اسمه يسار مولى صفوان بن أمية بن محرث. انظر: *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* لابن عبد البر النمري، ٤/٢٩٣.

[8] ر ن م: يقال.

[9] ر م: يفقهها ويعلمها؛ ث: نفقهها ويعلمه؛ ن: يفقهها ونعلمه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٩و.

[10] جميع النسخ - أي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٨٩و.

فأنزله عربيا ليفقهوه فلا يكونَ لهم الاعتلال والاحتجاج. وقال بعضهم: **لولا فصلت آياته،** حتى تفهمَها،[١] أعجميُّ القرآنِ وعربيّ الرجل؟ وقال أبو معاذ: يكون معنى هذا أن الله تعالى يستفهم قرآنا أعجميا [أنزله] على رجل عربي فلا يفهمون، فيكون الحجة لهم بذلك، وهو مثل الأول. وقال بعضهم: **أأعجمي وعربي**، استفهام من قريش، يكون معناه: لو أنزلناه قرآنا أعجميا على رجل عربي لقالوا: أأعجمي وعربي، كيف يفهم هذا وكيف يعقله؟[٢] لكِنّا قد[٣] ذكرنا أن هذا في الدلالة[٤] أكثر وفي الأعجوبة أعظم. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا.[٥] وقال القُتَبِي: **لولا فصلت آياته،** أنزلت عربية مفصّلة بالآي، كأن[٦] التفصيل للسان العرب؛[٧] لكن لسنا ندري ما يريد بهذا الكلام: أن التفصيل للسان العرب. وقال بعضهم: **لولا فصلت آياته،** أي هلا فُرِقت آياته حتى جُعل من كل لسان: من لسان العجم ولسان العرب حتى يفهمَها أهل كل لسان. ***والله أعلم.***

وفي هذه الآية دلالة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا، وأن اختلاف اللسان لا يغيّره ولا يحوّله عن أن يكون قرآنا. ***والله أعلم***، فيكون دليلا لقول أبي حنيفة رحمه الله: إنه إذا[٨] قرأ بالفارسية في صلاته يجوز. ***والله أعلم.***[٩]

وقوله عز وجل: **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى**، وصف الله تعالى هذا القرآن بالشفاء والرحمة والهدى، وسماه مرة عزيزا[١٠] كريما[١١] مجيدا[١٢] حكيما[١٣] ونحوه. فهو هدى من الضلالة والحيرة والشك وكل شبهة، وشفاء لكل داء وسقم يكون في الدين والأنفس جميعا، هو شفاء لذلك كله وهو هدى.

---

[١] ر م: يفقهها.

[٢] ر م: بعقله.

[٣] ن – قد.

[٤] ن: في الولاية.

[٥] م: بدئا.

[٦] جميع النسخ: كان. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٩-٣٩٠.

[٧] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٨٩-٣٩٠.

[٨] ن – إذا.

[٩] انظر: *المبسوط* للسرخسي، ٣٧/١.

[١٠] ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ (الآية ٤١ من هذه السورة).

[١١] ﴿إنه لقرآن كريم﴾ (سورة الواقعة، ٧٧/٥٦).

[١٢] انظر مثلا: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ (سورة ق، ١/٥٠).

[١٣] انظر مثلا: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ٥٨/٣).

ثم يحتمل الهدى وجهين في هذا الموضع. أحدهما هو هدى لكل ضلالة، أي دعاءٌ إلى الذي يُضادُّ الضلال. والثاني هدى، أي جُعل بيانا لكل حيرة وشك وشبهة. من اتبعه وقَبِله ونَظَر إليه بعين التعظيم والتبجيل دعاه إلى سبيله ودينه ويخرجه من الضلال. ويكون بيانا لكل من فيه الحيرة والشك والشبهة ويُجلّى[1] له الطريق ويوضح له السبيل ويخرجه من الشبهات. فهو للمؤمنين كما ذكر[2] من الهدى والشفاء، لأنهم قبلوه واتبعوه وتكلفوا العمل بما فيه. وأما الكفرة فهو عليهم عَمًى وحيرةٌ وشكٌ، لأنهم لم يقبلوه ولم يتبعوه ونظروا إليه بالاستخفاف والهوان، ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبصروا ما فيه، فهو صار لهم عمى وما ذكر. *والله أعلم*. ولذلك قال تعالى: **أولئك يُنَادَوْن من مكان بعيد**، سماهم غَيَبَة وإن كانوا بأنفسهم حُضورا شهودا، وسماهم موتى[3] وإن كانوا في الحقيقة أحياء، وسماهم صُمًّا وبُكمًا وعُميًا[4] وإن كانت لهم هذه الجوارح في الحقيقة، لما لم ينتفعوا بهذه الجوارح بالذي جعلت هذه الجوارح له وأنشئت، فنفاها عنهم ليعلم أن المقصود بإنشاء[5] هذه الجوارح والأنفس لا نفسُ هذه الجوارح والأنفس ولكنْ طَلَبُ ما غاب عنها وخفي، إذ أنفسهم في الحقيقة كانت شهودا وحضورا. سماهم غَيَبَة وأحياءَ وبُصَرَاء، وسماهم موتى وعُميا وما ذُكر ليعلم أنها إنما جعلت ليكتسبوا بها الحياة الدائمة والبصر الدائم وما ذكر من كل شيء من السمع[6] وغيره. وكذلك هذه النِعَم التي جعلت في الدنيا جعلت ليكتسبوا بها النِعَم الدائمة، فإذا لم يستعملوها فيما جعلت صاروا كما ذكر. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **وهو عليهم عمى**، أي عَمُوا عنه. وقال بعضهم: **وهو عليهم عمى**، أي في الآخرة جزاء بما[7] نسوه في الدنيا، كقوله تعالى: قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى.[8] وقيل: قوله: **يُنَادَوْن من مكان بعيد**، [٦٩١و] / عبارة عن قلة أفهامهم، يقال للرجل الذي لا يفهم: أنت تُنَادَى[9] من مكان بعيد. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: ويخلي؛ ث: يخلي.

[2] ر ث م - كما ذكر؛ ن: ما ذكر.

[3] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٠-٨١).

[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿صمٌ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨؛ وانظر أيضا: الآية ١٧١).

[5] ر م: ما يشاء.

[6] ر م: من السميع.

[7] ن ث: ما.

[8] سورة طه، ٢٠/١٢٥-١٢٦.

[9] م: ينادى.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه**، كأنه يقول -والله أعلم-: إنا قد آتينا موسى الكتاب ما عرفوا أنه إنما نزل من عند الله تعالى، حيث شاهدوا نزوله جملة، ومع أنهم عرفوا ذلك اختلفوا فيه حتى كذبه بعضهم، فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: لو أنزلنا القرآن عليك أعجميا فأديته إليهم بلسانك العرب لكذبوك ولا يصدقونك، وإن كان ذلك في الدلالة أكثر وفي[1] الأعجوبة أعظم، على ما فعل قوم موسى بالكتاب الذي أُنزل على موسى عليه السلام. يذكر سفههم وتعنتهم. ***والله أعلم***.[2]

وقوله عز وجل: **ولو لا كلمةٌ سبقت من ربك لقُضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب**، ظاهر هذه الآية على أن ما ذكر من المنّة والرحمة في تأخير العذاب إنما هو لقوم موسى لا لهؤلاء، لأنه ذكره على إثر ذكر موسى،[3] وهو قوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب**. لكن أهل التأويل قد أجمعوا على صرف هذه المنّة والرحمة في تأخير العذاب إلى هذه الأمة؛ وكذا فيهم[4] ظهرت[5] المنة في العفو عن الإهلاك في الدنيا دون سائر الأمم. ***والله أعلم***. ثم لظاهر[6] قوله: **ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم**، استدلال واحتجاجٌ لأهل الإلحاد، لأن مثل هذا في الشاهد إنما يقال لأحد معنيين: إما لجهل بالعواقب أو لعجز عن وفاء ما وعد. لكن الله يتعالى عن الوصف بالجهل بعواقب الأمور والوصف بالعجز عن شيء بما أقام من الآيات والبراهين على العلم والقدرة.

ثم قوله: **ولو لا كلمة سبقت من ربك**، تحتمل[7] الكلمةُ الحجةَ، كقوله تعالى: وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ،[8] وقوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي،[9] أي لِحُجَج ربي،

---

[1] ر م: في.

[2] ر م - والله أعلم.

[3] جميع النسخ - لا لهؤلاء لأنه ذكره على إثر ذكر موسى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٨٩ظ.

[4] ث: فهم.

[5] ث - ظهرت.

[6] ر م: ظاهر.

[7] جميع النسخ: يحتمل.

[8] ﴿أم يقولون افترى على الله كَذِبًا فإن يَشَأِ الله يَخْتِمْ على قلبك ويَمحُ الله الباطل ويُحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ (سورة الشورى، ٢٤/٤٢).

[9] ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لَنَفِد البحر قبل أن تَنْفَد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مَددا﴾ (سورة الكهف، ١٠٩/١٨).

وتكون[1] الكلمة منه الدين، كقوله تعالى: وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا،[2] ونحوه. وقيل: الكلمة هي الساعة التي أخر عذاب هذه الأمة إليها،[3] فقال: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[4] *والله أعلم*.
وجائز أن تكون[5] الكلمة هاهنا ما سبق من المنة لهذه الأمة أن لا يُعذّبها وقت استحقاقهم العذاب، أو سبق منه المنة والرحمة بتأخير الهلاك عن وقت اكتسابهم أسباب الهلاك. وهذا ينقض[6] على المعتزلة والخوارج لقولهم: أن ليس لله أن يعفو أو يؤخر العذاب عمن وجب عليه واستحقه، أو كلام نحوه، حيث منّ ورحم[7] هذه الأمة بتأخير العذاب عنهم إلى وقت. ولو لم يستحقوا العذاب لم يكن لذكر المنة والرحمة في ذلك معنى،[8] وهو كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[9] *والله أعلم*.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**، يخبر عز وجل أنه إنما يمتحنهم فيما امتحنهم لا لمنافع فيه يجرّ إلى نفسه أو لمضارّ يدفع عن نفسه، ولكنه إنما امتحنهم وأمرهم ونهاهم لمنافعَ يكتسبون لأنفسهم ولمضارّ يدفعون بذلك عن أنفسهم. وليس كملوك الأرض إنهم يمتحنون الخلق ويأمرون وينهون ويستعملونهم لمنافع أنفسهم ولمضارّ يدفعونها بذلك عن أنفسهم. فأما الله سبحانه وتعالى فإنما يمتحن الخلائق لمنافع يجرّون إلى أنفسهم ولمضارّ يدفعون به عن أنفسهم. فلهم حصول منافع ذلك الامتحان والأمر والنهي،[10] وعليهم حصول ضرر ذلك. فلأنفسهم يعملون ما يعملون من الخير والطاعة، وعليهم ما يعملون من الشر. ولذلك قال: **وما ربك بظلام للعبيد**، الآية، قد بيّن السبيلين جميعا بيانا شافيا وأقام لكل ذلك حججا وبراهين،

---

[1] جميع النسخ: ويكون.
[2] سورة التوبة، ٩/٤٠.
[3] ر م: التي هي آخر عذاب هذه الأمة.
[4] سورة القمر، ٥٤/٤٦.
[5] جميع النسخ: أن يكون.
[6] ر ث م – ينقض.
[7] ر – رحم.
[8] ر م: المعنى.
[9] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[10] ر م + وعليهم حصول منافع ذلك الامتحان والأمر والنهي.

وبيّن أن من سلك[١] سبيل كذا أفضاه إلى كذا في العاقبة: إما نعيم دائم وسرور دائم وإما عذاب دائم وحزن[٢] دائم. فمن سلك السبيل الذي عاقبته النار والحزن فَمِن قِبَل نفسه أتى[٣] ذلك، وهو الذي أوقع نفسه في ذلك. ومن سلك السبيل الذي جُعِل[٤] عاقبتُه الجنة والنعم الدائمة فيه وباختياره[٥] وصل ذلك، فهو تفسير قوله تعالى: **وما ربك بظلّام للعبيد**. *والله أعلم*.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **إليه يرد علم الساعة**. أجمع من آمن بالله تعالى وصدّق رسله عليهم السلام من أهل السماء وأهل الأرض أن ليس عندهم علم بوقت الساعة، فإن ذلك خفيّ عليهم لا يعلمونه وإنّ عِلْم ذلك عند الله تعالى، وهو ما قال عز وجل: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا،[٦] الآية، غيرَ الباطنية والروافض، فإنّ عِلْم ذلك عندهم على مذهبهم وفي زعمهم. أما الروافض فإنهم يَعُدّون الأئمة ويقولون: إن الساعة على إمام كذا وفي زمان كذا. وأما الباطنية فإنهم[٧] يقولون: إن اسم الساعة والقيامة ونحو ذلك إنما هو اسم قائم الزمان وإنه فلان، فعلى قولهم يظهر وقت قيامها. فهو خلاف ما ذُكر في الكتاب وما أجمع عليه أهل السماء والأرض. *والله أعلم*.

[٦٩١ظ] وقوله عز وجل: **وما تخرج / من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**. جائز أن يكون ما ذكر من إخراج الثمرة من الأكمام وما ذكر من حمل الأنثى ووضعها هو[٨] موصولاً[٩] بقوله: **إليه يرد علم الساعة**. فإن كان على ذلك فمعناه: لا يَعلم ذلك[١٠] كله إلا هو،

---

[١] ث: أن يمر مسلك.
[٢] جميع النسخ: وشرور. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.
[٣] ر م: إلى.
[٤] ن – جعل.
[٥] ر م: فيه واختياره.
[٦] ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يُجلّيها لوقتها إلا هو﴾ (سورة الأعراف، ١٨٧/٧)؛ وانظر أيضا: سورة النازعات، ٤٢/٧٩-٤٤.
[٧] ر ث م – فإنهم.
[٨] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.
[٩] جميع النسخ: موصول.
[١٠] ر م – ذلك.

لا يَعلم [أحد] وقتَ خروجها ولا قدرَ خروجها ولا حدّها وأنها تخرج[1] أوْ لا. وكذلك الولد لا يَعلم [أحد] كيفيةَ عُلوقه ولا وقتَه ولا مقدارَه وأنه يَعْلَق[2] أوْ لا، عِلْم ذلك إلى الله تعالى كعلم الساعة. *والله أعلم*.

وجائز أن يكون قوله: **وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**، على الابتداء ليس على الصلة بالساعة ولكن موصولا بما تقدم من قوله: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،[3] وقوله:[4] وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً،[5] إلى ما ذكر. فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: ومن آيات ألوهيته ووحدانيته وآيات قدرته وعلمه وتدبيره أن تخرج[6] الثمرات من أكمامها، ومن آياته أن تحمل الأنثى الولد[7] وتضعه. وهو أن الله تعالى أنشأ تلك الثمرات[8] في الأكمام، وكذا الولدَ في البطن في حُجُب وسَواتِرَ وربّاه[9] في تلك الحُجُب والسواتر وغذّاه بأغذية، ودفع عنه جميع الأذى من البرد والحر وجميع ما يؤذيه لضعفه ولطافته لطفا منه ورحمة، وصوّره في تلك الحُجُب والسواتر بأحسن صورة لتعلم[10] ألوهيته ووحدانيته وأن له علما ذاتيا وقدرة ذاتية أزلية لا مكتسبا[11] مستفادا، إذ العلم المستفاد والقدرة المستفادة[12] لا يبلغ ذلك. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **من أكمامها**، أي المواضع التي كانت فيها مستترة؛ وغلاف كل شيء كُمُّه، وإنما قيل: كُمُّ القميص من هذا.[13] وقال أبو عَوْسَجَة: أكمامها غطاؤها التي تكون فيها قبل أن تتفتق[14] عنها. والتفتّق التشقّق، يقال: تفتّقتِ[15] الأكمامُ عن الثمرة، أي تشقّقتْ.

---

[1] ر م: وقت خروجها ولا حدها وأنها يخرج.

[2] عَلِقَ بالشيءِ عَلَقًا وعَلِقَةً: نَشِب فيه (*لسان العرب*، «علق»).

[3] الآية ٣٧ من هذه السورة.

[4] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.

[5] الآية ٣٩ من هذه السورة.

[6] جميع النسخ: أن يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.

[7] جميع النسخ – الولد. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٩٠و.

[8] جميع النسخ: تلك الثمرة.

[9] ر م: ورثاه.

[10] جميع النسخ: ليعلم.

[11] ن: لا يكتسب.

[12] ر ن م: المستفاد.

[13] ر ث م – من هذا.

[14] ر م: يكون فيها قبل أن ينعق؛ ن ث: يكون فيها قبل أن ينفتق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠و.

[15] ر: والتعنق التشقق يقالنعيقت؛ م: والنعق التشقق يقال نعيقت.

وقوله عز وجل: **ويوم يناديهم أين شركائي**، يذكِّرهم ويخبر عما يُسألون يوم القيامة وما يكون من جوابهم لذلك السؤال، لعلهم يمتنعون عن ذلك ويحذرونه، يقول: **ويوم يناديهم أين شركائي**، أي أين الذي تزعمون[1] أنهم شركائي في الدنيا، وأين الذين تعبدون في الدنيا وتزعمون أنها آلهة وأنها شفعاؤكم عندي. وإلا لا يحتمل أن يقول لهم الرب جل وعلا: **أين شركائي**، ولا شريك له ولا إله غيره، ولكن ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **قالوا آذَنّاك ما منا من شهيد**. قال بعضهم: **آذناك**، أسمعناك، وقيل: أعلمناك. والأشبه أن يكون معنى **آذناك**: أخبرناك، إذ الله تعالى كان عالما بذلك، وإعلام العالم لا يتحقق. أما الإخبار للعالم عن الشيء يتحقق بما علم به. *والله أعلم*.

ثم اختلف في ذلك أنه قول من؟ قال بعضهم: هو قول أولئك الكفرة الذين نُودوا[2] يومئذ، يقولون: أخبرناك أن لم يكن منا أحد شهد بذلك أو قال بالشريك أو قال بإله[3] سواك. يخرج على الإنكار والجحود والكذب أنهم لم يقولوا ذلك ولم يفعلوا، وهو كما ذَكَر[4] عنهم في آية أخرى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا، الآية، فقالوا: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[5] أنكروا ما كان منهم من الإشراك. فعلى ذلك قوله: **آذَنّاك ما منا مِن شهيد**، أي لم نشرك[6] فيك أحدا ولم نتخذ ما دونك[7] إلها. *والله أعلم*. وقال بعضهم:[8] هذا من قول الأصنام والذين عبدوهم من دون الله في الدنيا، يقولون: ما منا من شهيد على عبادة أولئك إيانا ولا أمرناهم بذلك، وهو كقوله: وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ [فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ].[9] أخبروا أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم إياهم وأنهم ما أمروهم بها.

---

[1] ر م: يزعمون.

[2] م: يودوا.

[3] جميع النسخ: أو يقولون بالشريك أو بإله (ر م: ما له). والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٤ظ.

[4] ن - ذكر.

[5] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٢-٢٣).

[6] ر م: يشرك.

[7] ر م: ماد ذلك.

[8] ن + قوله قالوا آذناك ما منا من شهيد.

[9] جميع النسخ - ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾؛ + وقولهم ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٤). والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٤ظ. سورة يونس، ٢٨/١٠-٢٩.

فعلى ذلك قوله تعالى: **آذَنّاك ما منا من شهيد**، أي أخبرناك. وقوله تعالى: **آذناك**، على هذا التأويل هو ما ذكروا: إنْ كُنّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ. ***والله تعالى أعلم***.

ثم إن الكفرة في يوم القيامة مرة أنكروا عبادتهم غير الله، وأحيانا أقروا بها وتبرءوا منها، ومرة سألوا الرجوع إلى المحنة والردَّ إلى الدنيا على اختلاف الأحوال والأوقات في ذلك اليوم، إذ لا يكون هذه الأسْوِلة[1] المختلفة في وقت واحد. ***والله أعلم***.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل**، هو ما ذكر في آية أخرى، حيث قيل لهم: أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنّا.[2] وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام في الدنيا رجاء أن تشفع[3] لهم في الآخرة وتقرّبهم[4] إلى الله زلفى، فلما أيسوا ما رجَوا منها وطمعوا قالوا ضلّوا عنا، فعلى ذلك قوله: **وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل**، في الدنيا. وقوله عز وجل: **وظنوا ما لهم من محيص**، أي أيقنوا وعلموا[5] أن لا محيص لهم ولا نجاة. وقال أبو عَوْسَجَة: **ما لهم من محيص**، أي مَهرَب.

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط**، وقال في آية أخرى: وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ،[6] هاتان الآيتان في ظاهر المخرج / إحداهما مخالفة للأخرى، لأنه ذكر في إحداهما [٦٩٢و] الإياس والقُنوط إذا مسته الشر، وفي الأخرى كثرة الدعاء إذا مسّته[7] الشدة والبلاء. ومن طباع الخلق والعرف فيهم أنهم إذا[8] أيسوا وقَنِطوا لا يدعون ولا يسألون بل يتركون سؤالهم،

---

[1] ر ث م: الأسؤلة. الأسوِلة لغة من الأسئلة (*لسان العرب*، «سول»).

[2] جميع النسخ: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠ظ. سورة الأعراف، ٣٧/٧.

[3] ر ن م: أن يشفع.

[4] ر ن م: ويقربهم.

[5] ر م: وعملوا.

[6] الآية ٥١ من هذه السورة.

[7] جميع النسخ: مسه. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٥و.

[8] ر م - إذا.

وإذا طَمِعوا ورجَوْا[١] عند ذلك سألوا ودعَوْا، هذا هو العرف فيهم، فدل أن بينهما مخالفةً من حيث الظاهر.

لكن نقول: إن الآية تخرج[٢] على وجوه. أحدها[٣] يحتمل أن [يكون] كل واحد من الآيتين في إنسان لعينه يشار إليه سوى الآخر، كان عادة[٤] أحدهما[٥] عند[٦] الإياس والقنوط من الخير تركَ الدعاء والسؤال، وكان عادة الآخر الدعاء والتضرع إليه والسؤالَ عن كشف ذلك عنه. فأخبر عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام ما أضمر كل واحد منهما في نفسه، أحدهما الإياس والقنوطَ والآخر الدعاء والسؤال والطمعَ في الخير، ليكون له عليهم دلالة الرسالة وآية النبوة، إذ أنبأ عن ضمير كل واحد منهما وما في نفسه ليعلم أنه[٧] رسول وأنه[٨] إنما عَلِم ذلك بالله جل وعلا. *والله أعلم*.

والثاني أن الكفرة كانوا فِرَقا وكانوا على مذاهب شتى مختلفة. فرقة كانت تطمئن في حال الرجاء والسعة، وتَيْأس وتَنْقلِب[٩] في حال البلاء والشدة، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ،[١٠] الآية. وفرقة كانت تَفْزَع إلى الله تعالى وتُقبِل[١١] إليه عند إصابة الشدة والبلاء وتُعْرِض[١٢] عنه عند كشف ذلك عنهم وتوسيعِ النعم عليهم، نحو قوله تعالى: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[١٣] الآية، ونحوه كثير في القرآن.

---

[١] ر م: ورجعوا.

[٢] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٠ظ.

[٣] جميع النسخ.– أحدها. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٠ظ.

[٤] ر م: عبادة.

[٥] ر ن م: أحدها.

[٦] جميع النسخ: على. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٠ظ.

[٧] ر: أن.

[٨] جميع النسخ.– وأنه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٠ظ.

[٩] ث ن: وتتقلب.

[١٠] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).

[١١] جميع النسخ: ويقبل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.

[١٢] جميع النسخ: ويعرض. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩١و.

[١٣] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).

وفرقة كانت تكون[1] في الحالين جميعا على الإعراض عنه وترك الإقبال إليه والطاعة له، لا يَفزَعون إليه ولا يُقبِلون لا في حال الرخاء والسعة ولا في حال البلاء والشدة، كقوله: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ.[2] وفرقة كانت ترى الحسنة والخير من أنفسهم، وإذا صارت[3] سيئة وشدة تَطَيَّرُوا بالرسل عليهم السلام، كقوله تعالى: فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ،[4] وقوله تعالى: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ.[5] وإذا كانت الكفرة على هذه المذاهب المختلفة وكانت أجناسا شتى فيكون كل آية منها في جنس غير الجنس الآخر، وفي أهل مذهب غير أهل مذهب آخر. فأما المسلمون فيكونون في الحالين جميعا على التوحيد والإقبال إلى الله تعالى: في حال الرخاء والسعة وفي حال البلاء والشدة، وهو على ما استثناهم الله تعالى عند ذكر الكفرة، حيث قال: إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[6] وقوله تعالى: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ،[7] الآية، وأمثال ذلك من الآيات، وصفهم جل وعلا بالثبات والقرار على دينهم في الأحوال كلها. *والله أعلم*.

والثالث جائز أن يكون ما ذكر من الآيتين على ما ذكر إخبارا[8] عما طبع عليه البشر وأنشئ، وإنما أنشئ البشر وطبع على الرغبة في الخير والسعة والنفار عن الشدة والبلاء والكراهة له. فهذا إخبار عما طبعوا عليه وأُنشئوا، ليس على حقيقة إظهار ذلك منهم قولا أو فعلا على ما طُبع كل إنسان راغبا حريصا[9] في السعة والرخاء، وأن يكون[10] ما ذكر **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير**، كارها نافرا عن البلاء والشدة. *والله أعلم*.

---

[1] ر م - تكون؛ ن ث: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.

[2] سورة الأنعام، ٦/٤٣.

[3] ث: أصابت.

[4] سورة الأعراف، ٧/١٣١.

[5] سورة النمل، ٢٧/٤٧.

[6] ﴿ولئن أذقناه نَعْمَاء بعد ضَرَّاءَ مَسَّتْه ليقولَنَّ ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (سورة هود، ١١/٩-١١).

[7] ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (سورة العصر، ١٠٣/١-٣).

[8] جميع النسخ: إخبار.

[9] ر ث م: حراصا.

[10] جميع النسخ: وإنه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي.** قال[١] بعضهم: **هذا لي**، أي أعطانيه من خير عَلِمه مِنّي. وجائز أن يكون ما ذكرنا أنهم كانوا يتطيّرون بالرسل عند البلاء والشدة، والسعةَ[٢] يرون[ها] من أنفسهم، حيث قال:[٣] فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ،[٤] الآية.

وقوله عز وجل: **وما أظن الساعة قائمة**، كانوا ينكرون البعث والجزاء لما عَمِلوا[٥] في الدنيا، ثم يقولون: فلئن كان ما[٦] يذكر محمد من البعث والجزاء للأعمال والجنة إن ذلك لنا دونهم، وهو قولهم: **ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى**، أي إن رُجعت إلى ربي على ما يقوله محمد إن لي عنده للحسنى، وهو على ما قالوا في الدنيا: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[٧] لما رأوا السعة لأنفسهم في الدنيا دون المؤمنين، فعلى ذلك في الآخرة قالوا: لنا دونهم. *والله الهادي*.

ثم أخبر تعالى عما ينزل بهم بأعمالهم في الآخرة، وهو قوله تعالى: **فلننبأنَ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ**، أي نبئنّهم بجزاء ما عَمِلوا،[٨] لأن ذلك كان منهم تمنّيا وتَشَهّيا،[٩] ثم نذيقهم[١٠] العذاب الغليظ.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض**،[١١] هو ما ذكرنا من دعائهم وسؤالهم الخير وطمعهم ذلك. وقوله: **فذو دعاء عريض**،

---

[١] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.
[٢] ن: فالسعة.
[٣] جميع النسخ: قالوا.
[٤] ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تُصبهم سيئة يَطَّيَّروا بموسى ومن معه﴾ (سورة الأعراف، ١٣١/٧).
[٥] ن: لما علموا.
[٦] ر م – ما.
[٧] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ (سورة الأحقاف، ١١/٤٦).
[٨] ر م: بخيرا ما عملوا.
[٩] ر م: وتسهيا.
[١٠] ر م: بمزيد يفهم؛ ن: بمزيد نفهم؛ ث: لم يذيقهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.
[١١] ن + قال أبو عوسجة ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذوا دعاء عريض.

قال أبو عَوْسَجَة: **ونأى بجانبه**، أي تَباعَد عما أُمِر به؛ **فذو دعاء عريض**، أي كثير الدعاء لا يَمَلّ ولا يَسأَم، وكذا قال القُتَبي.[1]

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٥٢]

وقوله تعالى: **قل أرأيتم إن كان من عند الله**، يقول: إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به **من أضل ممن هو في شقاق بعيد**.[2] جائز أن يكون هذا موصولا بقوله: **أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**.[3] وجائز أن يكون على الابتداء، ليس بجواب لقوله: **أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**، ويكون / كأن لم يكن يُذكَر جواب **أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**، لِما عرفوا أن من عاند وعادى ما كان من عند الله[4] أنه ما يُعمَل بهم وما يُصنَع، وهو كقوله تعالى: أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[5] لم يُذكَر له جواب، لما عرفوا أن من عُبِد[6] دون الله -بعد معرفتهم أنه إفك وأنه كذب وأنه[7] ليس بإله[8]- ماذا يفعل [الله] بهم، فلم يُذكَر لهذا جواب لمعرفتهم بما يَفْعَل بهم. فعلى ذلك قوله: **قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به**، يجوز أنْ لم يُذكَر له جواب لما عرفوا أنه ما يَفْعَل بهم وما يستوجبون منه بما عاندوه وعادوه بعد معرفتهم أنه من عند الله جاء ثم كفروا به. ***والله أعلم***.

[٦٩٢ظ]

وإن كان موصولا فجوابه ما ذكر من قوله: **من أضل ممن هو في شقاق بعيد**، فيكون كأنه يقول -والله أعلم-: أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به، فإذا كفرتم ضللتم، فمن أضل ممن هو في شقاق بعيد، أي في خلاف وبُعْد، فيكون جوابه كأنه قال: لا أحد أَضَلّ ممن عرف أنه من عند الله ثم خالفه وتباعد عنه، على ما ذكرنا في قوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا،[9] أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا، فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

---

[1] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٠.

[2] جميع النسخ - من أضل ممن هو في شقاق بعيد. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٧٦و.

[3] جميع النسخ - جائز أن يكون هذا موصولا بقوله أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١و.

[4] ن + ثم كفرتم به.

[5] سورة الصافات، ٣٧/٨٦-٨٧.

[6] ر ث م: أن من تريدون عبدوا.

[7] جميع النسخ - أنه. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٧٦و.

[8] جميع النسخ + أن الله.

[9] سورة الأنعام، ٦/١٤٤. انظر تأويل هذه الآية (٥/٢٣٩).

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**، اختلف فيه. قال بعضهم: **سنريهم آياتنا**، أي نريهم عذابنا الذي نَزَل بالأمم المتقدمة في بلاد عادٍ وثمودَ وقوم لوطٍ، كانوا يمُرّون عليها ويعرفون أنه لماذا نَزَل بهم ذلك، وهو[1] لتكذيبهم[2] الرسل وعنادهم، ونريهم عذابنا أيضا في أنفسهم ببدر، حيث قُتل فراعنتهم يومئذ. **حتى يتبين لهم أنه الحق**، يقول:[3] إن القرآن هو الحق من الله، لأن فيه الإخبارَ عن العذاب للذين[4] كذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: **سنريهم آياتنا في الآفاق**، هو ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على البلاد والقرى النائية وفتحها عليه. **وفي أنفسهم**، أي فتح مكة وظهوره عليهم على ما وعد له ربه جل وعلا من النصر له وفتح البلاد والقرى. فيكون هذان التأويلان آية لرسالته ونبوته. *والله أعلم*.

ويحتمل قوله:[5] **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**، آيات وحدانيته وألوهيته؛ أما في الآفاق هو[6] ما[7] جعل منافع البلاد النائية والقرى المتباعدة متصلة بمنافع أنفسهم ومنافع البلاد القريبة، ومنافعَ[8] السماء متصلة بمنافع الأرض على بعد ما بينهما، ليُعلَم أنه تدبير واحدٍ وفعلُ فردٍ لا عدد. أو أن تكون[9] آياته في الآفاق رفعَ السماء مع غِلَظها وكثافتها وسَعَتها بلا سبب ولا تعليق من أعلاها ولا عماد من أسفلها. **وفي أنفسهم** ما حَوَّلهم وقَلَّبهم في الأرحام من حال النطفة إلى حال العلقة ومن حال العلقة إلى حال المضغة ثم من حال المضغة إلى حال الإنسان والتصوير والتركيب إلى آخر ما ينتهي إليه أمره، ليُعلم أنه صنع واحد وتدبير فردٍ، لا تدبيرَ لأحد سواه في ذلك. فهذان التأويلان في آية الألوهية والوحدانية، والأولان في إثبات الرسالة. *والله أعلم*.

---

[1] ر م - وهو.
[2] ر م: تكذيبهم.
[3] ن: نقول.
[4] جميع النسخ: الذين.
[5] ر م: قولهم.
[6] ر ن م - هو.
[7] ر م: وما.
[8] ن + ومنافع.
[9] جميع النسخ: أو أن يكون.

وقوله عز وجل: **أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**، كأنه يقول: أولم يكف ربُّك شاهدا أنه من عنده على ما تقول[1] أنت. أو يقول: أولم يكف ربك ناصرا ومعينا. أو يكون قوله: **أولم يكف**، أي أو لم يكفهم ما جاء من عند الله من البينات والقرآن، كقوله: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ،[2] الآية، فعلى ذلك يحتمل هذا. ويحتمل أولم يكفهم آيةً على رسالتك وآية على وحدانية الله تعالى ما جاء من عند الله. ***والله أعلم***.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [٥٤]

وقوله عز وجل: **ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم**، أي ألا شكُّهم ومِرْيَتهم في البعث هو الذي حَمَلهم على تكذيب ما جاء من عند الله وإنكاره. ***والله تعالى أعلم بالصواب***.[3]

---

[1] ن: يقول.

[2] سورة العنكبوت، ٥١/٢٩.

[3] ر: والله أعلم؛ ن: والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ ث: والله سبحانه وتعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشورى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿حمٓ﴾[١] ﴿عٓسٓقٓ﴾[٢]

قوله عز وجل: **حم عسق**. قال بعضهم: **حم**، هو اسم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو[3] اسم من أسماء القرآن. وقال بعضهم: **حم**، أي قُضِي ما هو كائن.[4] وقد ذكرنا الحروف المقطعة فيما تقدم.[5] وقال بعضهم في **عسق**: [ال]عين عبارة عن عذابه، والسين عن المسخ،[6] والقاف كناية عن القذف. يقول[7] صاحب هذا القول: يخرج عين من الأرض فيها عذاب ويُمْسَخ رجل من هذه الأمة بالبادية فيقذفه الناس بالحجارة. *والله أعلم*. وقال بعضهم: -وهو قول ابن عباس- **حم سق**،[8] على إسقاط حرف العين؛ ثم يقول: السين كل فرقة تكون؛[9] والقاف كل جماعة تكون،[10]

---

[1] ر ن- سورة الشورى؛ ن م + ذكر أن حم عسق كلها مكية إلا آيات؛ ث + مكية وهي خمسون وثلاث آيات.

[2] ن + رب وفق والأمل فحقق.

[3] ن - هو.

[4] جميع النسخ + وقد ضعف هذا القول ابن عباس رضي الله عنه والصحيح من الأقوال أن حم خبر مبتدأ محذوف وتنزيل الكتاب خبره من الله صفة الكتاب (ر: صفته لكتاب؛ ث: صفة لكتاب) والتقدير هذا حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الرحيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩١ظ.

[5] جميع النسخ - وقد ذكرنا الحروف المقطعة فيما تقدم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٧٧و. انظر: تفسير أول سورة البقرة و سورة آل عمران.

[6] ر م: عن المسيح. المَسْخ: تحويل صورة إلى صورة أقبح منها وتحويل خلْق إلى صورة أخرى؛ يقال: مَسَخه الله قِرْدًا يَمْسَخه وهو مَسْخ ومَسِيخٌ (*لسان العرب*، «مسخ»).

[7] ن: كقول.

[8] ن ث: حم عسق.

[9] ر ث م: يكون.

[10] جميع النسخ: يكون. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.

وذُكر أنه[1] كان يَعلم[2] علي بن أبي طالب[3] كرم الله وجهه حساب العين. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وأُبَيّ رضي الله عنهما أنهما قرءا[4] حم سق[5] على طرح العين.[6] وقال بعضهم: العين عبارة عن العذاب، والسين عن سيكون، والقاف / عن الوقوع، أي قُضي ما سيكون لك.[7] [٢٩٣و] *والله أعلم*.[8] وذكر عن جعفر بن محمد بن علي رضي الله عنهم[9] قال: العين عبارة عن العذاب، والسين عبارة عن سيكون، ولم يفسر القاف وقال: عَجَبٌ!، أو كلام نحوه.[10] *والله أعلم*. وقال بعضهم: العين عبارة عن علمه، والسين السلام، والقاف عبارة عن القدرة، وهذا[11] محتمل. وجائز أن يكون كل حرف من هذه الحروف المقطعة عبارةً عن صفة من صفاته أو اسمٍ من أسمائه على عادة العرب بالاكتفاء عن حرفٍ عبارةً عن جميع الكلمة؛ فالحاء عبارة عن حلمه وحكمته وحكمه، والميم عبارة عن ملكه ومجده، والعين عبارة عن علمه، والسين عبارة عن سنائه وسُودَدِه،[12] والقاف عبارة عن قدرته وقوته. يكون كل حرف من هذه الحروف عبارةً عن اسم من أسمائه أو صفة من صفاته، أو عبارة[13] عن حكم من أحكامه. وهذا الذي ذكرنا كله على الإمكان والاحتمال، لا يَسَع لأحد[14] أن يحقق فيه التفسير أنه كذا وأنه أراد كذا، لأنه من المتشابه وأنه من السر[15] الذي لم يُطْلِع الله تعالى عليه أحدا إلا رسلَه عليهم الصلاة والسلام.

---

[1] ر م – أنه.
[2] م: بعلم.
[3] ن + رضي الله عنه و.
[4] جميع النسخ – أنهما قرءا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[5] ر م ث: وحم سق.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٤٦٥/٢٠.
[7] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[8] ر – أعلم.
[9] هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، الإمام السادس عند الاثنا عشرية.
[10] ولم أجده مرويا عن جعفر الصادق، لكن القرطبي روى عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنهما التفسير التالي: «الحاء» من الرحمن، و«الميم» من المجيد، و«العين» من العليم، و«السين» من القدوس، و«القاف» من القاهر (*الجامع لأحكام القرآن*، ٤٤٢/١٨).
[11] ر م: وكذا.
[12] والسُّودَدُ: الشرف، وقد يُهمَز وتُضم الدال الأُولى: السُّؤدُدُ، لغة طيء، وقد سادهم سُودًا وسُودُدًا وسِيادةً وسَيْدُودة (*لسان العرب*، «سود»).
[13] جميع النسخ: وعبارة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[14] جميع النسخ – لأحد. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[15] ن + من.

﴿كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك**، أي كما أوحى إليك فقد أوحى إلى الذين من قبلك مثله. ثم اختلف في قوله: **كذلك**. قال بعضهم: أي كما أوحينا إليك بسورة حم عسق أوحينا بها إلى الذين من قبلك. وقال بعضهم: أي كما أوحينا إليك بهذه الحروف، يعني حم عسق بعينها فقد أوحينا بعين هذه الحروف إلى الذين من قبلك، وهو حم عسق. وقال بعضهم: كما أوحينا إليك بحم عسق،[١] أوحينا إلى الذين من قبلك من الرسل بمعنى ذلك.[٢] وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ليس نبي إلا وقد أوحى إليه بحم عسق، كما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو على ما ذكرنا.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٤]

وقوله: **له ما في السماوات وما في الأرض**، يخرج ذكر هذا في هذا الموضع على وجوه. أحدها[٣] أي له ما في السماوات وما في الأرض شهودًا[٤] على ألوهيته ووحدانيته. والثاني أن ما في السماوات والأرض[٥] وما فيهما[٦] دلالاتُ وحدانيته وربوبيته. والثالث **له ما في السماوات وما في الأرض**، أي كلهم عبيده وملكه، فلا يحتمل أن يتخذ من ملكه وعبيده ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة وما قالوا فيه؛[٧] إذ لا أحدَ يتخذ من عبيده وملكه[٨] ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة، فعلى ذلك يتعالى الله من أن يكون له في ملكه ما ذكروا. *والله أعلم*.

وقوله: **وهو العلي العظيم**، العلو والعظمة في الشاهد يكون من وجوه ثلاثة. أحدها العلو عبارة عن القهر والغلبة، يقال: فلان عالٍ، أي غالب وقاهر والعظمة عبارة عن القدرة والمنزلة ونَفَاذ الأمر. والثاني يكون العلو عبارة عن الكبرياء والسُّودَد، وكذلك العظمة.

---

[١] جميع النسخ: حم عسق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[٢] ن + والله أعلم.
[٣] ر م – أحدها.
[٤] جميع النسخ: شهود. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢و.
[٥] ن: وما في الأرض.
[٦] ر م: فيها له؛ ث + له.
[٧] ر ث م – فيه.
[٨] ر م: و من ملكه.

والثالث العلو يكون عبارة عن الارتفاع في المكان، والعظمة عظمة في البدن والنفس. وهذا مما لا يكون فيه كثرة[1] مَنْقَبَةٍ وقدرٍ ولا شيءٌ من ذلك، ولا يزيد ذلك في صاحبه رفعة ولا مرتبةً، والله يتعالى عن الوصف بهذا. فإنما رجع الوصف له بالعلو والعظمة إلى الوجهين الأولين: السلطانِ[2] والقدرة ونفاذ الأمر والمشيئة، أو الكبرياءِ[3] والغلبة؛ فأما ما رجع إلى الارتفاع في الأمكنة والعظمة في البدن فهو صفة المخلوق وهم الموصوفون بذلك. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.[4]

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥]

وقوله: **تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما تكاد يتفطرن لذنوب أهل الأرض وفسادهم وعِظَم ما قالت الملحدة[5] في الله من الولد والشريك والصاحبة، كادت تتشق لذلك وتتساقط، كقوله في آية أخرى: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا.[6] بين في هذه الآية أنها كادت تنفطر وتنشق[7] لماذا؟ وهو دعواهم للرحمن ولدا، فلذلك يحتمل هاهنا هذا المعنى. *والله أعلم*. والثاني كادت تنشق[8] لبكاء أهلها عليها إشفاقا[9] ورحمة على أهل الأرض. ويحتمل تكاد تنشق[10] لعظمة الرب وجلاله وعِظَم[11] سلطانه، كقوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،[12] أخبر أنه لو جعل في الجبال والأرض والسماء من المعنى والتمييز ما جعل في البشر لكانت هذه الأشياء بالوصف[13] الذي ذكر من الخضوع لربها.

---

[1] ن: كبير.
[2] ر م: والسلطان.
[3] ر م: والكبرياء.
[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى هذه الآية الكريمة: ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٤٣/١٧).
[5] ر: وعظم ما قالت الملحدة؛ ث: وعظيم ما قالت الملحدة؛ م: وعظم ما قالت الملاحدة.
[6] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[7] ن: ينفطر وتتشقق.
[8] ن: تنشقق.
[9] ر ث م: وإشفاقها؛ ن: وإشفاقك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢ظ.
[10] ن: تنشقق.
[11] ن: وعظيم.
[12] سورة الحشر، ٥٩/٢١.
[13] ث + الوصف.

وهو كما ذكر في آية أخرى: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ،[١] يخبر عن شدة خضوع هذه الأشياء وخشوعها لربها وتذللها له، وعناد الكفرة واستكبارهم وقلةِ خضوعهم وخشوعهم لربهم. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن**، لكثرة أهلها وازدحامهم فيها وعبادتهم[٢] لربهم، على ما ذُكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَطَّتِ[٣] السماء / وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما من موضع قدم فيها إلا ومَلَكٌ فيها ساجد أو راكع أو قائم يسبح الله تعالى ويصلي له».[٤] *والله أعلم*. [٦٩٣ظ]

وقوله: **والملائكة يسبحون بحمد ربهم**. هذا يدل على أن ما ذكر من تفطر السماء لعظم ما يقول الملحدة[٥] فيه من الشريك والولد والصاحبة حيث قال على إثره: **والملائكة يسبحون بحمد ربهم**، أي الملائكة ينزهونه ويبرءونه عما يقولون فيه ويُثْنُون عليه بالثناء الذي يليق به ويصفونه بما هو أهله. *والله أعلم*.

وقوله: **ويستغفرون لمن في الأرض**، امتحنهم جل وعلا بالتسبيح له والثناء عليه[٦] والاستغفار لأهل الأرض على ما ذكر. ثم قال[٧] بعضهم: إن قوله: **ويستغفرون لمن في الأرض**، منسوخ بقوله تعالى: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا،[٨] لأن الأول عامٌّ لجميع أهل الأرض والثاني خاص. لكنّ هذا بعيد محال أن يستغفر الملائكة ويطلبوا[٩] التجاوز من ربهم لمن يقول له بالشريك والولد والصاحبة؛

---

[١] سورة البقرة، ٢/٧٤.

[٢] ر م: وعبادهم.

[٣] من الأطيط صوت الأقتاب. وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها. أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت. وهذا مَثَل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمّ أطيط وإنما هو كلامٌ تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى (*النهاية* لابن الأثير، «أطّ»).

[٤] عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطّت السماء وحُقّ لها أن تَئِطَّ ما فيها أربعُ أصابعَ إلا وعليه ملكٌ واضع جبهته ساجدًا لله تعالى. لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفُرُشات ولَخرجتم إلى الصُّعُدات تَجْأَرون إلى الله». قال: فقال أبو ذر: والله لَوَدِدْتُ أني كنت شجرة تُعضَد. (*مسند أحمد بن حنبل*، ٥/١٣٨؛ و*سنن ابن ماجة*، الزهد ١٩؛ و*سنن الترمذي*، الزهد ٩.

[٥] ر م: الملاحدة.

[٦] جميع النسخ: له.

[٧] ث م: ما ذكرتم قال.

[٨] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كلَّ شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وَقِهِمْ عذابَ الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧).

[٩] ر م: ويطلبون.

وإذا كان كذلك كان استغفارهم يرجع إلى المؤمنين خاصة على ما ذُكِر في آية أخرى: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وبقوله: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ،[1] فكان المراد من العام هو الخاص لأن المراد[2] منه العموم، ثم صار منسوخا بورود الخاص متراخيا. *والله أعلم*.

ثم إن كان استغفارهم لجملة أهل الأرض على ما يقولون فهو عبارة عن طلب السبب الذي به تقع[3] لهم المغفرة وهو التوبةُ عن الشرك والتوحيدُ، فيكون هذا سؤال التوحيد والهداية لهم تقع[4] المغفرة لهم بذلك التجاوز[5] ويصيروا لذلك أهلا.[6] وعلى ذلك يخرج استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه أنه سؤالُ وطلبُ السببِ الذي به[7] يقع[8] المغفرة له وأن يجعله[9] أهلا لذلك. وكذلك أَمْرُ الرسل عليهم السلام قومَهم بالاستغفار ربهم؛[10] وهو ما قال هود عليه السلام: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[11] وقول نوح: [فَقُلْتُ] اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.[12] لا يحتمل أن يقولوا لهم: قولوا «نستغفر الله»،[13] ولكن يقولون لهم: اطلبوا واسألوا[14] ربكم السبب الذي به تقع[15] المغفرة لكم، وهو التوبة عما هم فيه واختيار الهداية والرشد لأنفسهم ليكونوا لذلك أهلا. فعلى ذلك يخرج استغفار الملائكة أن كان لجملة أهل الأرض على ما يقول بعض أهل التأويل.[16] وعلى هذا لا حاجة إلى النسخ ولا يحتمله. *والله أعلم*.[17]

---

[1] سورة المؤمن، ٤٠/٧.
[2] ن: لا أن المراد.
[3] ر ث م: يقع.
[4] جميع النسخ: ليقع.
[5] ن ث: والتجاوز.
[6] ر م - أهلا.
[7] ث - به.
[8] جميع النسخ: يقع.
[9] ن: ولن يجعله.
[10] جميع النسخ: لهم.
[11] سورة هود، ١١/٥٢.
[12] سورة نوح، ٧١/١٠.
[13] ر م: قول أستغفر الله؛ ث: قول يستغفر الله.
[14] ر م: طلبوا وسألوا.
[15] جميع النسخ: يقع.
[16] ر: التوحيد.
[17] ر م - والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[٦]

وقوله: **والذين اتخذوا من دونه أولياء**، يحتمل قوله: **أولياء** الأصنام التي عبدوها دون الله تعالى اتخذوها أربابا وآلهة دون الله فعبدوها. ويحتمل **اتخذوا من دونه أولياء**، أي والذين اتخذوا أولياء من دون أولياء الله،[1] كقوله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،[2] وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ،[3] وقوله تعالى: إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ.[4] ***والله أعلم.***[5] وقوله: **الله حفيظ عليهم**، يخبر أنه لا عن غفلة وجهل منه يعملون ما يعملون، ولكنه حفيظ عليهم وعلى أعمالهم لكنه يؤخر ذلك عنهم لحكمة. ***والله أعلم.***

وقوله: **وما أنت عليهم بوكيل**، يحتمل وجهين. أحدهما **وما أنت عليهم بوكيل**، أي لا تؤاخذ[6] أنت[7] بمكانهم كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[8] والثاني **ما أنت عليهم بوكيل**، أي بمسلَّط عليهم ولا حفيظ، إنما أنت رسول فعليك البلاغ،[9] كقوله تعالى: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ،[10] وقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[11] ***والله أعلم.***

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[٧]

وقوله: **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا**، أي مثل الذي أوحينا إليهم قد أوحينا إليك قرآنا عربيا،[12] أي جعلناها قرآنا عربيا[13] ليكون أقرب إلى الفهم وأولى أن يكون حجة عليهم

---

[1] جميع النسخ – اتخذوها أربابا وآلهة دون الله فعبدوها ويحتمل اتخذوا من دونه أولياء أي والذين اتخذوا أولياء من دون أولياء الله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٢ظ (هكذا في نسخة جار الله، ورقة ١٧٩و).

[2] سورة آل عمران، ٢٨/٣.

[3] سورة الممتحنة، ١/٦٠.

[4] سورة الأعراف، ٣٠/٧.

[5] ر م – والله أعلم.

[6] ن ث: لا تؤخذ.

[7] م – أنت.

[8] سورة النور، ٥٤/٢٤.

[9] ن + والله أعلم.

[10] الآية ٤٨ من هذه السورة.

[11] سورة المائدة، ٩٩/٥.

[12] جميع النسخ – أي مثل الذي أوحينا إليهم قد أوحينا إليك قرآنا عربيا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٣و (وهذه الزيادة موجودة في نسخة جار الله، ورقة ١٧٩و).

[13] ر ث م – أي جعلناها قرآنا عربيا.

وأبلغَ في الحِجاج، لأنه ذكر فيه الأنباء السالفة والأخبار المتقدمة باللسان العربي غيرِ لسان تلك الأنباء ومن غير أن يختلف إلى أحد من أهل ذلك اللسان لِتوهّم التعلم[1] منهم بلسانهم والنقل بلسان نفسه، فدل أنه إنما عَرَف بالله تعالى.

وقوله: **لتُنْذر أم القرى ومن حولها**، أي لتنذر[2] أهل أم القرى وأهل من حولها من القرى. ثم يحتمل تسميته مكة[3] أم القرى وجوها ثلاثة. أحدها[4] سماها أم القرى لما منها دُحيتْ[5] سائر الأَرَضِين والقرى. والثاني سماها أم القرى[6] لأن فيها[7] أولَ بيت وضع للناس وأول بناء بُنِيَ في الأرض، فسماها لذلك أم القرى. ***والله أعلم***. والثالث سماها أم القرى لما على الناس أن يَؤُمُّوها[8] ويَقْصِدُوها بالزيارة، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من[9] بعث رسولا بُعث[10] فيها، فإليها يؤمّ ويقصد بالدعوة أوّلَ ما[11] يَؤُمّ ويُقصَد، ثم من بعد ذلك يؤم إلى سائر القرى والبلدان ويقصد. والأَمُّ القصد، ومنه أُخذ التيمم، ولذلك سماها أم القرى. ***والله أعلم***.

وقوله: **وتُنْذر**[12] **يوم الجمع**، أي وتنذر[13] بيوم الجمع. ويحتمل أن يكون قوله: **وتنذر يوم الجمع**، أي تنذر[14] بالقرآن يوم الجمع لا ريب فيه. وقوله: **فريق في الجنة وفريق في السعير**، قد بين الله تعالى السبيلين جميعا على الإبلاغ، وبين عاقبة كل سبيل إلى ماذا يفضي مَن سلكها. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: العلم.
[2] ر ث م: لينذر.
[3] ر ث م: كله.
[4] ر ن ث: إحداها.
[5] الدَّحْو: البَسْط. دحا الأَرضَ يَدْحُوها دَحْواً: بسطها (*لسان العرب*، «دحا»).
[6] ن + لما منها دحيت سائر الأرضين والقرى.
[7] جميع النسخ: لأنها.
[8] م: يؤمها.
[9] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٧٩و.
[10] ر م – بعث.
[11] ر: مما.
[12] ث: وينذر.
[13] ر ث م: وينذر؛ ن: أو تنذر.
[14] ر ث م: أي ينذر.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٨]

وقوله: **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة**، يخبر أن عنده من اللطائف والقدرة ما لو شاء لجعلهم جميعا أمة واحدة وعلى دين واحد، وهو ما قال: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ،[1] الآية. فلو جعل ذلك لأهل التوحيد والإيمان لكانوا جميعا على دين / الإسلام على ما أخبر أنه لو كان ذلك مع أهل الكفر لكانوا جميعا أهل كفر. [٦٩٤و]
ثم قوله: **ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة**، لا يحتمل[2] مشيئة الجبر والقسر –على ما يقوله المعتزلة– لوجوه. أحدها لما لا يكون الإيمان في حال الجبر والقهر، لأنه لا صنع لهم في ذلك ولا اختيار لهم. والثاني أن كل أحد بشهادة الخلقة مؤمن موحد لله تعالى، ثم لم يصيروا[3] بذلك مؤمنين؛ فعلى ذلك بالجبر والقهر إذ في الحالين ليس ذلك[4] فعلَ المؤمن إنما هو فعل غيره. فدل أنه أراد أن يشاء منهم ما يكون مختارين في الإيمان لا مجبورين. والثالث أن الإيمان بالجبر والقهر مما لا يعرفه الناس، ولا يطلق اسم الإيمان عليه في العرف. وقد وعدهم الإيمان وجَعْلَ الدين واحدا، وهذا عند التعارف ينصرف إلى ما يوجد منهم عن طوع واختيار لا بالجبر والقهر، فتكون[5] الآية منصرفة إلى المعهود عند الناس على ما هو الأصل في الكلام. *والله الموفق*.
وعندنا أراد به مشيئة الاختيار وأخبر[6] أن عنده من اللطائف ما لو أعطى الكل لآمنوا جميعا عن اختيار، لكنه لم يعطهم ذلك ولم يشأ،[7] لما علم منهم أنهم لا يرغبون فيه ولا يختارون ذلك، ولكنْ إنما يختارون ضد ذلك ونقيضه.[8] لذلك لم يشأ لهم وإنما يشاء لمن علم أنه يختار ذك فضلا.
وقوله: **ولكن يُدخل من يشاء في رحمته**، يخبر أن من أعطى ذلك إنما يعطيه رحمة منه وفضلا، لا أنهم يستوجبون[9] ذلك منه ويستحقون عليه. *والله الموفق*.

---

[1] سورة الزخرف، ٣٣/٤٣.
[2] ر م: ولا يحتمل.
[3] ر م: لم يصيروا؛ ن: لم يصيروا لهم، و"لهم" مشطوب.
[4] ر ث م – ذلك.
[5] ر ن م: فيكون.
[6] ر: أخبر.
[7] ر: ولو يشاء.
[8] ر: عند ذلك ونقيضه؛ ن: ضد ذلك ويقبضه.
[9] ن: مستوجبون.

ثم إن الله تعالى سمى الإيمان مرة رحمة بقوله: **ولكن يدخل من يشاء في رحمته**، ومرة سماه نعمة بقوله: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ،[1] ومرة سماه مِنَّةً بقوله: وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ،[2] وبقوله: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ،[3] الآية. فلو كان الإيمان يقوم بالذي يكون الكفر من القدرة ولم يكن من الله تعالى إلى المؤمنين إلا وقد كان ذلك[4] مثله إلى الكافر -على ما يقوله المعتزلة: إن الإيمان إنما يكون بالذي يكون الكفر- لم يكن لتسميته هذا نعمة ومنة ورحمة وتسميةِ الكفر ضدَّه معنى. *والله الموفق*. وبعد، فإنه لو كان على ما يقول المعتزلة لكان ما ذكر من النعمة والمنة والرحمة إنما يكون بالخلق ومنهم[5] لا بالله تعالى ومَنِّه. دل أن عنده لطائف، من أعطى تلك اللطائف آمن واهتدى، ومن لم يعطه إياها لم يؤمن. وقد أعطى المؤمن تلك ولم يعطه[6] الكافر، لذلك كان ما ذكرنا. *والله الموفق*.

ثم في تخصيص أم القرى ومن حولها بالنِذارة وجهان.[7] إذ ذكر[8] في آية أخرى أنه نذير للعالمين جميعا بقوله: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.[9] فإذا كان مبعوثا إلى جميع العالم لا إلى بعض دون بعض كما كان بعض الأنبياء عليهم السلام فلا بد أن يكون لتخصيص أم القرى ومن حولها معنىً وحكمةٌ. أحدهما[10] لما يحتمل أن يكون لأهل مكة طمع في شفاعته وإن لم يتبعوه، إما بحق القرابة والاتصال وإما[11] بحق الأيادي[12] ولمن حولهم بحق الجوار. فذكر تخصيصهم بالإنذار بيوم الجمع حتى يزول طمعهم بدون الاتباع والنزوع عن الشرك، إذ ذلك لا يزول بمطلق الإنذار

---

[1] ر ث م – ومرة سماه نعمة بقوله صراط الذين أنعمت عليهم. سورة الفاتحة، ٦/١.

[2] ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ (سورة إبراهيم، ١١/١٤). يبدو أن المؤلف رحمه الله عد الرسالة من أعلى مراتب الإيمان، لأن هذا القول من الآية قول الرسل يخبرون به نعمة الرسالة التي أنعمها عليهم.

[3] ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ (سورة الحجرات، ١٧/٤٩).

[4] ر ث م – ذلك.

[5] ر م: منهم.

[6] جميع النسخ: و لم يعط. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٣ظ (هكذا في نسخة جار الله، ورقة ١٨١و).

[7] جميع النسخ: وجوه. وفي نسخة جار الله: وجهين. انظر: ورقة ١٨١و.

[8] ر م: إن ذكر.

[9] ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ١/٢٥).

[10] جميع النسخ: أحدها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨١و.

[11] ر: وإنما.

[12] الأيادي جمع الجمع لليد مثل أكرع وأكارع؛ أكثر ما تستعمل الأيادي في النعم لا في الأعضاء (*لسان العرب*، «يدي»).

لما عندهم[١] وفي زعمهم[٢] أن المراد بذلك غيرهم، لما لهم من زيادة سبب الوسيلة معه. *والله أعلم*.[٣] والثاني أي تنذر[٤] هؤلاء ومن ذكر شِقَاهَا ولمن بَعُدَ منهم خبرا،[٥] أو خص[٦] هؤلاء بحق البداية، ثم بالأقرب فالأقرب. وعلى ذلك يخرج قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ،[٧] على الوجوه التي ذكرنا.

وقوله سبحانه وتعالى: **والظالمون ما هم من ولي ولا نصير**، أي ما لهم من ولي يشفع ولا من نصير ينصر ويمنعهم من عذاب الله تعالى.[٨]

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٩]

وقوله: **أم اتخذوا من دونه أولياء**، **أم** هاهنا على الإيجاب، معناه بل اتخذوا من دونه أولياء،[٩] أي أربابا. **فالله هو الولي**، أي هو الرب. **وهو يحيي الموتى**، قد عرفوا[١٠] أن الإحياء إنما يكون بالله تعالى لا بالأصنام التي عبدوها وإن كانوا ينكرون البعث والإحياء بعد الموت، فقد عرفوا[١١] أنه لو كان إنما يكون بالله تعالى لا بالأصنام التي عبدوا دونه.[١٢] **وهو على كل شيء قدير**، ظاهر قد تقدم ذكره.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١٠]

وقوله: **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**، يحتمل قوله: **وما اختلفتم فيه** وجوها. أحدها في القرآن، والثاني في رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثالث في الدين. فإن كان اختلافهم في القرآن فقوله: **فحكمه إلى الله**، فيما أقام من الحجج والبراهين أنه من الله وأنه من عنده جاء،

---

١ ن – والنزوع عن الشرك إذ ذلك لا يزول بمطلق الإنذار لما عندهم.
٢ ر م: في زعمهم.
٣ ر م – والله أعلم.
٤ ر م: أن ينذر.
٥ ن: ولم يعد منهم خيرا.
٦ ن: إذ خص.
٧ سورة الشعراء، ٢١٤/٢٦.
٨ ر م – الله تعالى.
٩ ر ث م – أم هاهنا على الإيجاب معناه بل اتخذوا من دونه أولياء.
١٠ ر ث م: وقد عرفوا.
١١ جميع النسخ: فلو عرفوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٣ظ.
١٢ م: عبدوها.

حيث عجزوا عن إتيان مثله أو مقابلة شيء يوازيه. وإن كان اختلافهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رسول أو ليس برسول، فقد أقام من الدلائل والبراهين ما يدل على رسالته ونبوته سمعيات وعقليات، مالا يتعرض لردها إلا من كابر عقلَه وعاند لُبَّه. وكذلك لو كان اختلافهم في الدين فقد أقام ما يعلم كل ذي لُبٍ وعقل أنه هو الصواب وأن غيره من الأديان ليس بحق. وقال بعض أهل التأويل في قوله: **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**: أي إلى كتاب الله، كقوله: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ،[1] أي إلى كتاب الله. لكن هذا لا يصح، فإن قوله: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ / فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، إنما هو في المؤمنين إذا وقع بينهم [٦٩٤ظ] الاختلاف في شيء من الأحكام يُرَدّ ذلك إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأما قوله تعالى: **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**، إنما هو في محاجة الكفرة، فهو في غير ذلك المعنى، إذ هم لا يعتقدون كونه حجة وإنما يُرجَع [فيه] إلى دليل آخر عقلي. ***والله أعلم***.

وقوله: **ذلكم الله ربي**، أي ذلك الذي يفعل هذا هو ربي. **عليه توكلت**، في كل أمري. **وإليه أنيب**، بالطاعة. ويحتمل أن يكون اختلافهم الذي ذكر هو اختلافَهم في الله تعالى، كقوله: وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ.[2] وقوله: **ذلكم الله ربي**، أي ذلكم الذي اختلفتم فيه هو ربي؛ **عليه توكلت**، أي عليه اعتمدت؛ **وإليه أنيب**، أي إليه أرجع. ثم نَعَتَه فقال:

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١١]

فاطر السماوات والأرض، وقال[3] في موضع آخر: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[4] وفي موضع آخر: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[5] وقال في موضع آخر: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[6] قال بعض الباطنية: المبدع هو الذي ينشئ الأشياء لا من شيء، والخالق هو الذي ينشئ الشيء من شيء ومن لا شيء،[7] والفاطر هو الذي ينشئ من شيء، أو نحوه من الكلام.

---

[1] سورة النساء، ٥٩/٤.

[2] ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم﴾ (الآية ١٦ من هذه السورة).

[3] ر م + هو.

[4] سورة فاطر، ١/٣٥.

[5] جميع النسخ: ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم﴾. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و. سورة الأنعام، ١/٦.

[6] سورة الأنعام، ١٠١/٦.

[7] ن − ومن لا شيء.

وعندنا أن هذه الأسماء -وإن اختلفت ألفاظها وافترق اشتقاقها ومأخذها- فهي في المعاني واحدة. الإبداع هو الإنشاء بلا احتذاءٍ سبق، والخلق هو الإنشاء والتقدير. لكن غيرَه لا يجوز أن يسمى خالقا، لأنه لا يقدر على تقدير شيء إلا على مشاهدة تقدير[١] عاينه ورآه، والفاطر كأنه مأخوذ من الشَّقِ، يَشُقُّ الشيء ويُخرِج منه أشياء. وكله[٢] خلق وفاعله خالق على الحقيقة، وهو الله تعالى. ***وبالله القوة والتوفيق.***

وقوله: **جعل لكم من أنفسكم أزواجا**. هذا يُحتمل وجوه. أحدها **جعل لكم من أنفسكم أزواجا**،[٣] أي جعل من نفس آدم وحواء عليهما السلام أزواجا نَسَبَنا جميعا إليهما، لأنهما الأصل وإنا[٤] جميعا إنما كنا من ذلك الأصل، وهو كنسبته إيانا إلى التراب بقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[٥] وإنما خلق أصلنا من التراب لكنه نسبنا إليه لما منه كنّا جميعا. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **جعل لكم من أنفسكم أزواجا**، أي من نفس آدم وحواء ونسبنا إليهما لما منهما كنا جميعا. ***والله أعلم***. والثاني يقول: جعل بعضكم من بعض أزواجا، أي حلائل، أي خلق الإناث من الرجال[٦] والرجال من الإناث، وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا،[٧] الآية. والثالث أي جعل لكم من مثل خلقكم أزواجا، أي أصنافا وأشكالا، جعل الخلائق كلها[٨] ذوي أشكال وأمثال وذوي أزواج.[٩] وكذلك يخرج قوله: **ومن الأنعام أزواجا**، على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: إنه[١٠] جعل الأنعام أيضا ذات أزواج وأشكال.[١١] والثاني جعل منها الذكور والإناث أيضا كما جعل من البشر. ***والله أعلم***.[١٢]

---

[١] ر م - تقدير؛ ن ث: يقدر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و.
[٢] ر م: كله.
[٣] جميع النسخ - هذا يحتمل وجوها أحدها جعل لكم من أنفسكم أزواجا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٠ظ.
[٤] ن: وآباء.
[٥] سورة المؤمن، ٦٧/٤٠.
[٦] ر م: من الرجل.
[٧] سورة الروم، ٢١/٣٠.
[٨] جميع النسخ: كله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و.
[٩] جميع النسخ: ذا أشكال وأمثال وذا أزواج. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤و (هكذا في نسخة جار الله، ورقة ١٧١و).
[١٠] م: إن.
[١١] ن + كالبشر.
[١٢] م - والله أعلم.

وقوله تعالى: **يذرؤكم فيه**. اختلف في تأويل قوله: **يذرؤكم**، وفي المراد[1] بقوله: **فيه**، أن الهاء كناية عن ماذا؟ قال بعضهم: **يذرؤكم**، أي يُكْثِركم، وقيل: يُعَيِّشكم[2] فيه، وقيل: يرزقكم فيه ويُعَمِّركم، وقيل: يخلقكم. وأما قوله: **فيه**، قال بعضهم: يجيء أن يكون[3] قوله: **فيه**، أي فيها كنايةً عن الأنعام. وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: يذرؤكم فيها،[4] أي في الأنعام، لما جعل للبشر فيها من أنواع المنافع. وأما من قرأ: **يذرؤكم فيه**، بغير ألف فهو يجعله كناية عن العالَم، كأنه يقول: يذرؤكم فيه، أي يخلقكم في العالم ويُكْثركم فيه، ويُعيّشكم ويعمّركم. وقال بعضهم: **يذرؤكم**، أي يكثركم في هذا التزويج الذي جعل بينكم، أي يكثركم بسبب هذا التزويج، ولولا هذا التزويج[5] لم يَكثُر الناس. وجائز أن يكون قوله: **فيه** كناية عن التدبير، يقول: **يذرؤكم فيه**، يخلقكم فيه نسلا بعد نسل، كقوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ،[6] وهو قول القُتَبِي[7] وأبو عَوْسَجَة.

وقوله عز وجل: **ليس كمثله شيء**، الآية. يستدل بعض أهل التشبيه بأن له مِثْلاً بقوله تعالى: **ليس كمثله شيء**، يقولون: لو لم يكن له مثل لم يذكر كاف التشبيه حيث قال: **ليس كمثله شيء**، لكن نفى مثلية الأشياء عن مثله، فيكون فيه إثباتُ مثل له لا يُشبِه سائرَ الأشياء سواه، أو كلام نحو هذا. وعندنا قوله تعالى: **ليس كمثله شيء**، أي ليس مثلَه شيء،[8] والكاف قد يزاد في الكلام. وقال بعضهم: أي ليس كهو شيء، والعرب قد تقيم المثَلَ مقامَ النفس. وأصله أن الخلق ذو أعداد، وكل ذي عدد له أشكال وأمثال من حيث العدد. والأصل في ذلك أن الخلق وإن كانوا ذا أمثال وأشكال وأشباه فليس يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه وكل الجهات، ولكن إنما يشبه بعضهم بعضا[9] بوجه أو بصفة أو بجهة أو بنفس، ثم صار بعضهم أمثالا لبعض وأشباها بتلك الجهة وبذلك الوصف. فدل أن الله تعالى ليس يشبه الخلق ولا له مثال منهم بوجه من الوجوه ولا له شبيه منهم،

---

[1] ر م: والمراد.
[2] ر م: يغشيكم.
[3] ر ث م - أن يكون.
[4] لم أجده في المراجع.
[5] ر م - ولولا هذا التزويج.
[6] سورة المؤمنون، ٧٩/٢٣.
[7] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩١.
[8] ن - شيء.
[9] ر ث م + من جميع الوجوه أو.

لا ما يرجع إلى الصفة ولا ما يرجع[1] إلى النفس، وهو يتعالى عن جميع معاني الخلق وصفاتهم.
ودل قوله تعالى: / **ليس كمثله شيء**، أنه شيء لأنه نفي عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية. [٦٩٥و]
لكن يقال: شيء لا كالأشياء، يُنْفَي عنه شبه[2] الأشياء. والشيء إثبات وفي الإثبات توحيد،
ولو لم يكن يجوز أن يقال: إنه شيء لكان يجوز أن يقال:[3] ليس هو شيئا،[4] دل أنه ما ذكر.
وقوله سبحانه: **وهو السميع البصير**، ذكر في غير موضع. ***والله الموفق.***

﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **له مقاليد السماوات والأرض**، وقال في آية أخرى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ،[5] وقوله: وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[6] وقوله: بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ،[7] ونحو ذلك من الآيات، فيها ذكر المفاتح والمقاليد والخزائن التي أضافها إلى نفسه.[8] ثم لم يفهم الخلق من المفاتح[9] المضافةِ والمقاليد والخزائن ما يُفهم لو أضيف إلى الخلق، بل فهموا من المفاتح المضافة إلى الخلق والمقاليد[10] المنسوبة إليهم معنى[11] لم يفهموا ذلك المعنى من المفاتح[12] والمقاليد المضافة إلى الله تعالى. فما ينبغي أن يفهموا[13] من[14] قوله: بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ،[15] وقوله تعالى: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ،[16] وقوله: لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ،[17]

---

[1] ر م – إلى الصفة ولا ما يرجع.
[2] ن: شبه.
[3] جميع النسخ: ولو لم يكن شيئا لكان يقول. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨١ظ.
[4] جميع النسخ: شيء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤ظ.
[5] سورة الأنعام، ٥٩/٦.
[6] سورة المنافقون، ٧/٦٣.
[7] سورة المؤمنون، ٨٨/٢٣.
[8] ن + بل فهموا من المفاتح المضافة إلى.
[9] ر م: من المفاتيح.
[10] م: والمقالد.
[11] ر: مغنى.
[12] م – من المفاتح.
[13] جميع النسخ: أن يفهموه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤ظ.
[14] م + من.
[15] تقدمت قريبا.
[16] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[17] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرتَ أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٧٥/٣٨).

ونحو ذلك ما يفهموه[1] من اليد المضافة إلى الخلق. لكنه ذكر المفاتح والمقاليد وأضافها إلى نفسه لأن كل محجوب ومستور عن الخلق[2] فيما بينهم إنما يوصلهم إلى ذلك المحجوب والمستور عنهم بالمفاتح والمقاليد التي ذَكَر. فعلى ذلك ما أضاف إلى نفسه من اليد وغيرها، لما باليد يُبسَط في الشاهد، وبها يُمنَع، وبها يكتسب ويُفعل ما يُفعَل، فأضاف إلى نفسه ما به يكون في الشاهد من الفعل والبسط والمنع كناية عن هذه الأفعال. *والله الموفق.*

وقوله عز وجل: **يَبسُط الرزقَ لمن يشاء ويقدر**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأن الرزق المذكور يحتمل وجوها. أحدها ما ذَكَر في قوله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[3] وهو المطر. والثاني الأملاك التي يكتسبون. والثالث المنافع التي جَعَل لهم. ثم لا شك[4] أن الأملاك التي تكون لهم[5] والمنافع التي ينتفعون بها وجعلت لهم إنما يكون بأسباب وأكساب[6] منهم، ثم أضاف ذلك إلى نفسه في البسط والتقتير حيث قال: **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، دل أن لله[7] تعالى في ذلك صنعا وتدبيرا، وهو أن خلق أكسابهم وأسبابهم التي بها يصل[8] إليهم الرزق. *والله أعلم.*[9] وقوله: **إنه بكل شيء عليم**،[10] تقدم.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[١٣]

وقوله: **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**. الدين يذكر ويراد به الجزاء، وهو قوله: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[11] أي يوم الجزاء، أو يذكر ويراد به الحكم، كقوله تعالى خبرا عن يوسف عليه السلام:

---

[1] ن ث: مما يفهموه.

[2] ن + لكنه ذكر المفاتح.

[3] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.

[4] جميع النسخ: ثم الإشكال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٤ظ.

[5] جميع النسخ: يكون لهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٤ظ.

[6] جميع النسخ: واكتساب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٤ظ.

[7] ر: أن الله.

[8] ر ث م: يوصل.

[9] ر م - والله أعلم.

[10] ن ث + قد.

[11] سورة الفاتحة، ٤/١.

مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ،[١] أي في حكم الملك، ويذكر ويراد به المذهب والمعتقد، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[٢] وقوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ.[٣] فكان المعنى من قوله: **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**، هو المذهب وما يُعتقد. وقد ذَكَر الدين معرفا بالألف واللام وإنه للجنس، فيكون كأنه قال: شرع لكم من الأديان[٤] جملةً الدينَ الذي وصى به نوحا ومن ذَكَر من الأنبياء، وهو التوحيد لله تعالى والعبادة له. والأنبياء والرسل جميعا إنما بعثوا للدعاء إلى توحيد الله وجعْل العبادة له وإن اختلفت شرائعهم وأحكامهم، وذلك قوله: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.[٥] *والله أعلم*.[٦] ومن الناس من يقول: **شرع لكم من الدين**، أي شرع لكم الدين، ويجعل **من** صلة زائدة فيه، أي شرع لكم الدين الذي وصى به نوحا ومن ذكر. والوجه فيه ما ذكرنا.

فإن قيل: ما معنى[٧] تخصيص نوح ومن ذكر من الأنبياء عليهم السلام والكُلُّ بُعثوا للدعاء إلى هذا الدين وقد وُصِّي الكلُّ بهذا الدين؟

فنقول: قال: بعضهم:[٨] إنما خص نوحا ومن ذكر بهذا لأن التحليل والتحريم لم يكن قبل زمن نوح وإنما جاء ذلك في زمن نوح عليه السلام، لذلك خص نوحا بما ذكر. ويحتمل أن يكون ذكر هؤلاء لا على تخصيصهم بذلك من بين غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن ذكر بعضا هاهنا وترك ذكر البعض، ليس أنه شرع له ما وصى به نوحا ومن ذكر من الأنبياء ولم يَشرَع له ما وصى به غيرهم، بل شرع[٩] له ما وصى به هؤلاء وغيرَهم من الدين، كقوله تعالى: فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ؛[١٠] ذكر بعض هؤلاء وغيرهم، ثم أمره أن يقتدي بما هو عليه. دل أن ذكر البعض في موضع ليس للتخصيص، لما ذكر البعض في موضع آخر والكل في موضع آخر. *والله أعلم*.

---

[١] سورة يوسف، ١٢/٧٦.

[٢] سورة الكافرون، ١٠٩/٦.

[٣] سورة آل عمران، ٣/١٩.

[٤] ث: من جملة الأديان.

[٥] سورة المائدة، ٥/٤٨.

[٦] ر م – والله أعلم.

[٧] ر م: معنى.

[٨] ث + إن نوحا.

[٩] ث + لهم.

[١٠] ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٠).

ويحتمل تخصيص هؤلاء بالذكر لمعنى لم يُطْلِعنا الله على ذلك المعنى كما خص إبراهيم بالصلاة عليه على ما أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:[1] «كما صلّيت على إبراهيم»،[2] لمعنى لم يطلعنا على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا تتفرقوا فيه**،[3] يحتمل وجهين. أحدهما **ولا تتفرقوا فيه**، أي في عبادة الله تعالى، أي اعبدوه جميعا. والثاني / **ولا تتفرقوا فيه**، أي في الدين الذي ذكر، وهو التوحيد. *والله أعلم*. [٦٩٥ظ]

وقوله عز وجل: **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه**، أي عَظُم عليهم دعاؤكم إلى التوحيد وعبادة الله وحده.

وقوله: **الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**. هذا ينقض على المعتزلة، لأنه تعالى أخبر أنه يجتبي إليه من يشاء؛ ولو كان على ما يقوله المعتزلة: إنه قد أعطى الكافر جميع ما أعطى المؤمن، فالمؤمن حيث صار مجتبًى مصطفًى مختارًا إنما كان منه بفعله لا من الله تعالى،[4] وقد أخبر أنه هو يجتبي من يشاء وهو يهديه، فبطل قولهم. وقوله: **ويهدي إليه من ينيب**، أي هو يهدي من يطلب منه ما به يكون الهدى، وهو التوفيق، أي من[5] لم يطلب منه ذلك ولم يسأل فإنه لا يهديه[6] ولا يوفقه. وقال بعضهم: ويهدي إليه من يراجع نفسه عما هو عليه ويتوب. *والله أعلم*.

وقيل: قوله:[7] **ويهدي إليه من ينيب** تفسير قوله تعالى: **الله يجتبي إليه من يشاء**، أي يجتبي للهداية من ينيب إليه؛ فأما من لم ينب إليه فلا يجتبيه للهداية. لكن المراد من الهداية هاهنا ليس هدى البيان، لأن هدى البيان قد كان عاما لمن أناب إليه ومن لم ينب، ولكن الهدى هاهنا هو الرحمة أو هدى النعمة والمنة.[8] سمّى التوحيد والإيمان مرة رحمةً، كقوله تعالى: وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ،[9] وسماه نعمة، كقوله: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ،[10]

---

[1] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥و.

[2] انظر: صحيح *البخاري*، الأنبياء ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٦٥.

[3] ر ث م + أي في عبادة الله تعالى أي اعبدوه جميعا.

[4] جميع النسخ: لأمر الله تعالى. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥و.

[5] جميع النسخ: ما.

[6] ر م: لا يهدي به.

[7] جميع النسخ – ويهدي إليه من يراجع نفسه عما هو عليه ويتوب والله أعلم وقيل قوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥و.

[8] ر ث م: والنعمة.

[9] الآية ٨ من هذه السورة.

[10] سورة الفاتحة، ٦/١.

وسماه منة، كقوله تعالى: بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ،[١] وسماه نورا، كقوله تعالى: أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ.[٢] فلذلك قلنا: إن الهدى المذكور هاهنا ليس هو هدى البيان ولكن سواه. **والله أعلم.**

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾[١٤]

وقوله: **وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم**. هذا يخرج على وجوه. أحدها أي إنهم تفرقوا في رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة بعد[٣] ما جاءهم العلم في كتبهم أنه رسول، لما كانوا يجحدون نعته وصفته في كتبهم. لكنهم اختلفوا وتفرقوا؛ فآمن بعضهم به على ما وجده في كتبهم وكفر بعض وحرّفوا ما في كتبهم من نعته وصفته. **والله أعلم**. والثاني أي وما تفرقوا فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي وصّى به نوحا ومن ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويحتمل أي وما تفرقوا في الإيمان بالرسل والكفر بهم إلا من بعد ما جاءهم العلم أنهم على الحق وأنهم رسل الله مبعوثون إليهم، فتفرقوا فآمنوا بالبعض وكفروا بالبعض بغيا بينهم. ويحتمل أي وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم أن الفُرْقة ضلالة وهلاك، أي عن علم بالفرقة أنها ضلال وهلاك تفرقوا.[٤] **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **بغيا بينهم**، يحتمل حسدا بينهم، لما قيل: إنهم كانوا مؤمنين به قبل أن يُبعث لما وجدوا نعته وصفته في كتبهم ظنا منهم أنه سيبعث[٥] منهم، فلما بعث من غيرهم حسدوه وكفروا به. **والله أعلم**. ويحتمل قوله: **بغيا بينهم**، أي عدوانا وظلما يكون فيما بينهم ذلك التفرق.

وقوله: **ولو لا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم**، أي لولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم إلى وقت وإلا كانت الكلمة منه في تعجيل العذاب بهم. **والله أعلم.**

---

[١] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.

[٢] سورة الزمر، ٢٢/٣٩.

[٣] ر م: بعده.

[٤] ث – تفرقوا.

[٥] جميع النسخ: بعث.

وقوله عز وجل: **وإن الذين أُورِثُوا الكتابَ مِن بعدهم**، أي إن الذين أُعْطُوا الكتاب من بعد الرسل الذين ذَكَر، **لفي شكّ منه مُريبٍ**، أخبر أنهم كانوا في شك مما جاء به الرسل، لكنهم لم يُعْذَروا في شكهم لما تركوا النظر والتفكر في ذلك، ولو نظروا في ذلك وتفكروا فيه لوقع ذلك لهم وبان الحق، فلم يعذروا في ذلك لأنه منهم كان ذلك الشك والريب، ولو تفكروا ونظروا لتَجَلَّى لهم.[1]

﴿فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **فلذلك فادع واستقم كما أمرت**، اختلف في قوله تعالى: **فادع واستقم**. عن ابن عباس رضي الله عنه، أي فبهذا القرآن الذي أنزل عليك[2] فادع؛ وكذا قال قتادة: فبهذا القرآن فادع.[3] وقيل: فلذلك وَعَد أن يُنزل عليك فادع. وقال بعضهم: أي وإلى ذلك الكتاب فادع. وقيل: فإلى التوحيد الذي بَعَث[4] الرسل إلى الدعاء إليه فادع أنت.[5] وقال بعضهم: فبذلك، أي فلأجل الذي بَعَث الرسل فادع، أي أدع إلى التوحيد الذي لأجله بعث الرسل.[6] *والله أعلم*.

ثم في قوله:[7] **واستقم كما أمرت**، دليل على أنه كان قد سبق له الأمر بالاستقامة. ثم يحتمل ما ذكر من الاستقامة التي أمر بها هو تبليغ الرسالة إليهم، ويحتمل العبادة له والطاعة، ويحتمل الاستقامة في التوحيد له ودعاء الخلق إليه. *والله أعلم*. وقوله: وَمَنْ تَابَ مَعَكَ،[8] على هذين الوجهين الأخيرين يخرج الأمر بالاستقامة لمن تاب معه. *والله أعلم*.

---

[1] ن: ليجلى لهم.
[2] ر ث م: إليك.
[3] ن: فاع. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٤٥٥.
[4] ن: بعثت.
[5] ر م - أنت.
[6] قال ابن الجوزي: وللمفسرين قولان [في هذه الآية]. أحدهما أنه القرآن، قاله ابن السائب. والثاني أنه التوحيد، قاله مقاتل. انظر: *زاد المسير*، ٧/٢٧٨-٢٧٩. وانظر أيضا: *تفسير مقاتل*، ٣/٧٦٦.
[7] ر م: ثم إن قوله.
[8] ﴿فاستقم كما أُمرتَ ومن تاب معك﴾ (سورة هود، ١١/١١٢).

وقوله: **ولا تتبع أهواءهم**، أي في ترك الدعاء إلى التوحيد، إذ هو هَوَى[1] الكفرةِ: أن يَتْرُك هو الدعاءَ إلى التوحيد. ويحتمل أنه نَهَى عن إجابته إياهم فيما دعوهم، إذ هَوَى[2] الكفرةِ أن يجيبهم فيما دعوهم إليه من الشرك. *والله أعلم*.

وقوله: **وقل آمنتُ بما أنزل الله من كتاب**، أمره بأن يخبر بأنه مؤمن بجميع الكتب التي أنزل الله تعالى / ليوافقوه في الإيمان بجميع الكتب، لأن[3] أولئك الكفرة كانوا يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون بالبعض.[4] [٦٩٦و]

وقوله عز وجل: **وأُمرتُ لِأعدلَ بينكم**، يحتمل وجوها. أحدها أي أمرت لأعدل بينكم[5] في الحكم، أي أَحكُم فيما بينكم بالعدل، كقوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا.[6] ويحتمل قوله: **وأمرت لأعدل بينكم**، في الدعاء إلى توحيد الله ودينه. والعدل في الدعاء دعاؤهم[7] إلى دينه الذي أمر أن يدعوهم إليه. وجائز أن يكون قوله: **وأمرت لأعدل بينكم**، أي أمرت أن أكون عدلا فيما بينكم، أي سواءً[8] يسوِّي بينهم. ثم نَعَت الذي كان يدعوهم إلى توحيده وهو قوله: **اللهُ ربُّنا وربكم**. وقوله: **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما على المنابذة، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[9] وإنما يقال هذا بعد ما انتهت الحجج غايتها والحِجَاجُ نهايتَه فلم يَنْجَع[10] ذلك فيهم وأيسوا منهم. والثاني يقول: إنا لا نؤاخَذ[11] بأعمالكم ولا أنتم تؤاخَذون بأعمالنا، كقوله عز وجل:[12] فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[13] ونحوه.

---

[1] ر: هو.
[2] ر: هو.
[3] ر م - لأن.
[4] ر م: ببعض.
[5] م + يحتمل.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداءَ بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (سورة المائدة، ٥/٨).
[7] ر م: دعاهم؛ ن: أن دعاهم.
[8] ر م: فيما يتكلم؛ ن ث: فيما يتكلم أي سواء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٥ظ.
[9] سورة الكافرون، ١٠٩/٦.
[10] نجع فيه الدواء وأنجع إذا عمل، ويقال: أنجع إذا نفع. ونجع فيه القول والخطاب والوعظ: عمل فيه ودخل وأثر (*لسان العرب*، «نجع»).
[11] ر م: لا نأخذ.
[12] جميع النسخ - كقوله عز وجل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٣ظ.
[13] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٤).

وقوله: **لا حجةَ بيننا وبينكم**، يحتمل قوله: **لا حجة بيننا وبينكم**، أي لا حجة بقيت فيما ادعيتُ ودعوتُكم إليه إلا وقد أقمتها عليكم، أي لم تبق[1] حجة في ذلك[2] إلا وقد أقمتها. ويحتمل أن يقول: لا حجة بيننا، أي لا مُحاجَّة[3] ولا خصومة بيننا بعد ما بلغ الأمر ما بلغ. ثم قال: **الله يجمع بيننا**، في الآخرة، **وإليه المصير**.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[١٦]

وقوله: **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له**، قال بعضهم: إن أهل الكفر قالوا للمؤمنين: إن دينكم الإسلامَ إنما كان مادام محمد بين أظهركم وما دام حيا، فإذا مات فتصيرون[4] أنتم ومن تبع الإسلام إلى ديننا، أو كلام نحوه، فنزل لقولهم ذا قولُه: **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم**. وقال بعضهم: إن اليهود قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للمؤمنين: إن ديننا أفضل من دينكم لأنه دين الأنبياء عليهم السلام فنزلت الآية فيهم بقولهم هذا: إن ديننا أفضل لأنه دين الأنبياء، فقال: **حجتهم داحضة**، أي هكذا إذا كانوا على دين الأنبياء وهو الإسلام، فأما إذا تركوا دين الإسلام وتمسكوا باليهودية واختاروها فليس بأفضل ولا شيءَ دونها. وقال بعضهم: إن قريشا قالوا: كيف نعبد من لم نره ولم نعاينه أنه من هو[5] وكيف هو،[6] أو كلام نحوه، فنزلت: **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم**، لأن التوحيد ومعرفة الله تعالى إنما يكون بالدلائل والآيات في الدنيا عن غيب ليس بالمعاينة والمشاهدة فيزولَ[7] الامتحانُ. ثم احتمل أن يكون نزول الآية لقولٍ كان من أولئك على ما ذكر أهل التأويل، ويحتمل أن يكون على غير ذلك. ومعناه: والذين يحاجون في الله في دفع آيات الله وردها، ويحتمل أي في دفع توحيد الله وألوهيته **من بعد ما استجيب له**، أي من بعد ما استجيب له بحق الخلقة أنه واحد وأنه رب كل شيء.

---

[1] جميع النسخ: لم يبق.
[2] ر + حجة.
[3] ر م: لا حجة.
[4] ن: فتصرفن.
[5] ر ث م: مم هو؛ ن: ممن هو. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨٤و.
[6] ر م + كيف.
[7] ر م: فتزول.

ويحتمل قوله:[1] **من بعد ما استجيب له**، بما في كتبهم من الإيمان بها وبما فيها من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته. ثم أخبر أن حجتهم داحضة عند ربهم، هذا يخرج على وجهين.[2] يحتمل أي حجتهم داحضة يوم القيامة، أي باطلة غير مقبولة. ويحتمل أي حجتهم داحضة في الدنيا بما أقام الله تعالى من حجج التوحيد فأبطل حججهم. وقوله: **وعليهم غضب ولهم عذاب شديد**، بيان الجزاء لهم في الآخرة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[١٧]

وقوله: **الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان**، يحتمل قوله: **بالحق**، أي بالحق[3] الذي لله عليهم أو بالحق الذي لبعضهم على بعض. **والميزان**، أي بالعدل فيما بينهم، أعني الخلق. وجائز أن يكون قوله: **بالحق**، أي بالصدق بما فيه من الأنباء والأخبار، **والميزان**، أي بالعدل في الأحكام،[4] جعل الميزان كناية عن العدل، أي هو طريق العدل وسببه، وهو كقوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ،[5] وقوله تعالى: كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ،[6] وقوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا،[7] وقوله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا،[8] أي صدقا[9] فيما فيه من النبأ والخبر، وعدلا في الحكم فيما بينهم.[10] *والله أعلم*. ثم قوله تعالى: **والميزان**،[11] يحتمل أن يكون عطفا[12] على الكتاب وهو الظاهر، والمراد منه العدل، فيصير تقدير الآية -والله أعلم-: الله الذي أنزل الكتاب بالحق وأنزل العدل فيما بين الخلق، أو أنزل العدل في الأحكام. ويحتمل أن يكون عطفا على الحق، فيصير تقديره: أنزل الكتاب بالحق وبالعدل في الأحكام وفيما بينهم. ***والله أعلم***.

---

[1] ن - من بعد ما استجيب له بحق الخلقة أنه واحد وأنه رب كل شيء ويحتمل قوله.

[2] ر ث م: على هذين.

[3] جميع النسخ - أي بالحق. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٦و.

[4] ر ث م: في الأرحام.

[5] سورة النحل، ٩٠/١٦.

[6] سورة النساء، ١٣٥/٤.

[7] سورة المائدة، ٨/٥.

[8] سورة الأنعام، ١١٥/٦.

[9] ن - أي صدقا.

[10] ر: فيما بينكم.

[11] ر م - والميزان.

[12] ر م - عطفا.

وقوله عز وجل: **وما يدريك لعل الساعة قريب**، لم يُطلع الله جل وعلا أحدا العلمَ بوقت الساعة على ما ذكرنا في غير موضع.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[١٨]

وقوله: **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها**، كان استعجالهم بها استهزاء منهم وتكذيبا لهم أنها كائنة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم بها ويخبر أنها كائنة، فكانوا يستعجلون استعجال تكذيب لها.

[٦٩٦ظ] وقوله: **والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق**، لأن لأهل الإيمان / والتوحيد زلاتٍ ومساوئَ لم يتبين لهم التجاوز عنها والعفوُ منها، فيكونون[1] أبدا خائفين مشفقين لذلك الزلات والمساوئ وما يكون فيها من الأهوال والأفزاع. فأما أهل الكفر فهم لا يؤمنون بها ولا يصدقون أنها كائنة فلا يخافونها وما فيها من الأهوال.

وقوله عز وجل: **ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد**، قوله: **يمارون**، يحتمل يجادلون ويخاصمون فيها أنها ليست بكائنة. ويحتمل **يمارون**، من المِرية وهي[2] الريب والشك، أي يشكّون فيها. ودل قوله: **لفي ضلال بعيد**، أنهم لا يؤمنون أبدا.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **الله لطيف بعباده يرزق من يشاء**، من الناس من قال: إن الآية وإن جاءت مجيئا عاما فهي خاصة للمؤمنين؛ **الله لطيف**، أي بارّ بالمؤمنين.[3] ومنهم من يقول: إن الآية للفريقين جميعا: للكافر[4] والمؤمن، بارّ بهما لطيف بهما بما يرزقهم جميعا في الدنيا[5] الكافر والمؤمن، فأما في الآخرة فهو رحيم بارّ بالمؤمنين خاصة. ويحتمل أن يكون رحيم بارّ بالفريقين؛ أما في حق المؤمنين لا شك أنه بارّ رحيم بهم، وأما الكفرة [فهو] بارّ في حقهم حيث أخر عنهم العذاب في الدنيا. ثم في حق المحنة يجوز أن يوصف بالرحمة في الفريقين جميعا عاما على ما ذكرنا.[6]

---

[1] ر ث م: فيكون.

[2] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٦و.

[3] ر م: للمؤمنين بها؛ ث: للمؤمنين.

[4] ن: الكافر.

[5] جميع النسخ - في الدنيا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٤ظ.

[6] ر م: عاما ذكرنا؛ ن: على ما ذكر.

فإن قيل: إنه وُصف بالحلم والرحمة وقد أخبر أنه يعذبهم في الآخرة؟ قيل: إنه وإن عذبهم فإن ذلك لا يخرجه عن الحلم والرحمة، لأنه لو ترك تعذيبهم يكون سفيها، لأنهم قد استحقوا بالكفر التعذيب[١] أبدا، وليس في التعذيب خروج عن الرحمة والحلم، بل في ترك التعذيب سفه وخروج عن الحكمة، لذلك كان ما ذكرنا. *والله الموفق*. وقوله عز وجل: **يرزق من يشاء**، قد ذكرنا في قوله تعالى: ٱللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ[٢] تأويله ومعناه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهو القوي العزيز**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما أنه لا يَقْوَى بشيء مما أمرهم به وامتحنهم ولا يَعِزّ بذلك لأنه قوى بذاته عزيز بنفسه. والثاني القوى في الانتقام والانتصار من أعدائه لأوليائه، العزيز الذي لا يُعجزه شيء ولا يلحقه الذل في ترك الطاعة له والائتمار.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها**، جعل الله تعالى الدنيا مزارع لأهلها، ما زرعوا فيها حَصَدوا ذلك في الآخرة؛ إن زرعوا خيرا حسنا حصدوا خيرا ونعيما في الآخرة، وإن زرعوا شرا وسوءا حصدوا في الآخرة شرا وعذابا دائما. وكذلك صيرها[٣] مُتَّجَرا يَتَّجِرون فيها؛ فإن اتّجروا خيرا وحَسَنا رَبِحوا في الآخرة، وإن اتّجروا شرا وسوءًا خَسِروا في الآخرة. وكذلك صيرها مسلكا إلى الآخرة والآخرةَ غايةً لها؛ فإن سلكوا سبيل الخير وما أمروا به أفضى بهم ذلك إلى الخير والنعيم الدائم والسرور، وإن سلكوا سبيل الشر وما نُهوا عنه أفضى بهم[٤] إلى العذاب الدائم والحزن الدائم. وهو ما ذكر[٥] في غير آي من القرآن من قوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[٦] الآية،

---

[١] ر م: والتعذيب.
[٢] سورة الرعد، ٢٦/١٣.
[٣] ر ث م: صير.
[٤] م: لهم.
[٥] ر ث م: وما ذكر.
[٦] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).

وقوله عز وجل: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[1] الآية، وقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ،[2] الآية، وقوله: [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ] اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ،[3] وقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ،[4] الآية. ونحو ذلك كثير، على هذا بُنِيَ أمر الدنيا والآخرة. ***والله أعلم.***

ثم قوله تعالى: **من كان يريد حرث الآخرة نَزِدْ له في حرثه،** يخرج[5] على وجهين. أحدهما أي من كان يريد بمحاسنه في الدنيا وخيراته ثواب الآخرة وخيراته نزد له في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا هو التوفيق على الطاعات والزيادة له والنماءُ، وأما في الآخرة فالنعيم الدائم والسرور الدائم. والثاني أي[6] من كان عمل للآخرة[7] وسعى لها[8] نزد له ما ذكر من المحاسن. ويكون الإرادة هاهنا صفة لكل فاعل، كقوله: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[9] وهي لا تكون[10] بدون الفعل، فكان ذكرها ذكرا للفعل ضرورة، فكان المراد منها الإرادة مع الفعل. فكذلك يخرج قوله: **ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها،** على وجهين. أحدهما من كان يريد محاسن الدنيا وسعتها نؤته منها ونوسّع عليه. والثاني من كان يريد، أي من عمل للدنيا وسعى لها نؤته منها وما عمل لها، **وما له في الآخرة من نصيب.**

[٦٩٧و س٧ *قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **من كان يريد حرث الآخرة،** أي عمل للآخرة؛ يقال:[11] فلان يَحْرُث للدنيا، أي يعمل لها ويجمع المال. ومنه قول ابن عمرو[12] رضي الله عنهما: احرُثْ لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. ومنه سمي الرجل حارثا.* ٦٩٧و س٩]

[1] سورة البقرة، ٢/٢٠٧.
[2] سورة البقرة، ٢/١٦.
[3] سورة البقرة، ٢/٨٦.
[4] سورة الإسراء، ١٧/١٨.
[5] ر: ويخرج.
[6] ن: أن.
[7] ر م: الآخرة.
[8] ن: وسعى له.
[9] سورة الإسراء، ١٧/١٩.
[10] جميع النسخ: لا يكون. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٦ظ.
[11] ن: الآخرة فيقال.
[12] جميع النسخ: ابن عمر. والتصحيح من غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٢؛ وغريب *الحديث* له أيضا، ٢/١٢٢.
* وقع ما بين النجمتين في جميع النسخ خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٦٩٧و/سطر ٧-٩.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢١]

وقوله: **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**، قال بعض أهل التأويل: أم لهم آلهة دوني شرعوا لهم، أي سَنُّوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، يَعْنون بالشركاء الأصنام التي عبدوها. لكن علموا أن الأصنام لم يَشْرَعوا لهم من الدين شيئا، إلا أن يقال بأنه أضاف ذلك إلى الأصنام لما هم شرعوا لأنفسهم عبادتها فأضيف إليها لذلك، وهو كقوله تعالى: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[1] وإنهن / لم يُضللْن أحدا لكنه أضاف إليهن الإضلال لما بهن [٦٩٧و] ضلوا،[2] فأضاف إليهن على التسبب، فعلى ذلك الأولُ يحتمل ذلك. ويشبه أن يكون غيره أولى بذلك، وهو أن القادة والرؤساء هم الذين سنوا للأتْباع وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، أي ما لم يأمر به الله. وهم كذلك كانوا يفعلون: يَشْرعون للأتباع دينا من ذات أنفسهم بلا حجة ولا برهان فيتبعونه.[3] والرسل عليهم الصلاة والسلام قد أتوهم بالدين بالحجج والبراهين من الله تعالى فلم يتبعوهم فيقولون: إنهم بشر، ثم[4] يتبعون بشرا بلا حجة ولا برهان، يذكر سفههم فيما ذكر. فكان المراد من الشركاء هم الرؤساء والقادةَ. *والله أعلم*.*

شرعوا لهم، أي ابتدعوا وسَنّوا، وكذلك في قوله: شَرَعَ لَكُمْ،[6] أي ابتدع وسن.

وقوله عز وجل: **ولو لا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم**، يحتمل وجهين. أحدهما الحكم، كأنه يقول: لو لا أن الله تعالى حكم لهذا الأمة[7] بتأخير العذاب إلى يوم القيامة، وهو ما ذكر أنه بعث رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة لهم، بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[8] والثاني الفصل البيان،[9] تأويله: لو لا ما وعد في الدنيا أنه يفصل بينهم ويبيّن[10] في الآخرة بما ذكر:

---

[1] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.

[2] م + فأضاف إليهن الإضلال لما بهن ضلوا.

[3] ر ث م: فيتبعون به.

[4] ر ث م: بم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٩٧و/سطر ٧-٩.

[6] الآية ١٣ من هذه السورة.

[7] جميع النسخ: في هذه الآية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨٥ظ.

[8] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.

[9] ر م: لبيان.

[10] ر ن م: بين.

هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ[1] ونحوه. وقيل: **ولولا كلمة الفصل**، أي القضاء السابق أن الجزاء يوم القيامة **لقضي بينهم** في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم**، ذكر إشفاق الكفرة والظلمة وخوفهم في الآخرة وإشفاق المؤمنين وخوفهم في الدنيا. فمن خاف عقوبته في الدنيا أَمِنه الله تعالى عن خوف الآخرة، ومن استهزأ بعذاب الله تعالى في الدنيا خوّفه الله تعالى في الآخرة. وعلى ذلك يخرج قوله عليه السلام: «لا يجعل الله على أحد خوفين خوف الدنيا وخوف الآخرة، من خافه في الدنيا أمن في الآخرة ومن لم يَخَفْ في الدنيا خاف في الآخرة».[2]

ثم أخبر ما للمؤمنين في الآخرة، وهو قوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم**، ذكر ما لكل فريق بما كسبوا في الدنيا والآخرة. قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: الروضة البستان. وقال الكسائي: الروضة العُشْب حول الغدير.[3] وقوله عز وجل: **ذلك هو الفضل الكبير**، أخبر أن ما يعطى لهم من الأجر فضل منه،[4] لا أنهم يستوجبون ذلك. وسماه كبيرا لأنه دائم لا ينقطع أبدا.

﴿ذٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢٣]

وقوله: **ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، قوله: **ذلك الذي يبشر الله**، أي الذي ذكر من الفضل الكبير ووعد أنه يعطيهم يبشر الله به من ذكر من عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات. *والله أعلم*.

---

[1] سورة المرسلات، ٧٧/٣٨.

[2] روي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، يرويه عن ربه جل وعلا، قال: «وعزتي لا أجمع على عبدي خَوْفَيْن وأَمْنَيْن، إذا خافني في الدنيا أَمَّنته يوم القيامة، فإذا أَمِنَني في الدنيا أَخَفْتُه يوم القيامة» (*صحيح ابن حبان*، ٢/٤٠٦؛ وشعب *الإيمان* للبيهقي، ٢/٢٢٣).

[3] جميع النسخ: الغرو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧و. الغدير: مستنقع الماء (*لسان العرب*، «غدر»). الروايات عن أبي عوسجة والقتبي وعن الكسائي لم أستطع أن أجدها في كتب التفاسير واللغة، لكن كثيرًا من اللغويين يذكرون أن في الروضة معنى البستان ومعنى العشب والماء. انظر مثلا: *تاج العروس* للزبيدي، «روض».

[4] ر م: من الآخرة والفضل منه؛ ث: والفضل منه.

وقوله: **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى.** قال بعض أهل التأويل: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا كذا، فكأنهم افتخروا وقالوا: لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقال: «يا معشر الأنصار! ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله تعالى؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «ألم تكونوا فقراء فأغناكم الله تعالى؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «ألم تكونوا ضُلّالا فهداكم الله؟» قالوا: بلى يا رسول الله![1] قال: «أفلا تجيبوني؟» قالوا: ما نقول[2] يا رسول الله؟[3] قال: «ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أَوَ لم يكذبوك فصدقناك؟ أَوَ لم يَخذُلوك[4] فنصرناك؟» قال: فمازال[5] يقول حتى جَثَوْا للرُّكَب[6] بين يديه وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لرسول الله والفضل لله ولرسوله،[7] فنزلت قوله تعالى: **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى.**[8] لكن ذكر في الخبر ما لا يليق ذلك بالأنصار أن يظنوا ذلك برسول الله، وكذلك ما ذكر من فخرهم وقولهم: لنا الفضل عليكم، هذا لا يحتمل منهم. فدل أن الحديث غير صحيح أو الزيادةَ التي لا تحتمل[9] منهم.[10] *والله أعلم*. وفي بعض الأخبار أن الأنصار رضي الله عنهم قالوا: إن رسول الله[11] صلى الله عليه وسلم تنوبه النوائب من القرابة وغيرهم فتعالوا[12] حتى نجمع له شيئا من أموالنا[13] فيستعين[14] به على ما ينوبه[15] من الحقوق، ففعلوا. ثم أتوا به فقالوا: إنك قد تنوبك نوائب وحقوق وليست عندك لها سعة،

---

[1] جميع النسخ – قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله قالوا بلى يا رسول الله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧و.

[2] ر ث م: ما تقول. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧و.

[3] ن – قالوا ما نقول يا رسول الله.

[4] ث: أو لم يخذلون.

[5] ر م: فماذا.

[6] ن: للراكب.

[7] ر م: والفضل لرسوله.

[8] انظر: *تفسير الطبري*، ٤٩٩/٢٠؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٧٧/١٠.

[9] جميع النسخ: لا يحتمل.

[10] ر ث م – منهم.

[11] ن م: إن لرسول الله.

[12] ر: فقالوا.

[13] م + شيئا.

[14] ن: فنستعين.

[15] ر م: من ينوبه.

فأتيناك بشيء تستعين به على ما ينوبك من النفقة في أهلك والنازلين بك، فنزل قوله: **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**.[1]

ثم يخرج قوله: **قل لا أسألكم عليه أجرا**،[2] على وجوه. أحدها يقول: لا أسألكم على ما أبلّغكم من الرسالة وأدعوكم إلى الإيمان بالله تعالى وبي[3] أجرا إلا صِلَةَ أرحامكم وقراباتكم،[4] أي لا أسألكم على تبليغ الرسالة إليكم وما أدعوكم[5] إليه أجرا إلا أن تصلوا قراباتكم وأرحامكم، فتدل الآية على / وجوب صلة الأرحام. ويحتمل أن يكون ذكر هذا ردا لقول أولئك الكفرة [٦٩٧ظ] حيث قالوا: إن محمدا جاء بقطع الأرحام وتفريق القرابات حتى فرق بين من أجابه[6] إلى ما دعاه إليه وبين من لم يجبه من الوالد والولد والزوج والزوجة ونحو ذلك. فقال عند ذلك: **لا أسألكم عليه أجرا**، ولا أدعوكم إلى قطع الأرحام والقرابات، بل ما أطلب منكم إلا صلة الأرحام بما دعوتكم إليه. ويحتمل أن يقول: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا أو لا أقبله منكم إن أعطيتموني إلا أن تصلوني بحق القرابة والرَّحِم التي بيني وبينكم فأقبله منكم، وقد كان بينه وبينهم قرابات ورحم. ويحتمل ما قال الحسن فقال: والله ما كان نبي الله تعالى يسأل على هذا القرآن أجرا ولكنه أَمَر أن يتقربوا إلى الله تعالى بطاعته وحبّ كتابه، فكان معنى الآية **إلا المودةَ في القربى**، أي إلا التقرب إلى الله تعالى والتودد بالعمل الصالح.[7] وقال بعضهم: **إلا المودةَ في القربى**، إلا أن تَوَدُّوني لأجل قرابتي كما تودون لقرابتكم وتواصلون بها؛ ليس هذا الذي جئت به يقطع[8] ذلك عني،[9] ولست أَبتغي على الذي جئت به أجرا آخُذُه منكم على ذلك. وقال قتادة: إن الله تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل على هذا القرآن والتبليغ أجرا إلا المودة في القربى [أي] إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة،

---

[1] ذكر السيوطي رواية قريبة منها وزاد: أخرج الطبراني في *الأوسط* وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير. انظر: *الدر المنثور*، ١٣/١٤٤-١٤٥. وانظر أيضا: *المعجم الأوسط* للطبراني، ٦/٣٥٤-٣٥٥.

[2] ر م – ثم يخرج قوله قل لا أسألكم عليه أجرا.

[3] ر م: ربي.

[4] ر م: وقرابتكم.

[5] ر م: وأدعوكم.

[6] ر م: إجابة.

[7] *تفسير الطبري*، ٢٠/٥٠٠-٥٠١.

[8] ر م: بقطع.

[9] ر: تمني.

وكل بطون قريش بينه وبينهم قرابة.[1] وقال بعضهم إلا أن تَوَدُّوا قرابتي. وقال بعضهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لم تتبعوني على ما أدعوكم إليه وآمركم به فاحفظوني في قرابتي».[2] وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا**، هو كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ.[3] *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجَة: الاقتراف الاكتساب، والمقارفة المعاشرة، وقُرِفَ فلان فهو مقروف، أي اتُّهِم[4] بشيء.[5] وقوله عز وجل: **إن الله غفور شكور**، قوله: **غفور**، أي يغفر لهم وإن لم يحققوا التوبة والرجوع سرا وعلانية ولم يستوجبوا الغفران والعفو. وقوله: **شكور**، أي يشكر ويقبل منهم الشكر وإن لم يحققوا له الشكر ولم يستحقوا قبوله، فضلا منه ونعمة. *والله أعلم*. وقال أهل التأويل: **غفور** للذنوب، **شكور** للحسنات يضاعفها. *والله أعلم*.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **أم يقولون افترى على الله كذبا**، أي بل يقولون: افترى محمد على الله كذبا. وقوله: **فإن يشأ الله يختم على قلبك**، اختلف فيه. قال بعضهم: فإن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجدَ مشقة استهزائهم بك ولا غُصّة[6] تكذيبهم إياك. وقال بعضهم: فإن يشأ الله أن يُنْسيك القرآن[7] فلا تُبلِّغه إليهم فلا يستهزءوا بك ولا يكذبوك، أو كلام نحوه.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٤٩٧/٢٠. وآخر قول قتادة قول ابن عباس أخرجه كثير من المحدثين. ولفظ الترمذي هكذا: سئل ابن عباس عن هذه الآية: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: أَعَلِمْتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة؟ فقال: إلا أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم من القرابة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن ابن عباس. انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٣.

[2] *تفسير الطبري*، ٤٩٥/٢٠؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٧٥/١٠.

[3] الآية ٢٠ من هذه السورة.

[4] م: اتهم.

[5] يقال: هو يُقرَف بكذا، أي يرمى به ويتهم، فهو مقروف. وقَرَف الرجلَ بسوء: رماه. وقَرَف عليه قَرْفا كذب، وقَرَفه بالشيء، اتهمه (*لسان العرب*، «قرف»).

[6] الغصة: الشجا، أي الهم والحزن (*الصحاح*، «غصص» و«شجو»).

[7] جميع النسخ – القرآن. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٧و.

وعندنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكرنا بدءا: فإن يشأ الله يختمْ على قلبك بالصبر[١] حتى لا تجدَ مشقة الاستهزاء ولا غصة التكذيب. والثاني يحتمل فإن يشأ الله يختم على قبلك كما ختم قلوب أولئك الكفرة حتى لا تفهمَ ولا تعقل[٢] الحق من الباطل كما فعل بأولئك، يُذكِّره إحسانه إليه وفضله بما أكرمه بأنواع الكرامات التي أكرمه بها، ليَشكر ربه على ذلك ويَرحم على أولئك بما ختم على قلوبهم وما ينزل بهم من أنواع العذاب. وعلى ذلك بلغ أمرُه صلى الله عليه وسلم من الرحمة والشفقة عليهم ما ذكر: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ،[٣] الآية، وقوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٤] كادت نفسه تَهْلِك[٥] إشفاقا عليهم ورحمة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويَمْحُو الله الباطل ويُحق الحق بكلماته**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي يُظهِر ويُظفِر أهل الحق على أهل الباطل ويَنصرهم حتى يصيرَ أهل الحق ظاهرين قاهرين على أهل الباطل، فذلك محو الباطل[٦] وإحقاق الحق. والثاني يحق الحق بالحجج والبراهين حتى يعرف كل أحد الحق من الباطل بالحجج التي أقامها إذا تأمل فيها حق التأمل،[٧] وهو كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.[٨] *والله أعلم*. وقوله: **بكلماته**، أي بحججه وبراهينه. وقوله عز وجل: **إنه عليم بذات الصدور**، قال أهل التأويل: أي عليم بما في الصدور، ولكن قوله: **بذات الصدور**، عبارة عمن له الصدور عن الرأي والتدبير وهم البشر.[٩] *والله أعلم*.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**، قد ذكرنا أنه لا أحد يحقق التوبة، لأن تحقيق[١٠] التوبة هو أن يَهرُب ويفِرَّ عما استوجب به النار كهَرَبِه من النار

---

[١] ر: بالنصر.
[٢] ر ث م: حتى لا يفهم ولا يعقل.
[٣] سورة الكهف، ٦/١٨.
[٤] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٥] ن ث: يهلك.
[٦] جميع النسخ: محق الباطل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٧ظ.
[٧] م: حق التأويل؛ ن: حق الباطل.
[٨] سورة التوبة، ٣٣/٩.
[٩] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٠٥/٢٠.
[١٠] ر م: تحقق.

لو كان فيها وفراره منها لو وجد مَهْرَبًا. ولا أحد يَهرُب من الذنب ويفر منه كهربه وفراره من النار لو كان فيها. لكن الله تعالى بفضله وكرمه يقبل ذلك منه وإن لم يكن التوبة منه على الحد الذي ذكرنا. ثم قوله تعالى: **يقبل التوبة عن عباده**، أي يقبل حسناتهم وخيراتهم؛ **ويعفو عن السيئات**، أي يكفر عن سيئاتهم، كقوله تعالى: [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ] نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.[1] ***والله أعلم***. وقوله: **ويعلم ما تفعلون**، هذا وعيد يُخبِر رسولَه عليه الصلاة والسلام أنه يَعلم ما تفعلون سرا وعلانية، وأنه عن علم بما يكون منهم امتحنهم وأمرهم / ونهاهم. ***والله أعلم***. [٦٩٨و]

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، أي يجيب الذين آمنوا بما يدعون ويسألون ربهم، وهو كقوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[2] أي يجيبهم على الذي ذكر في الآية. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **ويزيدهم من فضله**، أي يزيدهم من فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب امْرِءٍ مسلِمٍ،[3] وهي الجنة، وذلك زيادةٌ من فضله. ***والله أعلم***. وقال في حق الكفرة: **والكافرون لهم عذاب شديد**.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[٢٧]

وقوله عز جل: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، قال أهل التأويل: إن الآية نزلت في أهل الصُّفَّة، تمنوا أن تكون لهم الدنيا؛ فإن كانت فيهم فكأنه يُطيِّب[4] عليهم الضيق والقَتْر. وقال بعضهم: **لبغوا في الأرض**، أي يتقلبون[5] من لباس إلى لباس ومن مركب إلى مركب،

---

[1] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.

[2] سورة البقرة، ١٨٦/٢.

[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى الحديث الذي أخرجه كثير من أصحاب الصحاح، انظر مثلا: صحيح *البخاري*، التوحيد ٣٥؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٣-٦.

[4] جميع النسخ: طيب. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٨٨و.

[5] ر م: أن يتقلبون.

ولكن ليس في ذلك كثيرُ بغيٍ فلا يصح صرف التأويل إليه. ثم عندنا يخرج **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، مخرج الامتنان والإفضال، وله أن يبسط عليهم وإن علم منهم البغي. ألا ترى أنه لو لم يوسّع على فرعون لكان[1] لا يدعى الألوهية، لكنه منّ على بعض المؤمنين فضَيّق عليهم حتى لا يبغوا، فيُلزمهم بذلك القيامَ بشكر ما منّ عليهم، وأنعم بالتضييق حتى لا يبغوا. وكذلك يخرج ما روي: منعُ الله عطاءٌ.[2]

وفيما ذكرنا جواب عمن تعلق بظاهر الآية على أن الأصلح واجب حيث قال: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، بين أن الأصلح لهم أن لا يبسط. لأنا نقول: قد بسط كثيرا من الفراعنة والكفرة فبغوا، لكن ذكر هذا لبيان[3] المنة والإنعام بالتقتير والتضييق في حق البعض حتى لا يبغوا. ***والله أعلم***.

ثم البغي هو التعدى عن حد[4] الله الذي حد لهم والمجاوزةُ عنه، ولكن لا نفسر ما ذلك الحد[5] الذي سُمّى التعدى عنه بغيا لما لا يُعلم ما هو. ويحتمل أن يكون معنى قوله: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، أنه لو بسط عليهم ووَسّع لزمهم الشكر؛ والبسط وكثرة المال يَشغلهم ويمنعهم عن القيام بشكره وما أوجب عليهم من الفرائض والأحكام، **ولكن ينزّل بقدرٍ ما يشاء**، ما لا يشغلهم ولا يمنعهم عن القيام بالذي يلزمهم. ***والله أعلم***.

وقوله: **إنه بعباده خبير بصير**، قد تقدم تأويله.

ثم حاصل تأويلها يرجع إلى وجوه ثلاثة. أحدها إلى أهل الكفر أنه لو وسع عليهم وبسط لبغوا في الأرض، أي صاروا كلهم أهل كفر وضلال، كقوله تعالى: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ،[6] الآية.

والثاني يتوجه إلى خاص من المؤمنين لِمَا علم منهم أنه لو بسط عليهم ووَسّع لبغوا في الأرض، فضَيّق عليهم وقَتّر امتنانا منه وفضلا لئلا يبغوا. وهو كما ذكرنا في أحد تأويل قوله تعالى:

---

[1] ر ث م – لكان.

[2] ر م: عطا. روى أبو نعيم الإصفهاني هذا الكلام عن أبي حبيب البدوي. انظر: *حلية الأولياء*، ٢٨٨/٨.

[3] ر: البيان.

[4] ر م: من حد.

[5] جميع النسخ: ما الحد. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٨٨و.

[6] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٣٣/٤٣).

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[١] أنه إن كان[٢] على حقيقة العبادة[٣] له[٤] خلقهم فهو في الذين علم[٥] منهم أنه يعبدون لا محالة، خلقهم[٦] ليعبدوه على ما ذكر؛ فأما الذين يعلم أنهم لا يعبدونه لا يحتمل أن يخلقهم للعبادة ولكن يخلقهم لما علم أنه يكون منهم. *والله أعلم*. فعلى ذلك قوله: **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**، يرجع إلى قوم خاص يعلم الله تعالى منهم أنه لو بسط عليهم ووسّع لبغوا في الأرض فضيق عليهم فضلا منه ومنة، فيلزمهم القيام بشكر ذلك له. *والله أعلم*.

[والثالث] أو أن يرجع ذلك إلى جملة الخلق من مؤمن وكافر أنه لو وَسّع وبسط على الكل لصاروا جميعا ملوكا، ومن عادة الملوك وطباعهم البغي والغلبة على من نازعهم في ملكهم ومملكتهم،[٧] وفي ذلك التفاني والفساد، فوسّع على بعضهم وبسط، وضيّق على بعض لئلا يبغى بعض على بعض، إذ في ذلك[٨] تفانٍ وتفاسدٌ. *والله أعلم بذلك*.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**، يحتمل قوله: **من بعد ما قنطوا**، أي من رحمته، أو من بعد ما قنطوا من الأصنام التي عبدوها رجاء الغوث والشفاعة لهم والزلفى عند الله قنطوا ما رجوا منها، كقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.[٩] ثم سمى المطر رحمة وغيثا، أي الغوث ليعلم أن له أن يمسك عنهم ويمسكهم على الحال الأولى في القحط والضيق، إذ لو كان عليه إرساله ولم يكن له إمساكه لم يسمه رحمة ولا غوثا، لأن من عليه فعل شيء لم يوصف بالفضل والرحمة. فهو على المعتزلة في الأصلح. *والله الموفق*.

---

[١] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.
[٢] ن: أنه كان.
[٣] جميع النسخ - العبادة. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[٤] ر: لهم.
[٥] ر م - علم.
[٦] جميع النسخ - خلقهم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[٧] ن ر م - ومملكتهم.
[٨] ن ث: أو في ذلك.
[٩] سورة الإسراء، ١٧/٦٧.

وقوله: **وهو الولي الحميد**، يحتمل **الولي**، أي هو الرب، **الحميد**، هو المستحق للحمد؛ أو **الولي**، هو الحافظ لهم وولي كل نعمة أعطاهم، **الحميد**، بما ذكر من التضييق عليهم لئلا يبغوا في الأرض.[1]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[٢٩]

وقوله: **ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة**، قوله تعالى: **ومن آياته**، يحتمل من آيات ربوبيته وتوحيده خلق السماوات والأرض وما ذكر، أو [من] آيات حكمته وعلمه وتدبيره خلق ما ذكر،[2] أو [من] آيات قدرته وسلطانه ما ذكر،[3] أو من آيات إحسانه ونعمه وأياديه ما ذكر. وقد بينا وجه كل ذلك ودلالته على قدر فهمنا منه فيما تقدم.[4]

[٦٩٨ظ] / ثم اختلفوا في قوله: **وما بث فيهما من دابة**. قال بعضهم: قوله تعالى: **وما بث فيهما**، أي في الأرض خاصة، ألا ترى أنه قال من دابة، وهي اسم لما يَدُبّ، وأهل السماء[5] ملائكة ولهم الطَّيَران دون الدبيب. وهو كقوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ،[6] وإنما[7] يخرج من أحدهما. وقال بعضهم: **فيهما**، أي في السماء الملائكة وفي الأرض الدواب، لكنه سمى أهل السماء باسم ما في الأرض من الدواب، وذلك جائز في اللغة: ذكر شيئين باسم أحدهما، كقوله: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ،[8] والكناية يرجع إلى الصلاة لفظا، والمراد ما[9] سبق من الصبر والصلاة، وكذا قوله: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا،[10] كنى عن التجارة وأراد كليهما، ونحو ذلك. فعلى ذلك هذا. ثم قوله: **وما بث فيهما**، قالوا: أي نشر.[11]

---

[1] ر ث م – الحميد بما ذكر من التضييق عليهم لئلا يبغوا في الأرض.
[2] جميع النسخ: مما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[3] ر ث م: مما ذكر.
[4] انظر: سورة الروم، ٢٢/٣٠.
[5] ن: أهل السماء.
[6] سورة الرحمن، ٢٢/٥٥.
[7] ر ث: وإنهما؛ ن: وإنه.
[8] سورة البقرة، ٤٥/٢.
[9] ن: مما.
[10] سورة الجمعة، ١١/٦٢.
[11] جميع النسخ: تنشر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.

وقوله عز وجل: **وهو على جمْعهم إذا يشاء قدير**، يحتمل ما ذكر من جمعهم بَعْثَهم وإحياءهم، قدير[1] على ذلك كما هو قدير[2] على ما ذكر من خلق السماوات والأرض وما ذكر. ***والله أعلم.***

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**، يحتمل ما ذكر من المصيبة التي تصيبهم[3] المصيبةَ التي تعمّ[4] الخلق جميعا ممن كان منهم الزلةُ وما ذكر من كسب اليد، وممن لم يكن منهم كسب اليد من الزلة والمعصية: من نحو الجَدْب والقحط وغَلَبَة الأعداء وغير ذلك من الأشياء التي تعمّ[5] الخلائق ممن كان منه الجناية وممن لم يكن من الصغار والدواب والأبرار والأخيار. فيكون ما أصاب ممن كان ذلك منه واستوجبه تنبيها لهم وموعظة، أو كفارةً لما كان منهم من كسب اليد؛ وما أصاب ذلك ممن لم يكن منهم ذلك من الصغار والأخيار فذلك في الحكمة. وهو يخرج على وجهين. أحدهما يصيب ذلك لهم ابتلاءً بشيء سبق منهم ليُعلَم أن ما يعطيهم من السلامة والصحة والحسنات والخيرات كان فضلا منه، وهم عبيده وإماؤه وملكه، إن شاء أهلكهم وفعل بهم ما شاء،[6] وإن شاء[7] أبقاهم. أو أن يفعل بهم ما ذكر،[8] وإن لم يَسبِق منهم ما ذكر من كسب اليد والزلة لعوض يعوّضهم[9] في الآخرة. وكيف ما كان فهو غير خارج عن الحكمة. والإيلامُ للتعويض جائز ممكن، لكن ليس بواجب -لا محالةَ- التعويضُ، خلافا للمعتزلة فإن عندهم واجب. ***وبالله العصمة.***

وجائز أن يكون ما ذكر من المصيبة التي تصيبهم[10] بكسب اليد أن يريد كلا في نفسه، يصيبه بما سبق منه من شيء ارتكبه واكتسبه.[11] فالسبيل فيه أن ينظر كلٌّ في نفسه[12] ما الذي سبق منه

---

[1] ن: قدر.
[2] ن: قدر.
[3] جميع النسخ: يصيبهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[4] جميع النسخ: يعم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٨ظ.
[5] جميع النسخ: يعم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٨ظ.
[6] ر م – وفعل بهم ما شاء.
[7] ن – إن شاء.
[8] ن: ما ذكرن؛ ر: ما ذكروا.
[9] ر م: يعوض.
[10] جميع النسخ: يصيبهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٨ظ.
[11] ن: والكسبة.
[12] ن: في هسه.

حتى أصابه ما أصاب، فيراجعَ نفسه عن ذلك ويتوب إلى الله تعالى. ثم يخرج ذلك لهم إما تنبيها وزجرا عن المعاودة إلى مثله، وإما تكفيرا وتمحيصا لما كان منهم فيلزمهم[1] الشكر على ذلك. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يصيب ابنَ آدم خَدْشُ عُودٍ ولا عَثْرةُ قدمٍ ولا اختلاجُ عِرقٍ إلا بذنب وما يعفو الله [عنه] كثير».[2]

وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى أن يؤلم أحدا ولا يذيقه شيئا من الشدة إلا بعوض يعوّض له. ولو كان[3] على ما يقولون لم يكن الله تعالى[4] في إعطائهم الخيرات والحسناتِ والسعةَ محسنا مُفْضلا منعما، لأن من أخذ من آخر[5] شيئا بعوض لا يوصف بالإفضال والإنعام، وقد سمي نفسه بذلك محسنا منعما،[6] فيكون ما قالوا خلاف ذلك.

والثاني إن كان بعوض على ما يقولون يجب أن يعوّضهم عوضا يَرضَون بذلك العوض، ويكون ذلك العوض مثل ما أخذ منهم، وهم لا يشترطون ذلك، دل أن له أن يفعل لهم ما ذكرنا. وأصله ما ذكرنا أن الخلق كلهم عبيده وإماؤه، ولكل ذي مَلِك أن يفعل في ملكه ما شاء لا لائمةَ عليه، إذ كان له حقيقة الملك. فعلى ذلك اللهُ سبحانه وتعالى، إذ له حقيقة ملك الأشياء فله أن يفعل ما يشاء[7] بلا عوض ولا بدل. ***والله أعلم***.

وقوله: **ويعفو عن كثير**، ليس أحد يصيبه شيء من الشدة والبلاء إلا ويكون في ذلك عفوٌ منه جل جلاله، لأنه ما من ألم إلا ويتوهَّم زيادة الألم في ذلك، فيكون منع تلك الزيادة عنه عفوا عنه[8] وفضلا. فكذلك[9] هذا في هلاك كل شيء من حقوقه ما يَقِلّ ويَكثُر. ويحتمل أن يكون قوله: **ويعفو عن كثير**، أي لا بكل زلة منهم يكون يؤاخذهم[10] بها، بل يؤاخذهم ببعض ويتجاوز عنهم في بعض. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م: ولزمهم.

[2] انظر: شعب *الإيمان* للبيهقي، ١٢/٢٥٣/٢٥٤؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٠/٥١٣-٥١٤.

[3] ن ث: وإن كان.

[4] ر م – أن يؤلم أحدا ولا يذيقه شيئا من الشدة إلا بعوض يعوض له ولو كان على ما يقولون لم يكن الله تعالى.

[5] ر م – من آخر.

[6] ث – لأن من أخذ من آخر شيئا بعوض لا يوصف بالإفضال والإنعام وقد سمي نفسه بذلك محسنا منعما.

[7] ن: وله أن يفعل ما شاء.

[8] ن: منه.

[9] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩و.

[10] ر م: بواحد؛ ث: بواحدهم.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٣١]

وقوله: **وما أنتم بمعجزين في الأرض**، يقول: لا تقدرون[١] الهرب مما يريد أن يصيبكم بزلاتكم وما يريد أن يفعل بكم، ولا لكم ملجأ. وقوله عز وجل:[٢] **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**، أي ليس لكم ولي يحفظكم ويدفع عنكم ذلك العذاب، ولا نصير[٣] ينصركم ويمنعكم من عذاب الله. *والله أعلم*.[٤]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام**، يحتمل آياته ما ذكرنا من آيات وحدانيته وربوبيته، وآيات قدرته وسلطانه، وآيات علمه وتدبيره وحكمته، وآيات نعمه وإحسانه. وهو ما جعل الله جل وعز في سِرِيَّة الخشب في السفن معنى لو اجتمع حكماء البشر لِيَعرفوا ذلك المعنى واللطفَ الذي جعل في الخشب ما قدروا على إدراكه، وذلك المعنى واللطف المجعول فيها هو[٥] ما جعل من طبعها السكونَ على وجه الماء والقرار عليه مع ثقلها / وغلظها، وإن كان بدون ذلك الثقل والعظم بكثير من غير جوهر الخشب مما [٦٩٩و] يتسرب في الأرض وينحدر. وكذلك مما يُحْمَل في السفن من الأحمال العظيمة الثقيلة مما طَبْع كلٍ من ذلك الحِمْل أن يتسرب وينحدر في الماء لو لم يكن السفن وما ذكر من الخشب. *والله أعلم*. ثم قوله: **كالأعلام**، قال عامة أهل التأويل: أي كالجبال في البحار. وقال القُتَيْبِي وأبو عَوْسَجَة: الأعلام الجبال،[٦] واحدها عَلَم.[٧] ومعنى هذا الكلام هو ما ذكر من مَيْد[٨] الأرض بأهلها والتسرب في الماء، ثم أرساها وأثبتها بالجبال. وطَبْع الجبال التسرّب والانحدار في الماء، فيجيء أن يزيد في التسرب والانحدار في الماء لا أن يُثبتها ويُقرّها على وجه الماء،

---

[١] ر ث م: لا يقدرون.

[٢] ر م - وقوله عز وجل.

[٣] ر م - أي ليس لكم ولي يحفظكم ويدفع عنكم ذلك العذاب ولا نصير.

[٤] - والله أعلم.

[٥] جميع النسخ - هو. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٦٩٩و.

[٦] ن: والجبال.

[٧] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٤.

[٨] ماد الشيء يميد مَيْدا: تحرك ومال بشدة. وماد الشيء يميد ميدا: زاغ وزكا. وفي الحديث لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال (*لسان العرب*، «ميد»).

لكن بلطفه ومَنِّه أقرّ بها الأرض وأثبتها[1] ومنع بها عن التسرب والانحدار والميد بأهلها. فعلى ذلك السفن في البحار تستقر[2] على الماء ولا ينحدر كالجبال مع الأرض في القرار على الماء. *والله أعلم*.
ويحتمل قوله: **كالأعلام**، معنى آخر، وهو الأعلام أنفسها، وهو أن جعل[3] السفن سببا وطريقا للوصول إلى منافع بعدت منهم وصعبت عليهم. فإذا حُمل فيها الأحمال من بلد إلى بلد آخر ومن مكان إلى مكان يُسَرّ أهل المحمول إليهم[4] بتلك الأحمال والسفن إذا رأوها في البحار يحمل إليهم لسعة يرجون بها ومنافع يتصل لهم. وكذلك يسرّ أهل البلد المحمول عنهم[5] إذا رأوها راجعة إليهم سالمة، لما يحصل لهم من الأثمان[6] والأعراض بها، فيكون السفن أعلاما وأدلة لهم على الوصول إلى الأغراض والمنافع. *والله أعلم*.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣٣]

وقوله: **إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره**، يذكر فضله ومنته بما أجرى هذه السفن في البحار التي ذكر، فأخبر أنه لو شاء لأمسكها ومنعها عن[7] الجريان. ثم صير الريح نوعين. إحداهما[8] طيبة بها تجري السفن والأخرى عاصفة شديدة تَهلِك بها السفن، وهو ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ،[9] الآية. ثم في ذلك خلال ثلاث تدل[10] على أن الريح ليست تُجرى السفن وتَهُبُّ[11] بطبعها وبنفسها ولكن بالله تعالى. أحدها أنه أخبر أنه جعل نوعا منها طيبة تُجرى السفن،

[1] ر ث م: ولا يثبتها.
[2] ن: يستقر.
[3] ن: وهو جعل.
[4] م - إليهم.
[5] ر م - عنهم.
[6] جميع النسخ: الايمان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.
[7] ر م: على.
[8] ر ث م: أحدهما.
[9] ﴿هو الذي يُسيّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (سورة يونس، ٢٢/١٠).
[10] جميع النسخ: يدل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ظ.
[11] جميع النسخ: ويهب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.

والأخرى عاصفة[١] تُهلك[٢] السفن وتَهيج[٣] الأمواج. والثاني ما ذكر في هذه الآية: **إن يشأ يسكن الريح**، أخبر أنه لو شاء[٤] لأسكن الريح فيبقَيْن[٥] رواكد على ظهر الماء، فدل أنه هو المُجري لها حيث كان هو المُسكنَ. والثالث أن الفعل[٦] الطبيعي على سَنَنٍ واحد كالحرارة في النار والبرودة في الثلج وأمثال ذلك. ولو كان جريان الريح وهبوبها بنفسها وطبعها لكانت لا تَسكن[٧] في حال ولا تكون[٨] مرة طيبة سالمة ومرة شديدة عاصفة مهلكة، دل أن ذلك كان بالله تعالى لا بالطبع. ***والله الموفق***.

وقوله: **إن في ذلك لآياتٍ لكل صبّار شكور**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما سمى المؤمن صبورا شكورا. والثاني سمّى من صبر على ما أصابه[٩] من الشدائد والمصائب التي ذكر صبورا، ومن شكر ما ذكر من النعم في السفن وغيرها شكورا. ***والله أعلم***.

وقوله:[١٠] **رواكد على ظهره**، قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي:[١١] أي وقوفًا،[١٢] وصرفه رَكَد يَركُد رَكْدًا ورُكُودا.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾[٣٤]

وقوله: **أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير**، جائز أن يكون هذا[١٣] صلة ما ذكر من السفن الجواري في البحر[١٤] حيث قال: إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ،[١٥]

---

[١] ر م: على صفة.
[٢] ن: يهلك.
[٣] جميع النسخ: ويهيج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.
[٤] ث + لأمسك.
[٥] ر م: فبقين.
[٦] جميع النسخ: فعل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ظ.
[٧] ر ث م: لا يسكن.
[٨] جميع النسخ: ولا يكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ظ.
[٩] ر م: على ما أصاب.
[١٠] ن: ثم قوله تعالى.
[١١] قال ابن قتيبة: أي سواكن على ظهر البحر. *تفسير غريب القرآن*، ٣٩٤.
[١٢] ر ن م: وقوف.
[١٣] ن - هذا.
[١٤] ن + التي بها يجرى بها السفن.
[١٥] الآية السابقة.

يقول إن يشأ أسكن الريح التي بها تجرى[1] السفن في البحار، فيبقَيْن[2] رواكد في الماء، وإن شاء أرسل ريحا عاصفة قاصفة[3] شديدة فيهلكْهن[4] يعني السفن، وأراد أهلَ السفن بما كان منهم. يخبر أن له أن يفعل ما ذكر من الإهلاك في البحر أو الإبقاء فيه لكنه بفضله يُنجي من أنجى وأخرج منه[5] سالما. *والله أعلم*. وكذا قال أبو عَوْسَجَة: يُوبِقْهُن، أي يهلك[6] أهل السفن. ويحتمل أن يكون ذلك صلة ما تقدم من قوله تعالى: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[7] فيكون ما يصيبهم من المصيبة ما بلغت[8] النفسَ أو مما لم تبلغ[9] النفسَ، فيكون كل ذلك لهم من كسب أيديهم على ما ذكر. ثم أخبر أنه يعفو عن كثير مما كسبت أيديهم مما يستوجبون الإهلاك ويتجاوز عنهم. *والله أعلم*.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[٣٥]

وقوله: **ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص**، المجادلة في آياته تخرج[10] على وجهين. أحدهما أن يجادلوه في تقدير أحكام الله تعالى وفهم ما ضُمن فيها، وذلك ممدوح محمود، وهو كقوله تعالى: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[11] وقوله عز وجل: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا،[12] فهذه المجادلة والمراء المذكور في هذا محمود.[13] والمجادلة الثانية هي المجادلة في دفع أحكام آيات الله تعالى والحيلولة[14] عن فهم ما ضُمن فيها،[15] وهي مذمومة.

---

[1] ن: يجرى.
[2] ر م: فبقين.
[3] ر م – قاصفة.
[4] ر ث م: فيهلكن.
[5] ر م – منه.
[6] ر م: ليهلك.
[7] الآية السابقة برقم ٣٠ من هذه السورة.
[8] ن: وما بلغت.
[9] جميع النسخ: لم يبلغ. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ٩٩ظ.
[10] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩٩ظ.
[11] سورة العنكبوت، ٤٦/٢٩.
[12] سورة الكهف، ١٨/٢٢.
[13] م: لمحمود.
[14] ر ث م – والحيلولة.
[15] ر ث م – فيها.

وما ذُكر هاهنا من قوله: **ويعلم الذين يجادلون في آياتنا**، هي المجادلة في دفع[1] / أحكام آياته. [٢٩٩ظ]
ثم أخبر أنه لا محيص لهم ولا ملجأ من عذاب الله بمجادلتهم في دفع آياته والمنع عن فهم ما فيها.
والله أعلم.[2]

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٣٦]

وقوله: **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أن الله تعالى أعطى من أعطى هذه النعم واللذات في هذه الدنيا ليكتسبوا بها نعمة دائمة ولذات[3] باقية، وكذلك ما أعطاهم من السمع والبصر وغير ذلك من الحواس ليكتسبوا بها ما يدوم ويبقى. فمن استعمل ما أعطاه من الأموال واللذات مما ذكرنا في غير ما أُمِر به وجُعِل سُمِّي خاسرا عابثا، وكذلك من استعمل ما أعطاه من الحواس في غير ما جُعلت وأُمِر باستعمالها سمي[4] "أصمّ" "أبكم" "أعمى". وكذلك النفس إذا لم[5] يَكْتسب بها حياة دائمة سمّى مَيِّتا. *والله أعلم*. أو أن يقال: إنهم ما أُعطُوا في هذه الدنيا من اللذات والمتعة إلا ترغيبا فيما أبقى عنده ووعدهم في الآخرة، وكذلك ما امتُحِنوا من الشدائد والمصائب إلا تحذيرا وترهيبا عما أوعدهم وخوّفهم في الآخرة. ثم قوله: **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا**، أي تتمتعون به فيفنى ويزول عن سريع وما أبقى، ولم يؤتكم هو الباقي الدائمَ.

ثم بين أن ما أبقى عنده لمن؟ بقوله:[6] **للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**، آمنوا بأن له الدنيا والآخرة، وأن له الخلقَ والأمرَ، وأنه بريء عن جميع معاني الخلق. **وعلى ربهم يتوكلون**، أي يَكِلون أمورهم إلى ربهم، هو مَفْزَعهم ومعتمدهم، لا يفزعون إلى أحد سواه ولا يعتمدون غيره في جميع أحوالهم.

---

[1] م + أحكام آيات الله تعالى عن فهم ما ضسن وهي مذمومة وما ذكر هاهنا من قوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا هي المجادلة في دفع.
[2] ر م – والله أعلم.
[3] جميع النسخ: ولذة.
[4] جميع النسخ: يسمى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠و.
[5] ر ث م: إذ المرء.
[6] ر ث: يقوله.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٣٧]

ثم نعتهم أيضا بما ذكر من الاجتناب عن الكبائر والفواحش فقال: **والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش**، جائز أن يكون ما ذكر من كبائر الإثم هي الفواحش والفواحش هي كبائرَ الإثم، كل واحد منهما في معنى الآخر. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: كبائر الإثم أنواعُ ما بها يصير المرء مشركا وهي كبائر الشرك، والفواحش هي التي توجب[1] الحدود في الدنيا. وقيل: الكبيرة ما يَكبُرُ ويَعظُم من الذنب، والفاحشة ما يَفحُش من العمل. وقد ذكرنا وجوها في ذلك فيما تقدم في سورة النساء.[2] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وإذا ما غضبوا هم يغفرون**، أي إذا ما غضبوا هم مما يرجع إلى الأموال والأنفس وأمر الدنيا يغفرون ويتجاوزون عن ذلك، فأما ما يرجع ذلك الغضبُ إلى أمر الدين فإنه لا يسع المغفرةَ عن ذلك ولكن يجب الرجوع والتوبة إلى الله. ***والله أعلم***.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة**، أي أجابوا لربهم إلى ما دعاهم ربهم. وقد دعاهم إلى دار السلام بقوله:وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ،[3] لكن جعل لإجابتهم شرائط وأعلاما، فمن وَفَى بها استوجب الموعود، وهو كقوله تعالى: أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[4] الآية، وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، إلى آخر ما ذكر،[5] فعلى ذلك عَلَمُ إجابتهم لربهم وشَرْطُها ما ذكر من قوله تعالى: **وأقاموا الصلاة**، إلى آخر ما ذكر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وأمرهم شورى بينهم**. ذكر بعضهم أن الأنصار كانوا يتشاورون فيما بينهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم غائب، فنزل هذا مدحا لهم على فعلهم.

---

[1] ر ن م: يوجب.

[2] انظر: تفسير الآية ٣١ من سورة النساء.

[3] سورة يونس، ١٠/٢٥.

[4] ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبونِ﴾ (سورة البقرة، ٢/٤٠).

[5] ﴿وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعَزَّرْتُموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأُكَفِّرَنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (سورة المائدة، ٥/١٢).

وذكر عن الحسن أنه تلا هذه الآية، وهي[١] قوله: **وأمرهم شورى بينهم**، قال: والله ما شاور قوم قط إلا هداهم الله تعالى لأفضل ما بحضرتهم.[٢] وأصله أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشاور صحابته حيث قال: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ.[٣] وقول[٤] الحسن: ما شاور قوم في أمر قط إلا هداهم الله تعالى لأفضل ما بحضرتهم، لان المشاورة اجتماع العقول والأذهان، وإذا اجتمعت كانت إلى استدراك الحق والصواب أسرع وأبلغَ مما[٥] انفرد كلُّ عقلٍ بنفسه. **والله *أعلم***. وقال القُتَبِي: **وأمرهم شورى بينهم**، أي يتشاورون فيه.[٦] وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون**، ظاهر.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[٣٩]

وقوله: **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**، صَيَّرَ المُنتصِرَ من الباغي والغافرَ لمظلمة من ظَلَمَه جميعا في الذين استجابوا لربهم إلى ما دعاهم إليه حيث قال: وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ،[٧] ثم نعتهم فقال: وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ،[٨] ثم قال: **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**، صيرهما جميعا المنتصر والغافر في الذين استجابوا لربهم إلى ما دعاهم إليه.[٩] والمنتصر مستوفٍ حقٍ جُعل له، والغافر تارك الحق، لكن إذ جُعل له الاستيفاء دخل فيما ذكر من المستجيبين لله تعالى. لكن تارك الحق أفضل من مستوفي الحق. وعلى ذلك حث الله تعالى رسوله بالعفو عن المظلمة وترك الانتصار والمكافأة وأخبر أنه من عزم الأمور حيث قال: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.[١٠] ويحتمل أن يكون قوله تعالى: وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ،[١١]

---

[١] جميع النسخ – وهي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠و.

[٢] *الأدب المفرد* للبخاري، ١٣٧/٢.

[٣] سورة آل عمران، ١٥٩/٣.

[٤] ر م: وقال.

[٥] ر ن م: ما.

[٦] *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٣.

[٧] الآية السابقة برقم ٣٧.

[٨] الآية السابقة.

[٩] جميع النسخ – حيث قال وإذا ما غضبوا هم يغفرون ... إلى ما دعاهم إليه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠و–ظ.

[١٠] الآية التالية برقم ٤٣.

[١١] الآية السابقة برقم ٣٧.

راجعا[1] إلى الأذى باللسان من نحو الشتيمة والسب والذي لا يؤثر في النفس أثرا. حثهم على المغفرة والعفو ومدحهم على ذلك. وقوله: **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون،** راجع إلى ما يؤثر في الأنفس والأبدان تأثيرا من الجراحات / وغيرها.[2] حثهم على العفو فيما [٧٠٠و] يرجع[3] إلى الأذى باللسان وأن لا يكافئوهم على ذلك؛ وفيما رجع إلى الأنفس والأبدان جعل لهم الاستيفاء والانتصار، وإن كان ترك الاستيفاء والعفو عن الكل أفضل على ما قال تعالى:[4] وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى.[5]

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [٤٠]

وقوله: **وجزاء سيئة سيئة مثلها**، سمي الثانية سيئة، وإن لم تكن[6] في الحقيقة سيئة، لأنها جزاء السيئة فسماها باسم الأولى. أو سماها سيئة لأنه لو لم يكن الأولى كانت الثانية سيئة أيضا،[7] فسماها على ما هو في نفسها من باب الإضرار، والضررُ سيئة في نفسه وإن كان يصير[8] حَسَنا لغيره. ***والله أعلم***. ويشبه أن يكون سماها بما ذكر لاختلاف الأحوال: هي عند الذي يُقْتَصُّ[9] منه ويجازَى بها سيئة،[10] وتلك الحال عنده سيئة، وهو كقوله تعالى: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[11] سَمّى حالةَ الضيق والشدة سيئة لأنها عندهم سيئة، وحالَ السعة والرخاء حسنة لأنها عندهم حسنة، وإن لم يكن تلك الحال في الحقيقة سيئة لكنه سماها سيئة على ما عندهم. فعلى ذلك جائز أنه سمى الثانية سيئة لما هي عند المفعول به[12] سيئة. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: راجع. تصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[2] ر م: وغيرهم.
[3] ن: رجع.
[4] جميع النسخ – تعالى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٣٧.
[6] ر ن م: وإن لم يكن.
[7] ر م: كانت السيئة ثانية أيضا؛ ث: كانت السيئة ثابتة أيضا.
[8] ر م – يصير.
[9] جميع النسخ: يقبض. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[10] ث: مسيئة.
[11] سورة الأعراف، ٧/١٦٨.
[12] ن – به.

وقوله: **فمن عفا وأصلح فأجره على الله**، هو ما ذكرنا أنه وإن جعل لهم حق الاستيفاء والانتصار فالعفو[١] عن ذلك أفضل. ثم فيه من الدلالة[٢] أن لا يجمع بين العفو وأخذ البدل إذا لم يكن من الآخر الرضا بذلك، لأنه قال: **فمن عفا وأصلح فأجره على الله**، أخبر أنه إذا عفا عنه يكون أجره على الله، وليس له[٣] أن يأخذ من المعفو عنه شيئا. ***والله أعلم***. فهو ينقض على من يقول بأخذ الدية من الجاني شاء أو أبى حيث قال: إن له أن يعفو عنه ويأخذ منه الدية.[٤] ***والله أعلم***.[٥]

وقوله: **إنه لا يحب الظالمين**، لأنه لا يحب الظلم؛ والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه،[٦] فمن أخذ ما ليس له أخذُه فهو ظالم.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل**، أي أولئك ما عليهم من حجة، أو ما عليهم من تبعة.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **إنما السبيل على الذين يظلمون الناس**، إنما الحجة أو التبعة[٧] على الذين يظلمون الناس ابتداء. وقوله عز وجل: **ويبغون في الأرض بغير الحق**، أي يأخذون من الناس ما ليس لهم أن يأخذوا، فالتبعة والحجة عليهم. فأما من يأخذ حقا وجب له واستوفاه فلا تبعة عليه ولا حجة. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويُفسدون في الأرض.[٨]

---

[١] جميع النسخ: والعفو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.

[٢] جميع النسخ: ثم فيه دلالة. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩١ظ.

[٣] ن ث: فليس له.

[٤] جميع النسخ: فهو ينقض على من يقول بأنه يأخذ البدل من الجاني شاء أو أبى وأن يعفو عنه ويأخذ البدل. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩١ظ.

[٥] ر م – والله أعلم.

[٦] م: في موضعه.

[٧] جميع النسخ: والتبعة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.

[٨] لم أجده في المراجع.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٤٣]

وقوله: **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور**، أي من صبر على الأذى والمظلمة وعفى عنها وتجاوز فإن ذلك من عزم الأمور، أي ذلك من تحقيق الأمور وإحكامه. ***والله أعلم***.[١]

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٤٤]

قوله عز وجل: **ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده**، أي من أضله الله لما آثر ولاية الشيطان لا وليّ له سواه بعده يرشده، أو لا وليّ ينفعه من بعده. وهو كما قال: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ]،[٢] أخبر أن سلطان الشيطان على من يتولاه.[٣]

وقوله[٤] عز وجل: **وترى الظالمين لمَا رَأَوُا العذاب يقولون هل إلى مَرَدّ من سبيل**، قال أهل التأويل: أي هل إلى رجوعٍ إلى[٥] الدنيا من سبيل، يقولون [و]يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا. والأشبه أن يكون سؤالهم الرجوعَ إلى المحنة[٦] التي امتُحِنوا في الدنيا قبل موتهم، أي سألوا أن يكلفهم ويمتحنهم في الآخرة ليُظهروا الطاعة لله تعالى في أوامره ونواهيه. ***والله أعلم***.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾[٤٥]

وقوله: **وتراهم يعرضون عليها**، قال أهل التأويل: يعرضون على النار قبل أن يدخلوها، كقوله تعالى: إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا،[٧] وكقوله تعالى: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ،[٨] الآية. وقوله عز وجل: **خاشعين من الذل**، لأن الله تعالى أذلّهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم وأَعطَوْا أنفسهم شهواتهم ومُناهم.

[١] ر م – والله أعلم.
[٢] سورة النحل، ١٦/١٠٠.
[٣] ر م: على ما يتولاه.
[٤] ر م – وقوله.
[٥] جميع النسخ – إلى. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٠ظ.
[٦] ر: الجنة.
[٧] سورة الفرقان، ٢٥/١٢.
[٨] ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٣).

وقوله عز وجل: **ينظرون من طَرْف خفيّ**، يحتمل ما ذكر من نظرهم من طرف خفي ما ذكر في آية أخرى: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ،[1] لشدة هولهم وفزعهم في ذلك اليوم لا يرفعون رءوسهم ولا ينظرون إلى موضع. ***والله أعلم***.[2] ويحتمل أن يكون قوله: **ينظرون إليه من طرف خفي**، أي لا ينظرون إلى الناس ولا يُقبِلون بوجوههم إليهم إلا نظر التلصص والتغفل حياء منهم لسوء فِعالهم. وهكذا المعروف في الناس، لأن مَن صَنَع إلى الآخر سوءًا لا يتهيأ له رفع الطرف إليه ونظره إليه مقبلا[3] إلا على التلصص منه والتغفل،[4] فعلى ذلك أولئك. ***والله أعلم***. وقال بعض أهل التأويل: إنهم يحشرون عُمْيًا فلا يرون بأعينهم، إنما يرون بقلوبهم، وهو الطرف الخفى. وقال القُتَبِي: **ينظرون من طرف خفي**، أي قد غضوا أبصارهم من الذلّ.[5] وقال أبو عَوْسَجَة: أي ينظرون نظرا مستقيما. ***والله أعلم***.

[٧٠٠ظ] وقوله: **وقال / الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة**، الآية، يخرج ما ذكر من خسران أنفسهم وأهليهم على وجوه. أحدها ما ذكر بقوله تعالى: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[6] أمروا بأن يَقُوا[7] أنفسهم وأهليهم النار؛ فَهُمْ حيث لم يَقُوا ما ذكر من الأنفس والأهل خسروا. ***والله أعلم***. والثاني قوله: **خسروا أنفسهم وأهليهم**، أي خسروا بسبب أنفسهم وسبب أهليهم، كقوله: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،[8] لما يتعاطون[9] أمورا بسبب الأموال والأولاد والأزواج هي فتنة لهم، وكقوله: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ،[10] فقد يَخسَر الرجل ويصير مؤاخذا بسبب هؤلاء. والثالث يحتمل أن يكون خسرانهم أنفسهم وأهليهم ما قالوا: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[11] وقوله: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[12]

---

[1] سورة إبراهيم، ٤٣/١٤.
[2] ر م – والله أعلم.
[3] ر م: متصلا.
[4] والتغفل: تعمد الغفلة، تغافلت عنه وتغفلته: إذا اهتبلت غفلته (*تاج العروس*، «غفل»).
[5] *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٤.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).
[7] ن: بأن يقول.
[8] سورة التغابن: ١٥/٦٤.
[9] ر ث م: لما يتعاملون.
[10] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ (سورة التغابن، ١٤/٦٤).
[11] سورة الكهف، ٣٦/١٨.
[12] سورة فصلت، ٥٠/٤١.

خسر ما كان رجا وطَمِعَ أن له عند ربه في الآخرة الحسنى. على هذه الوجوه الثلاثة يخرج تأويل الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ليس من أحد من كافر ومسلم إلا وله أهل ومنزل في الجنة؛ فإن أطاع الله تعالى أتى منزله وأهله، وإن عصاه خسر نفسه وأهله ومنزله في الجنة وورثه المؤمنون عنه.[1] لكن لا يحتمل أن يكون الله عز وجل مع علمه أنه يموت كافرا أن يجعل له الأهل والمنزل في الجنة، اللهم إلا أن يفعل ذلك ليكون لهم حسرة على ذلك وغيظا. *والله أعلم*.[2]

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [٤٦]

وقوله: **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله**، يخرج على وجهين. أحدهما أي ما كان للأصنام التي عبدوها دون الله تعالى وِلايةُ النصر لهم وقدرة رفع العذاب عنهم، لأنهم كانوا يعبدونها في الدنيا رجاء أن تشفع[3] لهم في الآخرة وأن تُزْلِفهم.[4] فأخبر الله تعالى أن ليس لها وِلاية النصر لهم على ما رَجَوْا وطَمِعُوا من عبادتها[5] الشفاعة لهم والدفعَ عنهم. *والله أعلم*. والثاني **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله**، أي ما كان للرؤساء الذين اتخذوهم في الدنيا أربابا وِلايةُ النصر لهم، لأنهم لا يملكون دفع ذلك من أنفسهم، فكيف يملكون دفع ما نزل بأتباعهم. يخبر أن ليس لهم ولاية دفع العذاب عنهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يضلل الله فما له من سبيل**. يحتمل قوله: **فما له من سبيل**، أي من حجة، أي من أضله الله فلا حجة[6] له أن يقول: إنك أضللتني، لأنه إنما يضله لما يختاره هو ويُؤْثِره، فيخلّي بينه وبين ما يختاره[7] ويُؤْثِره. والأصل في هذا أن ليس لأحد على الله حجة[8]

---

[1] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزلٌ في النار. فإذا مات فدخل النار وَرِث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾» [سورة المؤمنون، ١٠/٢٣] (*سنن ابن ماجة*، الزهد ٣٩). وانظر أيضا: *تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٨٦/١٠.

[2] ر م – والله أعلم.

[3] ر ن م: أن يشفع.

[4] جميع النسخ: وأن يزلفهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١و.

[5] ن: من عبادتهما.

[6] ر م: ولا حجة.

[7] ر م – هو ويؤثره فيخلي بينه وبين ما يختاره.

[8] ن: حجية.

فيما يفعله من المعاصي ويختاره بأنه قضاه ذلك وأراده وقدره، لأنه[١] لا أحد يفعل ما يفعل من المعاصي وقت فعله لأن الله تعالى قضى له ذلك أو أراده أو قدره أو لأنه أضله، فإذا كان[٢] وقت فعله لا يفعله لأن الله أراد ذلك وشاءه أو قدره[٣] وقضاه إنما يفعله لغرض له وهواه، لم يكن له الاحتجاج عليه بذلك. *وبالله العصمة.* والثاني إنه ليس له حجة عليه بذلك، لأنه يعلم أنه لو خُيّر بين ما يريد أن يختاره ويؤثره وبين ضد ذلك لكان يختار ذلك على ضده ويختار تحصيله[٤] ويؤثره على ترك ذلك، فكيف تكون[٥] له حجة بذلك. *والله الموفق.* ويحتمل قوله: **فما له من سبيل**، أي من أضله الله تعالى فما له إلى الهدى من سبيل،[٦] أي لا يملك أحد إرشاده. ويحتمل أي من أضله الله فما له من سبيل، أي ليس له سبيل ولكن عليه السبيل.

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [٤٧]

وقوله عز وجل: **استجيبوا لربكم**، أي أجيبوا له، وقد ذكرناه.[٧] وقوله عز وجل: **من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله**، الآية.[٨] هذا يخرج على وجهين.[٩] أحدهما أي أجيبوا له من قبل أن يأتي يوم لا يملك أحد رد ذلك اليوم إذا أتاهم، لأنه هو اليوم الذي يجزى فيه الخلائق، وفيه أهوال وأفزاع؛ يقول: لا أحد يملك رد ذلك اليوم ودفعه.[١٠] *والله أعلم.* والثاني أي أجيبوا من قبل أن يأتي يوم لا مرد لما ينزل فيه بهم من العذاب والعقاب. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ما لكم من ملجأ يومئذ**، هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام في الدنيا لتكون[١١] لهم شفعاءَ وملجأً يلجئون[١٢] إليها، يقول:

---

[١] ر م – في هذا أن ليس لأحد على الله حجة فيما يفعله من المعاصي ويختاره بأنه قضاه ذلك وأراده وقدره لأنه.
[٢] ن: وإذا كان.
[٣] ر م – أو لأنه أضله وإذا كان وقت فعله لا يفعله لأن الله أراد ذلك وشاءه أوقدره.
[٤] ن: تفصيله.
[٥] جميع النسخ: يكون.
[٦] ر ث م + أي ليس له سبيل ولكن عليه السبيل.
[٧] ث – وقد ذكرنا. انظر: سورة الأنفال، ٨/٢٤.
[٨] ن – الآية.
[٩] ر ث م: من وجهين.
[١٠] ر ث م – ودفعه.
[١١] جميع النسخ: ليكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.
[١٢] ر م: يلتجئون.

ما لكم [إلى] أولئك الأصنام ملجأٌ تلجئون إليه[1] بل يكونون كما ذكر في آية أخرى: وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ،[2] وقوله تعالى: بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ،[3] الآية. *والله أعلم*. والثاني **ما لكم من ملجأٍ يومئذ**، أي ما لهم من حِيَل يحتالون بها دفع ما نزل بهم من العذاب على ما يكون في الدنيا من حِيَل يحتالون بها[4] دفع ما نزل بهم من البلايا والشدائد. *وبالله النجاة*.

وقوله عز وجل: **وما لكم من نكير**. هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما أي لا يملكون أن ينكروا على الله تعالى ما يفعل بهم، لأنه إنما يفعل بهم ذلك بما كسبت أيديهم وما قدّمت أيديهم،[5] فلا يقدرون على إنكار ذلك على الله تعالى. والثاني **وما لكم من نكير**، أي ما لكم من تغيير، أي ما يملكون دفع ذلك عن أنفسهم ولا منعه وتغييره. وقيل لا يملكون أن يمنعوا[6] الله تعالى عما يريد أن يفعل بهم، وهو ما ذكرنا.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾[٤٨]

وقوله تعالى: **فإن أعرضوا**، أي إن تولوا عن إجابتك إلى ما تدعوهم إليه، **فما أرسلناك عليهم حفيظا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يحتمل أي فما أرسلناك أن تحفظ[7] عليهم أفعالهم وأعماهم. **إن عليك إلا البلاغ**، أي ما عليك إلا التبليغ، إنما حِفْظ / أعمالهم وأفعالهم على [٧٠١و] الملائكة الذين جُعلوا حُفّاظا عليهم، وهم الكرام الكاتبون. والثاني **فما أرسلناك عليهم حفيظا**، يحتمل فما أرسلناك أن تمنعهم[8] عما يفعلون حَسًّا،[9] إنما عليك البلاغ فحسب وبيان الحق، وأنت غير مؤاخذ بما يفعلون، وهو كقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[10] ونحو ذلك.

---

[1] ر م: يلتجئون إليها؛ ن ث: يلجئون إليها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.

[2] ﴿هنالك تَبلُو كلُّ نفس ما أسلفتْ ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحقِ وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة يونس، ٣٠/١٠).

[3] ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ (سورة الأحقاف، ٢٨/٤٦).

[4] جميع النسخ – بها. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.

[5] ر م – وما قدّمت أيديهم.

[6] ر: عن يمنعوا.

[7] ر ن م: أن يحفظ.

[8] ر ث م: أن يمنعهم.

[9] أي بالعنف والجبر.

[10] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

وقوله: **وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها**، إن كان هذا في المسلم فيكون قوله: **فرح بها**، أي رضي بها وسُرَّ بها، وإن كان في الكافر فيكون قوله:[1] **فرح بها**، أي بَطِر بها وأَشِرَ.[2] وقوله: **وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور**، وهذا أيضا إن كان في المسلم فإنه إذا أصابته[3] شدة أو بلاء يَنْسَى ما كان إليه من الله تعالى من النعم،[4] فجعل يشكوا عما أصابه، فهو كفور للنعم التي كانت له من قبل ذلك. وإن كان في الكافر فهو ظاهر أنه كفور لنعمه وإحسانه أجْمَع. *والله أعلم*.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[٤٩]

وقوله: **لله ملك السماوات والأرض**، يخبر أنه بما يأمرهم وينهاهم وبما يمتحنهم بأنواع المحن ليس يأمر ولا ينهي ولا يمتحن لحاجة[5] نفسه في جر منفعة أو استفادة[6] خير أو دفع مضرة أو بلاء، إذ له ملك السماوات والأرض. ولكن إنما يأمرهم وينهاهم ويمتحنهم لحاجة أنفسهم في إصلاحها وفكاكها ونجاتها عن المهالك، وهو كقوله: وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ،[7] يخبر بما ذكر أنه غني لا ينفعه إيمان مؤمن ولا يزيد في ملكه، ولا يضره كفر كافر ولا يَنقص من ملكه. ويحتمل أن يكون قوله: **لله ملك السماوات والأرض**، أي له ملك ملوك السماوات[8] والأرض، كقوله: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ،[9] الآية. ويحتمل أن يقول: **له ملك السماوات والأرض**، أي هو يؤتى الملك من له الملك في الدنيا وهو ينزع عمن يشاء، على ما ذكر في آية أخرى: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ،[10] الآية.

---

[1] ر م: فيكون له.
[2] البَطَر: الأَشَر، وهو شدّة المَرَح (*لسان العرب*، «بطر»).
[3] جميع النسخ: إذا أصابه.
[4] ر ن: من النعمى؛ ث: من النعماء؛ م: من البغي. والثابت في المتن من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠١ظ.
[5] ر م: بحاجة.
[6] ر م: واستفادة.
[7] سورة النمل، ٢٧/٤٠.
[8] ر م: له ملك ملكوت السماوات؛ ث: له ملوك السماوات.
[9] سورة آل عمران، ٣/٢٦.
[10] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

وفيه نقض قول المعتزلة في خلق أفعال العباد منهم وإنكارهم أن يكون فعلَ الله تعالى مخافةَ وقوع الشرك في ذلك بينهم وبين الله تعالى، فيكون ذلك فعلَ الله تعالى وفعلَ العبد، إذ هو تفسير الشركة في الشاهد. فيقال لهم: إن الله تعالى قال: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[1] وقال في آية أخرى: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ،[2] أخبر أن ليس له شريك في الملك. وقد رأينا الملوك في الدنيا ثم لم يوجب ذلك الشركةَ في ملكه لاختلاف المعنى والجهات، إذ حقيقة الملك له، ولغيره ليست حقيقة الملك إنما له ملك الانتفاع لا على الإطلاق. فعلى ذلك أفعال العباد تكون[3] خلقًا لله تعالى وكسبا لهم، ولا يوجب ذلك شركا فيه على ما لم يوجب ما ذكرنا من الملك لهم شركا بينهم وبين الله تعالى. **والله الموفق**.

وقوله: **يخلق ما يشاء**، هذا أيضا على المعتزلة، لأنه أخبر أنه[4] يخلق ما يشاء، وهم يقولون: إن جميع الخيرات مما شاء الله تعالى. ثم لا يجعلون ما فعل العباد[5] من الخيرات خلقا لله تعالى، فيكون على[6] قولهم غير خالق لأكثر الأشياء مما شاء.[7] وهذا لأن قوله:[8] **يخلق ما يشاء**، إما أن كان[9] خرج على الوصف بالربوبية لله تعالى والألوهية، أو على وجه الوعد[10] والخبر بأنه يخلق ما يشاء. فإن كان على الوصف له بالربوبية فلا يكون ذلك وصفَ الربوبية، إذ لا يكون خالقا لجزء[11] من عشرة آلاف جزء[12] من الأشياء التي شاء[13] أن يخلقها؛ وإن كان[14] على الوعد والخبر فيخرج الخبر كذبا على قولهم. فنعوذ بالله تعالى من السَّرَف في القول. **والله الموفق**.

---

[1] سورة المائدة، ٥/٤٠.

[2] سورة الإسراء، ١٧/١١١.

[3] ن: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.

[4] ن – أنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.

[5] ر ث م – تكون خلقا لله تعالى وكسبا لهم ... ثم لا يجعلون ما فعل العباد.

[6] ث + غير.

[7] ن: مما يشاء.

[8] ن: لا قوله.

[9] جميع النسخ – كان. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.

[10] ن: على وعد الوعد.

[11] ر م: لجزي.

[12] ر م – جزء.

[13] ن: وشاء.

[14] ن: فإن كان.

وقوله عز وجل: **يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور**. يخبر تعالى أن الأولاد جميعا من الذكور والإناث مواهب الله تعالى وهداياه، فيجب أن يقبلوها منه قبول الهدايا والهِبَات على الشكر له والمنة. ثم بدأ بذكر الإناث ثم بالذكور لأن من الناس من إذا وُلد له الإناثُ يَعُدّه[١] مصيبة ويَثقُل ذلك عليه. وعلى ذلك ما أخبر من الكفرة أنهم إذا بُشِّروا بالأنثى ظلت وجوههم مسودة بقوله تعالى: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ،[٢] يخبر عن ثقل ذلك عليهم وغيظهم على ذلك، فبدأ بذكر ذلك لئلا يَعُدّ أهل الإسلام أولاد الإناث مصيبة وبلاء على ما عدها الكفرة. ***والله أعلم.***

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا**، التزويج هو الجمع بين الشكلين والمتماثلين في الحقيقة. وقد يسمى التزويج بين المتضادَّين مجازا، والحقيقة بين الشكلين والقرينين[٣] -والله أعلم- فيكون معنى قوله: **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا**، أي يَقْرُن ويجمع بين الإناث والذكور فيهب له من النوعين جميعا في حالة واحدة.[٤] وقال القُتَبِي: **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا**، أي يجعل بعضهم بنين وبنات؛ تقول[٥] العرب: زوجتُ إبلي،[٦] إذا قَرَنْتُ[٧] بعضها ببعض، وزوجتُ الكبار بالصغار، إذا قَرَنْتُ[٨] كبيرا بصغير.[٩]

وقوله عز وجل: **ويجعل من يشاء عقيما**، والعقيم من النساء التي لا تلد، وهي لا توصف بالبركة، ويقال: إنها ليست بمباركة[١٠] لا تُرغب فيها. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **إنه عليم قدير**، عليم بإنشاء الأولاد والإناث في الرحم، قدير على ذلك، أو عليم بمصالح الخلق، قدير لا يعجزه شيء.

---

[١] ر ث م: يعد؛ ن: بعد.

[٢] سورة النحل، ٥٨/١٦.

[٣] جميع النسخ - والحقيقة بين الشكلين والقرينين. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ١٩٥و.

[٤] ر م: جميعا حالة واحدة.

[٥] ن: يقول.

[٦] ر م: أهلي.

[٧] ر م: إذا قربت.

[٨] ر م: إذا قربت.

[٩] ن: بصغر. غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٤. واللفظ هناك هكذا: ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾، أي يجعل بعضهم بنين وبعضهم بنات. تقول العرب: زوجت إبلي إذا قرنت بعضها ببعض، وزوجت الكبار بالصغار، إذا قرنت كبيرا بصغير.

[١٠] ر م: مباركة.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٥١]

وقوله: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء**، كأن هذا إنما ذَكَر وأخبر عن نازلة أو سؤال كان عن كيفية الرسالة؛ وهل الرسل عليهم الصلاة والسلام يرون ربهم ويشاهدونه / ويشافهونه؟ فأخبر أنه ليس [٧٠١ظ] من البشر من يكلمه إلا بالطرق الثلاثة التي ذكرها. والسؤال وقع عن الرؤية في الدنيا فيكون الجواب بناء على السؤال. *والله أعلم*. ثم قوله: **إلا وحيا**، قال بعضهم: يُلقِي في فهمه وقلبه فيعرف ذلك فيخبر الناس بذلك. وقال بعضهم:[1] **إلا وحيا** ما يُرى في المنام، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حقيقة. وقوله: **أو من وراء حجاب**، نحوَ ما كلم موسى عليه السلام: ألقى في مسامعه صوتا مخلوقا على ما شاء وكيف شاء[2] من غير أن كان[3] ثَمّ ثالثٌ. وقوله: **أو يرسلَ رسولا فيوحيَ بإذنه ما يشاء**، أي يرسل ملكا يخبره عن الله تعالى. وطرق الرسل[4] إلى[5] معرفة ذلك في الدنيا [هي] الوجوهُ التي ذكرنا: إما الإلهام والإلقاء في الأوهام، وإما الإلقاء في المسامع، وإما رسول يرسل فيخبر عن أمره وكلامه. فأما أن يحتمل وُسْع أحد رؤيته أو يشافهه أو يعايِنَه في الدنيا فلا. *والله الموافق*.

ثم اختلف في قوله: **أو من وراء حجاب**، قال بعضهم: الحُجُب أنفسها[6] هي[7] حقيقة الحُجُب. وقال بعضهم: الحجاب هو عجزهم عن احتمال رؤيتهم، لأن الله تعالى أنشأهم على بِنْية وخِلْقة لا تقوم[8] أنفسهم القيام لذلك على ما أخبر عز وجل حيث قال لموسى عليه السلام: وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي،[9] أي فإن احتمل ذلك فاحتمل ما سألت. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ – يلقي في فهمه وقلبه فيعرف ذلك فيخبر الناس بذلك وقال بعضهم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.

[2] ر م – شاء.

[3] جميع النسخ: من غير كان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢و.

[4] ر م: وطرق الرسول؛ ن: وطريق الوصول؛ ث: وطرق الوصول. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.

[5] ث + ما ذكر.

[6] ر م: نفسها.

[7] ر ث م: هو.

[8] جميع النسخ: لا يقوم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.

[9] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.

وفي الآية أن الله تعالى يكون مُكلِّما للبشر بالرسول وإن لم يشافهه المرسِل، وكان ذلك تسميةً بطريق المجاز، إذ لم يكن في الحقيقة كلام الرسول كلامَ المرسِل. وكذلك في قوله: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ،[١] لا يكون ما يسمع من الرسول كلام الله حقيقة؛ وكذا ما يقال: سمعت من فلان قول فلان أو حديث فلان، كله على المجاز ليس على التحقيق. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون سبب نزول قوله: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا**، الآية، قولَ أولئك الكفرة حيث أخبر الله تعالى عنهم[٢] بقوله: وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ،[٣] الآية، وقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا،[٤] سألوا أن يَرَوْا ربهم جهارا، فقد حُجِبوا عن رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة حيث قال: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ.[٥] وسألوا أن يكلمهم شفاها، فأخبر أنه لا يكلم أحدا شفاها ولكن يكلم[٦] بما ذكر من الأوجه الثلاثة حيث قال: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا**، ردا عليهم، فأخبر الله تعالى أن طريق تكليمه الخلق في الدنيا هذه الوجوه التي ذكر.[٧] وقد كلم البشر من هذه السبل[٨] والطرق[٩] التي ذكر حيث قال: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٠] أخبر أنه أنزل إليهم ما ذكر كما أنزل على الرسل،[١١] وحيث قال: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ،[١٢] الآية، وغير ذلك من الآيات مما يكون كأنه قد كلَّمهم بما ذكر كما[١٣] كلَّم الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوه التي ذكر. *والله أعلم*.[١٤]

---

[١] سورة التوبة، ٩/٦.
[٢] ر ث م – عنهم.
[٣] سورة البقرة، ٢/١١٨.
[٤] سورة الفرقان، ٢٥/٢١.
[٥] سورة المطففين، ٨٣/١٥.
[٦] ن: تكلم.
[٧] ر م: ذكرنا.
[٨] ر م: السبيل.
[٩] جميع النسخ: والطريق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.
[١٠] سورة الأعراف، ٧/٣.
[١١] ر م: على الرسول.
[١٢] سورة التوبة، ٩/٦.
[١٣] ن: كلما.
[١٤] ر م – والله أعلم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥٢]

وقوله: **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**، كأنه يقول: هكذا أوحينا إلى الرسل الذين من قبلك بالوجوه والطرق التي ذكرنا[١] كما أوحينا إليك؛ أو يقول: مثل الذي أوحينا إليك فقد أوحينا[٢] إلى الذين من قبلك. وقوله: **روحا من أمرنا**، قال بعضهم: **روحا**، أي[٣] جبريلَ بأمرنا. وقال بعضهم: أي أوحينا إليك أمرا من أمرنا. وقال بعضهم: **روحا من أمرنا**، أي الكتاب الذي أنزله عليه وأوحاه[٤] إليه سماه روحا، لأنه يحيي به الدين ويكون به حياة الدين، ويحيي به الأبدان، وهو حياة الذكر والشرف، وهو كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ [يُرْزَقُونَ]،[٥] حياة الذكر والشرف.[٦] *والله أعلم*.

وقوله: **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**، أما الكتاب فإنه لاشك أنه كان لا يدريه ولا يعلمه حتى أدراه وأعلمه.[٧] وأما الإيمان حيث أخبر أنه لا يَدريه فهو يحتمل وجوها. أحدها ما كنت تدري ما الإيمان في حق اللسان؛ أو ما كنت تدري ما الإيمان في حق فعل[٨] الإيمان؛ أو ما كنت تدري ما الإيمان في حق قدره ومحله ومنزلته عند الله تعالى. فإن كان المراد في حق اللسان فهو ظاهر أنه كان لا يَدريه[٩] في حق ابتداء الأمر أن الإيمان هو التصديق أو التوحيد أو ما هو؟ وهو معروف أنه كان لا يدريه في حق اللسان حتى أدراه الله[١٠] وأعلمه أنه ماذا. وكذلك جميع أهل اللسان لا علم لهم بذلك[١١] حتى علّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل جبريل[١٢] وسأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم: ما الإيمان وما الإسلام؟ على صورة أعرابي،

---

[١] ن: ذكر.

[٢] جميع النسخ – إليك أو يقول مثل الذي أوحينا إليك فقد أوحينا. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩٦و.

[٣] ر م – أي.

[٤] ر ث م: وأوجبه.

[٥] سورة آل عمران، ١٦٩/٣.

[٦] ن – وهو كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم حياة الذكر والشرف.

[٧] ن: أو أعلمه.

[٨] جميع النسخ – فعل. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.

[٩] ر م: كما لا يدري.

[١٠] ر م – الله.

[١١] ر: لا لذلك؛ ن ث م: لا علم لذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.

[١٢] ر م – جبريل.

حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا كان[1] جبريل نزل ليُعلِّمكم معالم دينكم».[2] **والله أعلم**. وإن كان في حق فعل الإيمان ومباشرة ركنه فهو إذا كان غيرَ قادر على فعله وإتيانه على حِدَةٍ[3] كان[4] لا يدري، لكنه وإن كان[5] لا يدريه فإنه لا يوصف بالجهل به. ألا ترى[6] أن الصغار لا يدرون ولا يقال: إنهم جهلة، وإنما يوصف بالجهل مَن مَلَكَ الفكرة والنظر وأسباب العلم ثم ترك ذلك فعند ذلك يوصف بالجهل،[7] فأما من لم يملك ذلك ولم يبلغ هذا المبلغ فإنه لا يوصف بالجهل. ألا ترى أنه يقال للأعراض / والأشياء:[8] إنها لا تَدْرِى[9] ولا توصف[10] [٢٠٧و] بالجهل.[11] فعلى ذلك يجوز أن يوصف ويقال:[12] إنه كان لا يدرى ولا يوصف ولا يقال: إنه كان جاهلا به. **والله أعلم**. ألا ترى أن الولد في البطن[13] لا يوصف بأن له سمعا وبصرا ونحوه، لأنه ليس بمحل للسماع والبصر، فإذا أُخرِج منه عند ذلك يُجعَل له، لِما مُكِّن من السماع والبصر، وهو ما ذكر بقوله: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ،[14] عندما مُكّن لهم ذلك جُعل ذلك.[15] **والله أعلم**.[16] وإن كان المراد أنه لا يَدري في حق المحل والمنزلة والقدر فهو هكذا كان لا يدري ما محل الإيمان وقدره عند الله تعالى حتى أَدْرَاه وأعلمه محله ومنزلته. **والله أعلم**.

---

[1] ر م: إن كان هذا.

[2] هذا الحديث يعرف بحديث جبريل. انظر: صحيح *البخاري*، الإيمان ٣٨؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١.

[3] ر م: على هذه؛ ث: على حده.

[4] جميع النسخ: وكان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩٦و.

[5] ر م – وإن كان.

[6] ن: ألا يرى.

[7] ر – من ملك الفكرة والنظر وأسباب العلم ثم ترك ذلك فعند ذلك يوصف بالجهل.

[8] ر م: والاتسا.

[9] ر م: لا يدرى.

[10] جميع النسخ: ولا يوصف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٢ظ.

[11] ث – ألا ترى أنه يقال للأعراض والأشياء أنها لا تدرى ولا توصف بالجهل.

[12] ن + له.

[13] ر ث م: في النظر.

[14] ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ٧٨/١٦).

[15] جميع النسخ – جعل ذلك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٣و.

[16] ر م – والله أعلم.

وقوله: **ولكن جعلناه نورا**، فإن كان المراد هو الإيمان فهو نور بالحجج والبراهين،[1] وهو كما قال: أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ.[2] وإن كان المراد هو الكتاب فهو نور لما يرفع جميع حُجُب القلوب وسواترها [ع]منْ اتَّبَعه ونظر إليه بعين التعظيم. وقوله: **نهدي به من نشاء من عبادنا**، من عَلِم أنه يختاره شاء أن يهديه. ثم قوله: **نهدي به**، يحتمل القرآن، ويحتمل الإيمان نفسه، أي يجعله بالإيمان مهتديا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**، قوله: **لتهدي**، يحتمل لَتَدْعو، أو لَتُبَيِّن[3] لهم الصراط المستقيم. ثم فسره بقوله تعالى:

﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[٥٣]

صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، لم يُفهم من صراط الله ما يفهم من صراط الخلق أو صراط فلان، فكيف يفهم من مجيئه أو إتيانه ما يفهم من مجيء الخلق أو إتيانهم؟[4] فهذا يدل أنْ لا كلُّ ما أضيف إلى الله تعالى يفهم منه ما يفهم مما يكون من الخلق. ***والله أعلم***. وقوله: **ألا إلى الله تصير الأمور**، يحتمل ألا إلى الله يرجع[5] تدبير الأمور. ويحتمل **ألا إلى الله تصير الأمور** في الآخرة وهو البعث. ***والله أعلم***.[6]

---

[1] جميع النسخ: والبرهان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٣و.

[2] سورة الزمر، ٣٩/٢٢.

[3] ر ث م: لتدين.

[4] جميع النسخ: إتيانه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ١٠٣و.

[5] ر م: ترجع.

[6] ر م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿حم﴾[١] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **حم والكتاب المبين**؛ قال قتادة: هو اسم السورة.[3] وقال غيره: **حم**، قُضي ما هو كائن، وقد ذكرنا.[4] وقوله: **والكتاب المبين**؛ قال قتادة: مبين بركته وهُداه ورشدَه.[5] وقال بعضهم: مبين بيَّن الحلالَ والحرامَ وما يؤتى[6] وما يُتَّقى.[7] وقال بعضهم: مبين بيَّن الحق والباطل. وهو عندنا مبين بأنه من الله تعالى ليس هو من تأليف البشر ولا من توليدهم ولكنه من الله تعالى حيث عجزوا عن إتيان مثله. *والله الموفق*.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣]

وقوله: **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**، كأنه يقول: جعلنا ذلك الكتاب عربيا لعلكم تعقلون. وقيل: **جعلناه**، أي أنزلناه قرآنا عربيا. وقيل: **جعلناه قرآنا**، أي سميناه قرآنا، ليس أن جعلناه قرآنا ولكن معناه جعلناه عربيا، أي نظمناه بالعربية لتعقلوا، وسميناه[8] قرآنا.

---

[1] ر – سورة الزخرف؛ ن: ذكر أن سورة الزخرف كلها مكية؛ ث: سورة الزخرف مكية وهي ثمانون وتسع آيات؛ م + كلها مكية.

[2] ن + رب وفق والأمل فحقق.

[3] لم أجده مرويا عن قتادة ولكن عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وروى عن قتادة أن ﴿حم﴾ اسم من أسماء القرآن. (انظر: *تفسير الطبري*، ١/٢٠٦، ٢٠/٢٧٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥٠). وقال ابن كثير في قول من قال: إنها أسماء السورة: ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ وزاد: قال الزمخشري: وعليه إطباق الأكثر، ونسبه أيضا إلى سيبويه (*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥١. وانظر أيضا: *الكشاف* للزمخشري، ١/١٢٩).

[4] انظر للحروف المقطعة: أولَ تفسير سورة البقرة وسورة آل عمران.

[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠/٥٤٦.

[6] جميع النسخ: والحرام ما يؤتى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣و.

[7] ن: وما يبقى.

[8] ر ث م: أو سميناه.

ثم قوله تعالى: **لعلكم تعقلون**، يخرج على وجوه. أحدها أي أنزلناه عربيا على رجاءٍ أن تعقلوا.[1] والثاني أنزلناه عربيا لتعقلوا، وذلك يرجع إلى قوم مخصوصين قد عَقَلوه وفهموه، إذ لم يعقلوه جميعا؛ ولا يتصور أن يُنزله لتعقلوه ولا تعقلوه، فإن ما أراد الله تعالى يكون لا محالة وما فعل ينفعل، قال الله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[2] والثالث أنزلناه عربيا لكي يُلزمهم أن يعقلوه ويتبعوه ليزول عذرهم والاحتجاج على الله تعالى أنه كان على غير لساننا. *والله أعلم*. وعلى هذا يخرج تأويل "لعل" في جميع القرآن أنه للتحقيق إذا كان من الله تعالى.

فإن قيل: فعلى التأويل الأخير كيف يخرج قوله: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ،[3] لا يستقيم أن يقال لكي يُلزمكم أن تفلحوا؟

قيل: معناه لكي يُلزمكم السببَ الذي به تفلحون، وهو مباشرة الإيمان والطاعات. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**؛ قوله:[4] **وإنه في أم الكتاب**، يرجع إلى وجهين. أحدهما أي القرآن في أصل الكتاب ومنه أُنزل،[5] وهو اللوح المحفوظ. وأم الشيء أصله، وتسمّى[6] أمَّ القرى مكةُ لهذا. والثاني أي القرآن في الكتب المتقدمة، فإن الأمهات سميت أمهاتٍ لتقدمها على الولد، وهو كقوله: وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ،[7] وقوله تعالى: إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ.[8]

وقوله عز وجل: **لعلي حكيم**. قال ابن عباس: أي هو أعلى الكتب وأحكمها وأعدلها. وقال بعضهم: وصف كتابه بالعظمة والمنزلة والشرف عنده. وقوله: **حكيم**، يحتمل وجهين. أحدهما حكيم بعمنى مُحكَم، كقوله تعالى: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ،[9] أي بالحجج والبراهين. والثاني سماه حكيما لما جعل فيه من الحكمة. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: أن يعقلوا.
[2] سورة النحل، ١٦/٤٠.
[3] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/١٨٩؛ وسورة آل عمران، ٣/١٣٠.
[4] م: وقوله.
[5] ر ث م: أقول.
[6] جميع النسخ: ويسمى.
[7] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٦.
[8] سورة الأعلى، ٨٧/١٨-١٩.
[9] ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فُصِّلت مِن لَدُنْ حكيمٍ خبير﴾ (سورة هود، ١١/١).

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين**. اختلف في الذكر؛ قال بعضهم: القرآن، وقال بعضهم: الرسول، وقال بعضهم: العذاب والعقوبة. واختلف / في قوله: [٧٠٢ظ] **أفنضرب عنكم الذكر صفحا**؛ قال بعضهم: أفنترك ونَذَر الذكر سُدًى **أن كنتم قوما مسرفين**، أي لأنكم كذا ولِأَجْل أنكم كذا. وقال بعضهم:[١] أفنترك الوحي لا نأمركم بشيء ولا ننهاكم عن شيء ولا نرسل إليكم رسولا. وقال بعضهم: **أفنضرب**، أي أفنذهب[٢] عنكم بهذا القرآن سدى لا تُسأَلون[٣] ولا تُعاقَبون على تكذيبكم[٤] إياه. وقال بعضهم: **أفنضرب عنكم**، أي فنمسك عنكم فلا نذكركم.[٥] **صفحا**، أي إعراضا، وهو قول القُتَبِي، يقال:[٦] صفَحْتُ عن فلان، أي أعرضتُ عنه. وأصل ذلك أنك تُوَلِّيهِ[٧] صفحتك، ويقال:[٨] ضربت وأضربت عن فلان، أي أمسكته.[٩] وقال أبو عَوْسَجَة: **أفنضرب**، أي نَسْكُت، ضربت وأضربت، أي سكَتُّ. وقوله: **صفحا**، أي ردًا، يقال: سألني فلان حاجة فصفَحْتُه صفحا، أي رددتُه ردا.[١٠] ***والله أعلم***. وبعضه قريب من بعض.

ثم الأصل عندنا أن الذكر يحتمل ما قالوا فيه من المعاني الثلاثة: القرآن والرسول والعذابَ، لكن لا يحتمل قوله: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا**، أن يخرج على الابتداء على غير تقدم[١١] النوازل، لأنه لا يُبتَدأ بمثله. ثم النوازل تحتمل[١٢] أن كان منهم قولٌ يقولون: يا محمد!

---

[١] ن – أفنترك ونذر الذكر سدى أن كنتم قوما مسرفين أي لأنكم كذا ولأجل أنكم كذا وقال بعضهم.
[٢] ن ث: فنذهب.
[٣] ن: لا يسألون.
[٤] ر م: على تكذيبهم؛ ن + فنذهب عنكم بهذا القرآن سدى لا يسألون ولا تعاقبون على تكذيبكم.
[٥] ر م: أي فيمسك عنكم فلا يذكركم.
[٦] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *غريب القرآن*.
[٧] م: نوليه.
[٨] جميع النسخ: يقال. والتصحيح من *غريب القرآن*.
[٩] ولفظ ابن قتيبة في *غريب القرآن* (٣٩٥) هكذا: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ أي نمسك عنكم فلا نذكركم صفحا، أي إعراضا، يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عنه. والأصل في ذلك أنك توليه صفحة عنقك ... ويقال: ضربت عن فلان كذا، أي أمسكته وأضربت عنه.
[١٠] ر ث م – ردا.
[١١] ن: تقديم.
[١٢] جميع النسخ: يحتمل.

لو كان ما تقوله أنت أنه[1] من عند الله وأنك رسوله فكيف أنزل الكتاب أو أرسل الرسول إلينا على عِلْمٍ منه أنا نكذّبه ونردّه ولا نقبله؟ ومن علم من الملوك في الشاهد أنه يُكذَّب رسولُه ولا يُقبَل لا يَبْعَث الرسول، فكيف بعثك رسولا إلينا؟ أو إن أنزله[2] عليك[3] أو بعثك رسولا فكذبناه وكذبناك ورددناه ورددناك فهلا[4] يرفعه ويرفعك دون تركه فينا؟ فيقول الله تبارك وتعالى جوابا لهم وردا لقولهم: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين**، يقول: إنا لا نترككم سدى وإن علمنا منكم التكذيب والرد للرسول والوحي، ولا يمنعنا ذلك عن إنزاله إليكم وتركه فيكم، ولا يحملنا ذلك على رفعه من بينكم، بل نأمركم وننهاكم[5] وإن كنتم تكذبونه ولا تقبلونه.[6] وهذا لما ذكرنا في غير موضع أن حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على الإيجاب والتحقيق. أو يقول:[7] **أفنضرب**، أي لا نترك إنزاله وإرساله وإن علمنا منكم التكذيب، وهو كقوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[8] وقوله: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى،[9] أي لا يترك سدى، ولا تحسبون أنا إنما خلقناكم عبثا، فعلى ذلك قوله: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا**.

فإن كان الذكر هو القرآن والرسولَ فالتأويل أنه وإن علم منكم الرد والتكذيب فلا يمنعه[10] ذلك عن إنزاله عليكم وبعثه رسولا إليكم؛ أو أنكم[11] وإن كذبتموه ورددتموه فلا يحمله[12] ذلك على رفعه من بينكم بشرككم وكفركم، وهو كما ذكر في قوله: وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ،[13] أي إنا وإن علمنا من أوائلكم تكذيب الرسل[14]

---

[1] ن: أيت آية.
[2] ن: أو أنزله.
[3] ث: إليك.
[4] جميع النسخ: فلا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣ظ.
[5] ن: بل يأمركم وينهاكم.
[6] ر م: ولا يقبلونه.
[7] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ١٩٧ظ.
[8] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[9] سورة القيامة، ٣٦/٧٥.
[10] ن: ولا يمنعه.
[11] ر م: وأنكرتم؛ ن ث: أو أنكرتم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣ظ.
[12] ر م: نحمله.
[13] الآيتين التاليتين.
[14] ر ن م: التكذيب الرسل.

والكتاب لم يمنعنا[1] ذلك عن إنزاله عليهم وبعثهم إليهم. فعلى ذلك أنتم وإن علمنا منكم تكذيب الرسول وكتابه لا يمنعنا ذلك عن إرساله وإنزاله لتُلزمكم[2] الحجة؛ أو لعل فيكم من يصدقه ويؤمن به؛[3] أو غيركم يؤمن به ويصدقه وإن كذبتم أنتم. هذا إن كان تأويل الذكر رسولا أو كتابا. وإن كان تأويل الذكر العذابَ فيصير كأنه يقول: أفنترك تعذيبكم أو نمسك عنه ولا نعاقبكم وأنتم قوم مسرفون، أي مشركون، على ما ذكر على إثره العذاب حيث قال: فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا،[4] أي قوة، معناه عذّبناهم بالتكذيب مع شدة بطشهم وقوتهم وأنتم دونهم لا تعذبون؟ بل تعذبون. **والله أعلم**.

وعن قتادة يقول: لو أن هذا القرآن رُفِع رُفِع حين رَدَّه أوائلُ هذه الأمة فهَلكوا، لكن الله تعالى بفضله ورحمته كَرَّره عليهم ودعاهم إليه[5] كذا كذا سَنةً وما شاء الله تعالى.[6] وعن الحسن قال: لم يبعث الله تعالى نبيا إلا أنزل عليه كتابا، فإن قبله قومه وإلا رُفع، فذلك قوله: **أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين**، لا تقبلونه فتلقّته[7] قلوبٌ نقيةٌ،[8] فقالوا: قبلناه ربنا، قبلناه رَبنا![9] ولو لم يفعلوا[10] ذلك رُفع، ولم يُترَك على ظهر الأرض منه شيء.

ثم القراءة العامة: **أن كنتم**، منصوبةَ الألف بمعنى إذ كنتم. ويقرأ أيضا: إن كنتم، مكسورة على الشرط،[11] ومعناه لا نترك ولا نمسك عن إنزاله وإن كنتم قوما مسرفين مشركين.[12]

---

[1] ر ث م: ولا يمنعنا؛ ن: لا يمنعنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٣ظ.

[2] جميع النسخ: ليلزمكم.

[3] م – به.

[4] الآية ٨ من هذه السورة.

[5] ر م: إليهم.

[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٤٩/٢٠؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٧٢/١٠.

[7] ر م: لا تقبلونه وتلقنه؛ ث: لا تقبلونه ويلقنه؛ ن: ولا يقبلونه ويلقنه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤و.

[8] جميع النسخ: بقية. والتصحيح من *الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٧/١٣. والأثر المروي عن الحسن أخرجه ابن المبارك في *الزهد والرقائق* (٢٧٦/٦-٢٧٧)؛ ومحمد بن نصر المروزي في *مختصر قيام الليل* (١٧٩). ولكن الجزء الأخير من الأثر مختلف في النسخ المطبوعة لهذه الكتب؛ وفي *الدر المنثور* يرد على ما ضبطناه في المتن مع الاختلافات التي قيدها المحقق؛ وفي *الزهد والرقائق* لابن المبارك يأتي هكذا: لا تقبلونه فتقبله قلوب نقية؛ وفي *مختصر قيام الليل* لمحمد بن نصر يرد هكذا: لا تقبلونه فنلقيه على قلوب بقية.

[9] ر م – ربنا؛ ن + قبلناه؛ ث + قبلناه ربنا. والتصحيح من كتب الأحاديث.

[10] ر م: لو يفعلون.

[11] ر ث م: على أن الشرط.

[12] انظر حول القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري*، ٥٥٠/٢٠-٥٥١.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[٦] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٧]

وقوله: **وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون**؛ فيه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصبر بما يعامله قومه، حيث ذكر له أن ما أرسل من الرسل الذين كانوا قبله عاملهم قومهم من الاستهزاء بهم والأذى لهم مثلَ معاملة قومك إياك فصبروا على ذلك، فاصبر أنت على أذى قومك إياك[1] وسوء معاملتهم. *والله أعلم*.

[٧٠٣و] وفيه أنه يرسل الرسول وإن علم أنهم يكذبونه، وكذا ينزل / الكتاب وإن علم منهم أنهم يردونه ولا يقبلونه؛ لأنه ليس يرسل الرسول ولا يُنزل الكتب لمنفعة نفسه ولا لدفع المضرة عن نفسه ولكن إنما يرسل وينزل لمنفعتهم ولدفع المضرة عن أنفسهم، فسواءٌ عليه أن قبلوه أو ردوه. وليس كملوك الأرض إذا أرسلوا رسولا أو كتابا[2] إلى ما يعلمون أنهم يكذبون رسلهم ويردون كتابهم يكونون سفها،[3] لأنهم إنما يرسلون لحاجة أنفسهم ولدفع المضرة، فحيث لم يحصل غرضهم بل يلحقهم بذلك ضرر وزيادة مَذَلَّةٍ[4] واستخفاف لم يكن ذلك حكمة، بل يكون سفها. فأما الله سبحانه وتعالى إذا لم يرسل و لم ينزل[5] لجر النفع ودفع الضرَ بل لإلزام الحجة وإزالة العذر ونحو ذلك كان حكمة. *والله الموفق*.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين**؛ فيه تحذير أولئك الكفرة أن يَنزِل بهم بتكذيبهم الرسولَ وسوءِ معاملتهم إياه كما نَزَل[6] بأولئك الكفرة المتقدمين بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم إياهم. *والله أعلم*. وقوله:[7] **فأهلكنا أشد منهم بطشا**، يحتمل وجهين. أحدهما أي أهلكنا من كان أشد قوة وبطشا من هؤلاء، ثم لم يتهيأ لهم الامتناع لشدة قوتهم وبطشهم عما نزل بهم من العذاب، فعلى ذلك لو نزل بهؤلاء لم يتهيأ لهم الامتناع مع ضعفهم. والثاني أن يكون قوله: **أشدَّ منهم بطشا**، وَصْفَ ذلك العذاب الذي نزل بهم،

---

[1] ن – إياك.

[2] جميع النسخ: وكتابا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤و.

[3] ن: سفهاء.

[4] ر ث م: وزيادة ضد له.

[5] ر م: وينزل.

[6] ر ن م: ينزل.

[7] ن: ثم قوله.

أي ذلك[١] العذاب أشدُّ منهم بطشا، فلا يُمَنع[٢] عملُه لبطشهم وقوتهم. أما إذا كان شدة العذاب وبطشُه دون بطشهم ربما لا يعمل ولا يؤثر فيهم، لذلك وصف العذاب بكونه أشد منهم بطشا، وهو كقوله تعالى:[٣] إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ.[٤] ***والله أعلم.***

وقوله: **ومضى مثل الأولين.** هذا يخرج على وجهين. أحدهما **مضى مثل الأولين،** أي صار عذاب الأولين عبرة وعظة[٥] ومثلا للمتأخرين، كقوله: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.[٦] والثاني **مضى مثل الأولين،** أي مضى عذاب الأولين، وهو عذاب الاستئصال، فلا يُعذَّب هذه الأمة بمثل عذابهم لفضيلة[٧] نبينا محمد عليه أفضلُ الصلاة وأكمل التحيات وبركتُه ورحمته،[٨] وهو ما قال عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[٩] بفضله ورحمته أبقى هذه الأمة إلى يوم القيامة. ***والله أعلم.***

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم،** في قولهم وجوابهم: "أن الله خلق السماوات والأرض" دلالةُ أنهم قد عرفوا أنه رسول، لكن كذبوه عنادا أو مكابرة، لان أهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى يَزْعموا[١٠] أنا عرفنا أن الله خلق السماوات والأرض بقولهم،[١١] وينكرون[١٢] رسالته خاصة بل ينكرون الرسل أجمع. ثم هم ما عرفوا أن[١٣] الله هو خلق السماوات والأرض إلا بالرسل، إذ هم ليسوا من الذين عادتهم الاستدلال والنظر في الدلائل ليعرفوا الله تعالى بالدلائل العقلية.

---

[١] ر ن م: ملك.
[٢] ر ن م: فلا يمتنع.
[٣] ن - كقوله تعالى.
[٤] ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٧).
[٥] ت: عظة وعبرة.
[٦] سورة البقرة، ٢/٦٦.
[٧] ر: لفضله.
[٨] ر ت م: وبرحمته.
[٩] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[١٠] ر م: حتى يزعمون.
[١١] أي بقول الرسل.
[١٢] جميع النسخ: وينكروا. والتصحيح من *المرجع السابق*، ورقة ١٠٤و.
[١٣] ن: لأن.

والظاهر في العوامّ جملةً المعرفة بالدلائل السمعية، فكان الظاهر هذا: أن معرفتهم أن الله خلق السماوات والأرض بقول الرسل عليهم السلام. لكنهم كذبوه و لم يصدقوه عنادا منهم ومكابرة، وما به عرفوا سائر الرسل من المعجزات موجود معايَنٌ[1] لهم في حق رسولنا[2] صلى الله عليه وسلم، لا بد أن يعرفوه رسولا لكنهم كذبوه عنادا، فدل أن قولهم هذا دليل على معرفتهم برسالته. *والله أعلم*.

ثم تمام الاحتجاج بهذا أن يقال لهم: قد عرفتم[3] أن الله هو خلق السماوات والأرض، فهلا عرفتم أنه لم يجعلها عبثا باطلا؟ إذ لو كان على ما تزعمون[4] أَنْ لا رسل ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب يكون خلقه إياها عبثا باطلا. فكان إقرارهم بخلقه إياهما إقرار الخلقة على وجه الحكمة، ولن[5] يخرج خلقه على الحكمة إلا بالإقرار بالرسل والبعث والثواب والعقاب على ما عَرَف غير مرة. أو أن يقال: فإذا عرفتم أن الله تعالى هو خلق السماوات والأرض وما ذكر إلى آخره فكيف أنكرتم قدرته على البعث والإعادة؟[6] والأعجوبة في خلق السماوات والأرض أعظم وأكثر من الأعجوبة في بعثكم وإعادتكم، فكيف أنكرتم ما هو أقل في القدرة والأعجوبة؟ *والله الموفق*.

﴿اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون**، جائز أن يكون ذكر هذا على سبيل النعت والوصف لله تعالى عز وجل صلةً لقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ،[7] الذي وصفه أنه جعل الأرض كذا وأنزل كذا. ويحتمل أن يكون أراد: ولئن سألتهم عن الأرض وما ذكر أنه مَنْ جَعَلَها مهدا ومن جعل لهم فيها سبلا لقالوا:[8] "الله جعل ذلك" على ما قالوا في السماوات / والأرض. [٧٠٣ظ]

---

[1] م: معين.
[2] ن + وسيدنا.
[3] ر م: قد عرفتهم.
[4] جميع النسخ: على ما يزعمون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤ظ.
[5] م: ولكن.
[6] ن + بعد الموت.
[7] الآية السابقة.
[8] جميع النسخ: فقالوا.

وفيه وجوه من الدلالة. أحدها يذكّرهم نِعَمه[١] عليهم حيث جعل هذه الأرض بحيث يَمْهَدونها ويفترشون[٢] وينتفعون بها بأنواع المنافع، وبحيث مَكّن لهم الوصول إلى حوائجهم التي فرّقها في الأمكنة المتباعدة بما جعل لهم فيها سبلا وطرقا يسلكون فيها ليصلوا إلى حوائجهم التي فُرّقت في البلدان المتباعدة ما لولا جَعْلُه فيها السبل والطرقَ التي جعل ما قدروا السلوك فيها ولا عرفوا أنهم من أي جهة يصلون إلى حوائجهم التي فُرّقت، فيلزمهم بما ذكر القيامُ بشكره على تلك النعم. و[الثاني] فيه دلالة حكمته ليدلهم أنه إنما جعل لهم ما ذكر لحكمةٍ[٣] لم يجعلها عبثا باطلا[٤] حيث فرق حوائجهم في أمكنة متباعدة، ثم مكّن لهم الوصول إليها ليُعلم أن الذي مَلّكَ أنفسهم هو مالك أطراف الأرض. إذ لو كان مالكُ[٥] هذا غير مالك ذلك[٦] لمنعهم ذلك[٧] عن الوصول إلى حوائجهم. و[الثالث] فيه دلالة قدرته حيث جعل لهم في الأرض ما ذكر من التسخير لهم حتى يَظهروها ويفترشوها[٨] ويسلكوا فيها السبل التي جعلها[٩] لهم إلى حيث أرادوها وقصدوها، ومكن لهم ذلك ليعلم أن من قدر على ما ذكر لا يُعجزه شيء.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون.** فيما ذُكر من إنزال الماء من السماء ونشره في الأرض وإنبات النبات فيها بذلك الماء[١٠] دلالةٌ من الوجوه التي ذكرنا في قوله: [ٱلَّذِي] جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا.[١١] فإنه أنزل الماء من السماء ليكون في الأرض أنواع النعم التي ذَكر، وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض على بُعْد

---

[١] ن: نعمة.
[٢] ن ث: ويفترسون.
[٣] ر م: لحكمته.
[٤] ر م + فيلزم؛ ث: فيلزمهم.
[٥] جميع النسخ - مالك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤ظ.
[٦] ن: ذاك.
[٧] ر م - ذلك.
[٨] ر م: حتى ظهروها ويفترشونها؛ ن: حتى ظهروها ويفترسوها؛ ث: حتى ظهروها ويفترسونها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٤ظ.
[٩] جميع النسخ: جعل لها. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٤ظ.
[١٠] ن - من السماء ونشره في الأرض وإنبات النبات فيها بذلك الماء.
[١١] الآية السابقة.

ما بينهما ليعلموا عظم[1] نعمه عليهم وليعلموا أن مالكها واحد، وما جعل في الماء من المعنى واللطف ما يوافق جميع النبات والثمار على اختلاف النبات والثمار واختلاف أجناسها وجواهرها ليعلم أن من قدر على إحياء الأرض بذلك المعنى الذي جعل في الماء وموافقتِهِ[2] جميعَ النبات والثمار على اختلاف جواهرها وأجناسها لا يُحتمل أن يُعجزه شيء من بعث أو غيره. إذ الأعجوبة فيما ذكر من إحياء الأرض بذلك الماء وموافقة المعنى المجعول في الماء جميعَ ما ذكر أعظم وأكثر من البعث؛ لأنه إعادة وذلك ابتداء، فمن ملك وقدر على ما ذكر من الأشياء فهو على البعث أقدر وأملك. ولذلك قال الله تعالى: **وكذلك تُخرَجون**، أي تبعثون.[3] *والله الموفق*.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾[١٢]

وقوله: **والذي خلق الأزواج كلها**، جائز أن يدخل فيما ذكر من خلق الأزواج كلِّها جميعُ ما يكون لها أزواج من مقابِلات وأشكال، إذ التزاوج قد يقع ويستعمل في الأضداد والأشكال من الأفعال والجواهر من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية. فيكون في ذلك دلالةُ خلق أفعال العباد، إذ أخبر أنه خلق الأزواج كلها، وبَيْن هذه الأفعال ازدواجٌ، وإن كانت متضادَة متقابِلة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون**، فيه ما ذكرنا من الوجوه. إنه فرق حوائج الخلق في أمكنة بعيدة، وبينهم وبين أمكنة حوائجهم مَفاوز وفيافٍ[4] وبحارٌ، فجعل لهم في المفاوز أنعاما يركبونها ليصلوا إلى حوائجهم، وفي البحار سُفُنا يركبونها[5] ليصلوا إلى حوائجهم التي في البحار. يذكّرهم[6] نعمه ليستأدي[7] بذلك شكرها، ويذكّرهم قدرته أن من ملك هذا وقدر لا يعجزه شيء.

---

[1] ن: عظيم.

[2] ث م: موافقته.

[3] ر م: أي يبعثون.

[4] جميع النسخ: وفيافي. القَيْفُ المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسَّعة، وإذا أُنِّثت فهي القَيْفاة، وجمعها القَيافي (*لسان العرب*، «فيف»).

[5] ر م: لتركبونها؛ ث: لتركبوها.

[6] ن + يذكرهم.

[7] م: ليتأدى.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **لتستووا على ظهوره**، جعل ظهوره بحيث يستوون عليها ويَقِرّون، وكان له أن يجعل ظهورها بحيث لا يستوون عليها ولا يَقِرّون، وهذا من نعمة الله تعالى عليهم.

وقوله عز وجل: **ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه**. ثم نعمته تخرج[1] على وجوه. أحدها[2] ما ذلل لهم من الأنعام وسخرها لهم بقوتها وشدتها، إذ جعل[3] لهم أن يستعملوا الدوابَ وهي تتألم وتتلذذ[4] كما يتألمون ويتلذذون،[5] ثم جعلها متعة[6] لهم لا أن جُعِلوا لها. أو أن يكون نعمته التي أمرهم أن يذكروها الإسلامَ والتوحيدَ، أي[7] قولوا: الحمد لله الذي هدانا الإسلام، **وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين**. أو يأمرهم أن يذكروا ما أنشأ لهم من النعم العظيمة.[8] وقوله: **وما كنّا له مُقْرِنين**. قال بعضهم: مطيقين، يقال: أنا لك مُقْرِن، أي مطيق لك،[9] ويقال: أنا مُقرِن لهذا العمل، أي قَوّي عليه. وأصل هذا التأويل أن الدواب والأنعام في أنفسها أشد وأكثر قوة وأعظمها من البشر. لكن الله تعالى بفضله ومنّه علّم الإنسان الحِيَل حتى قدر على استعمال الدواب والأنعام مع قوتها وشدتها حيث شاءوا فيما شاءوا وسخرها لهم. ويحتمل أن يكون قوله: **وما كنا له مقرنين**، أي لم يجعلنا من قِرْن الدواب ومن قرينها[10] بحيث نُسْتعمل كما تستعمل الدواب وتركب على الظهور،[11] أي لم يجعلنا من قرين[12] الدواب ومن أشكالها. *والله أعلم*.

---

[1] ر ن م: يخرج.

[2] جميع النسخ - أحدها. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٠و.

[3] جميع النسخ: أو جعل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٠٠و.

[4] ن: يتألم ويتلذذ.

[5] ر ث م: كما تتألمون وتتلذذون.

[6] ر: منعمة.

[7] ر ث م - أي.

[8] ر م: العظمة.

[9] جميع النسخ - لك. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٠و.

[10] ر م: ومن قرنها.

[11] ر ن م: بحيث يستعمل لما يستعمل الدواب ويركب على الظهور؛ ث: بحيث نستعمل كما يستعمل الدواب ويركب على الظهور. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٥و؛ (كذا في جار الله).

[12] ر م: قرن.

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[١٤]

[٧٠٤ر] وقوله عز وجل: **وإنا إلى ربنا لمنقلبون**؛ هذا يحتمل وجوها. أحدها يحتمل البعث على ما / قاله أهل التأويل.[1] ويحتمل: وإنا إلى ما جعل لنا ربنا من الوصول إلى حوائجنا لمنقلبون بها وراجعون. *والله أعلم*. ويحتمل: وإنا إلى أوطاننا ومنازلنا راجعون بها ما لو لا هي لم يتهيأ لنا الرجوع إلى ذلك ولا الوصول إلى ما جُعِل لنا من الحوائج التي فُرِقت في الأمكنة المتباعدة. *والله أعلم*.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾[١٥]

وقوله: **وجعلوا له من عباده جزءا**. قال عامة أهل التأويل: أي الكفرة جعلوا لله تعالى من عباده أنثى، أي بنتا.[2] وقال الزجاج: **جزءا**، أي بنتا، وقال: إن الجزء عند بعض العرب البنت.[3] فإن كان يثبت ما ذكر الزجاج من اللغة فهو هو، وإلا جائز أن يكون الجزء الذي جعلوا له من عباده غيرَ ما ذكر أهل التأويل من البنت،[4] لأن الكفرة قد اختلفت[5] أنواعُ كفرهم وهم مختلفون في كفرهم. يقول الثنوية بالاثنين، يقولون: إن الله تعالى هو خالق الخيرات، وخالق الشرور غيره على حسب ما اختلفوا في ذلك الغير ما هو؟ فهؤلاء الثنوية جعلوا لله تعالى من عباده جزءا وهو الخيرات، ولم يجعلوا[6] له الجزء الآخر.[7] ومشركو العرب جعلوا له فيما رزقهم جزءا لله تعالى وجزءا لشركائهم حيث قال: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[8] فهؤلاء جعلوا له جزءا مما رزقهم، وهو الظاهر. وفريق آخر جعلوا له جزءا من عباده وهو الإناث، ولم يجعلوا لله البنين، كقوله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ.[9] فجَعْلُ الجزء له على ما ذكرنا[10] أظهر مما ذكره أهل التأويل وصرفوه إليه. *والله أعلم*.

---

[1] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٦٠/٢٠.

[2] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٦٠/٢٠-٥٦٢.

[3] *معاني القرآن* للزجاج، ٤٠٦/٤-٤٠٧.

[4] جميع النسخ - فإن كان يثبت ما ذكر الزجاج من اللغة فهو هو وإلا جائز أن يكون الجزء الذي جعلوا له من عباده غير ما ذكر أهل التأويل من البنت. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٥و.

[5] جميع النسخ: قد اختلف.

[6] ر م: ولم يجعل؛ ن ث: ولم تجعل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٥و.

[7] ن: والآخر.

[8] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.

[9] ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (سورة النحل، ٥٧/١٦).

[10] ر م: على ما ذكر ما؛ ث: على ما ذكرنا ما.

وقوله عز وجل: **إن الإنسان لكفور مبين**، أي كفور لنعمه، **مبين**، أي بَيِّن[1] كفرانُه.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين**، هو على الإضمار، كأنه يقول:[2] أم يقولون اتخذ مما يخلق بناتٍ لنفسه وأصفاكم بالبنين، وهو ما ذكر في آية أخرى:[3] وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ.[4] ثم قوله تعالى: **أم اتخذ**، أي قالوا: بل اتخذ مما يخلق بنات. يذكر في هذه الآيات سَفَه أهل مكة وشدةَ تعنتهم، لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل وما ذكروا من اتخاذ الولد وما ادَّعَوا بأن الملائكة بنات الله وما أقروا حين سُئِلوا: مَن خلق السماوات والأرض: "أن الله هو خالق ذلك كله" مما لا سبيل إلى معرفة ما قالوا وادّعوا إلا بالرسل، وهم ينكرون الرسل، فكيف ادّعوا ما ادّعوا وهم ينكرون خبرهم؟ لأن من ادّعي ولدا لغائب لا يعلمه إلا بخبر صادق، وكذلك معرفة الملائكة إنما هي[5] بخبر[6] يأتيهم، ثم هم ينكرون الأخبار والرسل، فيتناقض دعواهم ويضمحلّ على ما ذكرنا.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١٧]

ثم أخبر عنهم ما يظهرون من الحزن عند ما يولد لهم من الإناث وما يلحقهم من الكراهة في ذلك بقوله تعالى: **وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم**. ثم قوله: **بما ضرب للرحمن مثلا**، أي شِبْها بالخلق؛ وإنه يخرج على وجهين. أحدهما بما جعلوا له ولدا، والولد هو شبيه الوالد، فكان في إثبات الولد إثباتُ المثل والشبيه. والثاني في إثبات الولد له إثبات المشابهة بينه وبين جميع الخلق، لأن الخلق لا يخلو إما أن يكون مولودا من آخر ويولَد منه آخرُ، وإما أن يكونَ له شريك فيما يملكه أو يكون هو شريك غيره، فيكون البعض شبيها بالبعض. فمن أثبت لله شريكا وولدا فقد جعله شبيها بالخلق، ولهذا بين الله تعالى من الولد[7]

---

[1] ر م: أي يبين.
[2] ر م: يقولون.
[3] ن - أخرى.
[4] ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ (سورة النحل، ٦٢/١٦).
[5] ر ن م: هو.
[6] ن: بخير.
[7] ن - من الولد.

والشريك تَبَرِّئًا واحدا بقوله تعالى: لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ،[1] نفى[2] الولد[3] والشريك عن نفسه نفيا[4] واحدا وبراءة[5] واحدة. ***والله الموفق.***

وقوله: **أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين**، يحتمل أن يكون تفسيرا لقوله: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا.[6] وعلى ذلك قول أهل التأويل: إنهم جعلوا هذه تفسيرا للأولى. وجائز أن يكون لا على التفسير للأولى ولكن على الابتداء في قومٍ آخرين سواهم على ما ذكرنا نحن من التأويل. ***والله أعلم.***

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **أَوَمَن يُنَشَّأُ في الحلية وهو في الخصام غير مبين.**[7] اختلف فيه؛ قال بعضهم: هي الأصنام التي عبدوها حَلَّوْها وزيَّنوها بأنواع الزينة والحَلْي؛ يقول -والله أعلم-: أَوَمَنْ حُلِّي بالحَلْي[8] وزُيِّن بالزينة وهو لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تكلما ولا خصومة ولا شيئا من ذلك ولا يُلْتَفت إليه ولا يُكْتَرث له لولا تلك الحَلْي والزينة التي بها في جعل العبادة له كَمَنْ مِنْه خَلْقُ ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما من المنافع، أي ليس هذا[9] بسواء لذلك. يذكر سفههم في اختيارهم الأصنام التي هذا وَصْفُها في العبادة على عبادة الله تعالى الذي منه كلُّ شيء؛ يُصَبِّر[10] رسولَه صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتكذيبهم إياه وسوءِ معاملتهم معه. ***والله أعلم.*** وقال بعضهم: قوله: **أَوَمَنْ ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين**، هي الإناث، يقول -والله أعلم-: إن الأنثى ضعيف قليل الحيلة، وهي عند الخصومة والمحاورة[11] غير بين؛

[1] ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذُّلِّ وكبّره تكبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١١١/١٧).

[2] ن: بغى.

[3] ث: الو.

[4] ن: بغيا.

[5] ن: ويراد.

[6] الآية ١٥ من هذه السورة.

[7] ن + الآية.

[8] ر م: ولو على الحلي.

[9] م - هذا.

[10] ر: يصير.

[11] ر م: والمحاورة؛ ن: والمجاوزة.

[٧٠٤ظ] / يصف[1] عجزهن وضعفهن ونقصانهن. يقول -والله أعلم-: كيف نسبوا إلى الله عز وجل ما هو أضعف وأعجز وأنقص فيما ذكر، وقد أَنِفُوا[2] هم منها واختاروا لأنفسهم ما هو أكمل وأقوى، وهم الذكور. وهو صلة قوله عز وجل: أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ،[3] إلى آخر ما ذكر؛ وكل حرف مما تقدم ذكره من قوله: وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا،[4] ونحو ذلك. ثم قوله عز وجل: **أَوَمَنْ ينشأ في الحلية**، يحتمل أن يرجع إلى معنى آخرَ غيرِ المعنى فيما ذكر[5] من الآيات، وكلُّ حرف من هذه الحروف يرجع إلى فريق غير الفريق الآخر، لأنهم كانوا في المذاهب مختلفين متفرقين؛ وجائز أن يرجع الكل إلى معنى واحد. ***والله أعلم***. وفي هذه الآيات ما ذكرنا من الوجوه من تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى القوم ومن بيان سفه أولئك ومن التحذير لما تأخر[6] منهم. ***والله أعلم***.

وقال القُتَبِي: **أومن ينشأ في الحلية**، أي يُرَبَّى[7] في الحَلْي، وهي البنات، يريد جَعْلَهم بناتٍ لله تعالى، وهم إذا كان لأحدهم بنت ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ،[8] أي حزين. **والخصام** جمع خَصِيم؛ **غَيْرُ مبين**، أي غير مبيّن للحجة.[9] وقال أبو عَوْسَجَة: **أومن يُنَشَّأ في الحلية**، أي يَنْشَأ كما يقال: نَشَأ الصبي يَنْشَأ نُشُوءًا،[10] أي يَشِبّ ويرتفع؛ **والخصام**، المخاصمة. وقال أبو معاذ: **يُنَشَّأ في الحلية**، يَنبت.[11] ويقرأ: **ويُنَشَّأ** بالتشديد، **ويُنْشَأ** بالتخفيف، وهما لغتان؛ وقرأ بعضهم: يَنْشَأ في الحلية.[12] ***والله أعلم***.

---

[1] ن: نصف.

[2] ر م: وقد اتقوا. أَنِفَ يأنَف من الشيء أَنَفًا: إذا كرهه وشَرُفَتْ عنه نفسُه (*تاج العروس*، «أنف»).

[3] الآية ١٦ من هذه السورة.

[4] الآية ١٥ من هذه السورة.

[5] ن: فما ذكر.

[6] ن: لما يأخر.

[7] ر م: يرى؛ ن: يرئى.

[8] يشير إلى الآية السابقة.

[9] ر م: الحجة. غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٧.

[10] جميع النسخ – نشوءا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٢و.

[11] ر م: والله أعلم بنت. واشتهر بكنية أبي معاذ عالمان، أحدهما أبو معاذ بكير بن معروف الدامغاني المفسر، قاضي نيسابور (ت.١٦٣هـ / ٧٧٩م. انظر: *الوافي بالوفيات* للصفدي، ١٧١/١٠)؛ والآخر أبو معاذ النحوي الفضل بن خالد المروزي (ت. ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م.، وله كتاب في القراءات. انظر: *معجم المؤلفين* للكحالة، ٦٢٢/٢).

[12] ث – ينبت ويقرأ وينشأ بالتشديد وينشأ بالتخفيف وهما لغتان وقرأ بعضهم ينشأ في الحلية. انظر لمختلف القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري*، ٥٦٤/٢٠–٥٦٥؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/١٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٩٤/١٣.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون**. فإن قيل: كيف سَفَّههم في جعلهم عباد الرحمن إناثا وقد جعل الله من عباده إناثا، لماذا عاتبهم على ذلك؟ قيل: لهذا جوابان.[١] أحدهما إنما سَفَّههم وعاتبهم لشهادتهم على الله تعالى أنه جعل الملائكة إناثا وهم لم يشاهدوها، ولا يؤمنون بالرسل عليهم السلام حتى يقع لهم العلم والخبر بذلك بقول[٢] الرسل. *والله أعلم*. والثاني أن الله تعالى وصف ملائكته بأنهم لا يَفْتُرون من عبادته وأنهم لا يستحسرون[٣] وأنهم مطيعون لله تعالى على الدوام بحيث لا يَرِد منهم عصيان طَرْفَةَ عينٍ على ما نطق بذلك الكتاب،[٤] فهم إذا قالوا: "إنهم إناث" وصفوهم بالضعف والوهن والنقصان، لأن الإناث هي الموصوفات بالضعف[٥] والعجز فلا يتهيأ لهن القيام بما ذكر. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا**، وقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ،[٦] وقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ،[٧] ليس على حقيقة الجعل ولكن على الوصف له[٨] والقول، أي قالوا: إن الملائكة بنات الله ووصفوا[٩] لهم بما ذكر. *والله أعلم*.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، تعلق المعتزلة بظاهر هذه الآية[١٠] في أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وإنما شاء الإيمان، فإن الكفار ادَّعوا أن الله تعالى شاء منهم الكفر

---

[١] جميع النسخ: عن هذا وجهين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠١ظ.
[٢] ر: يقول.
[٣] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٩-٢٠).
[٤] مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وَقُودُها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦٦/٦. وانظر أيضا: سورة النحل، ١٦/٤٩؛ وسورة الزمر، ٣٩/٧٥؛ وسورة الشورى، ٤٢/٥).
[٥] جميع النسخ – والوهن والنقصان لأن الإناث هي الموصوفات بالضعف. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين، ورقة ١٠٦و.
[٦] سورة النحل، ١٦/٥٧.
[٧] سورة النحل، ١٦/٦٢.
[٨] ن – له.
[٩] ن: وصفوا.
[١٠] ن + المعتزلة بظاهر هذه الآية.

وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام، حيث قالوا: **لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، أي لو شاء منا ترك عبادة الأصنام لتركناها، ولكن شاء منا عبادة الأصنام،[١] والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم فقال:[٢] **ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**، أي ما هم إلا يَكْذِبون.

وعندنا الآية تخرج[٣] على وجوه. أحدها أنهم في قولهم: **لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، صَدَقَةٌ، فإن معناه لو شاء منهم تَرْكَهم عبادة الأصنام ما عبدوها، ولكن شاء أن يعبدوها فعبدوها، فيكون هذا منهم إخبارا[٤] عن المخبَر به على ما هو، فيكون صِدْقا. ثم قوله تعالى: **ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**، يحتمل إنما سماهم كذلك لما قالت المعتزلة: إنهم ادعوا وأخبروا أن الكفر بمشيئة الله تعالى وأنه شاء منهم الكفر دون الإيمان، فالله تعالى شاء منهم الإيمان دون الكفر، فقد أخبروا على خلاف[٥] المخبَر به، فيكونون كاذبين. ويحتمل أنهم قالوا ذلك وفي قلوبهم بخلاف ما أخبروا، وهو أن الكفر ليس مما شاء الله تعالى وإنما يشاء[٦] الإيمان كما يقوله[٧] المعتزلة، ولكن يقولون ذلك ردا على المسلمين الذين يدعونهم إلى الإيمان[٨] والنزوع[٩] عن الكفر: إنه إذا كان شاء منا الكفر دون الإيمان كيف نؤمن ونترك الكفر؟ والإخبارُ عما هو به،[١٠] وإن كان صدقا، ولكن إذا كان في قلب المخبِر واعتقاده خلافُ ذلك فيكون ذلك الإخبار في نفسه صدقا، ولكن من حيث أنه إخبار عما في الضمير يكون كذبا، وهذا كقول الله تعالى: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ،[١١] وهم في قولهم: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، صَدَقَة، لكن في إخبارهم عما في ضميرهم كَذَبَة، لما لا يوافق[١٢] ظاهر كلامهم حقيقة ما في قلوبهم،

---

[١] ث – لتركناها ولكن شاء منا عبادة الأصنام.

[٢] ر م: فقالوا.

[٣] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦و.

[٤] م: إخبار.

[٥] ر: الخلاف.

[٦] ر م: شاء.

[٧] ر ث م: كما تقوله.

[٨] ر: على الإيمان.

[٩] ر: والفروع؛ م: والردع.

[١٠] ن: عما يليق به.

[١١] سورة المنافقون، ١/٦٣.

[١٢] ن + لما لا يوافق.

فيرجع تكذيب الله تعالى إياهم لِكَذِب قلوبهم، وإن كانوا في نفس قولهم: إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، صَدَقَة. وإذا احتمل الوجهين فلا تكون[1] الآية حجة لهم مع الاحتمال، وعلى الوجهين جميعا يكونون[2] كاذبين، لذلك قال: **إن هم إلا يخرصون**. *والله أعلم*.

[٧٠٥و] والثاني أنهم وإن كانوا صادقين / في ذلك فهم إنما[3] قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسُخْرِيَّة لا على الجِدّ، فيكون قصدهم[4] تلبيس الصدق على الناس ورَدَّه، كقوله عز وجل: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا، وهذا القول من هذا الإنسان حق وصدق، لكن إنما قال ذلك استهزاء منه وإنكارا للبعث. ألا ترى أن الله تعالى وعظه على ذلك وذكَّره حيث قال: أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا،[5] فعلى ذلك قول أولئك، وإن كان في الظاهر صدقا فهم إنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية على سبيل الإنكار وتلبيس الحق، فيكون إخبارهم من هذا الوجه ولهذا الغرض خَرْصا وكذبا. *والله أعلم*.

والثالث غرضهم بذلك الاحتجاج على المسلمين في توعيدهم بالعذاب بسبب العناد والكفر: أَنْ كيف عذَّب وإنا إنما باشرنا الكفر بمشيئته، ولو شاء أن نترك العبادة للأصنام تركنا، فإذا كان شاء منا[6] الكفر حتى كفرنا لماذا عَاقَبَنَا؟ فأبطل احتجاجهم بقوله تعالى: **ماهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**، أي هم جاهلون في الاحتجاج بهذا كاذبون في أنهم باشروا الكفر بسبب مشيئة الله تعالى إياهم الكفرَ ولكن لسوء اختيارهم وأسبابٍ حاملةٍ لهم على ذلك. وأصله أَنْ لا أحد من العصاة والفسقة والكفرة يفعل ما يفعل[7] وعندَه أن الله تعالى شاء ذلك منه،[8] فإذا كان وقتَ فعله لا يفعل ما يفعل لأن الله تعالى شاء ذلك منه لم يكن له هذا الاحتجاج والقول بما[9] قالوا.[10] *والله الموفق*.

---

[1] جميع النسخ: فلا يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦و.

[2] ن: يكون.

[3] جميع النسخ: بما. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦و.

[4] جميع النسخ: قصده. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٦و.

[5] سورة مريم، ١٩/٦٦-٦٧.

[6] ن: شاهد.

[7] جميع النسخ – ما يفعل. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.

[8] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٦ظ.

[9] ر ث م: إنما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٩١و.

[10] ن – منه لم يكن له هذا الاحتجاج والقول بما قالوا.

والرابع يحتمل أنهم بقولهم:[1] **لو شاء الرحمن ما عبدناهم**، وقولهم: لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا،[2] أي لو أمرنا الله تعالى بترك عبادتنا أولئك الأصنامَ ما عبدناهم لكن أَمَرَنا أن نعبدهم. كانوا يدّعون إنما[3] يعبدون لأمر[4] من الله تعالى، كقوله: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[5] وأرادوا بالمشيئة الرضا، يقولون: لو لا أن الله تعالى قد رضي بذلك عنا وعن آبائنا وإلا ما تَرَكَنا و[إيا]هم على ذلك، فاستدلوا بتركهم على ما اختاروا على أن الله تعالى قد رضي بذلك عنهم، فرد الله سبحانه وتعالى بقوله: **إن هم إلا يخرصون**، وبقوله: قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،[6] الآية. وقد ذكرنا على الاستقصاء في قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا،[7] الآية. ***والله أعلم***.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون**، أي لم نؤتهم[8] كتابا ليكون لهم العلم بذلك. يُسفِّهُهم في قولهم لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل[9] والكتب، وذلك [من] أسباب العلم، وليست لهم تلك الأسباب لما لا يؤمنون بها ولا يصدقون.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون**، إنهم قوم ينكرون الرسل[10] ويكذبونهم بعلةِ أنهم بشر، ثم اقتدَوْا بآبائهم واتبعوهم وهم بشر أيضا، فهذا تناقض في القول، يذكر سفههم وتناقضهم في القول.

---

[1] ر ث م: يقولون.
[2] سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[3] ن: لما.
[4] ر ن م: الأمر.
[5] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[6] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[7] يوجد الالتباس في جميع النسخ بين الآيتين، أحدهما من سورة الأنعام (١٤٨/٦) ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ والآخر من سورة النحل (٣٥/١٦) ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ وكتب هكذا: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا﴾. والثابت في المتن من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.
[8] جميع النسخ: لم يؤتهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.
[9] ن: بالزيل.
[10] ر م – الرسل.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل:[١] **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**. يصبّر رسوله صلى الله عليه وسلم على ما قال هؤلاء: بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ،[٢] أنه ليس ببديع من هؤلاء، بل قال كذلك[٣] أوائلهم لرسلهم على ما قال[٤] قومك. يصبّره صلى الله عليه وسلم ويعزّيه ويذكر سفههم في اتباعهم إياهم واقتدائهم بهم وهم بشر فيقول: فإذا كنتم لا محالة يتبعون البشر فاتّبِعوا من هم[٥] أهدى من آبائكم وهم الرسل، وهو ما قال عز وجل:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٢٤]

قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم، فقالوا عند ذلك: **إنا بما أرسلتم به كافرون**، عنادا وتعنتا منهم. وقال بعضهم: أَنْ قل لهم[٦] يا محمد: **أولو جئتكم**، أي إن جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الدين أفتتبعوني فيما جئتكم به؟[٧] فردوا عليه وقالوا: **إنا بما أرسلتم به كافرون**.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**، هذا وعيد. ثم قال بعضهم: **فانتقمنا منهم**،[٨] هو رجوع إلى ذكر الأمم الخالية، فقال: فانتقمنا منهم بالعذاب الذي نزل. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **فانتقمنا منهم**، أي ننتقم منهم،[٩] وذلك جائز. وقوله: **فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**، يحتمل مكذبي الرسل ويحتمل مكذّبي العذاب.

---

[١] ن – وقوله عز وجل.

[٢] الآية السابقة.

[٣] ر م – كذلك.

[٤] ن: قالوا.

[٥] جميع النسخ: أمرهم. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.

[٦] جميع النسخ – لهم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٢و.

[٧] جميع النسخ – به. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٠٢و.

[٨] جميع النسخ + يقول. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٠٢و.

[٩] ر م – أي ننتقم منهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾[٢٦] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[٢٧]

وقوله: **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني**. والإشكال أنه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون[١] واستثنى عبادة[٢] الذي فطره، وهو الله تعالى وهم لا يعبدون[٣] الذي فطره، فكيف يستثنى من جملة عبادة من يعبدون والاستثناء من جنس المستثنى منه؟ فنقول:[٤] قال بعضهم: إنه تبرأ من عبادة من عبدوا واستثنى عبادة من فطره لأن فيهم من عبد[٥] الذي فطر، الله تعالى، فلو تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون على الإطلاق لصار متبرءًا عن عبادة الله تعالى، لذلك استثنى عبادة الله. *والله أعلم*. لكن الإشكال أنه لم يظهر أن في قومه من يعبد الله تعالى، / وهو الذي فطره وخلقه فما معنى الاستثناء؟ [٥٧٠ظ] فيقال: إن لم يكن في قومه من يعبد الذي فطره[٦] فكان في آبائهم وأوائلهم من يعبد الذي فطرهم، فيرجع استثناؤه إلى ذلك. *والله أعلم*. ويحتمل أنه إنما استثنى الذي فطره على طريق الاحتياط لاحتمال أن يكون فيهم من يعبد الله تعالى، ولا وقوف له على ذلك فيصير متبرءًا من ذلك لو تبرأ[٧] ممن[٨] يعبدون جميعا. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون استثنى الذي فطره لأنهم كانوا يعبدون هذه الأصنام والأوثان دون الله تعالى رجاءَ أن تشفع لهم فتقربهم[٩] إلى الله زلفى، لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٠] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١١] فرجع استثناؤه إلى حقيقة الذين قصدوا بالعبادة، وهو الذي فطرهم. *والله أعلم*.[١٢]

---

[١] ر ث م: ما تعبدون؛ ن – والإشكال أنه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٦ظ.

[٢] ن: عباده.

[٣] ن: لا يعتدون.

[٤] ر م: فيقول.

[٥] ن: عند.

[٦] ن – فما معنى الاستثناء فيقال إن لم يكن في قومه من يعبد الذي فطره.

[٧] ر م: لو تبرؤا.

[٨] م: مما.

[٩] جميع النسخ: أن يشفع لهم فيقربهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧و.

[١٠] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

[١١] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[١٢] ن – والله أعلم.

ويحتمل أن يكون هذا استثناء منقطعا، وهو الاستثناء بخلاف الجنس بمعنى[1] "لكن"، معناه أني براء مما تعبدون ولكن أعبد الذي فطرني، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[2] أي ولكن سلاما،[3] وقوله عز وجل: إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ،[4] أي ولكن تجارةُ عن تراض، لأنه لا يجوز أن يستثنى التجارة عن تراض عن الباطل، ولا السلام من اللغو، ونحو ذلك كثير. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **إنني براء مما تعبدون**، ذُكر أن هذا الحرف "**براء**" على ميزان واحد في الوُحْدَانِ والتثنية والجمع. وقوله عز وجل: **فإنه سيهدينِ**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي سيُثَبِّتني[5] على الهدى. والثاني أي فإنه سيهديني في حادث الوقت لأنه كان مهتديا في ذلك الوقت،[6] والهدى مما يتجدد فينصرف إلى إرادة حقيقة الهدى في المستقبل. **والله الموفق.** فإن كان المراد حقيقة الهدى[7] فعلى هذين الوجهين يخرج. ويحتمل أن يخرج[8] على التوفيق على الهدى والعصمة عن ضده في المستقبل. ولا يحتمل أن يريد بهذا الهدى البيانَ بأن يقول:[9] فإنه سيبين لي، لأنه قد بين له جميع ما يقع له الحاجة إليه فلا يحتمل أن يسأل البيان. ولا يحتمل الأمرَ أيضا، فإنه قد تقدم الأمر به، فيرجع[10] إلى حقيقة الهدى أو إلى التوفيق والعصمة. ويكون في الآية دلالةُ على أن عند الله تعالى لطفا، وهو ما ذكرنا، من أعطى ذلك يصير مهتديا، وأنه لم يعط الكفرة[11] ذلك، ولو أعطاهم لآمنوا. **والله الموفق.**[12]

---

[1] ن: لمعنى.
[2] سورة مريم، ٦٢/١٩.
[3] ر م – أي ولكن سلاما.
[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).
[5] ر م: سيثبتني؛ ن: سيثني.
[6] ر ث م – لأنه كان مهتديا في ذلك الوقت.
[7] جميع النسخ – في المستقبل والله الموفق فإن كان المراد حقيقة الهدى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧و.
[8] ر م – ويحتمل أن يخرج.
[9] ث: بأ بأن يقال.
[10] جميع النسخ: ويرجع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧و.
[11] ن: الكثرة.
[12] ر م – والله الموفق.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما الكلمة الباقية هي كلمة الهداية والتوحيد، فإنه سأل[١] أن يجعل ما وَجَد منه من التبري من غير الله تعالى وتحقيق عبادة الله تعالى بقوله: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي،[٢] كلمة باقيةً، وإنه كلمة التوحيد. فإن قوله: "لا إله" نفي غير الله، وقوله "إلا الله" إثبات ألوهية الله تعالى، وذلك معنى قوله: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي، وهو كقوله تعالى:[٣] تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[٤] الآية. وأجاب الله تعالى سؤاله في دعائه، فلم يزل في ذرية إبراهيم وعَقِبِه من يقولها، وذلك قوله تعالى: وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[٥] والثاني الكلمة الباقية هي كلمة الدعوة إلى الهدى والتوحيد، وهي عبارة عن إبقاء النبوة والخلافة في ذريته إلى يوم القيامة، وهو ما قال عز وجل: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ،[٦] أخبر أن الظالم من ذريته لا ينال[ه] عهدُه، فأما من لم يكن ظالما فإنه ينال[ه] عهده، وقد استجاب الله دعاءه فلم يزل الدعوةُ في ذريته والنبوةُ وفي خلفائهم[٧] إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.[٨] ***والله أعلم.***

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾[٢٩]

وقوله: **بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين**، أخبر أنه متعهم وآباءهم[٩] في مكان لا نبات فيه ولا زرع ولا ماء. سخّر الناس وحملهم على أن يحملوا إليهم الطعام والأغذية وأنواعَ الفواكه من الأمكنة البعيدة ويَجلُبون إليهم ما ذكرنا، فذلك ما ذكر من تمتيعهم إياهم. وقوله: **حتى جاءهم الحق**، أي القرآن، **ورسول مبين**، أي محمد صلى الله عليه وسلم. بين أنه من عند الله تعالى جاء وأنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] ن: يسأل.
[٢] الآيتان السابقتان.
[٣] ن - إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وهو كقوله تعالى.
[٤] سورة آل عمران، ٣/٦٤.
[٥] سورة البقرة، ٢/١٣٢.
[٦] سورة البقرة، ٢/١٢٤.
[٧] ر م: في خلفائهم.
[٨] سورة الرعد، ١٣/٧.
[٩] ن: وإياهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون**، لم يزل كانت عادة رؤساء الكفرة والأشراف منهم التكلم[١] بهذه الكلمة عند نزول الآيات والمعجزات، يريدون بذلك التموية[٢] على أتباعهم والتلبيس. فعلى ذلك قول هؤلاء: **هذا سحر وإنا به كافرون**.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**، ظن هؤلاء أنه لما وُسِع عليهم الدنيا وأُنعِم عليهم وأُعْطِي[٣] لهم الأموال إنما أُعْطُوا ذلك ووُسِع عليهم لكرامة لهم عند الله وفضل وقَدْرٍ لديه، ومَنْ ضُيِّق عليه الدنيا و لم يُعطَ ذلك إنما ضُيِّق عليه ومُنِع لهَوَانٍ عنده، فقالوا عند[٤] ادّعاء محمد صلى الله عليه وسلم الرسالةَ ونزول القرآن عليه من الله تعالى: **لو لا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**، ظنوا أن مَنْ عظُم قدرُه ومنزلته [٧٠٦و] / عند الخلق بما وُسِّع عليه وأعطى من الأموال هو عند الله كذلك. لذلك[٥] قالوا:[٦] لو كان ما يقول محمد حقا أن هذا القرآن إنما أنزل من عند الله هلا أنزل على رجل من القريتين عظيم؟ فأخبر عز وجل أنه لم يُوَسِّع الدنيا على من وسع لفضل منزلته[٧] وقدره[٨] عنده وعلى من ضيق إنما ضيق لهوان له عنده، لكن رُبَّ مُضيَّق عليه مُكرَّم عظيم عند الله، ورُبَّ مُوسَّع عليه يكون مُهانا عنده.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**، وهو يخرج على وجهين. أحدهما أي إنهم لا يملكون قسمة ما[٩] على تدبيرها أُنْشِئوا

---

[١] ر م: المتكلم.

[٢] ن: التمويه.

[٣] ر ث م: ويعطى.

[٤] ر م – عند.

[٥] جميع النسخ – لذلك. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[٦] ر ن م: قال.

[٧] ن: منزله.

[٨] ن ث: وقدر.

[٩] ر ث م: قسمها؛ ن: قسمتها. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

وعلى تقديرها[1] خُلِقوا وهو ما ذكر[2] من المعاش وأسباب الرزق من التوسيع والتفضيل، فالذي لم يجعل إليهم في ذلك شيء من تدبيره وتقديره أحق وأولى أن لا يملكوا قسمة[3] ذلك بينهم واختياره، وهو النبوة والرسالة ووضعُها حيث شاءوا، هذا أحد التأويلين. *والله أعلم*.[4] والثاني كما ليس إليهم قسمة المعائش فيما بينهم ولا يملكون التوسيع على من هو أولى وأجمع لأسبابها والتضييق على من ليس عنده تلك الأسباب فعلى ذلك ليس إليهم قسمة الرحمة، وهي النبوة. *والله أعلم*.[5]

ثم في قوله تعالى:[6] **نحن قسمنا بينهم معيشتهم**، دلالة في[7] خلق أفعال الخلق، لأن التفضيل والتوسيع في الرزق والمعيشة إنما يكون باكتساب يكون منهم وأسبابٍ جُعلت لهم، ثم أخبر أنه هو يقسم ذلك، دل ذلك على أنه هو منشئ اكتسابهم[8] وخالق أفعالهم وأن له في ذلك تدبيرا. لأنا نرى من هو أعلم وأقدر على أسباب الرزق كانت الدنيا عليه أضيق، ومن هو دونه في تلك الأسباب والاكتساب كانت عليه أوسعَ، دل[9] ذلك على أنه على تدبير غيره يخرج ويكون هكذا. إذ لو كان[10] على تدبيرهم خاصة لكانت تكون[11] هي أوسعَ على من هو أجمع لأسبابها واكتسابها وأقدرُ على ذلك، وتكون[12] أضيق[13] على من ليست له تلك الأسباب.

---

[1] م: على تقديرها.

[2] ر ث م: وهي ما ذكر؛ ن: وعلى ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[3] ر: أن لا يملكون أقسمها؛ ث: أن لا يملكوا قسمها؛ م: أن لا يملكون قسمها.

[4] ر م – والله أعلم.

[5] جميع النسخ – والثاني كما ليس إليهم قسمة المعائش فيما بينهم ولا يملكون التوسيع على من هو أولى وأجمع لأسبابها والتضييق عمى من ليس عنده تلك الأسباب فعلى ذلك ليس إليهم قسمة الرحمة وهي النبوة والله أعلم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[6] جميع النسخ: ثم قوله تعالى. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[7] ن – في.

[8] جميع النسخ: اكسابهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[9] ر م – دل.

[10] ر م – على تدبير غيره يخرج ويكون هكذا إذ لو كان.

[11] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[12] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من/ المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[13] ر م – أضيق.

ثم قال جعفر بن حرب[1] للخروج عن هذا الإلزام:[2] إنما وسّع على من وسّع لأن التوسيع له أصلح وأخير، وضيّق على من ضيّق لأن التضييق له أصلح وأخير في الدين. فيقال: لو كان التوسيع والتضييق لأجل الأصلح لهم في الدين والأخير لم يكن ما ذكر من رفع بعض على بعض وتفضيل بعض على بعض في الرزق معنى، وقد أخبر أنه رفع بعضهم على بعض درجات حيث قال: **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.**[3] ولو كان الكل في ذلك سواءً لا يكون لبعض على بعض في ذلك فضل ولا درجة. ولأنه لو كانوا على ما يقولون هم أنه يعطى كُلًّا ما هو الأصلح في الدين وأخير لهم في ذلك فهؤلاء الفراعنة منهم والرؤساء لو لم يكن لهم تلك السعة وتلك الأموال لكان لا يتهيأ لهم فِعْلُ ما فعلوا ومَنْعُ الناس عن اتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام. وعلى ذلك فرعون إنما ادعى لنفسه الألوهية بما أُعْطِيَ له من الملك والسعة ما[4] لو لم يكن له[5] ذلك لم يدّع ذلك،[6] وكان ذلك أصلح له[7] في الدين. فدل أن الله تعالى قد يترك ما هو الأصلح لهم في الدين وأَنْ ليس عليه حفظ الأصلح لهم في الدين.

وقوله عز وجل: **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا،** قال بعضهم: قوله: **سخريا**، برفع السين الاستخدام والاستعمال في الأمور، وسِخريا[8] بكسر السين الاستهزاء. وتأويله أنه علم[9] منهم أن بعضهم يستهزئ ببعض ويَهْزَأ[10] بعضهم بعضا،[11] أعطى ذلك لهم ليكون منهم ما علم على ما علم[12] منهم من الهُزْء والسخرية لا أن يكون يرفع[13] بعضهم على بعض ليأمر بما علم أنه يكون منهم. **والله أعلم.**

---

[1] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمداني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. وتوفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.

[2] جميع النسخ + فقال.

[3] ر م – حيث قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.

[4] ن – ما.

[5] م – له.

[6] ن – لم يدع ذلك.

[7] ر م – له.

[8] جميع النسخ – برفع السين الاستخدام والاستعمال في الأمور وسخريا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[9] ر م: عليم.

[10] ر: ويهزؤا.

[11] م: ببعض.

[12] جميع النسخ – لي ما علم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[13] ر م: برفع.

وقوله عز وجل: **ورحمة ربك خير مما يجمعون**. يحتمل قوله: **رحمة ربك**، النبوة، أي ما اختار لرسول الله[1] صلى الله عليه وسلم من الرسالة والنبوة خير مما يجمع أولئك الكفرة. ويحتمل ما يدعوهم محمد صلى الله عليه وسلم إليه[2] ويختار لهم من التوحيد والدين خير مما يجمعون هم من الأموال. ويحتمل ما وعد لأهل الإيمان من الثواب والكرامة بإيمانهم، وهو الجنة، خير مما يجمعون. *والله أعلم*.

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[٣٣] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾[٣٤] ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون**، الآية، أي لولا أن يصير الناس كلهم على ملة واحدة وهو دين الكفر وإلا لجعلنا للكفار ما ذكرنا. في الآية دلالة التزهيد في الدنيا، لأنه ذكر أنه أعطى الكفار ما ذكر لولا رعايةُ قلوب ضَعَفةِ المؤمنين[3] حتى لا يتحولوا إلى دين الكفر، فما متّع الكافر ما متّع إنما متّع بسبب المؤمن، فيجب أن يُزْهَد فيها. وفي الآية دلالة جوده وكرمه حيث لم يمنع ممن عادى أولياءه وعاداه نعيمَ الدنيا، وفي الشاهد أن من عادى آخر يمنعه ذلك ما عنده من الفضل والمال. وفيها دلالة هوان الدنيا على الله تعالى على ما ذكره أهل التأويل. إذ لو كان لها عنده خطَر وقَدْرٌ لم يعط الكافر منها جناح بعوضة أو جناح ذباب،[4] فدل ذلك على هوانها على الله تعالى.

وفيه دلالة نقض قول المعتزلة حيث قالوا: ليس على الله أن يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم في الدين. لأنه أخبر تعالى أنه لولا ما يختار أهل الإيمان الكفر والدخولَ فيه وإلا جعل لأهل الكفر ما ذكر من جَعْل النعم. فلو كان الأصلح / واجبا في الدنيا لكان يجب أن يعطي لأهل الإيمان [٢٠٦ظ] مثل ذلك الذي ذكر أنه لو أعطى لأهل الكفر فصاروا أهل الكفر حتى يصيروا جميعا أهل الإيمان.

---

[1] ر ث م: رسول الله.

[2] ر م - إليه.

[3] ر م - المؤمنين.

[4] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى حديث روي عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله بجناح بعوضةٍ ما سَقَى كافرا منها شَرْبَة ماءٍ"، سنن *ابن ماجة*، الزهد ٣؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٣.

إذ لا يحتمل أنه إذا أعطى ما ذكر لأهل الكفر[1] فيكونون[2] جميعا أهل كفر، وإذا أعطى ذلك لأهل الإيمان لا يكونون[3] جميعا أهل الإيمان، وهو الأصلح في الدين، ومع ذلك لم يعط. دل أنه ليس على الله تعالى حفظ الأصلح لهم في الدين ولا حفظُ الأخيَرِ. *والله الموفق*.

والأصل في قوله تعالى: **ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن**، الآية، أنهم خُيّروا في هذه الدنيا بين[4] أن يختاروا النعمة[5] الدائمة واللذة الباقية و بين أن يختاروا اللذة الفانية[6] والنعمة الزائلة المنقطعة. فمن اختار وآثر النعمة[7] الدائمة واللذة الباقية على النعمة الزائلة واللذة الفانية[8] ضُيّق عليه[9] النعمة[10] الزائلة واللذة الفانية لما آثر واختار الباقية على الفانية؛ ومن آثر الفانية الزائلة على الباقية الدائمة وُسّع عليه الفانية لما اختار وآثر، وهو ما ذكر في قوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا،[11] بيّن لكل ما اختار وآثر من النعيم[12] الفانية والدائمة. *والله أعلم*. وذكر الفضة والذهب -وإن كانت أشياءُ أُخَرُ قد تكون[13] أرفع وأعظم قدرا منهما-[14] لأن هذين هما أعزا[15] الأشياء عندهم، وبهما يوصل إلى كل رفيع وعظيم. *والله أعلم*. ثم ما ذكر من جعل السُّقُف والمعارج من الفضة وما ذُكِر من الزخرف هو رد ما قاله فرعون في حق موسى عليه السلام:

---

[1] ر ث م – فصاروا أهل الكفر حتى يصيروا جميعا أهل الإيمان إذ لا يحتمل أنه إذا أعطى ما ذكر لأهل الكفر.

[2] ن ث: فيكونوا.

[3] م – لا يكونون.

[4] ر م – بين.

[5] ر ث م: النعم؛ ن: النعيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٧ظ.

[6] ر م – الباقية وبين أن يختاروا اللذة.

[7] ث م: النعم؛ ر ن: النعيم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[8] ر م – الفانية.

[9] ر م: عليهم.

[10] ر ن م: النعيم؛ ث: النعم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٧ظ.

[11] جميع النسخ – فأولئك كان سعيهم مشكورا؛ + الآية. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٨و. سورة الإسراء، ١٧/١٨-١٩.

[12] ث: النعم.

[13] جميع النسخ: قد يكون.

[14] جميع النسخ: منها. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٨و.

[15] جميع النسخ: أعز.

فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ،[١] أي لخساسة الدنيا وهوانها، لم يعطها[٢] لأوليائه[٣] والأخيار من عباده. ولولا ما يكون من ترك أهل الإيمان الإيمانَ[٤] وإلا لكان في حق كل كافر مثل ما فعل في حق فرعون وأمثاله. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإنْ كُلُّ ذلك لَمَّا متاعُ الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين،** أي كل ما ذكر ليس إلا متاعَ الحياة الدنيا أعطى من آثره على نعيم الآخرة، والعاقبة للمتقين كما اختاروها على غيرها. *والله المستعان*.

قال القُتَبِي: المعارج الدَرَج، يقال: عَرَج، أي صَعِد، ومنه المعراج لأنه سبب إلى السماء أو طرق.[٥] **عليها يظهرون،** أي يَعْلُون، يقال: ظهرتُ على البيت إذا عَلَوتَ سطحه؛ والزخرف الذهب.[٦] وكذا قال أبو عَوْسَجَة:[٧] المعارج: المصاعد؛ والمعراج: المِصْعد؛[٨] والزخرف: كل شيء حسنٍ، والزخرفة: التحسين والتزيين. وهذا أشبه ألا ترى أنه قال: في آية أخرى: حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا،[٩] أي زينتها وحُسْنها. والسُّقُف جمع السَقْف وهو سَمْك البيت.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا،** قال بعضهم: **يعش،**[١٠] أي يُعرض **عن ذكر الرحمن**. وقال بعضهم: **يعش،** أي يَعْمَ[١١] بصره ويَضعَف **عن ذكر الرحمن،** أي يعمى عنه ولا يقبله. وقال بعضهم: عشا يعشو من عَمَى البصرِ وضعفِه، وعشِي يَعْشَى من الإعراض. وقال أبو عبيدة:[١٢] **ومن يعش عن ذكر الرحمن،** أي يُظلِمْ بصره.[١٣]

---

[١] الآية ٥٣ من هذه السورة.
[٢] ر م: لم يعط.
[٣] ن ث + وأحباءه.
[٤] ر م – الإيمان.
[٥] ر ن م: أو طرف.
[٦] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٧.
[٧] جميع النسخ: وكذا قول أبي عوسجة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨و.
[٨] جميع النسخ: الصعود.
[٩] سورة يونس، ٢٤/١٠.
[١٠] ر: نقيض؛ م: يقيض.
[١١] جميع النسخ: أي يعمى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨و.
[١٢] ن ث: أبو عبيد.
[١٣] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢٠٤/٢.

وقال الفراء: **ومن يعش**، أي يعرض عنه؛ **ومن يعشَ** بنصب الشين، أي يَعْمَ[1] عنه.[2] وقال أبو عَوْسَجَة: يعش، أي يُجاوِزْ، وإن شئت جعلته من العشي وهو ظلمة البصر، وإن شئت جعلته من التعاشي وهو التعامي. ***والله أعلم.***[3] وقوله عز وجل: **عن ذكر الرحمن**، القرآن. ويحتمل التوحيد والإيمان، ويحتمل رسوله صلى الله عليه وسلم. وقوله عز وجل: **نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين**، قال بعضهم: **نقيض**، نقدّر، والتقييض التقدير، يقال: قيّض الله لك خيرا، أي قدره، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال بعضهم: **نقيض**، أي نُهَيِّئ[4] له شيطانا ونَضُمّ[5] إليه، **فهو له قرين**. والأصل في ذلك أن من آثر معصية الله واختارها على طاعته كانت لذته وشهوته في ذلك، فالشيطان حيث اختار معصية الله على طاعته صارت لذته في ذلك، وعلى ذلك من اتبعه فيما دعاه وأجابه إلى ما دعاه إليه صارت لذته في ذلك، قاربه ولازمه في ذلك ليكونا جميعا في ذلك في الدنيا والآخرة، على ما ذكر في آية أخرى: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[6] الآية.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وإنهم ليصدونهم عن السبيل**، السبيل المطلق هو سبيل الله، والدين المطلق هو دين الله، والكتاب المطلق هو كتاب الله. وقوله عز وجل: **ويحسبون أنهم مهتدون**،[7] كانوا يحسبون أنهم مهتدون لأن الشياطين كانوا يزينون لهم ويقولون: إن الذي أنتم عليه هو دين آبائكم وأجدادكم، ولو كانوا على باطل لا على حق ما تُرِكوا على ذلك ولكن أُهلِكوا واستُؤْصِلوا، فإذ[8] لم يهلَكوا وتُرِكوا على ذلك ظهر أنهم كانوا على الحق والهدى. كانوا يموّهون لهم /[٧٠٧و] ويزيّنون لذلك،[9] وظنوا أنهم على الهدى كما يقول لهم الشيطان. ***والله الهادي.***

[1] جميع النسخ: يعمى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨ظ.

[2] *معاني القرآن* للفراء، ٣/٣٢.

[3] انظر للتفصيل: *لسان العرب*، «عشو».

[4] ن: يهيأ.

[5] جميع النسخ: ويضم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨ظ.

[6] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢). ﴿وأزواجهم﴾، "أي أشكالهم وقرناءهم من الجن والإنس والشياطين" (انظر: تفسير الآية من *تأويلات القرآن*).

[7] ن + الآية.

[8] ن: فإن.

[9] ر م: كذلك.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاءنا**، أي الكافر وقرينه في الآخرة **قال** الكافر: **يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين**. يحتمل أن[1] يقول في الآخرة: يا ليت كان بينك وبيني في الدنيا بعد المشرقين حتى لم أكن أراك ولم أتبعك. ويحتمل أن يقول: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين في الآخرة. ثم قوله عز وجل: **بعد المشرقين**، قال بعضهم: ما بين مشرق الصيف إلى مشرق الشتاء. ويحتمل ما قال بعضهم:[2] أي بعد المشرق والمغرب لكن ذَكَر[3] باسم أحدهما، كما يقال: "عمران" و"أسودان"،[4] سماهما باسم أحدهما،[5] لأن الأسود منهما واحد وهي الحية دون العقرب. والمراد من عمرين أبو بكر وعمر. فعلى ذلك قوله: **بعد المشرقين**. وقوله: **فبئس القرين**، حيث ألجأه وألقاه في النار والإهلاك[6] لما ذكرنا.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ولن ينفعكم اليوم**، أي لا ينفعكم في الآخرة الاعتذار، **إذ ظلمتم**، أنفسكم في الدنيا، أي وضعتموها غير مواضعها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **أنكم في العذاب مشتركون**، ظاهر.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي**، يقول: إنك لا تملك إسماع الصم ولا هداية العمي[7] ولا تملك[8] أيضا[9] هداية من كان في ضلال مبين. ثم معلوم أنه لم يرد بالهدى هداية البيان ولا إسماع الأذن،[10] لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك ذلك كله،

---

[1] ن + يكون.

[2] ر م: وقال بعضهم يحتمل.

[3] م - ذكر.

[4] جميع النسخ: عمرين وأسودين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٨ظ.

[5] ر م: واحدهما.

[6] ن: والأملاك.

[7] جميع النسخ - يقول إنك لا تملك إسماع الصم ولا هداية العمي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٠٨ظ.

[8] ر م: ولا يملك.

[9] جميع النسخ - أيضا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٠٨ظ.

[10] جميع النسخ: الأذان. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠٨ظ.

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحمد لله![1] ولكنه أراد الهداية التي لا يملك إلا هو والإسماعَ الذي لا يملك غيره، وهو التوفيق والعصمة والرشد الذي إذا أعطى من أعطى اهتدى، يذكر[2] عجزَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. وهو على المعتزلة، لأنه أخبر أن عنده لطائف[3] وأشياءَ لم يعطها كل أحد إنما أعطى بعضا دون بعض؛ فمن أعطاه[4] تلك اللطائف اهتدى، وهو ما ذكرنا من التوفيق والعصمة. وعلى قولهم ليس عند الله شيء يملك به هدايتهم، لأنهم يقولون قد أعطى كل كافر ما لو أراد[5] الكافر أن يهتدي يصير مهتديا بذلك، و لم يبق عنده شيء يملك بذلك هدايتهم. فعلى ذلك[6] قولهم: عجزه تعالى عن ذلك كعجز رسول الله عن ذلك. وهو إنما ذكر ذلك إعلاما أنه هو المالك لذلك دون عباده، ومعلوم أنه إنما ذكر على الربوبية والألوهية له في ذلك. *والله الموفق*. وجائز أن يكون قوله تعالى: **أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي**، إنما ذكر لإياس[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيمان قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون. *والله أعلم*.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾[٤١] ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون**. فيه دلالة منع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤال إنزال العذاب الموعود لهم عليهم. ثم المنع فيه من وجهين. أحدهما النهي عن سؤال بيان الوقت أن يسأله أنه[8] متى يُنْزِله عليهم. والثاني النهي عن استعجاله، كقوله: وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ،[9] كأنه يقول: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إليّ إن شئتُ أنزلتُ في حياتك وأريتُك ذلك وإن شئت أُمِتُّك و لم أُرِك شيئا من ذلك،

---

[1] جميع النسخ – الحمد لله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩و.

[2] ن: بذكر.

[3] ر م + لم يعطها كل أحد إنما أعطى بعضها دون بعض فمن أعطاه تلك اللطائف.

[4] ن: أخطأه.

[5] ن: ما أراد.

[6] ر ث م – ذلك.

[7] ر: لا بأس.

[8] ر ث م – أنه.

[9] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

وهو كما قال: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ،[١] الآية. وقال قتادة في ذلك: إن الله تعالى أذهب نبيه صلى الله عليه وسلم وأبقى النقمة بعده و لم يُرِه في أمته إلا الذي تَقَرُّ به عينه؛ وليس نبي أو رسول إلا وقد رأى في أمته العقوبة غير نبيكم، عافاه الله تعالى عن ذلك وما أُراه[٢] إلا ما تقر به عينه. قال: وذُكِر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أُرِي الذي تلقى أمته من بعده، فمازال منقبضا ما استبسط ضاحكا[٣] حتى لحق بالله تعالى. وقال الحسن قريبا[٤] من قول قتادة في قوله تعالى: **فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون**؛ قال: أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما يكره، ورفعه الله تعالى وبقيت النقمة.[٥]

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم**. الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه ثلاثة. أحدها القرآن وهو الظاهر من الوحي إليه. والثاني وحي بيان يبين للناس ما لهم وما[٦] عليهم[٧] وما لبعضهم على بعض على لسان الملك جبريل أو غيره على ما أراد الله تعالى. والثالث وحي إلهام وإفهام، كقوله تعالى: لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ.[٨] وما أراه الله تعالى هو[٩] ما ألهمه وأفهمه؛ أَمَرَه[١٠] عز وجل بالتمسك على أنواع ما أوحي إليه: ما هو قرآن وما هو بيان وما هو إفهام، وأراه وآمنه عن[١١] أن يَزِيغ[١٢]

---

[١] ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).

[٢] ر ث م: ولا أراه.

[٣] ر م: فمازال إلا متعبضا ما استنشاط ضحكا؛ ن: فمازال متنقضا ما استنشاط ضحكا؛ ث: فمازال متبعصا ما استنشاط ضحكا. والتصحيح من *تفسير الطبري*، ٦٠٠/٢٠.

[٤] م + قريبا.

[٥] انظر لقول قتادة والحسن: *تفسير الطبري*، ٦٠٠/٢٠-٦٠١. وقول الحسن في *تفسير الطبري* هكذا: لقد كانت بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة، فأكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده.

[٦] جميع النسخ + لله. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٠و.

[٧] ن – عليهم.

[٨] ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ (سورة النساء، ١٠٥/٤).

[٩] ر م: وهو.

[١٠] ن: وأمره.

[١١] ر م – عن.

[١٢] ر م: أن نزيغ.

أو يَزِلّ أو يَعدلَ عن الصواب في ذلك كله، وبشره[1] في ذلك كله: أنك لو تمسكتَ بجميع ما أوحى إليك كنتَ على صراط مستقيم حيث قال: **فاستمسك / بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم.**[2] [٧٠٧ظ]

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **وإنه لذكر لك ولقومك**. قال أهل التأويل: أي القرآن ذكر لك، أي شرف لك ولمن آمن من قومك.[3] وجائز أن يكون المراد بالذكر جميع أنواع ما أوحى إليه، فإن قوله: **وإنه**، كناية عن قوله: بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ.[4] أي جميع ما أوحى إليه شرف له ولقومه لما اختصه واختاره بذلك من بين غيرهم. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون المراد من الذكر حقيقة الذكر، أي ما أوحى إليه ذكر له ولقومه. يذكر لهم ما لله عليهم وما لهم وما عليهم[5] وما لبعضهم على بعض.[6] ***والله أعلم***.

وقوله: **وسوف تسألون**، يحتمل وسوف تسألون[7] شكر[8] ما أوحى إليك وأن يصير[9] ما أوحى إليك ذكرا لك ولقومك[10] وعن القيام بشكر ذلك. ويحتمل وسوف تسألون القيام بأداء جميع ما في القرآن[11] وفيما أوحى إليه. ويحتمل وسوف تسألون: مَنْ كذَّبه؟ على ما يقول بعض أهل التأويل، أو سوف تسألون:[12] أشكرتم تلك النعمة أم لا؟ ويحتمل وسوف تسألون يوم القيامة عن القرآن: هل عملتم[13] بما فيه؟ ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: وينشره. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[2] ن – حيث قال فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم.
[3] جميع النسخ – قال أهل التأويل أي القرآن ذكر لك أي شرف لك ولمن آمن من قومك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[4] الآية السابقة.
[5] ر م – لهم وما عليهم.
[6] ر ث م: على البعض.
[7] ر م: يسألون.
[8] جميع النسخ: بشكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[9] ن: وأن تصير.
[10] جميع النسخ: وقومك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[11] ر م: يسألون القيام بأول جميع القرآن؛ ث: القيام بأول جميع القرآن.
[12] ر م: يسألون.
[13] ر م: علمتم.

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**. والإشكال أن ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات صِدْقِه أظهر من صدق[1] مَنْ أمَره أن يسأل من أهل[2] الكتاب، إذ آيات صدقه معجزات عَجِزت[3] الكفرةُ عن إتيان مثلها، وليس مع مَنْ أمَره بالسؤال عن ذلك آياتُ المعجزات، فما معنى السؤال له عن أهل الكتاب عن ذلك؟ فنقول: أمْرُه عز وجل إياه[4] بالسؤال عنهم يخرج على وجهين. أحدهما يسألهم سؤالَ توبيخ وتعيير وسؤالَ تقرير[5] وتنبيه: هل أتى رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلوا[6] من قبلك أو كتاب بالأمر بعبادة غير الله؟ فيقرون جميعا أنه لم يأت رسول بإباحة ذلك ولا أُمِر[7] أحد منهم بذلك. والثاني أن هذا أمر[8] لغيره أن يسألهم[9] وإن كان ظاهر الأمر والخطاب له، لما ذكرنا أن أدلة صدقه أظهر من دلالة صدق أولئك. وهو كقوله: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ، إلى قوله: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا،[10] وكقوله تعالى: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[11] وَ[لَا تَكُونَنَّ مِنَ] الْمُشْرِكِينَ،[12] إذ معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يشك[13] ولا يمتري في شيء من ذلك، فرجع الخطاب به[14] إلى غيره على ما ذكرنا.[15]

---

[1] ر م – من صدق.
[2] ر م: من أمر.
[3] ر: عجزة.
[4] ر: آيات.
[5] ث: تغرير.
[6] جميع النسخ: أرسل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[7] ن: ولا أمن.
[8] ث: والثاني أنه أمر.
[9] جميع النسخ: أن تسألهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.
[10] ﴿وقضى ربك ألّا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧) ومعلوم أن أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ماتا من قبل.
[11] سورة الأنعام، ١١٤/٦.
[12] سورة يونس، ١٠٥/١٠.
[13] ر: لا شك.
[14] ر م – به.
[15] جميع النسخ: إلى غير ما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا**، الآية، أي لو سألتهم عن ذلك لقالوا جميعا: لم يُرسَل رسول[1] يأمر[2] بعبادة غير الله تعالى. ***والله أعلم.***[3]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه** قد ذكرنا آيات موسى عليه السلام التي أتى بها في غير موضع. وفيه الأمر بتبليغ الرسالة. وقوله عز وجل: **فقال إني رسول رب العالمين**، وفيه أن التقية لا يسع للرسل عليهم السلام في ترك تبليغ الرسالة وإن خافوا على أنفسهم الهلاك.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون**، هكذا عادة الفراعنة والرؤساء من الكفرة أنهم إذا أتاهم الرسل بالآيات ضحكوا منهم واستهزءوا بهم، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ،[4] الآية.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤٨]

وقوله: **وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها**. قال بعضهم: إن كل آية تأخرت عن الآية الأخرى فهي أعظم وأكبر من التي تقدمت، نحوَ ما كان منهم من الاستعانة حيث قالوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ.[5] ثم هو مما أراهم من الآيات قبل ذلك أعظم. وقال بعضهم: **إلا هي أكبر من أختها**، كانت اليد البيضاء[6] أعظم وأكبر من العصا،

---

[1] جميع النسخ – رسول. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩و.

[2] ر ن م: بأمر.

[3] جميع النسخ + وحكاية (ن: أو حكاية) على هذا وليس من نسخة الأصل سمعت مفسرا ببخارى يقول نزلت هذه الآية ليلة المعراج ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل بيت المقدس رأى الرسل والأنبياء عليهم السلام مجتمعين ثم تقدم وصلى بهم ركعتين فقام جبريل عليه السلام من الصف وقال يا محمد واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا. هذه القطعة لا توجد في *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦ ولا في نسخة جار الله. ويلاحظ أنها أدرجت من قبل المستنسخ.

[4] سورة المطففين، ٢٩/٨٣.

[5] ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ (سورة الأعراف، ١٣٤/٧).

[6] جميع النسخ – البيضاء. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩ظ.

لأن العصا قد يتهيأ للسحرة تمويهُها[1] وتحويلُها من جنس العِصِيّ وجوهرها إلى غيرها[2] من الجواهر، ولم يَتَهيأ لهم تحويل اليد عن جوهر اليد وقد كان ذلك لموسى عليه السلام، دل أن آية اليد أكبر من آية العصا. *والله أعلم*. وقال بعضهم: هذا ليس على تحقيق جعل آية أكبر وأعظم من آية العصا[3] ولكن وصْف الكل بالعِظَم والكِبر، كقوله تعالى: آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا،[4] ليس على إثبات القرب في أحدهما دون الآخر ولكن وصفُ قرب[5] كل واحد منهما من الآخر على السواء.[6] وكما يقال في العرف: إن أفراس فلان كلَّ واحد أَعْدَى من الآخر، وإن أصحاب فلان كلَّ واحد أفضل من الآخر، وإنه لا يراد بذلك الترجيح ولكن إثبات المخبر به[7] على السواء.[8] فعلى ذلك قوله تعالى: **وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها**، وصفٌ لهما جميعا بالكبر. *والله أعلم*.

ثم ذكر قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ،[9] وغير ذلك من أمثاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبّره على أذى قومه وأنواع ما كانوا يستقبلونه / من الاستهزاء به [٧٠٨و] وبأتباعه والضَّحِك بما[10] أتاهم من الآيات والحجج على رسالته، وعلى ذلك ما قال: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ،[11] أخبر أنه إنما قص عليه أنباء الرسل المتقدمة لتسلية فؤاده. *والله أعلم*.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك**، الآية. والإشكال أنهم كيف يسمونه ساحرا وكانوا يطلبون منه أن يدعو ربه ويسأل حتى يكشف عنهم العذاب؟

---

[1] ر ث م: تمويها.
[2] ر م: إلى غير.
[3] ن: جعل آية أكبر من آية أخرى.
[4] سورة النساء، ١١/٤.
[5] ر م: قريب.
[6] ر م: السؤال.
[7] ر ن: المخبر؛ م: الخبر.
[8] ر م: عن السؤال.
[9] الآية السابقة.
[10] ن: إنما.
[11] سورة هود، ١٢٠/١١.

فنقول: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم إنما[1] سموه ساحرا لأن الساحر عندهم هو العالم المعظَّم الذي بلغ في العلم غايته ونهايته،[2] لذلك قالوا: **يا أيها الساحر ادع لنا ربك**، وإلا لا يحتمل أن يكونوا يسألونه ويطلبون منه أن يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ثم يسمونه ساحرا ويَعْنون به سحر الكذب[3] والباطل. *والله أعلم*. وقال مقاتل: إنهم قالوا: **يا أيها الساحر ادع لنا ربك**، قال لهم موسى عليه السلام: كيف أدعو ربي ليكشف عنكم ما ينزل بكم وقد تسمونني ساحرا؟ فرجعوا عن ذلك فقالوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ،[4] على ما ذكر في سورة الأعراف.[5] *والله اعلم*. ويحتمل أن يكون قولهم: **يا أيها الساحر ادع لنا ربك**، سَمُّوه ساحرا على ما كان عندهم أنه ساحر فيقولون: إنك ساحر إلا أن تدعو ربك فيكشفَ عنا الرجز فعند ذلك نعلم أنك لست بساحر وأنك رسول فنؤمن بك. ويحتمل أن يكون عندهم أن اليد البيضاء والعصا وما أتى به موسى مما يبلغ السحر إلى تغيير ذلك عن جوهره ويستفاد بالسحر مثله، لكن سألوا منه[6] أن يسأل ربه ما ذكروا لما علموا أن إجابة الدعاء فيما دعا لا تكون[7] لساحر ولا تجاب[8] إلا للرسول والذي على الحق، فإذا أجابك إلى ما سألت آمنا بك. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك على حقيقة إرادة السحر على التناقض، إذ عامة أقوالهم على التناقض والتمويه على الأتباع،[9] كقوله: مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا.[10] والآية[11] لا يَسْحَرُهم بها لأن الآية هي التي لها حقيقة ودوام، والسحر هو الذي لا حقيقة له ولا دوام، فإذا كان آيةً لا يَسحرهم[12] بها ولا يكون عجزا،

---

[1] جميع النسخ - أنهم إنما. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩ظ.

[2] لم أستطع أن أجد هذا التأويل منسوبا إلى ابن عباس، ولكن الطبري ينسبه إلى أهل التأويل. انظر: *تفسير الطبري*، ٦٠٩/٢٠.

[3] ر م: سحرا للكذب.

[4] ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ (سورة الأعراف، ١٣٤/٧).

[5] انظر: *تفسير مقاتل*، ٧٩٧/٣.

[6] م: عنه.

[7] جميع النسخ: لا يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٠٩ظ.

[8] جميع النسخ: ولا يجاب. والتصحيح من المرجع السابق ورقة ١٠٩ظ.

[9] ر ث م: على الاتساع.

[10] ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٢/٧).

[11] جميع النسخ: فبالآية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٧و.

[12] ر ث م: لا تسحرهم.

وإذا كان سحرا[1] لا يكون آية، فكانت عامة أقوالهم خرجت على التناقض على ما ذكرنا في غير آي من القرآن، فعلى ذلك يحتمل هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بما عهد عندك**. قال بعض أهل التأويل: **ادع لنا ربك بما عهد عندك**،[2] قد كان الله عز وجل عاهد إلى موسى[3] عليه السلام: لئن آمنوا كشف عنهم العذاب، فلما دعى وكشف عنهم العذاب لم يؤمنوا. *والله أعلم*. ويشبه أن يكون عهده إليه ما جعله نبيا واختصه لرسالته. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **بما عهد عندك**، على الإضمار، كأنهم قالوا: ادع لنا ربك بما عهد كل واحد من عندك؛ لئن كشفت عنا العذاب إننا[4] لمهتدون، وهو قوله تعالى في آية: لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ.[5] ألا ترى أنه قال:

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾[٥٠]

فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون، أي ينقضون[6] ما عهدوا، وعهدهم ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥١] **﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾**[٥٢]

وقوله عز وجل: **ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**. يقول اللعين هذا مقابل ما ادعى موسى عليه السلام من الرسالة يموّه بذلك على قومه وأتباعه، أي لئن كان الله أرسل رسولا فأنا أحق وأولى بالرسالة من موسى لأنه ملكني وأعطاني من الملك ما ترون ملك مصر وجري الأنهار تحتي وموسى لا يملك شيأ من ذلك، فأنا أحق وأولى بالرسالة من موسى.[7] ولذلك قال: **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين**،

---

[1] م: سحر.

[2] جميع النسخ – قال بعض أهل التأويل ادع لنا ربك بما عهد عندك. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

[3] ر ث م: عاهد موسى.

[4] ر م: أئنا؛ ن: إنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

[5] سورة الأعراف، ١٣٤/٧.

[6] جميع النسخ: أي ينقضوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

[7] جميع النسخ – لأنه ملكني وأعطاني من الملك ما ترون ملك مصر وجري الأنهار تحتي وموسى لا يملك شيأ من ذلك فأنا أحق وأولى بالرسالة من موسى. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.

أي ضعيف لا مال له ولا حَشَمَ ولا تَبَعَ ولا يكاد يبين حجته، وكذلك قال: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ،[1] كما أُلْقِي علي وكما أعطاني من المال والذهب. أو يقول: إن من كان له رسول يكرمه بأنواع الكرامات ويبذل له أموالا، فإذ[2] لم يؤته شيئا من ذلك فليس برسول. أو يقول: إنه لو كان رسولا كما يقول هو[3] لألقى الله عليه من الأساورة ما أَلقَيتُ أنا على أتباعي وحشمي ونحوه. وكان فرعون اللعين[4] لا يزال يموه أمر موسى عليه السلام على قومه، من ذلك قوله: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ،[5] ومنه قوله: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[6] ونحو ذلك كثير، فعلى ذلك هذا منه تمويه على قومه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ولا يكاد يُبِينُ.** قال بعضهم: أي لا يكاد يبيّن كلامه وحجته لما في لسانه عُقْدَةٍ ورُتَّةٍ،[7] يقول: عَيُّ اللسان. وقال بعضهم: إن فرعون[8] لا يعني ذلك لأن الله تعالى قد أذهب تلك العقدة والرتة التي في لسانه حين دعا وسأل ربه بقوله: وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي،[9] وقد أجاب الله دعاءه حيث قال: قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى،[10] ولكن أراد -والله أعلم- لا يكاد يبيّن حجته، أي ليس يأتي بحجة تأخذ القلوب.[11] وقال القُتَبِي: في قوله: **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين**، قال: أَمّا أنا خير منه.[12] وقال أهل التأويل:[13] أنا خير منه. وجائز أن يكون قوله: **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين**، موصولا بقول فرعون حيث قال: **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون.** / أنا خير منه [٧٠٨ظ] بأن لي ملكَ مصرَ وليس لموسى ذلك على ما ذكرنا.

---

[1] الآية التالية.
[2] ر م: فإذا.
[3] ر ث م - هو.
[4] ر م - اللعين.
[5] سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.
[6] سورة الشعراء، ٤٩/٢٦.
[7] الرتة بالضم عَجَلة في الكلام وقِلَّة أَناةٍ، وقيل: هي العُجْمة في الكلام (*لسان العرب*، «رتت»).
[8] ن: إن اللعين.
[9] سورة طه، ٢٠/٢٧-٢٨.
[10] سورة طه، ٣٦/٢٠.
[11] ر م: ليست تأتي بحجحه يأخذ القلوب؛ ن: ليست يأتي بحجج يأخذ القلوب؛ ث: ليست تأتي حججه يأخذ القلوب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠و.
[12] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٩.
[13] ر م + قوله.

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين.** هذا القول منه يخرج على وجهين. أحدهما إن كان موسى يدّعى الملك في الدنيا ويطلبه فهلا ألقي عليه أَسَاوِرُ من ذهب كما يلقى على الملوك[1] من الأساور والتاج وغير ذلك؟ وإن كان يدّعي الرسالة لنفسه فهلا كان معه الملائكة مقترنين؟[2] ولا يزال الكفرة يطلبون من الرسل الآيات على وجه يتمنون هم ويشتهون، فأخبر أن الآيات ليست تأتي على ما يتمنون ويشتهون ولكن على ما أراد الله تعالى. والثاني يجمع الأمرين جميعا فيقول: إنه يدعي الرسالة والرسول معظَّم عند المرسِل، فيقول: إن كان ما يقول حقا هلا ألقي عليه الأساور تعظيما، وهلا كان معه الملائكة مقترنين[3] تعظيما له وإجلالا؟ *والله أعلم*. وقال بعضهم: في قوله: **فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب**، أي هلا سُوِّر،[4] لأن الرجل منهم إذا ارتفع فيهم سَوَّرُوه. **أو جاء معه الملائكة**، مصدقين له بالرسالة. قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: أساور وأسورة: جمع إسوار،[5] ورجل إسوار: أي رامٍ، وقوم أساورة، وإنما سمي الرامي إسوارا لأنه إذا أجاد[6] الرمي جعل في يده سِوار من ذهب.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **فاستخف قومه فأطاعوه.** قال بعضهم:[7] أي فاستخف بقومه واسترذلهم فأطاعوه. وقال بعضهم: **فاستخف قومه فأطاعوه**، أي استزلّهم[8] واستفزهم بالخروج على اتّباع موسى وطَلَبه فأطاعوه، وذلك أنه أمرهم بالخروج معهم في طلب موسى لمّا خرج من عندهم نحو البحر فأطاعوه في ذلك وخرجوا معه في طلب حتى أصابهم ما أصابهم، وكأن هذا أشبه وأقرب. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: للملوك.
[2] ر م: مقرنين.
[3] ر م: مقرنين.
[4] أَسَاوِر: واحدها إِسْوار. وسوَّرته: أي أَلبسته السِّوار؛ السوار من الحَلْي معروف (*لسان العرب*، «سور»).
[5] جميع النسخ: السوار. والتصحيح من غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٦٧.
[6] ر م: جاد.
[7] ث + استرذلهم.
[8] ر ث م: استرذلهم.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **فلما آسفونا انتقمنا منهم**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي فلما عملوا الأعمال التي استوجبوا لها الغضب انتقمنا منهم على ذلك، لأن ظاهر قوله تعالى: **آسفونا**، أي أغضبونا؛ وصفة الغضب على الحدوث لله تعالى لا يجوز، فكان المراد منه ظهور أثر الغضب باستيجاب العذاب.[١] *والله أعلم*. والثاني **فلما آسفونا**، أي أغضبوا أولياءنا **انتقمنا منهم**، أي سلّطنا عليهم بدعاء أولئك الأولياء، أو ننتقم[٢] منهم بسبب إغضابهم أولياءنا، وهو كقوله تعالى: يُخَادِعُونَ اللهَ،[٣] أي يخادعون أولياء الله، فعلى ذلك هذا.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾[٥٦]

وقوله: **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين**، هو يخرج على وجهين. أحدهما جعلناهم في العقوبة سلفا للمتأخرين ومثلا للمؤمنين، أي عبرة لهم، وهو كقوله: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ.[٤] والثاني جعلناهم سلفا ومثلا للآخرين في العِظَةِ والانزجار لهم ليمتنعوا عن مثل ما فعلوا خوفا عن الوقوع فيما وقعوا. *والله أعلم*. وقال القُتَبِي: **فجعلناهم سلفا**، بالرفع والنصب[٥] وهو من التقدم،[٦] أي جعلناهم قوما[٧] تقدموا،[٨] مثل خَشَب وخُشُب[٩] وثَمَر وثُمُر.[١٠] وكذلك يقول أبو عَوْسَجَة، قال:[١١] السَّلْف: الجِراب،[١٢] والجميع سلوف.[١٣]

---

[١] ر م: استحاب العذاب.

[٢] ر م: أو ينتقم.

[٣] سورة البقرة، ٩/٢؛ وسورة النساء، ١٤٢/٤.

[٤] سورة البقرة، ٦٦/٢.

[٥] انظر لمختلف القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري*، ٦١٨/٢٠-٦١٩.

[٦] ن: من التقدم.

[٧] جميع النسخ: قدما. والتصحيح من غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٩٩.

[٨] ن يقدموا.

[٩] م: خبث وخبث.

[١٠] ر: خبث وخشب وثمر وسمر.

[١١] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩ظ.

[١٢] جميع النسخ: الخيرات. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩ظ. الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه (*المعجم الوسيط*، «جرب»).

[١٣] والسَّلْف بالتسكين الجراب الضخم، وقيل: هو الجراب ما كان، وقيل: هو أديم لم يحكم دبغه، والجمع أسلف وسلوف (*لسان العرب*، «سلف»).

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٥٧] ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون**. اختلف فيما ذكر من ضرب المثل لعيسى ابن مريم عليه السلام؛ قال بعضهم: لما نزل قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[1] فقال أولئك الكفرة الذين كانوا يعبدون الأصنام: إن عيسى عُبِد دونه وعَزيرٌ والملائكة يُعبَدون دونه، فهؤلاء جميعا في النار إذًا، لأنهم عُبِدوا دونه؛ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون معهم وهم معنا، وهو ما ذكروا على إثره: **آآلهتنا خير أم هو**، يَعْنُون بقولهم: "**هو**" عيسى عليه السلام، فذلك منهم يخرج على وجهين. أحدهما لئن جاز أن يعذب عيسى عليه السلام ومن عُبِد من هؤلاء دون الله في النار رضينا أن يعذَّب آلهتنا في النار، إذ هم ليسوا بخير من عيسى عليه السلام وهؤلاء الذين[2] عُبِدوا دون الله من الملائكة وغيرهم. والثاني يقولون: إن كان عيسى يعذب في النار لما عُبِد دونه فآلهتنا التي نعبدها دونه خير منهم فلا تُعذَّب[3] لأنها خير. فأحد التأويلين يرجع إلى أنهم يقولون: لو جاز وصلح أن يُعذَّب كل معبود دونه جاز أن تُعذَّب[4] الأصنام التي نعبدها نحن. والثاني يقولون: إن كان يعذب عيسى وغيره من[5] الذين عُبِدوا دونه فالأصنام التي نعبدها نحن لا تعذب[6] لأنها خير من أولئك. *والله أعلم*. فنقول:[7] إنما يكون لهم هذا الاحتجاج بالآية أن لو كانت الأصنام إنما تحرق[8] في النار تعذيبا لها، أعني الأصنامَ؛ فأما إذا كانت الأصنام إنما تحرق[9] بالنار تعذيبا لمن عبدها وعقوبة لمن اتخذها أربابا دون الله فلا، وإنما تحرق[10] الأصنام التي اتخذوها من الحجارة والحديد والصُفْر لزيادة تعذيب العَبَدَة، كقوله تعالى: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[11]

---

[1] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.
[2] ر ث م: الذي.
[3] جميع النسخ: فلا يعذب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠ظ.
[4] جميع النسخ: أن يعذب.
[5] جميع النسخ – من. والزيادة من المرجع السابق ورقة ١١٠ظ.
[6] ر ن م: لا يعذب.
[7] ر م: فيقول.
[8] جميع النسخ: يحرق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠ظ.
[9] ر ن م: يحرق.
[10] جميع النسخ: يحرق. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٠ظ.
[11] ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ (سورة التحريم، ٦/٦٦).

[٧٠٩و] مع أنه لا جناية من الأصنام ولا ضرر لها بالإحراق، فكيف يحرق عيسى ومن / عُبِد دونه من الملائكة، وفي إحراقهم تعذيبهم إذ هم يتضررون بها ولا جناية منهم؟ فإذا كان إدخال الأصنام التي عبدوها وإحراقها في النار لتعذيب أولئك الذين عبدوها فلا معنى لذلك الخصومة والمجادلة التي كانت منهم. **والله أعلم**.

وبعدُ، فإن في الآية بيانا على أن الذي ذكر مِنْ جَعْل المعبود حَصَبا للنار راجع إلى عُبّاد الأصنام والأوثان خاصة دون غيرها، لأنه خاطب أهل مكة بقوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ،[١] الآية، وأهل مكة كانوا لا يعبدون إلا الأصنام والأوثان لا عيسى ولا غيره من البشر والملائكة، فذلك لهم ولكل عابد الأصنام دون غيرهم من المعبودين استدلالا بهم.[٢] **والله أعلم**. على أن في الآية بيانا أيضا أنه لم يرجع إلى ما ذكروا من عيسى وغيره، فإنه قال: وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ، وكلمة ما تستعمل[٣] في غير العقلاء من الجماد وغيرها لا في ذوات العقلاء. وعلى أن في الآية بيانا من وجه آخر أيضا على أنهم غير مرادين بها، فإنه استثنى وخص بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ،[٤] أخبر أن من سبقت منه الحسنى يكون مُبْعَدا عنها، ولا شك أن عيسى والملائكة عليهم السلام قد سبقت لهم منه الحسنى، فلا يحتمل صرف تلك الآية إليهم. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون قوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ، الآية، راجعا[٥] إلى كل مَنْ منه الأمر بالعبادة لهم والدعاء إلى ذلك وهم الشياطين، لأن من عبد دون الله أحدا إنما يعبده بأمر الشياطين[٦] ودعائهم إليه، فأما من كان يتبرأ من الأمر لهم بذلك وعبادتهم له فلا يحتمل. وذلك نحو قوله تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ،[٧] وقال إبراهيم لأبيه: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[٨]

---

[١] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.

[٢] ن: لهم.

[٣] ر ن م: يستعمل.

[٤] سورة الأنبياء، ١٠١/٢١.

[٥] ر م – راجعا.

[٦] ث + لأن من عبد دون الله.

[٧] ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ (سورة الفرقان، ١٧/٢٥-١٨).

[٨] سورة مريم، ٤٤/١٩.

ولا أحدَ يقصِد قصد عبادة الشيطان، لكن من عبد شيئا دون الله إنما يعبد بأمر الشيطان،[١] فإذا عبده بأمره فكأنه عبده. هذا وما ذكرنا كله يُبطل مجادلة الكفار فيما خاصموا. *والله أعلم*.

وقال بعضهم: ضرب المثل لعيسى عليه السلام هو أن الله تعالى لما ذكر عيسى عليه السلام في القرآن قال مشركو العرب من قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: ما أردتَ بذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد محمد أن نحبه[٢] ونَعْبده[٣] كما أحبت[٤] النصارى عيسى وعبدته، فقالوا: **أآلهتنا خير أم هو؟** فلا يصنع محمد ذلك بآلهتنا، فوالله لهن خير من عيسى، أو ما قالوا، فقال الله عز وجل: **ما ضربوه لك إلا جدلا**، أي إلا ليجادلوك بالباطل، وهو قول قتادة.[٥]

ويحتمل أن يكون ما ذكر من ضرب المثل بابن مريم عليهما السلام من قومه أعني قوم[٦] عيسى لا من[٧] قوم محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك أن قومه قد اختلفوا فيه؛ فمنهم من قال: إنه إله وإنه رب، ومنهم من قال: إنه ابن الإله، ومنهم من قال: إنه وأمه إلهان ونحو ذلك من الاختلاف الذي كان بينهم فيه، فيكون قوله: **ولما ضرب ابن مريم مثلا**، قال قومه على ما ذكروا فيه. ثم قال: **إذا قَوْمُك منه يَصِدُّون**، أي يُعرِضون من عيسى أو يَضِجُّون[٨] على ما ذكروا. *والله أعلم*. أو أن نَكُفَّ ونُمسك[٩] عن بيان ذكر المثل الذي ذكر في الآية لما لا حاجة إلى ذلك، وهو شيء ذكره أولئك الكفرة. *والله أعلم*. ثم قوله تعالى: **إذا قومك منه يصدون**، قرئ برفع الصاد وكسرها؛ قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: يصدون بالكسر: يَضِجّون، والتصدية منه، وهو التصفيق؛ ومن قرأ بالرفع يقول: يَعدِلون ويُعرِضون.[١٠]

---

[١] ث – ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن من عبد شيئا دون الله إنما يعبد بأمر الشيطان.

[٢] ن ث: أن يحبه؛ ر: أن تحبه.

[٣] ر م – ونعبده؛ ن ث: ويعبده. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١و. وفي جار الله: قال وخافوا لما يريد محمد أن يحبه وويعبده. نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩و.

[٤] ر ث م: كما أحب.

[٥] حدث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال: لما ذكر عيسى ابن مريم جزعت قريش، فقالوا: يا محمد ما ذكرك عيسى ابن مريم؟ وقالوا: ما يريد محمد إلا أن يصنع به كما صنعت النصارى بعيسى ابن مريم، فقال الله عز وجل: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا﴾. انظر: *تفسير القرآن* لعبد الرزاق، ٢/١٩٨. وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٠/٦٢٦-٦٢٧.

[٦] جميع النسخ – قوم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١و.

[٧] م: لأمر.

[٨] ر م: ويضجون.

[٩] جميع النسخ: أو أن يكف ويمسك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١و.

[١٠] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٠. وانظر لمختلف القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري* ٢٠/٦٢٣-٦٢٤.

وقوله عز وجل: **وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون**، هو يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما. *والله أعلم*.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل**، إن الله عز وجل أخبر أن عيسى عبد وليس إله ولا ما ذكره أولئك، بل عبد[1] أنعم هو عليه بالنبوة والعلم والحكمة وغير ذلك. وقوله: **وجعلناه مثلا لبني إسرائيل**،[2] أي عبرة وآية لبني إسرائيل، لما كان هو مولودا من غير والد ولما كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص وما كان من تكليمه الناس[3] وهو في المهد وغير ذلك من الآيات التي كانت خُصَّ هو[4] بها. *والله أعلم*.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون**، يخرج قوله:[5] **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة**، على وجهين. أحدهما أي لو نشاء لجعلنا من جوهركم وجنسكم ملائكة ليعلم أن إنشاءه الملائكة من النور على ما ذكر ليس ذلك منه استعانة بتلك النور لإنشاء الملائكة منه، لأنه[6] قادر بذاته لا يعجزه شيء ينشئ ما يشاء مم شاء كيف شاء. والثاني أي لو نشاء لجعلنا الملائكة بدلا منكم، نهلككم ونبدّل مكانكم ملائكة لا يعصون ولا يخالفون ولا يَفْتُرون عن العبادة ولا يستحسرون،[7] لكن لم يفعل ذلك لما ليس في عصيان من عصاه ولا مخالفة من خالفه له ضرر ولا بطاعة من أطاع واتبع أمره ونهيه نفعٌ، ولا أنشأ هذا العالم والخلق لحاجة نفسه ولا امتحنهم[8] بأنواع المحن لمنفعة نفسه ولا لمضرة يدفع بذلك عن نفسه،

---

[1] جميع النسخ - بل عبد. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٠٩ظ.

[2] ر ث م - إن الله عز وجل أخبر أن عيسى عبد وليس إله ولا ما ذكره أولئك أنعم هو عليه بالنبوة والعلم والحكمة وغير ذلك وقوله وجعلناه مثلا لبني إسرائيل.

[3] ر ث م: للناس.

[4] ر ث م - هو.

[5] جميع النسخ - ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون يخرج قوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.

[6] ر م - لأنه.

[7] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٩-٢٠).

[8] ث + بما.

ولكن أنشأهم وامتحنهم لحاجة أنفسهم. فإذا كان ما ذكرنا كان / إنشاء من[١] يعلم أنه يعصيه [٧٠٩ظ] ولا يطيعه حكمة؛ وفِعْلُ من يعلم في الشاهد أنه يضره ولا ينفعه سفه، لأنه إنما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه فصار فعله مع علمه ما ذكرنا يكون سفها، فافترق الأمران. *والله الموفق*.

ثم قوله تعالى: **ملائكةً في الأرض يَخْلُفون**، يحتمل وجهين. أحدهما أي[٢] يخلف[٣] الملائكة بعضهم بعضا قرنا على قرن بالتناسل والتوالد كالبشر يخلف بعض بعضا قرنا عن قرن بالتناسل والتوالد، إذ ليس في الملائكة توالد وتناسل. والثاني **يخلفون**، أي يكونون خلفا وبدلا عنكم بعد هلاككم على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وإنه لَعِلْم للساعة**، وعَلَم لِلسَّاعَةِ، كلاهما قد قُرِئا. ثم اختلف في ذلك؛ فمنهم من يقول: هو عيسى يكون نزوله من السماء عِلْما للساعة وآية لها، فيكون على هذا هو صلة ما تقدم من قوله: وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ،[٤] كأنه قال: وجعلناه مثلا، أي آية وعبرة لهم على ما ذكرناه، وجعلناه أيضا علما للساعة. وقال بعضهم: قوله: **وإنه لعلمٌ للساعة**، أي محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن عِلْم للساعة لأنه به خَتَم النبوة والرسالة، وقال: «أنا والساعةُ كهاتين»، وأشار إلى إصبعين من يده،[٥] وإنما بعثه الله تعالى عند قرب الساعة فهو عَلَم للساعة.[٦] ثم من قرأ: لَعَلَم للساعة بالتثقيل فمعناه العلامة لها والدليل عليها. ومن قرأ: علم الساعة بالجزم فمعناه يعلم به قرب الساعة.[٧]

وقوله: **فلا تَمْتَرُنَّ بها**، أي لا تَشُكُّنَّ[٨] بالساعة فإنها كائنة لا محالة، وعلى ذلك يقولون في بعض التأويلات في قوله تعالى: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا،[٩] أي أعلامها، أي محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل التحيات. وقوله: **واتبعونِ هذا صراط مستقيم**. فإن كان قوله: **وإنه لعلمٌ للساعة**،

---

[١] ر م: ما.
[٢] م - أي.
[٣] ن + أي يخلف.
[٤] الآية ٥٩ من هذه السورة.
[٥] ن: من مده. صحيح *البخاري*، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الفتن ٢٧.
[٦] ن: علم لها.
[٧] وانظر لمختلف القراءات في هذه الآية: *تفسير الطبري* ٦٣٤/٢٠.
[٨] ن: لا تشك.
[٩] سورة محمد: ١٨/٤٧.

هو محمداً[1] صلى الله عليه وسلم فكأنه قال عليه السلام: أنا علم للساعة وقريب منها فاتبعوني؛ وإن كان عيسى عليه[2] السلام، يقول:[3] إنه علم للساعة وآية لها فاتبعوني قبل أن يخرج وينزل.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٦٢]

وقوله: **لا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين**، ويحتمل قوله تعالى: **ولا يصدنكم الشيطان**، عن الإيمان بالساعة وكونها، فإنه لكم عدو مبين. ويحتمل لا يصدنكم عن محمد وعن الصراط المستقيم الذي ذكر، فإنه عدو مبين، بَيّن عداوته إياكم. ***والله أعلم***.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **ولما جاء عيسى بالبينات**، الآية. قال[4] أهل التأويل: بيناته هي ما كان يأتي به من نحو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإنباء[5] ما يأكلون وما يدخرون[6] ونحو ذلك. والأصل في آيات الأنبياء والرسل عليهم السلام أنها كانت من وجوه ثلاثة تُلزِمهم[7] التصديقَ بهم. أحدها ما يأتون بالذي[8] في كل شيء صغُر أو عظُم، دلالة ذلك ما يعلم كل ذي لُبّ وعقلٍ على أن ذلك حكمة وحق[9] عليهم اتباعهم في ذلك، وهو[10] توحيد الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به. ***والله أعلم***. والثاني كانت في أنفسهم وأحوالهم التي كانوا عليها بينات تُلزِمهم[11] تصديقهم، وهو أنهم نشأوا[12] بين أظهرهم وكانوا فيهم طول عمرهم، فلم يؤخذ عليهم كَذِبٌ قطَ ولا ظَهرَ منهم ما يرجع إلى دناءة الأخلاق ولا شيءٍ من ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: محمد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.
[2] ر ث م + على نبينا وعليه.
[3] أي محمد عليه السلام.
[4] ر م: وقال.
[5] ر: وإما.
[6] ن: وما تدخرون. انظر: سورة آل عمران، ٤٩/٣.
[7] جميع النسخ: يلزمهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.
[8] جميع النسخ - بالذي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١١ظ.
[9] ر م: وعقل.
[10] ن: وهي توجب.
[11] جميع النسخ: يلزمهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.
[12] جميع النسخ: لبثوا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١١ظ.

والثالث ما كانوا يأتون من الأفعال والمعجزة الخارجة عن توهم العباد والمعتاد من فعلهم ما يُلزِم كلَّ مُنْصِف قبولها.[١] فعلى هذه الوجوه التي ذكرنا كانت آيات الرسل عليهم السلام. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قال قد جئتكم بالحكمة**. قال بعضهم: الحكمة هاهنا هو الإنجيل، وقد ذَكَر في آية أخرى الكتاب والحكمةَ حيث قال: وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ.[٢] ثم جائز أن يكون الكل واحدا، وجائز أن يكون الكتاب ما يكتب ويتلى والحكمة ما أُودِع في المَتْلُوّ والمكتوب من المعنى. *والله أعلم*. ويحتمل أن تكون[٣] الحكمة راجعة إلى كل ما يوجب العقل القول به وقبولَه،[٤] وقد ذكرنا فيما تقدم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه**. قال بعضهم: أي أبين لكم كل الذي تختلفون[٥] فيه، إذ لا يجوز أن يبين بعضا ويترك البيان لبعض؛ وقد يُذْكَر البعض ويراد به الكل نحو ما يقال في كثير من المواضع: الخطاب للرسول عليه السلام والمراد بذلك أمته. ويحتمل أن يكون المراد من البعض هو البعض نفسه لا الكلَّ. ثم هو يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها أي أبين لكم بعض ما تختلفون فيه ثم يأتيكم رسول من بعدي ويبين لكم باقيَ ذلك، أو كلام نحوه. لأنه لم يقل: أبين لكم بعض ما اختلفتم فيه ولكن قال: بعض الذي تختلفون[٦] فيه، فهو في الظاهر على الاستقبال. والثاني يقول: أبين لكم الأصول ما تقدرون على استخراج الفروع من تلك الأصول. *والله أعلم*.[٧] والثالث يقول: أبين لكم بعض[٨] الذي تختلفون فيه، وهو[٩] يرجع إلى أمر الدين دون الراجع إلى أمر المعاش. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله وأطيعونِ**، فيما آمركم به وأدعوكم إليه وأنهاكم عنه. / ويحتمل [٧١٠و] أن يكون يقول: اتقوا مهالككم والْزَموا ما به نجاتكم وأطيعونِ في ذلك.

---

[١] ر م: من فعلهم لا يلزم كل ضعف.
[٢] سورة المائدة، ٥/١١٠.
[٣] جميع النسخ: أن يكون.
[٤] ر م: وقوله.
[٥] ن: يختلفون.
[٦] ن: يختلفون.
[٧] ن – والله أعلم.
[٨] ر م – بعض.
[٩] ن: هو.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه**، ذكر هذا[١] ليعلموا أنه وإن عظم قدره عند الله وجلّت منزلته[٢] عنده فإنه لم يخرج[٣] من العبودة وإنه عبد[٤] الله ليس بإله ولا ابنٍ له على ما زعم أولئك الكفرة.[٥] *والله الهادي*.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **فاختلف الأحزاب من بينهم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون حرف "مِنْ" صلة زائدة، ومعناه فاختلف الأحزاب بينهم،[٦] والاختلاف فيما بينهم في عيسى أمر ظاهر بين. والثاني **فاختلف الأحزاب من بينهم**، أي اختلف الأحزاب مِن اختراع كان منهم فيما بينهم، أو كلام نحوه، ولذلك كان الاختلاف الواقع بينهم إنما كان باختراعٍ من ذات أنفسهم، لا أن كان ذلك سماعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام. ولذلك نَهي هذه الأمة عن الاختلاف والتفرق حيث قال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ.[٧] وقد اختلفت[٨] هذه الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن العرب ارتدت وامتنعت عن أداء الزكاة وقالت ما قالت: إنها أخت الجزية،[٩] حتى قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على ذلك، واتبعه سائر الصحابة على ذلك، حتى قاتل الرجال وسَبَى النساء والذراريَّ. وظهرت أيضا الخوارج في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتلهم علي رضي الله عنه[١٠] على ذلك، حتى اجتمعوا على الوفاق، وغير ذلك من الاختلاف والتفرق الذي كان ظهر ووقع فيما بينهم.

---

[١] ن ت + لهم.

[٢] ر ت م: صولته.

[٣] ر م: فإنه يخرج.

[٤] ر م: عبيد.

[٥] ت + والله أعلم.

[٦] ن – هذا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون حرف من صلة زائدة ومعناه فاختلف الأحزاب بينهم.

[٧] سورة آل عمران، ١٠٥/٣.

[٨] ر م: وقد اختلف.

[٩] جميع النسخ – لأن العرب ارتدت وامتنعت عن أداء الزكاة وقالت ما قالت إنها أخت الجزية. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١١ظ.

[١٠] ر م – فقاتلهم علي رضي الله عنه.

وكان في ذلك دلالةُ الرسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه[١] ذكر عز وجل في كتابه أنهم يختلفون بعد وفاته وأنهم ينقلبون على أعقابهم حيث قال: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[٢] الآية، وقال في ارتدادهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ،[٣] هذا في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقال[٤] في علي كرم الله وجهه: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا،[٥] الآية. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقاتِل هذا بالتأويل كما نقاتِل نحن على التنزيل" يعني عليا رضي الله عنه.[٦] وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والتفرق والتنازع في الدين من الانقلاب على الأعقاب والارتداد والامتناع من أداء[٧] الزكاة وإتيان ما ذكر من قوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين وغلبة[٨] حزب الله وأهل توحيده على أولئك. ففي ذلك كله دلالة إثبات الرسالة، إذ خرج على ما أخبر صلى الله عليه وسلم وذكر في المستقبل. ***والله أعلم.***

ثم إن الله تعالى بفضله وبرحمته رفع ذلك الاختلاف والتفرق والتنازع من بينهم وجمعهم على ألفة وحب،[٩] ولم يرفع من بين أولئك فقال: **فاختلف الأحزاب من بينهم.** والأحزاب الفِرَق الذي تحزبوا، أي تفرقوا، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٠]

وقوله عز وجل: **فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم،** هي ظاهرة.

---

[١] ن: إنه.

[٢] سورة آل عمران، ١٤٤/٣.

[٣] سورة المائدة، ٥٤/٥.

[٤] م + بعضهم.

[٥] سورة المائدة، ٥٥/٥.

[٦] عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانقطعت نعله فتخلّف عليّ يَخْصِفها، فمشى قليلا ثم قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله». فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا، ولكن خاصفُ النعل»، يعني عليا. فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. *المستدرك*، ١٤٢/٣. وانظر أيضا: *السنن الكبرى* للنسائي، ٤٦٥/٧-٤٦٦؛ وصحيح *ابن حبان*، ٣٨٥/١٥.

[٧] جميع النسخ: من إتيان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١١ظ.

[٨] ن: وعلية.

[٩] م: وحبة.

[١٠] انظر مثلا: تفسير الآيات ١٠٣، و١٠٤، و١٠٥ من سورة آل عمران؛ وتفسير الآيات ٥٤، و٥٥ من سورة المائدة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة**، أي فجأة، **وهم لا يشعرون**، هذا إخبار عن قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، يقول: ما ينظرون إلا الساعة وتأتيهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون[١] بإتيانها وقيامها.[٢] *والله أعلم*.

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**، يحتمل قوله: **إلا المتقين**، الموحدين، فيكون خُلَّة أهل الكفر فيما بينهم في الدنيا عداوة في الآخرة، لقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا،[٣] وما ذكر في غير آي من القرآن لَعْنَ بعضهم عن[٤] بعض وتَبَرُّأ بعضهم عن بعض، كقوله تعالى: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[٥] الآية. وأما خُلَّة الموحدين المؤمنين فيما بينهم فهي خلة في الدارين جميعا، هذا يحتمل. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قوله: **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**، استثنى خلة من اتقى النار بنفسه ووَقَى صاحبَه أيضا بما أمره بالطاعات لله تعالى والقيام بالخيرات وزَجَره عن معاصيه ومخالفة أمره، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[٦] أمرهم بوقاية أنفسهم وأهليهم.[٧] وإنما يَقُونَ ذلك النار بالقيام بالأسباب التي أُمِروا على القيام بها والامتناع والانتهاء عما نهوا عنها وزُجروا منها. فكل خُلّة فيما بين المؤمنين على هذا الوجه فهي خلة ومودة في الدارين جميعا لا يصير عداوة، لأنها لله تعالى وطلب مرضاته. فأما الخلة التي تكون[٨] فيما بينهم للدنيا فهي تصير عداوة أيضا على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ر ن م – هذا إخبار عن قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون يقول ما ينظرون إلا الساعة وتأتيهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون.

[٢] ن – وقيامها.

[٣] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥.

[٤] ن ث: على.

[٥] ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ٢/١٦٦).

[٦] ر م + أمرهم بوقاية أنفسهم وأهليكم نارا. سورة التحريم، ٦٦/٦.

[٧] ر: وأهليكم.

[٨] ن: يكون.

وقد روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأخلاء أربعة: مؤمنان وكافران، فمات أحد المؤمنَين فيُسْأل عن خليله فقال: "اللهم لم أر خليلا آمَرَ بمعروف ولا أَنْهَى عن منكر منه، اللهم اهده كما هداني وأَمِتْه على ما أَمَتَّنِي، فإنه كان يأمرني بالمعروف والخيرات والطاعة لك وينهاني عن المنكر والشر والمعصية لك". ومات أحد الكافرَين فيُسْألَ عن خليله فقال: "اللهم لم أر خليلا آمَرَ بمنكر ولا أَنْهَى عن معروف منه، اللهم أَضِلَّه / كما أَضَلَّنِي[1] وأَمِتْه كما أَمَتَّنِي عليه".[2] قال: ثم يبعثون يوم القيامة فقال: "لِيُثْنِ[3] بعضكم على بعض"؛ فأما المؤمنان فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء حسنا، وأما الكافران فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء قبيحا». وعلى هذا السبيل روي هذا الحديث عن علي رضي الله عنه.[4] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أَحِبَّ في الله وأَبْغِضْ في الله ووادَّ في الله ووالِ في الله وعادِ في الله،[5] فإنما تنال[6] ولاية الله في ذلك، لا تنال[7] ما عند الله إلا بذلك، وقال: ولن يجد عبدٌ طَعْمَ الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه وصدقته حتى يكون كذلك، وقد صار عامة مؤاخاة الناس اليوم على الدنيا، وذلك لا يُجزئ عن أهله شيئا. ثم قرأ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين،** وقرأ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ،[8] الآية.[9] فقول ابن عباس يومئ إلى أن كل خُلّة ومؤاخات فيما بين المؤمنين للدنيا فهي تصير عداوة في الآخرة. **والله أعلم.**

[٧١٠ظ]

---

[1] ر م: كما أضله.

[2] ر م – عليه.

[3] ر م: لعن.

[4] أخرجه ابن المبارك عن علي رضي الله عنه. انظر: *زيادات كتاب الزهد* لابن المبارك، ١٠٧. وانظر أيضا: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٦/١٣.

[5] ر م – وعاد في الله.

[6] جميع النسخ: فإنما ينال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٢ظ.

[7] جميع النسخ: لا ينال. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٢ظ.

[8] سورة المجادلة، ٢٢/٥٨.

[9] أخرجه العدني ومحمد بن نصر المروزي عن ابن عباس رضي الله عنهما بقريب من العبارة هكذا (واللفظ من *الإيمان* للعدني): عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: «أحب في الله وأبغض في الله ووال في الله وعادِ في الله فإنما تنال موالاة الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طَعْمَ الإيمان ولو كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجْدِي عن أهله». ثم قرأ ابن عباس هاتين الآيتين: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وقرأ: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾. انظر: *الإيمان* للعدني، ١٥٥/١؛ و*تعظيم قدر الصلاة* لمحمد بن نصر المروزي، ٤٠٦/١.

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون**، أي لا خوف عليكم خوف الغِيَر،[1] كقوله تعالى: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.[2] **ولا أنتم تحزنون**، أي لا خوف عليكم خوف الأحوال، أي لا حزن لهم في حال كونهم فيها ولا لهم فيها خوف غِيَرِ ذلك ولا زوالُه عليهم، لأن خوف الزوال مما يُنَغِّص[3] صاحبه النعمة التي هي له. يخبر أن ذلك دائم باق لا زوال له ولا فناء.[4] *والله أعلم*.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**. والإشكال أنه[5] سماهم مؤمنين مسلمين بالآيات، والإيمان والإسلام يكون بالله تعالى؟ فنقول: لأن الإيمان هو التصديق في اللغة بما أنبأت الآيات بوحدانية الله وألوهيته، لأن جهة سبيل معرفة الله تعالى وطريقَ العلم به إنما هو بالآيات والحجج التي أقامها على ذلك، ليس من جهة العِيان والمشاهدة. فالإيمان بالآيات والتصديق بها تصديق بالله حقيقة وإيمان به. *والله أعلم*. وقوله: **وكانوا مسلمين**، ظاهر هذا يوهم أن الإيمان والإسلام غيران، لكنّ هذا من حيث ظاهر العبارة؛ فأما في الحقيقة هما يرجعان إلى معنى واحد، لأن الإسلام هو جعل كل شيء لله تعالى سالما لا يُشرك فيه غيره، كقوله تعالى: وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ،[6] أي خالصا سالما لا حق لأحد فيه سواه. والإيمان هو الوصف له بالربوبية في كل شيء لله تعالى سالما، ومعناهما في الحاصل والتحقيق يرجع إلى معنى واحد، لأنك إذا وصفته بالألوهية والربوبية في كل شيء جعلت كل شيء[7] لله تعالى سالما، وإذا جعلت كل شيء لله تعالى سالما وصفته بالألوهية والربوبية في كل شيء، فدل أن حاصل الإيمان والإسلام واحد وإن كانا من حيث ظاهر العبارة مختلفَين. *والله الموفق*.

---

[1] الغِيَر من تغير الحال (*لسان العرب*، «غير»).

[2] سورة الكهف، ١٨/١٠٨.

[3] ر م: مما يبغض؛ ن: مما ينغض. نَغِص ينغَص نَغَصًا: لم تَتِمّ له هَناءَتُه، وأكثره بالتشديد: نُغِّص تَنْغِيصًا. وقيل: النَّغَص كَدَر العيش، وقد نَغَّص عليه عَيْشَه تَنْغِيصًا، أي كَدَّره (*لسان العرب*، «نغص»).

[4] ن: دائم باقي لا زوال ولا فناء؛ ث: دائم يأتي لا زوال له ولا فناء.

[5] ر ث م: أنهم.

[6] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٢٩).

[7] ر م - جعلت كل شيء.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون.** يحتمل الأزواجُ من[1] وجهين. أحدهما الأزواج المعروفة، وهي الأهل، لما وَقُوهُمْ في الدنيا عن الأسباب التي بها يستوجبون النار، كقوله تعالى: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا.[2] ويحتمل أن يكون أزواجُهم الذين ذكرهم القرناءَ والأشكالَ الذين[3] أعانوهم على الأعمال الصالحة التي بها نالوا الجنة، كقوله تعالى: أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[4] أزواجُهم[5] هاهنا قرناؤهم وشركاؤهم الذين أعانوهم على ذلك. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **تُحْبَرون**، قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: أي تُسَرون،[6] والحَبْرَة السرور.[7] وقال بعضهم: **تحبرون**، أي تُكرَمون[8] وتُنعَمون،[9] وهو ما ذكرنا أن[10] ليس عليهم خوف الزوال والفناء ولا حزنُ الحال. *والله أعلم*.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب**، يحتمل ذكر الصحاف من الذهب[11] والأكواب وجوها. أحدها ذَكَر ذلك لهم في الآخرة ترغيبا لهم فيها وتحريضا لما يرغبون بمثل ذلك ليُرغِّبهم نيلُ ذلك[12] إلى السعي للآخرة. *والله أعلم*.[13] والثاني يحتمل إنما ذكر ذلك لأن أهل الدنيا كانوا يتفاخرون[14] بهذه الأشياء في الدنيا، فيخبر أن لأوليائه ذلك في الآخرة،

---

[1] ن – من.
[2] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[3] جميع النسخ: ويحتمل الأزواج التي ذكر القرناء والأشكال التي. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة، ٢١٢ظ.
[4] سورة الصافات، ٣٧/٢٢.
[5] ر م – أزواجهم.
[6] ر ن م: يسرون.
[7] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٠.
[8] ر ن م: يكرمون.
[9] ن: وينعمون.
[10] ر م: أي.
[11] ن + من الذهب.
[12] ر م – ليرغبهم نيل ذلك.
[13] ن: بمثل ذلك في الدنيا ليرغبهم نيل ذلك إلى السعي والله أعلم.
[14] ن: يتأخرون.

وذلك دائم وهذا فان، ولا عبرة للفاني[1] ولا معنى للافتخار به. و[الثالث] يحتمل أنه ذكر ذلك لأنه[2] حَرَّم عليهم الانتفاع في الدنيا باستعمال الذهب والفضة والحرير، فأخبر أن لهم الانتفاعَ بذلك في الآخرة التي هي دار التنعم؛ فأما ما سوى ذلك من الفُرُش والأواني فإنه لا بأس بذلك، وهو مباح في الدارين جميعا.

وأما ذكر الأكواب[3] يحتمل للترغيب على ما ذكرنا لأنهم يَتَمَنَّوْن ويرغبون فيها في الدنيا. والثاني يخبر أن لا مئونة عليهم في حمل الأواني ورفعها عند الشُّرب والأكل ولا يتولون ذلك بأنفسهم، ولكن[4] الخدام هم الذين يتولون سَقْيَهم. الصِّحاف جمع الصَّحْفَة، وهي القصعة التي ليست بضَخْمَة. والأكواب الأباريق التي لا عُرَى لها ولا خراطيم، واحدها كُوب، ويقال: كيزان لا عُرَى لها، قاله أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي.[5]

وقوله عز وجل: **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين**، فذلك في الجنة ليس كنعيم الدنيا، لأن في الدنيا قد يشتهي شاربها ولا تَلَذُّ به[6] العيون. *والله أعلم*. ويحتمل أنه إنما ذكر ذلك في الآخرة لما مُنِعوا وحُرِموا في الدنيا ما اشتهت أنفسهم الانتفاع به والتلذذ عِوَضًا وبدلا عما كَفُّوا أنفسهم في الدنيا عن الانتفاع بذلك وإعطاءِ الأنفس شهواتها.[7] أو حرموا ومنعوا وحِيلَ بينهم وبين ذلك وتَلَذّ[8] به الأعين لما غَضُّوا أبصارَهم / في الدنيا عما لا يحل. *والله أعلم*. [٢١١و]

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**، إن الله عز وجل بفضله عوّد عباده لما كان منه من الإحسان والإنعام إليهم،[9] كأن[10] ذلك كله منهم إليه فضلا ومنة،[11]

---

[1] م + ولا عبرة.
[2] ن – لأنه.
[3] ن: الأبواب.
[4] ر م: لكن.
[5] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٠.
[6] ر ن م: ولا تلذذه.
[7] جميع النسخ – شهواتها. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.
[8] م: وتلذذ.
[9] جميع النسخ – إليهم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٣و.
[10] ر م: كأنه.
[11] ر ث م: منه.

حيث نسب الجنة التي يعطيهم إلى أعمالهم التي عملوها وإن كانوا لا يستوجبون الجنة وما فيها بالأعمال حقيقة، ولذلك ما ذُكر في الخبر عن نبي الله أنه قال: «لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يَتَغَمَّدَنِيَ الله برحمته».[١] أخبر أَنْ لا أحدَ يدخل الجنة إلا برحمته، لكنه نسب الجنة التي يعطيهم وما ذكر من الثواب إلى أعمالهم فضلا منه وإنعاما. وكذلك ما ذكر من قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ،[٢] ذكر أنه اشترى أنفسهم وأموالهم بالجنة التي يعطيهم، وأنفسُهم وأموالُهم في الحقيقة له، ولا أحد يشترى ملكه وماله[٣] بمال نفسه وملكه، لكنه ذكر ذلك شِرَاءً إفضالا منه كأنْ لا ملك له في ذلك ولا حقَّ. وكذلك ما ذكر من الإقراض له بقوله: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا،[٤] ولا أحد يستقرض ماله وملكه من غيره، لكنه عاملهم معاملة من لا ملك له في أموالهم وأنفسهم بما جعل لهم من الثواب والعوض. فعلى ذلك نِسْبَة[٥] الجنة والثواب الذي ذكر لهم إلى أعمالهم إفضالا منه وإنعاما وإن لم يستوجبوا ما ذكر بالأعمال.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٧٣]

وقوله: **لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون**، مثل هذا الوعد كأنه إنما جاء لأهل مكة فكان لا فواكه لهم فيها ولا ثمار، يخبر أن لكم في الجنة من الفواكه الكثيرة[٦] ما لا يفنى ولا ينقطع؛ **منها تأكلون**،[٧] ما شئتم فلا يؤذيكم ولا يضركم وإن أكثرتم. ويحتمل أنه[٨] إنما ذكر لما عرف من رغبة الناس إلى الفواكه والثمار في الدنيا رغبهم بها في الآخرة وحثهم على دفع ذلك لهم. **والله أعلم.**

---

[١] مسند أحمد بن حنبل، ٥٢/٣؛ وصحيح البخاري، الرقاق ١٨؛ وصحيح مسلم، المنافقين، ٧٨-٧٣؛ واللفظ من المسند.

[٢] سورة التوبة، ١١١/٩.

[٣] ر م: ومال.

[٤] ﴿إن المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يُضَاعَف لهم ولهم أجر كريم﴾ (سورة الحديد، ١٨/٥٧).

[٥] جميع النسخ: يشبه. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.

[٦] جميع النسخ: كثيرة. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٣ظ.

[٧] ر م + ما تأكلون.

[٨] جميع النسخ – أنه. والزيادة من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٧٤]

وقوله: **إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون**، الإجرام هو الكسب في اللغة، والمجرم الكاسب؛ يرجع ذلك إلى كل كاسب مما جل أو دَقّ، إلا أن الناس عَرَفُوا من العذاب المذكور للمجرم الخاص وهو الكافر المشرك،[١] فلا يجوز صرفه إلى كل كاسب. ***والله أعلم***.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **لا يفتر عنهم**، يذكر هذا ليعلم أن النار وإن أنْضَجتْ جلودَهم وأحرقتهم لا يفتر التألم عنهم بنضج الجلود، بل التوجع والتألم بعد[٢] نضج جلودهم واحتراقها على ما كان قبل النضج. ***والله أعلم***. قال: **وهم فيه مبلسون**، قال بعضهم: المبلس الآيس؛[٣] وقال بعضهم: المبلس المستسلم[٤] الذليل الخاضع؛ وقال الزجاج: المبلس هو الساكت عن الكلام كمن لا يرجو الفرح من نطقه، لأن من يتكلم إنما يتكلم لفرح يرجو من نطقه، أو كلام نحوه.[٥]

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **وما ظلمناهم**، أي ما ظلمناهم[٦] في التعذيب الذي يعذبون؛ **ولكن كانوا هم الظالمين**، أي[٧] ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم حيث عبدوا من لا يملك دفع العذاب عنهم وتركوا عبادة من يملك دفع ذلك عنهم. ***والله أعلم***. ويحتمل وما ظلمناهم في ترك البيان عليهم، أي لم نترك[٨] بيان ما عليهم وما لهم، بل بينا لهم عاقبة السبيلين جميعا أنه إلى ماذا[٩] تفضى[١٠] عاقبة هذا الأمر وعاقبة[١١] هذا السبيل، ولكن هم ظلموا أنفسهم حيث اختاروا السبيل الذي أفضاهم إلى ذلك. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: للشرك.
[٢] ر: بل.
[٣] ث + وقال بعضهم: المبلس الآيس.
[٤] جميع النسخ – المستسلم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ.
[٥] انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٤/٤١٩.
[٦] ر ث م – أي ما ظلمناهم.
[٧] جميع النسخ – أي. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٣ظ.
[٨] ن: لم يترك.
[٩] ر م: إلى ذلك ذا.
[١٠] جميع النسخ: يفضى.
[١١] ر ث م – هذا الأمر وعاقبة.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون**، كأنهم يقولون: يا مالك، سل ربك ليقض علينا بالموت! يفزعون أوّلا إلى المؤمنين، وهو قولهم: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ؛[1] فلما أيسوا من ذلك يفزعون إلى الملائكة، وهو قولهم: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، حتى يقولوا لهم: أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؛[2] فلما أيسوا منهم يفزعون إلى الله تعالى يسألون الرجوع إلى المحنة ليعملوا غير الذي عملوا بقولهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[3] فلما أيسوا عن ذلك عند ذلك[4] يفزعون إلى مالك ليسأل ربه ليقضي عليهم بالموت فقال: **إنكم ماكثون**، وهو ما قال عز وجل: لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا،[5] الآية.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **لقد جئناكم بالحق**، هذا على إثر ما ذكر، كقوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا، على إثر قوله: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ،[6] الآية. يحتمل أن يكون القولان جميعا من الله تعالى، أعني قوله تعالى: **لقد جئناكم بالحق**، وقوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا. ***والله أعلم***. ويحتمل[7] أن يكون القولان[8] جميعا من الملائكة، إذ جائز إضافة الرسل إلى الملائكة، إذ هم رسل، كقول الناس:[9] رسولنا فعل كذا وقال كذا.[10] ***والله أعلم***.

---

[1] ﴿ونادى أصحابُ النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).

[2] جميع النسخ – فلما أيسوا من ذلك يفزعون إلى الملائكة وهو قولهم أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٣ظ. ﴿وقال الذين في النار لِخَزَنَةِ جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٩-٥٠).

[3] سورة فاطر، ٣٥/٣٧.

[4] ر م – عند ذلك.

[5] سورة فاطر، ٣٥/٣٦.

[6] ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٥٠-٥١).

[7] ر ث م: ويكون؛ ن: ويجوز. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.

[8] جميع النسخ: العذاب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٤و.

[9] ر م: إن هم إلا رسل الناس؛ ث: إن هم رسل كقول الناس.

[10] ر م – وقال كذا.

ثم قوله: **لقد جئناكم بالحق**، الحق كل ما يُحْمَد فاعله[1] عليه ويَحْمَد هو عاقبةَ ذلك الفعل، والباطل كل ما يُذَمّ عليه[2] فاعله ويَذُمّ هو عاقبته.[3] *والله أعلم*. ثم الحق المذكور يحتمل القرآن، ويحتمل الرسول،[4] ويحتمل الحق ما تركوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما دعاهم إليه ويقولون: الحق هو الذي عليه آباؤنا، وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ. ثم قال: أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ،[5] وقال هاهنا:[6] / **لقد جئناكم بالحق**، أي جئناكم بما هو أهدى وأحق مما عليه آباؤكم. [٧١١ظ]

وقوله: **ولكنّ أكثرَكم للحق كارهون**. فإن قيل: كيف قال: **ولكن أكثركم للحق كارهون**، وإنما خاطب به أهل النار، وكانوا جميعا كارهين للحق؟ نقول:[7] إنه يخرج على وجهين. أحدهما أن أكثرهم قد عرفوا أنه الحق، لكنهم كرهوا وتركوا[8] اتباعه والانقياد له عنادا منهم ومكابرة بعد ظهور الحق عندهم وتَبَيُّنه[9] لديهم مخافة ذهاب الرياسة عنهم وزوالِ مأكلتهم، ولم يظهر لأقلهم ولم يعرفوا. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون ما ذكر من كراهة أكثرهم للحق بحق الطباع بما[10] كان في طباع أكثرهم كراهة ذلك الحق. *والله أعلم*.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون**، قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف الاستفهام من الله عز وجل على الإيجاب والإلزام، فكأنه قال عز وجل: قد أبرموا أمرا فإنا مبرمون.[11] ثم يحتمل أن يكون ما ذكر من إبرامهم أمرا[12] ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله تعالى:

---

[1] جميع النسخ – فاعله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.

[2] ث – عليه.

[3] ر م: عاقبة.

[4] ر م – ويحتمل الرسول.

[5] الآية ٢٣ و٢٤ من هذه السورة.

[6] م + لقد جئناكم.

[7] ر ث م: يقول.

[8] جميع النسخ – وتركوا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.

[9] م: وتنبيه.

[10] جميع النسخ – بما. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.

[11] جميع النسخ – قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف الاستفهام من الله عز وجل على الإيجاب والإلزام فكأنه قال عز وجل قد أبرموا أمرا فإنا مبرمون. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٤و.

[12] ر م: أمر.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[1] إبرامُهم أمرًا هو مكرهم الذي[2] مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون إبرامهم الذي ذكر غيرَ ذلك. وكيف ما كان[3] ففيه وجهان من الدلالة. أحدهما ليعلموا أن الله تعالى عالم سميع بما يُبرمون فيما بينهم من أمرٍ سرا، لأنه في ظنهم أن الله لا يعلم ولا يسمع ما يُبرمون من الأمر سرًا، ولذلك قال تعالى: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ.[4] والثاني فيه[5] دلالة إثبات الرسالة، لأنهم أبرموا ذلك الأمر فيما بينهم سرا، ثم أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أبرموا وأحكموا من الأمر ليعرفوا أنه إنما علم ذلك بالله تعالى.

وقوله عز وجل: **فإنا مبرمون**، يحتمل فإنا جازون جزاء إبرامهم. ويحتمل **فإنا مبرمون**، أي إلينا يرجع تدبير إبرامهم الأمرَ ومَكْرُهم جميعا، وعلى ذلك قوله: فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا،[6] على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم**، أي بل يحسبون، على ما ذكرنا أن حرف الاستفهام منه يخرج على الإيجاب، كأنه قال: بل يحسبون. ألا ترى أنه قال: **بلى ورسلنا**.

وقوله: **بلى ورسلنا لديهم يكتبون**، هذا وعيد وتنبيه منه لهم، يخبر أن رسله يكتبون[7] ما يُسِرّون ويُخفون من المنكر وغيره ليكونوا أبدا على حذر ويقظة. *والله أعلم*.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٨١]

وقوله: **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**، يخرج قوله: **قل إن كان للرحمن ولد**، على وجهين[8] أحدهما[9] أي ما كان للرحمن، أي وليس للرحمن ولد. ثم يخرج قوله:

---

[1] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ويمكرون ويمكر الله﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[2] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[3] ث: وكيفما كان.
[4] الآية التالية.
[5] ن - فيه.
[6] سورة الرعد، ١٣/٤٢.
[7] ر: تكتبون.
[8] ر ن م: يخرج هذا على وجهين؛ ث: يخرج على وجهين. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[9] م - أحدهما.

فأنا أول العابدين، على هذا التأويل على وجهين. أحدهما ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين[1] له بالتعالي[2] والتنزيه عن الولد، أي فأنا[3] أول من يعبد الرحمن بالإيمان والتصديق أنه ليس له ولد، على هذا أعبد الله تعالى. والثاني ما كان للرحمن ولد **فأنا أول العابدين**، أي أنا أول[4] الآنفين، وهو مِنْ عَبِد يَعْبَد، أي أَنِف يَأْنَف،[5] فيكون هذا تنزية تصريحٍ عن الولد، والأولُ تنزيها[6] له بالكناية. هذا إذا كان معنى قوله: **قل إن كان للرحمن ولد**، ما كان للرحمن ولد، أو ليس للرحمن ولد.

والثاني **قل إن كان للرحمن ولد**، أي لو كان للرحمن ولد؛[7] ثم قوله عز وجل: **فأنا أول العابدين**، يخرج على هذا[8] التأويل أيضا على وجهين. أحدهما أي لو كان للرحمن[9] ولد على زعمكم وعلى ما عندكم فأنا أول من تبرأ[10] عن أن يكون له ولد، وأدعوكم إلى الرحمن الذي لا ولد له، وهو كقوله تعلى: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[11] أي أين[12] شركائي الذين[13] تزعمون أنتم أنهم شركاء، وقولِه تعالى: وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا،[14] أي انظر إلى إلهك الذي هو في زعمك إله. والثاني يحتمل أن يقول له: قل: لو كان يجوز أو يحتمل أن يكون له ولد فأنا أول من أعبده على ذلك، أو أول من أقول أنا بذلك، فإذ لم أقل بذلك وأنا رسول الله فظهر أنه لا يحتمل ولا يجوز أن يكون له ولد،

---

[1] ث – التأويل على وجهين أحدهما ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين.
[2] ن + له.
[3] م: أو فأنا.
[4] جميع النسخ – العابدين أي أنا أول. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٤ظ.
[5] أنف من الشيء يأنف أنفا إذا كرهه (*لسان العرب*، «أنف»).
[6] جميع النسخ: تنزيه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤و.
[7] جميع النسخ – أو ليس للرحمن ولد والثاني قل إن كان للرحمن ولد أي لو كان للرحمن ولد. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٤ظ.
[8] جميع النسخ – هذا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٤ظ.
[9] م – للرحمن.
[10] ر ن م: أتبرأ.
[11] ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ (سورة القصص، ٦٢/٢٨، ٧٤).
[12] ر: لئن.
[13] ر م – الذين.
[14] ن – أي أين شركائي الذين تزعمون أنتم أنهم شركاء وقوله تعالى وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا. سورة طه، ٩٧/٢٠.

وهو كقوله تعالى: لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ [سُبْحَانَهُ]،[١] أي لو كان يجوز أن يريد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ممن عنده وممن شاء لا[٢] مما هو عندكم ومما تختارون[٣] أنتم، لكن لا يحتمل ولا يجوز أن يتخذ ولدا. وقال بعضهم: قوله تعالى: **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**، يقول: كما أني لست أول من عبد الله فكذلك ليس للرحمن ولد، كقول الرجل: لو كان ما تقول[٤] حقا فأنا حمار، معناه ليس الذي تقوله[٥] بحق كما أني لست بحمار. *والله أعلم*. ثم[٦] نزه نفسه عن الولد وأنه لا يجوز أن يكون له ولد حيث قال:

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٨٢]

سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون، أي رب السماوات ورب الأرض ورب من فيهن[٧] ورب العرش. قال أهل التأويل: أي رب السرير، لكن لا يحتمل أن يكون تأويل العرش هاهنا السريرَ فينسب إلى السرير فيقال: رب السرير، ويجوز لغيره أيضا أن يقال: رب السرير فتثبت[٨] المشاركة في النسبة بينه وبين الخلق، إلا أن يقال: إن لذلك السرير عند الخلائق موقعا وقدرا عظيما يليق القَسَمُ به وإنه من أعظم المخلوقات وأعجبها، فكان نسبة[٩] هذا إلى الله سبحانه وتعالى من باب التعظيم والإجلال له بمنزلة نسبة كل العالَم إليه فيكون جائزا. / *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون تأويل العرش هاهنا هو المُلكَ، يقول: سبحان رب السماوات والأرض ورب الملك عما يصفون من الولد والشركاء.[١٠] ثم قد بينا حكمة ذكر السماوات والأرض[١١] على إثر ذكر الولد في غير موضع. [٧١٢و]

---

[١] سورة الزمر، ٣٩/٤.
[٢] ن: هؤلاء.
[٣] جميع النسخ: ومما يختارون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤ظ.
[٤] ر ن م: ما يقول.
[٥] ن: يقوله.
[٦] ر م – ثم.
[٧] ن: ورب من قهر.
[٨] جميع النسخ: فيثبت.
[٩] ن – نسبة.
[١٠] جميع النسخ – من الولد والشركاء. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة١١٤ظ.
[١١] ن – ورب الملك عما يصفون من الولد والشركاء ثم قد بينا حكمة ذكر السماوات والأرض.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فذرهم يخوضوا ويلعبوا**، هذا في الظاهر أمر بتركهم على ما هم عليه من الخوض واللعب وغيره، ومثل هذا مما لا يليق بالحكمة، إذ هو حرام في العقل. لكن يخرج على الوعيد وإن كانت[١] صيغته صيغة الأمر، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[٢] هو في الظاهر وإن كان أمرا فهو في الحقيقة وعيد، فعلى ذلك هذا يخرج على الوعيد. ويحتمل أن يخرج على ترك المكافأة على ما يصنعون من الاستهزاء بهم والأنواع من الأذى إلى اليوم[٣] الذي يلاقون ويعاينون العذاب، حتى لا تنفعهم[٤] الندامة والرجوع في ذلك اليوم. وأصل ذلك أن الله تعالى قد أوعدهم بمواعيد شديدة ووعظهم بمواعظَ بليغةٍ بقوله: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ،[٥] الآية، وغير ذلك من المواعيد، فلم ينجع تلك المواعيد فيهم ولم ينفعهم شيء من ذلك. والثاني قد بين ما يزيل عنهم الشُّبَه وما يوجب التعلق به،[٦] أوضَح لهم طريق الحق والهدى فلم يسلكوا مسلك طريق الحق فأوعد لهم بما ذكر في ذلك اليوم ما لا تنفعهم[٧] ندامتهم في ذلك الوقت. *والله أعلم*.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**، الإله في اللغة هو المعبود، كأنه يقول -والله أعلم-: إنكم تعلمون أن الله تعالى هو المعبود في السماء وهو المعبود في الأرض، والأصنام التي تعبدونها[٨] أنتم لا يعبدها[٩] إلا أنتم، فكيف تركتم عبادة المعبود الذي هو معبود في السماء والأرض واخترتم عبادة من ليس بمعبود إلا بعبادتكم؟ ويحتمل أن يقول: تعلمون أنتم أن الله سبحانه وتعالى هو إله السماء والأرض وإله من فيهما وما فيهما وأنه خالق ذلك كله،

---

[١] جميع النسخ: وإن كان.

[٢] ﴿إن الذين يُلحدون في آياتنا لا يَخفون علينا أفمن يُلقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).

[٣] ن: إلى النوم.

[٤] جميع النسخ: لا ينفعهم.

[٥] الآية ٧٤ من هذه السورة وما بعدها.

[٦] ر ن م: التعليق به.

[٧] جميع النسخ: ما لا ينفعهم.

[٨] ن: يعبدونها.

[٩] ن: لا نعبدها.

لقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ[١] والأصنام التي تعبدونها لم يفعلوا[٢] ذلك ولا يملكون شيئا من ذلك، فكيف اتخذتموها آلهة دونه؟ **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وهو الحكيم العليم**، ذِكْر الحكيم والعليم على إثر ذلك يخرج على وجوه. أحدها لسؤال الثنوية أن الله عز وجل لا يجوز أن يَبْسُط الرزق ويُوَسِّع الدنيا على من يعلم أنه يعاديه ويَشْتُمه ويعادي أولياءه ويَشْتُمهم، لأن في الشاهد من يصنع إلى من يعلم أنه يعاديه معروفا فليس بحكيم، فعلى ذلك يقولون: إن ذلك ليس من الله تعالى ولكنه من إله غيرِه سفيه، لأنه وصف نفسه بالحكمة وإنه[٣] يزيل الحكمة. ولقول[٤] البراهمة في إنكارهم الرسالة أصلا، يقولون: ليس من الحكمة بعث الرسل إلى من يعلم أنه يكذّبه[٥] ويكذّب رسله ولا يقبل رسالته بل يقتله[٦] ويعاديه، لذلك ينكرون[٧] رسالة الرسل. فأخبر تعالى بقوله: **وهو الحكيم العليم**، أن إعطائي إياهم ما أعطيتهم وبعثي الرسل إليهم على علم مني بما تكون منهم من التكذيب والعداوة لا يخرجني عن الحكمة؛ ويخرج فاعل ذلك في الشاهد عن الحكمة، لأن ملوك الأرض إنما يرسلون الرسل ويبعثون الهدايا لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، فإذا علموا من المبعوث إليهم الرسلُ والمصنوعِ إليهم المعروفُ ما ذكرنا خرج من الحكمة. فأما الله تعالى إنما بعث الرسل لحاجة المبعوث إليهم ولمنافع أنفسهم، وكذلك ما يعطيهم من الدنيا لمنافع أنفسهم. فلم يخرج ذلك من الحكمة، لأنه لا يضره معاداة من عاداه ولا ينفعه موالاة من والاه، بل كل ذلك راجع إليهم. بل صُنْعُ ما يَصنع من المعروف إلى من يعلم أنه يعاديه يكون وصفا له لغاية الكرم والجود، لذلك كان على[٨] ما ذكرنا وبطل قول[٩] الثنوية[١٠] والبراهمة. **والله الموفق**.

---

[١] وتأتي القطعة التي تبدأ من «والأصنام التي تعبدونها أنتم لا يعبدها إلا أنتم» إلى «لقوله ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» مكررا في جميع النسخ، إلا نسخة ث، ولكن فيها جزء من القطعة المكررة وهي: «أنتم لا يعبدها إلا أنتم». والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٤ظ. سورة لقمان، ٢٥/٣١.

[٢] ر ث م: تعبدونها لم تفعلوا؛ يعبدونها لم يفعلوا

[٣] ن: إنه.

[٤] جميع النسخ: وكقول. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٥ظ.

[٥] ر م: يكذب.

[٦] م: بل يقبله.

[٧] ن: منكرون.

[٨] جميع النسخ – كان على. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٦و.

[٩] ر: قوة.

[١٠] **ملاحظة**: إن الإمام الماتريدي وعد أنه يذكر "وجوها" لتفسير قوله عز وجل: ﴿وهو الحكيم العليم﴾، ولكنه أورد وجهين وهما إنكار الثنوية بسط الرزق وإنكار البراهمة بعث الرسل.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما**، قوله **تبارك**، قال أهل التأويل:[١] أي تعالى وتعاظم، معناه تعالى وتعاظم عما قالت الملحدة[٢] فيه من الشريك والولد والصاحبة وغير ذلك مما لا يليق به ولا يجوز، فيكون تنزيها[٣] عن جميع ما قالوا فيه، وهو[٤] كحرف "سبحان" الذي يكون تنزيها[٥] عما قالوا فيه.[٦] *والله أعلم*. وقال[٧] بعض أهل الأدب: **تبارك**، هو من البركة، لكنّ بعض العلماء قالوا: إن هذا التأويل لا يصح، لأن قوله: **تبارك**، هو من وقوع البركة بنفسه فهو اسم ملازم، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بوقوع البركة عليه.[٨] لكن عندنا **تبارك**، هو تَفَاعَلَ، والتفاعل هو فعل اثنين. فجائز نسبة[٩] البركة إليهما / على حقيقة وقوعهما [٧١٢ظ] بأحدهما، وهو الخلق للاتصال[١٠] على ما هو الأصل في مثل هذا، وله نظائر كثيرة. وأصل تأويل "تبارك" ما قاله أهل التأويل:[١١] تعالى وتعاظم عن جميع ما قالت الملحدة[١٢] فيه مما لا يليق به من الولد والشريك وغير ذلك. لكن هو على التأويل لا على تحقيق الاسم، فنظيره ما فسروا في قوله: «وتَعَالَى جَدُّكَ»،[١٣] أي عظمتك،[١٤] والجد هو في الحقيقة ليس هو اسمَ[١٥] العظمة،

---

[١] ن: أهل التفسير.

[٢] ر م: الملاحدة.

[٣] ن ث: تنزيه.

[٤] ث + كقول.

[٥] ن: تنزيه.

[٦] ن – عما قالوا فيه.

[٧] ر م: قال.

[٨] ر ث م – عليه.

[٩] ن: يشبه.

[١٠] ر ث م: للإيصال.

[١١] ن + تبارك.

[١٢] ر م: الملاحدة.

[١٣] عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبّر ثم يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك" (سنن *الترمذي*، الصلاة ٦٥؛ وانظر أيضا: مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٥٠، ٦٩؛ وسنن *ابن ماجة*، الإقامة ١).

[١٤] ن: وتعالى جدك وعظمتك.

[١٥] ر – اسم.

ولكنه[1] خروج الأمر على ما يريد ويشاء، ويسميه[2] الناس فيما بينهم بالفارسية "بَخْتا"، فسروا الجد بالعظمة لنفاذ مشيئة العظيم وخروج الأمور على ما يريده ويشاءه. فعلى ذلك تفسيرهم **تبارك** بما قالوا: تعالى وتعاظم، على التأويل لا على تحقيق الاسم، إذ هو من البركة، لكنْ كلُّ من بورك فيه صار متعاليا فأطلقوا عليه "تبارك" بمعنى تعالى لا بمعنى حقيقة الاسم. *والله أعلم*.

ثم قوله: **وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما**، بيان منه وتعليم للخلق ما يجوز النسبة إليه،[3] فقال: **له ملك السماوات والأرض**، وقال: وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[4] ونحو ذلك، يبين لهم أن انْسُبوا[5] إليه هذا ولا تَنسُبوا[6] إليه من الولد والشريك والصاحبة ونحو ذلك. لأن نسبة الأشياء بكليتها يخرج مخرج الوصف له بالعظمة والجلال، نحو ما ذكرنا من قوله تعالى: **له ملك السماوات والأرض**، وقوله: وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،[7] وقوله: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[8] وقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[9] ونسبة خاصية الأشياء إليه يخرج مخرج التعظيم والتبجيل لذلك الأشياء. ثم يُنظَر بعد هذا: فإن كانت تلك الأشياء الخاصية مما يجوز تعظيمها نسبت إليه وأضيفت، نحو قوله: بيت الله ومساجد الله ورسول الله وغير ذلك من الأشياء التي عظّمها[10] الله تعالى ورفع قدرها ومنزلتها عنده؛ وإن كانت الأشياء مما يستقذر ويستقبح ويُسْتَرْذَل فلا يجوز النسبة إليه والإضافة لما ذكرنا أن نسبتها إليه وإضافتها[11] يخرج مخرج التعظيم لها، وهي ليست بمعظمة ولكنها مسترذلة مستقذرة، فيكون وضعَ الشيء غير موضعه،[12] وإنه خلاف الحكمة. *والله الموفق*.

---

[1] ر ث م: ولكن هو.

[2] جميع النسخ: وتسمية. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥و.

[3] ر م – إليه.

[4] سورة النحل، ٥٢/١٦.

[5] ر ث م: أن نسبوا؛ ن: أن انسبوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥و.

[6] جميع النسخ: ولا ينسبوا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٥و.

[7] سور البقرة ٢٩/٢؛ وسورة الأنعام، ١٠١/٦؛ وسورة الحديد، ٣/٥٧.

[8] سورة الأنعام، ١٢٠/٦؛ وسورة هود، ٤/١١؛ وسورة الروم، ٥٠/٣٠ وأمثالها.

[9] سورة الأنعام، ١٠٢/٦؛ وسورة الرعد، ١٦/١٣؛ وسورة الزمر، ٦٢/٣٩ وأمثالها.

[10] جميع النسخ: يعظمها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٦ظ.

[11] ن: وإضافها.

[12] ن: غير موضعة.

وقوله عز وجل: **وعنده علم الساعة**، يخرج على وجوه. أحدها أي عنده علم ساعة الصَّعْقَة،[1] كقوله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[2] الآية. ويحتمل **وعنده علم الساعة**، الزلزلة، كقوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.[3] ويحتمل **وعنده علم ساعة**، الفزع والهَوْل، كقوله: فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ،[4] الآية. ويحتمل **وعنده علم الساعة**، القيامة، كقوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[5] ونحو ذلك. ***والله أعلم***. أخبر أنه لم يطلع الله عز وجل علم حقيقة[6] ما ذكر أحدا من خلقه.

وقوله: **وإليه ترجعون**، قد ذكرنا في غير موضع أن تخصيص[7] ذلك بالرجوع إليه يخرج على وجوه وإن كانوا في جميع الأحوال راجعين فيه إلى الله تعالى صائرين[8] إليه. أحدها لأن المقصود من إنشائهم ذلك -أعني البعث- كيلا يكون خلقهم عبثا على ما ذكرنا[9] غير مرة. ويحتمل أنه خص ذلك اليوم بالرجوع إليه والمصير والخروج لأنه يومئذ يَخْلُصُ خروجهم ورجوعهم إليه وانقيادهم له، وقد ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل:[10] **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة**، إن قوما كانوا يعبدون الملائكة رجاء أن يكونوا لهم شفعاء لما عرفوا من خصوصيتهم وفضلهم عند الله تعالى، وذلك معروف في الناس أنهم يَخدمون ويُكرمون خواصّ ملوكهم رجاء أن يشفع لهم أولئك الخواص عند الملك إذا نزل بهم بلاء[11] ووقعت لهم حاجة يوما من الدهر. فعلى ذلك هؤلاء الكفرة كانوا يعبدون الملائكة لما عرفوا من خصوصيتهم وفضل منزلتهم عند الله.

---

[1] ن: الضعفة.
[2] سورة الزمر، ٦٨/٣٩.
[3] سورة الحج، ١/٢٢.
[4] ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ (سورة النمل، ٨٧/٢٧).
[5] سورة المطففين، ٦/٨٣.
[6] ر م: حقيقته.
[7] ن: أن يخصص.
[8] ر م: صابرين.
[9] ن: على ما ذكر.
[10] ن: قوله.
[11] ن: ملأ.

ثم أخبر عز وجل عن الملائكة أنهم لا يملكون الشفاعة ولا يشفعون إلا لمن ذكر،[١] وهو قوله: **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**، أي إلا لمن شهد بوحدانية الله تعالى وألوهيته، لا يشفعون لأولئك إنما يشفعون لمن ذكر وإن كانت لهم خصوصية عند الله تعالى، لأن الله عز وجل نهى أولئك أن يعبدوا الملائكة ويعظّموهم[٢] من جهة العبادة، لذلك لا يملكون الشفاعة لهم. فيكون مَثَل هذا مثلَ ملك نهى قومه أن يخدموا أو يعظّموا أحدا سواه من خواصه، فإذا فعلوا ذلك وخدموهم وتركوا نهيه لا يملك أولئك الخواص ولا يتجاسرون على طلب الشفاعة من[٣] عند الملك لأولئك الذين نهاهم الملك أن يخدموهم ويعظموهم[٤] دونه. فعلى ذلك الملائكةُ لم يَجْعل لهم شفاعة لأولئك الذين[٥] عبدوهم دونه إلا لمن ذكر، وهم الذين شهدوا بالحق وقاموا بعبادة الله تعالى، فقد أذن الله لهم بالشفاعة / لأولئك. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون قوله: [٧١٣و] **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة**، أي لو كانت لهم الشفاعة لكانت لا تنفعهم،[٦] كقوله تعالى: فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[٧] أي لو كانت لهم شفعاء لكانت لا تنفعهم شفاعتهم، ليس أن يكون لهم شفاعة أو شفعاء، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ،[٨] الآية، وكقوله عز وجل: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ،[٩] الآية. فعلى ذلك يحتمل قوله عز وجل: **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة**، أي لا تنفعهم[١٠] لو كانت.[١١] ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ – ولا يشفعون إلا لمن ذكر؛ + بقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٦ظ.

[٢] ن: ويعظمونهم.

[٣] جميع النسخ – من. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.

[٤] ن: ويعظمونهم.

[٥] ن – الذين.

[٦] جميع النسخ: لا ينفعهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.

[٧] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.

[٨] ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِّل منهم﴾ (سورة المائدة، ٣٦/٥).

[٩] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).

[١٠] جميع النسخ: لا ينفعهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.

[١١] جميع النسخ – لو كانت. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٥ظ.

وقوله عز وجل: **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**، يخرج قوله: **وهم يعلمون**، على وجهين. أحدهما يرجع إلى الملائكة، فيكون كأنه يقول: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة وهم يعلمون أنهم لا يملكون الشفاعة. والثاني يرجع إلى من شهد بالحق، يكون كأنه يقول: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون أنهم يشهدون بالحق. والشهادة بالحق ما ذكرنا، يعني يشهدون على وحدانية الله تعالى وألوهيته وأنه هو المستحق للعبادة[1] دون من عبدوهم. *والله أعلم*.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**، وقال في أول السورة: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ،[2] ثم نعته فقال: اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا،[3] إلى آخر ما ذكر، قد أقروا جميعا أن الذي خلق السماوات والأرض وخلقهم وما يحتاجون إليه هو الله تعالى. ثم علمهم وعرفانُهم[4] بذلك يحتمل وجوها. يحتمل علمَ حقيقةٍ على التسخير والاضطرار بأنْ أنشأ اللهُ تعالى علما في قلوبهم فعلموا بذلك حقيقةً أن الله عز وجل هو خالق ذلك كله. ويحتمل أنهم قالوا ذلك تقليدا لآبائهم وسماعا منهم أنه كذلك.[5] ويحتمل علِموا علم الاستدلال بالتأمل والنظر، إذ من عادة العرب التأمل والنظر في الأشياء، فنظروا وتأملوا فعرفوا بالاستدلال العقلي أنه كذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأنى يؤفكون**، يقول: فأيُّ شيء يَأْفِكُهم ويُصْرِفهم[6] عن القيام بوفاء ما أَعْطَوْا بألسنتهم وتحقيق ما أقَروا ونطَقوا أن الله خالقُ ذلك كلِّه وأن ذلك كلَّه منه،[7] وجَعَل ذلك لمن يعلمون أنه ليس بشيء[8] من ذلك منهم بعد[9] معرفتهم بذلك، أعني الأصنام التي يعبدونها. *والله الهادي*.

---

[1] ر ث م: بالعبادة.

[2] الآية ٩.

[3] الآية ١٠.

[4] جميع النسخ: ثم علماءهم وعرفاءهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٥ظ.

[5] جميع النسخ – ويحتمل أنهم قالوا ذلك تقليدا لآبائهم وسماعا منهم أنه كذلك. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٥ظ.

[6] جميع النسخ: يصرفهم ويأفكهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٥ظ.

[7] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٦و.

[8] ر م: أنه بشيء؛ ن: أنه ليس شيء.

[9] جميع النسخ: وبعد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.

وقال أهل التأويل: أي فأنى يُكذِّبون بعد علمهم ومعرفتهم ذلك في تسميتهم معبودهم إلها أو شكرهم غير الذي صنع ذلك لهم بالعبادة[1] له دون الله تعالى.

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **وقيله يا رب**، قرئ بنصب اللام وكسرها[1]؛ فمن قرأ بالنصب جعله معطوفا[2] على قوله: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ،[3] ونسمع قيلَه، أي قولَه الذي أَعْلَمُوه،[4] أي بل نسمع ذلك كله. ومن قرأ بالكسر عطفه على قوله: وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ،[5] أي عنده علم الساعة وعلم قيله. وقوله عز وجل: **يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون**، كأنه على الإضمار، أي قيل له:[6] قل: إن هؤلاء قوم لا يصدقون. وفيه دلالة إثبات رسالته، لأنه أخبر أنهم لا يؤمنون، وقد كان على ما أخبر لم يؤمنوا، دل أنه بالله عرف ذلك وعلمه.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **فاصفح عنهم**، أي أعرض عنهم[7] ودَعْهم، **وقل سلام**، أي قل: الصواب والحقّ. **فسوف يعلمون** يوما، فهو وعيد لهم. ويحتمل أن يكون قوله: **وقل سلام**، أي سلام عليهم لكنه على المؤمنين ليس على أولئك الكفرة، فسوف تعلمون، بالتاء[8] يكون لو صُرِف إلى المؤمنين، وهو كقوله تعالى: وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ،[9] فيكون كأنه عز وجل قال: فسوف تعلمون أيها المؤمنون ما ينزل بأولئك. ***والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.***[10]

---

[1] ر م: بالعباد.

[2] جميع النسخ: مقطوعا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.

[3] الآية ٨٠ من هذه السورة.

[4] ر ن م: أعقلوه؛ أغفلوه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.

[5] الآية ٨٥ من هذه السورة.

[6] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.

[7] جميع النسخ - عنهم. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٦و.

[8] ن: فسوف يعلمون بالياء.

[9] ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (سورة الأنعام، ٥٤/٦).

[10] ث - بالصواب وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة حم الدخان[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿حمٓ﴾[١] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]

قوله عز وجل:[2] **حم والكتاب المبين**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[3]

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **إنا أنزلناه في ليلة مباركة**، قال أهل التأويل: إنا أنزلنا الكتاب، أي القرآن، في ليلة القدر من اللوح المحفوظ[4] إلى السماء الدنيا، ثم أُنزِل[5] على النبي صلى الله عليه وسلم بالتفاريق. ويحتمل أن تكون[6] الهاء راجعة إلى قوله: **حم**، أي قُضِي ما هو كائنٌ، على ما قال بعض أهل التأويل: إن ما قُضِي في كل سَنَةٍ من الموت والحياة والرزق ونحو ذلك يُنْزِل في ليلة القدر نُسَخَها[7] إلى الملائكة الذين وُكِلوا على ذلك، فهذا يحتمل. ويحتمل أن يكون الهاء راجعة إلى ما ضُمِّن في قوله: **حم**، على ما أراد به. ***والله أعلم***. ويحتمل أنه أراد بهذا[8] إنزالَ شيءٍ وأمْرٍ في ليلة القدر عَرَف[ه] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه، فيخبر أنه أنزل ذلك ولم يبينوا[9] لنا ذلك لما لا حاجة لنا إلى معرفته. وقالت الروافض / في قوله تعالى: **إنا أنزلناه**: [٧١٣ظ]

---

[1] ر – سورة حم الدخان؛ ن م + وهي مكية؛ ث: سورة الدخان مكية وهي خمسون وتسع آيات.

[2] ن: وقوله.

[3] انظر للحروف المقطعة: أول سورة البقرة وسورة آل عمران، وانظر أيضا: أول سورة المؤمن.

[4] ر ن م: من لوح المحفوظ.

[5] ر م: أنزله.

[6] جميع النسخ: أن يكون.

[7] ن: نسختها.

[8] ر م: هذا.

[9] م: ولم يتبينوا.

إن الله تعالى أنزل شيئا على رسوله يكون ذلك الشيء على رأسه وعلى رءوس الأئمة الذين يكونون بعده بحيث يرون[1] ذلك دون غيرهم؛ إذا استقبلهم أمرٌ أو بَدَا لهم شيءٌ نظروا في ذلك الشيء [و]عرفوا ما احتاجوا وما يكون لهم من الصلاح، أو كلام نحو هذا. وأما عند أهل التأويل هو ما ذكرنا راجع ذلك إلى الكتاب[2] المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إلى ما ذكرنا من تضمين ما ضُمِّن في قوله: **حم**. وكذلك قالوا أيضا في قوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.[3]

وقوله: **في ليلة مباركة**، وهي ليلة القدر سماها مباركة، وقد سمى المطر والماء المنزل من السماء مباركا،[4] كقوله تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا،[5] وكذلك الأرزاق المنزلة من السماء والمستخرجة من الأرض مباركةٌ بقوله: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.[6] والمبارك[7] هو الذي عنده يُدْرَك كل الخيرات. والبركة هي اسم كل خير يكون أبدا على الزيادة والنماء. فسمى تلك الليلة مباركة لما جَعَل فيها من الخيرات والبركات.

وقوله تعالى: **إنا كنا منذرين**، يحتمل: إنا كنا منذرين للخلق إذا أُنْشِئوا وبَلَغوا المبلغ الذي يستوجبون الإنذار. ويحتمل إنا كنا منذرين[8] الخلق بالرسل، هذا هو الظاهر أن هذا القول من الله تعالى. **والله أعلم**. ويحتمل أن يكون هذا القول من الرسول، كأن النبي[9] قال: إنا كنا منذرين بالقرآن بما أنزل عليّ.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤] ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فيها يفرق كل أمر حكيم**، يحتمل أي يُفصَّل ويُبيَّن[10] كل أمر هو كائن في ليلة القدر. ويحتمل أي يبيَّن[11] في ليلة القدر كل ما يكون في تلك السنة. ثم قوله: **كلُّ أمر حكيم**،

---

[1] ر ث م: يروا؛ ن: يرو. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦و.
[2] ر م: إلى ذلك الكتاب.
[3] سورة القدر، ١/٩٧.
[4] ر م – مباركا.
[5] سورة ق، ٩/٥٠.
[6] سورة الأعراف، ٩٦/٧.
[7] ن: والمنازل.
[8] ن – للخلق إذا أنشئوا وبلغوا المبلغ الذي يستوجبون الإنذار ويحتمل إنا كنا منذرين.
[9] جميع النسخ – ويحتمل أن يكون هذا القول من الرسول كأن النبي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٦و.
[10] ن: ويميز.
[11] ن: نبين.

يحتمل أي كل أمر فيه حكمة، ويحتمل كل أمر محكم مُتقَن؛ **أَمْرًا مِن عندنا**. وقوله عز وجل: **إنا كنا مرسِلين**،[١] الأمرَ الذي ذكر بقوله: **كل أمر حكيم أمرا من عندنا**. ***والله أعلم***.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **رحمة من ربك**، يحتمل قوله: **رحمة**، أي ما أُنزل من الكتاب هو رحمة من ربك. ويحتمل ليلةَ القدر، أي جعلها رحمة منه. ويحتمل ما ذكر من أمر حكيم هو رحمة منه. ويحتمل أي الرسول المبعوث إليهم رحمة منه لهم، وهو كقوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.[٢] ***والله أعلم***.[٣]

وقوله: **إنه هو السميع العليم**، يحتمل قوله: **السميع**، بأقوالهم التي أَسَرُّوها، **العليم**، بأفعالهم وأعمالهم التي أخفَوها وأضمروها. ويحتمل **السميع**، المجيب لمن دعا، **العليم**، بما يرجع إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم.[٤] ***والله أعلم***.[٥]

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[٧]

وقوله: **رب السماوات والأرض وما بينهما**، قال بعضهم: رب الشيء هو مُصْلِحه، معناه مصلح السماوات والأرض وما فيهما وحافظُ ذلك كلِّه. وقال بعضهم: **رب السماوات والأرض**، أي مالكهما ومالك ما فيهما. ويحتمل **رب السماوات والأرض**، أي خالقهما وخالق ما فيهما ومنشئ ذلك كله. وقوله: **إن كنتم موقنين**، قال بعضهم: هذا على إتمام[٦] الآية ومراعاة المقاطع على وجهها، هذا وأمثالها يخرج على هذا. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون قوله: **إن كنتم موقنين**، على إثر قوله: **رب السماوات والأرض**، أي هو رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم تعلمون أنه رب ما ذكر، فكيف تَصرفون العبادة واسم الألوهية إلى من ليس برب ما ذكر؟ إذ الإيقان[٧] هو العلم بالشيء حقيقة. ثم نعت الربَّ فقال:

---

[١] ن + يحتمل إنا كنا مرسلين.
[٢] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[٣] ر م - والله أعلم.
[٤] ن - ودنياهم.
[٥] ر م - والله أعلم.
[٦] م: على تمام.
[٧] ر ث م: إن الإيقان.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨]

لا إله إلا هو، فكأنه يقول: لا معبود يستحق العبادة سواه، لأن الإله هو المعبود[١] عند العرب، يقول: لا تستحق[٢] الأشياءُ التي تعبدون[٣] العبادة إنما المستحق لها هو الذي لا إله غيرُه. ويحتمل أن يقول: لا يستحق اسم[٤] الألوهية إلا هو، لا الأشياء التي سميتموها آلهة. ثم نعته فقال: **يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين**، أي هو يحيي ويميت، وهو ربكم ورب آبائكم الأولين. إن من عادة العرب أنهم كانوا يعبدون ويخدمون شيئا دون الله تعالى رَجاءَ أن تشفع لهم وتُقَرِّبَهم[٥] تلك[٦] العبادة إلى الله تعالى، فيقول:[٧] إن الذي تعبدون[٨] دونه لا يقع لهم العلم بعبادتكم إياها فاصرفوا العبادة إلى الذي يعلم بعبادتكم على كل حال وأخلِصوا له ذلك ولا تشركوا غيره.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **بل هم في شك يلعبون**، يحتمل قوله عز وجل: **بل هم في شك**، أي في أمر القرآن. ويحتمل بل هم في شك في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ونحوه. ***والله أعلم***.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**. اختلف أهل التأويل فيه؛ قال بعضهم: ليس هو على حقيقة الدخان ولكن على التمثيل والمجاز. ثم[٩] اختلف في كيفية ذلك مع اتفاقهم أنه قد مضى ذلك وقد كان. قال بعضهم: **بدخان**، أي بِجَدْبٍ[١٠] وقَحْطٍ. جعل الدخان كناية عن الجدب لوجوه. أحدها لِمَا يقال: إن الجائع في القحط كان يرى بينه وبين السماء والناس دخانا من شدة الجوع كالذي يشتد به العَطَشُ يرى السراب ماء،

---

[١] ن + هو المعبود.

[٢] جميع النسخ: لا يستحق.

[٣] جميع النسخ: يعبدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.

[٤] م: باسم.

[٥] جميع النسخ: أن يشفع لهم ويقربهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.

[٦] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٦ظ.

[٧] ن: ويقول.

[٨] جميع النسخ: يعبدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.

[٩] ن – اختلف أهل التأويل فيه قال بعضهم ليس هو على حقيقة الدخان ولكن على التمثيل والمجاز ثم.

[١٠] الجدب: المَحْل نقيض الخِصْب، وأجدبت البلاد: أي قحطت وغلت الأسعار (*لسان العرب*، «جدب»).

وذلك لأنه لما اشتد الجوع ضعفت أبصارهم وغطّاها الجوع، فيكون الجوع سببَ ترائِي الدخان فاستعير له.[١] ولأن في سَنَة الجدب تَيْبَس[٢] الأرض وينقطع النبات / فيرتفع الغبار ويَصْعَد [٧١٤و] الرَّهْج[٣] ليُبْسها، فيشبه ذلك الغبار الذي يرتفع من يبس الأرض بالدخان فسمى[٤] بالدخان، ولذلك قيل لسنة المجاعة: غبراء؛[٥] وقيل: جُوعٌ أَغْبَر.[٦] ولأن العرب ربما وضعت الدخان مواضع الشر إذا علا، فيقولون: لو كان[٧] بيننا[٨] أمر ارتفع له دخان. وقالوا: إن هذا القحط الذي جعل الدخان كناية عنه قد كان، فإنه اشتد بهم القحط وقلّت الأمطار ويَبِست[٩] الأرض وارتفع الغبار وصَعِد الرَّهْج[١٠] كالدخان وضعفت الأبصار لشدة الجوع حتى كانوا يرون السماء كالدخان. على ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كان أحدهم ينظر إلى السماء فيَرَى كهيئة الدخان من شدة الجوع.[١١] وقال بعضهم: إنما مثل الأرض يومئذ كمثل بيت أُوقِد فيه ليس فيه خُصاصة.[١٢] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قد مضى الدخان وكانت سِنِينَ[١٣] كسِنِي يوسفَ، فجُهِد الناس.[١٤] **والله أعلم**. ومنهم من يقول: هو على حقيقة الدخان وإنه لم يمض بعد، وكذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الدخان لم يمض بعدُ، يأخذ المؤمنَ كهيئة الزُّكام وينتفخ الكافر حتى يَنْفَدَ،[١٥]

---

[١] ن – له.

[٢] ر: ييسط؛ ن ث م: ييست. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٦ظ.

[٣] جميع النسخ: الريح. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٦ظ. الرَّهْج والرَّهَج: الغبار (*لسان العرب*، «رهج»).

[٤] ر م: وسمى.

[٥] ر ث م: قيل السنة غبراء.

[٦] ن: جوع لا غبر.

[٧] ن + لو كان.

[٨] جميع النسخ: بينا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧و.

[٩] ر: وييسط.

[١٠] ر ن م: الريح؛ ث: الرمح. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧و.

[١١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٤/١٦-٢١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٢/١٣.

[١٢] والخُصاصة من الكَرْم: الغُصْن إذا لم يَرْوَ وخرج منه الحَبّ متفرقًا ضعيفًا. والخُصَاصة: ما يبقى في الكرم بعد قِطافه، العُنَيْقِيدُ الصغيرُ هاهنا وآخر هاهنا، والجمع الخُصَاصُ، وهو النَّبْذ القليل (*لسان العرب*، «خصص»).

[١٣] جميع النسخ: وهو سنون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢١٨ظ. وفي *تفسير الطبري* (٢١/١٧-١٨): وكان سنين كسني يوسف.

[١٤] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١٤-١٨؛ *وتفسير الثعالبي*، ١٩٥/٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٢/١٣-٢٦٤.

[١٥] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٢٠-٢١؛ *وتفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٨٨/١٠؛ *وتفسير الثعالبي*، ١٩٥/٥.

وكذلك قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه والحسن وغيرهم.[1] لكنّ صرف الدخان المذكور في الآية على التمثيل أشبه، لأن الأمر إذا اشتد وبلغ نهايته يُشَبَّه بالنار والدخان، كقوله: كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ،[2] وليس هناك نار[3] لكنْ وصفُ شدةِ الحرب. فعلى ذلك جائز تشبيه ما اشتد بهم من الجوع والجَدْب والقَحْط بالدخان الذي ذكر، وكذلك يصف الناس الأمر إذا اشتد يقولون: هاج الدخان وثار. *والله أعلم*.

﴿يَغْشَى النَّاسَ هٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **يغشى الناس هذا عذاب أليم**، يحتمل قوله: **يغشى الناس**، أي غَشِي الناسَ ما ذكر، وهو عذاب أليم على تأويل من قال: إنه ماضٍ كائنٌ. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **يغشى الناس هذا عذاب أليم**، أي يغشى فيقول الناس: هذا عذاب أليم، وهو على قول من يقول: إنه لم يمض بعد. *والله أعلم*.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**. هذه الآية تدل على أن ذلك الذي أريد بالدخان والعذاب قد مضى وكان، لا أنه سيكون في المستأْنَف. ثم قوله: **ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**،[4] يحتمل[5] إنا نؤمن بك فيما تدعونا إليه لو كُشِف عنا العذاب، في معنى الشرط والجزاء، وهو كقول قوم[6] موسى عليه السلام حيث قالوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ،[7] الآية. ويحتمل أن يكون قوله: **إنا مؤمنون**، على الحال، كأنهم قالوا: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون للحال. ثم أخبر الله عز وجل أنهم لا يؤمنون وأنهم كذبة فيما قالوا حيث[8] قال تعالى:

---

[1] انظر: تفسير *الطبري*، ١٨/٢٠-٢١؛ وتفسير *الثعالبي*، ١٩٥/٥.

[2] سورة المائدة، ٦٤/٥.

[3] ن: بار.

[4] جميع النسخ – هذه الآية تدل على أن ذلك الذي أريد بالدخان والعذاب قد مضى وكان لا أنه سيكون في المستأنف ثم قوله ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧و.

[5] جميع النسخ: أي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١١٧و.

[6] جميع النسخ – قوم. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١١٧و.

[7] سورة الأعراف، ١٣٤/٧.

[8] ر م: جئت.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾[١٣]

أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين، يقول:[1] أنى يتوبون أو من أين تنفعهم[2] توبتهم في ذلك بعد ما خرجت أنفسهم من أيديهم وقد جاءهم رسول قبل ذلك الوقت مبيّن أنه رسول. **والله أعلم**.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ثم تولوا عنه**، يحتمل أي أعرضوا عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن. ويحتمل تولوا عما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمَرهم به. ويحتمل تولوا عن رسول الله نفسه. وقوله عز وجل: **وقالوا معلم مجنون**، قولهم: **معلم**، لأنهم يقولون: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.[3] وقوله: **مجنون**، نسبوه إلى الجنون لوجهين. أحدهما ما ذكر أنه إذا نزل به الوحي تغيرت حاله ولونه لِثِقَل ذلك عليه فيقولون: به آفة وجنون. والثاني لما رأوه[4] قد خاطر بروحه ونفسه، لأنه خالف الفراعنة منهم والأكابر الذين كانت همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم ودعاهم إلى غير الذي كانوا عليه، لذا[5] نسبوه إلى الجنون. **والله أعلم**.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون**. قال بعضهم: إنكم عائدون في معاصيكم وكفركم الذي كنتم فيه. وقال بعضهم: أي إنكم عائدون إلى عذاب يوم القيامة. **والله أعلم**.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون**. قال بعضهم: ذلك يوم بدر، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقول عامة أهل التأويل، وقالوا: ذلك أشد من الدخان. وقال بعضهم: هو عذاب يوم القيامة، وهو قول ابن عباس والحسن رضي الله عنهما.[6] **والله أعلم**.

---

[1] ر م: يقولون.
[2] جميع النسخ: ينفعهم.
[3] سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[4] ن: لما أراد.
[5] ر ث م: إذا.
[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٥/٢١-٢٨؛ و*تفسير الثعالبي*، ١٩٥/٥.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون**، يقول -والله أعلم-: ولقد فتنا قومَ فرعون بموسى قبل قومك كما فتنا قومَك بك. ويحتمل أن يقول: ولقد فتنا قومَ فرعون بمثل الذي فتنا قومَك. ثم يحتمل[١] افتتان قوم فرعون بمثل الذي فَتَن قومَه[٢] وجوها. أحدها أن موسى عليه السلام قد أتاهم بالبينات المعجزات ما لم يقدر فرعون على مقابلة تلك الآيات وعجزوا عن الإتيان بمثلها. فمع ما أتاهم[٣] بذلك وعرفوا أنها آيات الله تعالى كذبوها وردوها ونسبوا موسى إلى السحر والكذب والافتراء على الله تعالى. فعلى ذلك عمل أهل مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملوه بالذي عامل أولئك موسى من النسبة إلى السحر والجنون والكذب والافتراء على الله تعالى. ***والله أعلم***. وقال بعضهم: إن فرعون وقومه ازْدَرَوْا موسى وحقَّروه، لأنه وُلِد فيهم، كما ازدرى أهل مكة محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنت أصغرنا وأفقرنا وأقلنا حيلة، / كما قال فرعون لموسى: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا،[٤] الآية. ويحتمل أن يكون أهل [٧١٤ظ] مكة سألوا اليهود من الأنباء التي يجدونه في كتبهم ليُحاجُّوا بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يطلبون بذلك ظهور الكذب من رسول الله فيما كان يخبرهم عن[٥] الأنباء المتقدمة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وجاءهم رسول كريم**، كان جميع رسل الله عليهم السلام كِرَاما، لأن الله تعالى كان بعثهم إلى قوم جهال سفهاءَ كان لهم الرُّكون إلى الدنيا والميل إليها والرغبة فيها، فبعث إليهم كرام الخلق ليُدارُوا أولئك الأقوام وتتهيأ[٦] لهم المعاملة لهم والتحمل منهم سُوءَ[٧] ما كانوا يعاملونهم. ***والله أعلم***. ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم حيث قال: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.[٨]

---

[١] جميع النسخ - يحتمل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢١٩ظ.
[٢] ث + يحتمل، صح هـ.
[٣] ر م: فمهما أتاهم.
[٤] ﴿قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عُمُرك سِنين وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فعلت وأنت من الكافرين﴾ (سورة الشعراء، ١٨/٢٦-١٩).
[٥] جميع النسخ: من.
[٦] جميع النسخ: ويتهيأ.
[٧] جميع النسخ: لسوء. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧ظ.
[٨] سورة القلم، ٤/٦٨.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **أن أدوا إلي عباد الله**، يقول: أن أرسلوا معي بني إسرائيل وخلُّوا عنهم ولا تحبسوهم[١] ولا تستعبدوهم فإنهم أحرار. ويحتمل أن يقول: أن[٢] أرسلوا معي بني إسرائيل فإنهم يرغبون[٣] في إجابتي إلى ما أدعوهم إليه ويطمعون في اتِّباعي فيما آمرهم به.

وقوله عز وجل: **إني لكم رسول أمين**، أي إني لكم رسول أمين على الوحي والرسالة. ويحتمل أن يقول: إني كنت أمينا فيما بينكم لا يظهر لكم مني خيانة ولا اطلعتم على كذبٍ قط، فلماذا تكذبونني[٤] وتنسبونني إلى السحر؟ *والله أعلم*.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وأن لا تعلوا على الله**، قال بعضهم: أي وأن لا تتكبروا ولا تتعظموا على الله. لكن عندنا معناه: وأن لا تتكبروا ولا تتعظموا[٥] على رسول الله أو لا تتعظموا[٦] على عبادة الله أو على دينه،[٧] إذ لا أحد يقصد قصد التكبر على الله تعالى لكن وإن نُسِب إليه فهو على إرادة أوليائه أو دينه، كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[٨] ونحوه. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إني آتيكم بسلطان مبين**، أي آتيكم بحجة بينة أنها من الله وأني رسول الله، وهو ما آتاهم من الآيات المعجزات والحجج النيِّرات.[٩] *والله أعلم*.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون**، لا يُحتمل أن يكون هذا الكلام من موسى عليه السلام على ابتداء بلا سبب كان من فرعون ولا أمر سبق. فكان[١٠] سببه ونازلته –والله أعلم–

---

[١] ر ث م: ولا تحبسونهم.

[٢] ر ث م – أن يقول أرسلوا؛ ن: أن يقولو أن أرسلوا.

[٣] ن: ترغبون.

[٤] ن: يكذبونني.

[٥] ر ث م: وتتعظموا؛ ن – ولا تتعظموا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧ظ.

[٦] ر م: ولا تتعظموا.

[٧] ر م: وعلى دينه.

[٨] سورة محمد، ٤٧/٧.

[٩] ر ث م: والبراهين.

[١٠] ن: فكأنه.

هو ما ذكر في سورة أخرى حيث قال: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[1] الآية. لمّا قال فرعون ذلك وهَمّ أن يقتل موسى قال له موسى عند ذلك: **وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون.** وفي ذلك دلالة آية من آيات الرسالة له،[2] لأنه قال فرعون: ذروني أقتل موسى وليدع ربه ليَمْنعني عن قتله، فقال: **إني عذت بربي وربكم،** الآية. دل هذا القول على أنه علم قول فرعون وقصده بقتله وتعييره[3] بالدعاء إلى الله تعالى ليمنعه عن ذلك، وعلم أن الله تعالى يعصمه عن شره وكيده، حتى قال ذلك. ***والله أعلم.***

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾[٢١]

وقوله: **وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون،** يقول: فإن لم تصدقوني فيما أدعوكم إليه وآمركم به فاتركوني فأُصدِّق وأُؤمِنَ[4] به ولا يضركم[5] تصديقي وإيماني. ***والله أعلم.***[6] وقال بعضهم: أي دَعُونِي حِفَافا[7] جانبا لا عليّ ولا لِي. وقال بعضهم: وإن لم تؤمنوا لي[8] فاعتزلون ولا تقتلونِ.[9] ***والله أعلم.***[10]

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾[٢٢]

وقوله: **فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون.** وهو كقوله حيث قال: وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ،[11] وكقول نوح عليه السلام: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا،[12] ونحو ذلك، يقولون -والله أعلم-:[13] يا ربنا إنا قد عامَلْناهم المعاملة التي أمَرْتَنا

---

[1] سورة المؤمن، ٢٦/٤٠.
[2] ر م - له.
[3] ر م: وتعبيره.
[4] ن: وأومر.
[5] ر: ولا يضركم.
[6] ر م - والله أعلم.
[7] ر م: حفافا. الحِفافان: ناحيتا الرأس والإناء وغيرهما. وقيل: هما جانباه. وحِفافا الجبل: جانباه. وحفافا كل شيء: جانباه (*لسان العرب*، «حفف»).
[8] ن: بي.
[9] ر م: ولا يقبلون.
[10] ر م - والله أعلم.
[11] سورة الزخرف، ٨٨/٤٣.
[12] سورة نوح، ٥/٧١-٦.
[13] ر م - والله أعلم.

أن نعاملهم واحتَلْنا الحِيَل التي علَّمْتَنا أن نحتال[١] معهم، فلم يَنْجَعْ ذلك فيهم ولم يتبعونا[٢] ولا أجابونا إلى ذلك، فهل من حيلة سوى ذلك أو معاملةٍ غيرِ ذلك نعاملهم بها لعلهم يتبعوننا ويجيبوننا؟[٣] هذا الدعاء وهذا القول منهم يكون بعد ما أجهدوا أنفسهم في دعائهم إلى الحق زمانا طويلا، ليس يحتمل في ابتداء الأمر. *والله أعلم*.[٤]

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾[٢٣]

وقوله: **فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون**، كان في إخراج موسى عليه السلام وبني إسرائيل من بين أظهر أعداءهم ليلا من غير أن شَعَر وعلم أحد من أعداءهم بذلك، وهم العدو الذي ذكر في القصة[٥] أنهم زُهَاءُ[٦] سِتِّمِائَةِ أَلْفِ آيةٌ[٧] عظيمةٌ عجيبةٌ لموسى عليه السلام على رسالته، إذ خروج عدد يسيرٍ[٨] من بين أَظْهُرِهم عسيرٌ صعبٌ، فكيف خروج العدد الذي ذكر في القصة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إنكم متبعون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي قوم فرعون يتبعونهم ليردوهم إلى الأمر[٩] الذي كانوا يستعملونهم من قَبْلُ من نحو الاستخدام والاستعباد. *والله أعلم*. والثاني أي يتبعونهم[١٠] للقتال والحرب،[١١] لأنه ذكر في القصة أنهم أخذوا أموالهم من الحُلِيّ واللباس فخرجوا بها. فجائز أن يكون اتّباعهم إياهم ليقاتلوهم ويحاربوهم لما ظهرت فيما بينهم معاداة وصاروا أعداءً لهم، فخرجوا[١٢] ليقاتلوهم[١٣] كما يقاتَل الأعداء.[١٤] *والله أعلم*.[١٥]

---

[١] ر م: أن يحتال.

[٢] ر م: ولا يتبعون.

[٣] جميع النسخ: يتبعونا يجيبونا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٧ظ.

[٤] ر م – والله أعلم.

[٥] وهي قصة خروج موسى عليه الصلاة والسلام وبني إسرائيل من مصر هاربين من ظلم فرعون ومجاوزتهم البحر.

[٦] وزُهاء الشيء وزهاؤه: قدره، يقال: هم زُهَاءُ مائَةٍ، أي قدرها (*لسان العرب*، «زهو»).

[٧] اسم "كان" التي سبقت في بداية الجملة، أو فاعله.

[٨] ر م: ستين.

[٩] ر: إلى الأمل.

[١٠] ر م: أن يتبعونهم.

[١١] ر م: للعباد والحرب؛ ن: للحرب والقتال.

[١٢] جميع النسخ – ليقاتلوهم ويحاربوهم لما ظهرت فيما بينهم معاداة وصاروا أعداء لهم فخرجوا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.

[١٣] ث: ليقاتلو؛ ن: ليقاتلونهم.

[١٤] ث: كما يقال له عداء.

[١٥] ر م – والله أعلم.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[٢٤]

وقوله: **واترك البحر رهوا**، يحتمل قوله: **واترك البحر رهوا**، كأن موسى عليه السلام همّ[١] أن يضرب البحر بعصاه ليصل الماءُ بعضُه ببعض لئلا يَعْبُرَ فرعون وقومُه، فقال له: اتركه كما هو فإنهم جند مغرقون. ثم اختلف في قوله: **رهوا**، قال بعضهم: هي فارسية عُرِّبت، أي اترك البحر رَاهْ. وقال بعض أهل اللسان: **رهوا**، أي ساكنا. وقال بعضهم: **رهوا**، أي متصلا، وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال أهل التأويل: **رهوا**، أي يابسا، وهو كقوله: فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا.[٢] / وقوله تعالى: **إنهم جند مغرقون**، قد وعدهم جل وعلا أن يُغرِق فرعونَ وقومَه ففعل. [٧١٥و]

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٢٥] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٢٦] ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[٢٧]

وقوله: **كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين**. قيل: **فاكهين**،[٣] أي ناعمين، وقيل: مُعْجَبِين.[٤] ثم[٥] من الناس من قال: إن هذه الآية مخالفة للآية الأخرى في ظاهر المخرج، وهي[٦] قوله عز وجل: رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، الآية، ثم قال الله تعالى: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا،[٧] فإذا كانت قد أجيبت دعوتهما في طمس أموالهم فطُمِسَتْ لا محالة، فكيف ذكر: **كم تركوا من جنات وعيون**، الآية؟ وما معنى قوله: كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ؟[٨] لكن عندنا أنه لا مخالفة بين الآيتين، إذ جائز أن يكون طَمْس أموالهم التي كانت لهم من الحُلِيّ وغير ذلك من الصامت[٩] ونحوه خاصة.

---

[١] ر ث م – هم.
[٢] سورة طه، ٧٧/٢٠.
[٣] جميع النسخ – قيل فاكهين. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.
[٤] ر ث م: معجزين.
[٥] جميع النسخ – ثم. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢١و.
[٦] ر ن م: وهو؛ ث – وهي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.
[٧] ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ (سورة يونس، ٨٨/١٠-٨٩).
[٨] الآية التالية.
[٩] الصامت: الذهب والفضة (*لسان العرب*، «صمت»).

فأما الأموال التي كانت لهم بالشَّرِكَة من نحو البستان والزروع[١] وأمثالها فذلك لم يطمسها ولكنه تركها على ما هي عليه[٢] لبني إسرائيل، وهو قوله عز وجل:

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[٢٨]

كذلك وأورثناها قوما آخرين، أي مثل ذلك وأورثناها قوما آخرين، وهو كما ذكر في آية أخرى حيث قال: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا.[٣] فيه أن بني إسرائيل قد عادوا إلى مصر ونزلوا أوطانهم ومنازلهم وبساتينهم. ***والله أعلم***.[٤]

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[٢٩]

وقوله: **فما بكت عليهم السماء والأرض**. قال بعضهم: أي فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض، بل سُرُّوا بذلك واستَبْشَروا بهلاكهم، فيكون ذكر نفى البكاء لإثبات ضده، وهو السرور والفرح لا لعينه. وذلك جائز في اللغة، أن يذكر نفي الشيء ويراد به إثبات ضده لا عين النفي، كقوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[٥] ليس المراد إثبات نفي الربح، أي لم يربح فحسب، بل المراد إثبات الخسران والوضيعة، أي خسِرت ووَضِعَت. فعلى ذلك قوله تعالى: **فما بكت عليهم السماء والأرض**، أي ضَحِكت وسُرَّت واستبشرت بهلاكهم، لأنهم جميعا أبغضوهم وعادوهم لادعائهم ما ادعوا من الألوهية لفرعون. وقال بعضهم: **فما بكت عليهم السماء والأرض**، يحتمل أن المراد به ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مؤمن إلا وله باب في السماء يصعد إليه عمله الصالح، وفي الأرض مصلًّى يصلى فيه، فإذا مات بكى ذلك عليه كذا كذا يوما، وليس لهم ذلك فلا يبكي[٦] عليهم».[٧] وجائز أن يكون أيضا قوله تعالى: **فما بكت عليهم السماء والأرض**، أي لم يبق لهم أحد يبكي عليهم من الأولاد وغيرهم،

---

[١] ر م: وزروع.

[٢] جميع النسخ: عليها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.

[٣] سورة الأعراف، ١٣٧/٧.

[٤] ر م - والله أعلم.

[٥] سورة البقرة، ١٦/٢.

[٦] م: فلا تبكي.

[٧] روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم، وابن أبي حاتم الرازي عن علي كرم الله وجهه وغيرهم نحوا من هذا. انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٥؛ وتفسير *الطبري*، ٤١/٢١-٤٥؛ وتفسير *ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٨٨/١٠-٣٢٨٩.

لأنهم استُؤصِلوا جميعا من الأولاد وغيرهم فلم يبك عليهم أحد. فأما سائر الموتى قد يبقى لهم من يبكى عليهم لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*. ويحتمل أن يُذكر بكاء السماء إذا عَظُم الأمر على التمثيل من نحو موت الملوك والقادة ومَن عظم قدره عندهم، فيخبر الله تعالى أن موت فرعون وأتباعه لم يَعْظُم على أهل السماء والأرض لما لا قدر لهم عندهم. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[٣٠] ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين**. قال بعضهم نجينا بني إسرائيل من العذاب الذي نزل بفرعون وقومه، وهو الغَرَق في البحر، أغرق أولئك ونَجَّى هؤلاء. ويحتمل أن يكون المراد أنه نجاهم من العذاب الذي كانوا يعذَّبون من نحو القتل والاستخدام والاستعباد وأنواع العذاب الذي كانوا يعذِّبونهم ما داموا بين أظهرهم وفي أيديهم، فنجاهم من ذلك حيث أخرجهم من بين أيديهم. *والله أعلم*. وهو أشبه، لأنه[1] قال:[2] **ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون**. وقوله عز وجل: **إنه كان عاليا من المسرفين**، قوله: **عاليا**، أي غالبا عليهم قاهرا لهم بأنواع القهر الذي[3] كان يقهرهم. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ولقد اخترناهم على علم على العالمين**، أي[4] اخترنا[5] بني إسرائيل. وقوله[6] عز وجل: **على علم**، يخرج هذا على وجوه. أحدها **اخترناهم على علم**، أي بسبب علم آتيناهم ذلك لم نؤت ذلك غيرهم، لتظهر[7] فضيلة العلم على العالمين وشرفُه. *والله أعلم*.

[1] جميع النسخ – لأنه. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢١ظ.
[2] جميع النسخ: ما قال. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.
[3] ن – الذي.
[4] ر م – أي.
[5] ن – اخترنا.
[6] ن: قوله.
[7] جميع النسخ: ليظهر.

والثاني يحتمل اخترناهم على علم منا بأسباب فيهم وأشياء لم تُعْلَم[١] تلك[٢] الأسباب والمعاني في غيرهم، بها استوجبوا[٣] الاختيار على العالمين. والثالث[٤] **اخترناهم على علم**، أي بسبب علم أحوَجْنا غيرهم إليهم فصاروا مختارين مفضَّلين بسبب تعليمهم إياهم ما احتاجوا إليه، فيكون لهم فضل الأستاذ على التلميذ. وهذا كما نقول:[٥] إن العرب أفضل من الموالي، لأن الموالي احتاجوا إلى العرب في معرفة لسانهم ومعرفة أشياء احتاجوا إليها، فاستوجبوا الفضيلة عليهم[٦] لحاجتهم إليهم. ولذلك فُضِّل قريش على سائر العرب، لما احتاجت سائر العرب إلى قريش في معرفة أشياء لا يَصِلون إلى ذلك إلا بهم، ففُضِّلوا[٧] على غيرهم لذلك. فعلى ذلك يحتمل **ولقد اخترناهم على علم على العالمين**،[٨] أنه أحوج إلى بني إسرائيل غيرَهم في معرفة أشياء فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم. ***والله أعلم***.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين**، / يحتمل قوله: **بلاء مبين**،[٩] [٧١٥ظ] وجهين. أحدهما أي محنة بينة، وهي أنواع ما امتحنهم من البلايا والشدائد. ***والله أعلم***. والثاني يحتمل أن يكون قوله: **بلاء مبين**، أي نِعَم عظيمة، وهو ما آتاهم من أنواع النعم من المَنِّ والسَّلْوَى وتظليل الغمام عليهم وخروج العيون من الحجر ومجاوزتهم من البحر وإهلاك عدوهم وغيرها[١٠] من النعم التي آتاهم مما لا يحصى؛ وهو ما ذكر في سورة البقرة، وهو قوله تعالى: وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ،[١١] أي نعمة عظيمة من ربكم.[١٢] ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: لم يعلم.

[٢] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.

[٣] ن: استوجبون.

[٤] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.

[٥] ر ث م: كما يقول.

[٦] ر م – عليهم.

[٧] جميع النسخ: إلا أنهم فضلوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.

[٨] جميع النسخ – ولقد اخترناهم على علم على العالمين. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢١ظ.

[٩] ر م – يحتمل قوله بلاء مبين؛ ر ث م + من.

[١٠] ر م: وغيرهم.

[١١] سورة البقرة، ٤٩/٢.

[١٢] ن: نعمة من ربكم عظيمة؛ نعمة عص من ربكم عظيمة.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾[٣٤] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين**. يقول الله تعالى -وهو أعلم-: إن الذي يحمل هؤلاء على الإنكار والكفر بك وترك الإيمان[١] إنكارُهم البعثَ والإحياءَ بعد الموت، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[٢] يخبر أن من يؤمن به[٣] ممن آمن بالآخرة؛ فأما من لم يؤمن بالآخرة لا يؤمن به. ***والله أعلم***. وأصله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِث لدعاء الخلق إلى الزهد في هذه الدنيا والرغبة في الآخرة والقطع عن جميع شهواتهم ومُنَاهم في الدنيا وتأخير ذلك إلى الآخرة؛ فمن آمن بالآخرة سَهُل عليه ترك ذلك كله وهان عليه قَطْعُ نفسه عن قضاء ذلك كله؛[٤] ومن أنكر الآخرة وجحدها اشتد ذلك عليه وصعب، حَمَلَه ذلك على إنكارها والجحود لها. ***والله أعلم***.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**،[٥] هذا منهم احتجاج عليه، يقولون: لو كنت صادقا فيما تقول: إنه بَعْثٌ وإحياءٌ فأَحْيِ[٦] من ذُكِروا وَأْتِ بهم.[٧] لكنّ هذا احتجاج باطل لأن الآيات والحجج ليست تنزل وتأتي على ما تشتهي أنفس أولئك ولكن تنزل على ما توجبه[٨] الحكمة وعلى ما فيه الحجة، لا على ما يريد المُقامُ عليهم الحجةُ؛ كما في الشاهد أن الواجب على المدَّعِي إقامة ما هو حجة في ذاتها لا إقامة ما يريدها المُدَّعَى عليه. والنبي صلى الله عليه وسلم قد أتاهم من البيان والحجة ما يوجب البعث والإحياء بعد الموت لو تأملوا ولم يكابروا عقولهم، فيكون[٩] سؤالهم منه آية أخرى مردودا[١٠] عليهم. ***والله أعلم***.

---

[١] ن + بك.

[٢] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مُصَدِّقُ الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩٢).

[٣] ر م – يخبر أن من يؤمن به.

[٤] ن – كله.

[٥] ن + قيل.

[٦] ر م: فأخر؛ ث: وأخر.

[٧] ر ث م: رأيت لهم؛ ن: وائت لهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨ظ.

[٨] جميع النسخ: على ما يوجبه.

[٩] ر ث م: وكون.

[١٠] ر م: مردود.

وبعدُ، فإن[1] الله عز وجل قد وعد البقاء لهذه الأمة إلى يوم القيامة، ولو أعطاهم ما سألوا من الآيات ثم أنكروها أُهْلِكوا واسْتُؤْصِلوا، إذ من سنته أن كل آية أتت[2] ونزلت على إثر سؤال كان منهم ثم أنكروا كان في ذلك هلاك وعذاب، لذلك لم يعطهم ما سألوا. ***والله أعلم.***

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **أهم خير أم قوم تُبَّعٍ والذين من قبلهم أهلكناهم**، ليس في هذا جواب لقولهم: فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[3] ولم يأت بجواب ذلك، وإنما كان لأنهم لم يستحقوا الجواب لهذا السؤال، لأنهم سألوا ذلك سؤالَ[4] تَعَنُّتٍ وعناد. ويحتمل أن يكون في هذا جوابٌ لقولهم وسؤالِهم الآية المخترَعَةَ. وفي الآية دلالة على البعث أيضا. بيان الأول أنه أخبر عن قوم تُبَّع ومَن ذكَر من الأمم الخالية كانوا ينكرون رسالة رسلهم ويكذبونهم، ويوعدهم[5] الرسل بالعذاب والهلاك، فيكذبونهم أيضا فيما يوعدون من البعث فجاءهم الهلاك. فيقول: أهم خير أم قوم تُبَّع ومن ذكر، أي أولئك هم أشد قوةً أم هؤلاء، وهم علموا أن أولئك أشد قوة وبطشا، ثم لم يتهيأ لهم الامتناع من عذاب الله إذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث، فأنتم دون أولئك، فكيف يتهيأ لكم الامتناع من العذاب الذي نزل بكم؟ وهو كقوله تعالى: أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ.[6] وإذا لم يتهيأ لهم الدفع، ومن سنته الاستئصال بالتكذيب للآيات المخترعة، وقد وعد البقاء لهذه الأمة إلى يوم القيامة وتأخير العذاب عنهم بسبب دعاء النبي[7] وكونِه رحمة للخلق، لذلك لم يعطهم الآية التي سألوا. ***والله أعلم.***

---

[1] ن: قال.

[2] ن: ايت.

[3] الآية السابقة.

[4] ر ن – سؤال.

[5] جميع النسخ: ويوعدونهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩و.

[6] ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزُّبُر﴾ (سورة القمر، ٤٣/٥٤).

[7] جميع النسخ – وتأخير العذاب عنهم بسبب دعاء النبي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩و.
عن عبد الله بن خباب بن الأَرَتّ عن أبيه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها، قالوا: يا رسول الله، صليت صلاة لم تكن تصليها؟ قال: «أجل إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بِسَنَةٍ فأعطانيه، وسألته أن لا يسلِّط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها» (*سنن الترمذي*، الفتن ١٤. وانظر أيضا: *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٧٤/١٠، ٥٠٥).

وأما الثاني وهو أنه لما أخبر أن تعذيب أولئك الكفرة لتكذيب الرسل وإنكار البعث فدل أن البعث حق حتى يستحق منكره العذاب. *والله أعلم*. وذُكر أن تُبَّعًا كان رجلا صالحا، وعائشة رضي الله عنها تقول: لا تسبوا تبعا فإنه كان رجلا صالحا.[1] وذكر أنه كان رسولا، وقد ذكرنا نعته. *والله أعلم*.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين**، وقال في آية أخرى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا.[2] إن الكفرة كانوا لا يطلقون القول فلا يقولون: إن الله تعالى خلقهما وخلق ما بينهما باطلا ولَعِبًا، لكن خَلْق[3] ذلك كله على فُتْيَاهم وظنهم وعلى ما عندهم يصير عبثا باطلا، لأنهم كانوا ينكرون البعث ويقولون:[4] لا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب. فإذا كانت[5] فتياهم وظنهم أن لا بعث ولا نشور يكون خلقهم وخلق السماء والأرض وما ذكر لعبا باطلا، لأن المقصود بخلق ما ذكر على زعمهم لم يكن إلا الإفناءَ والإهلاكَ، ومن لم يقصد في بنائه إلا النقضَ في الشاهد والإفناءَ في العاقبة كان في بنائه وقصده سفيها[6] غير حكيم. فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى في خلقه إياهم وإنشائه لهم وتحويله إياهم من حال إلى حال / أخرى: من حال النطفة إلى حال العَلَقَة ومن حال العلقة[7] إلى حال المُضْغَة، ومن حال المضغة[8] إلى حال تصوير الإنسان ثم إلى حال الكِبَر لو لم يكن ما ذكرنا من المقصود سوى الإفناء والإهلاك على ما زعموا كان سفها باطلا غير حكمة لما ذكرنا مِنْ قَصْد مَنْ قَصَد في الشاهد[9] في بنائه[10] الإفناءَ خاصةً لا غيرَ كان في فعله وقصده لاعبا عابثا سفيها.[11] [٧١٦و]

[1] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/٥٠.
[2] سورة ص، ٣٨/٢٣.
[3] ن - خلق.
[4] جميع النسخ + أن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩و.
[5] ن ث: فإذا كان.
[6] ر: سفها.
[7] ر م - ومن حال العلقة.
[8] ر م - ومن حال المضغة.
[9] ر ث م - في الشاهد.
[10] ر ث م: في البناء.
[11] ر م: سفها.

ولذلك سفّه الله تلك المرأة التي لم يكن قصدها في غزلها إلا نقضَه في العاقبة حيث قال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا،[١] الآية. فعلى ذلك خَلْقُ الخلق إذا لم يكن بعث ولا نشورٌ على ما قال أولئك الكفرة وظنوا كان كذلك سفها غير حكمة، ولذلك قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[٢] جعل خلقه إياهم لا[٣] للرجوع إليه عبثا. ***والله الموفق.***

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ما خلقناهما إلا بالحق**، قال بعضهم: إلا لإقامة الحق، وقال بعضهم: إلا لأمر كائنٍ مرادٍ. وأصل الحق هو أن يحمد عليه فاعله في العاقبة، والباطل هو ما يذم عليه فاعله. وإنما خلق جل وعلا ما ذكر ليحمد على فعله لا لِيُذَمّ، ولو لم يكن القصد في خلقهم إلا[٤] الإفناء والإهلاك لكان لا يحمد عليه ولكن يذم، على ما ذكرنا. وقوله عز وجل: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أنهما لم يُخلقا باطلا وعبثا، وهو ما ذكر من[٥] ظنهم. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين**، سَمَّى يوم القيامة مرة يوم الجمع، ومرة يوم التفريق،[٦] ومرة يوم الفصل. فهو يوم الجمع لما يَجمع فيه الخلائق جميعا، وكذلك يوم الحشر. ويوم الفصل يحتمل وجهين. أحدهما أنه يَفصل بين أوليائه وأعدائه فيه،[٧] ينزل أولياءه في دار الكرامة والمنزلة وهي الجنة، وأعداءه في دار الهوان والعقاب وهي النار، وهو[٨] ما قال: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.[٩] ويحتمل أن يكون قوله: **يوم الفصل**، أي[١٠] يوم القضاء والحكم،

---

[١] سورة النحل، ٩٢/١٦.
[٢] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[٣] ر م - لا.
[٤] ر - إلا.
[٥] ر ث م - ذكر من.
[٦] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ (سورة الشورى، ٧/٤٢)، وقوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾، (سورة الروم، ١٤/٣٠).
[٧] ر ث م - فيه.
[٨] ر م - النار وهو.
[٩] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[١٠] ر م: إلى.

أي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكافرين فيما تنازعوا[1] واختلفوا في الدنيا، بقوله: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.[2] ويحتمل أيضا ما ذكرنا من الفصل بين الأولياء والأعداء ما لو لم يكن ذلك في الآخرة بينهم كان جامعا مُسوِّيا[3] بين الأولياء والأعداء، وهم اسْتَوَوْا واجتمعوا في الدنيا في ظاهر أحوالهم، ومن سوّى بين وليه وعدوه كان سفيها غير حكيم؛ دل أن هناك[4] دارا أخرى تفصل بينهما ويميّز. ***والله أعلم***.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **يوم لا يُغْني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون**، هذا في الكفار خاصة، يخبر أنه لا ولي ينفعهم في الآخرة ولا يعين بعضهم بعضا على ما يعان في الدنيا إذا نزل ببعض منهم بلاء وشدة، وهو ما ذكر في آية أخرى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[5] الآية، وقوله عز وجل: وَاخْشَوْا يَوْمًا،[6] وقوله تعالى: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ.[7] ***والله الموفق***.

ثم قوله تعالى: **لا يُغْني مَولًى عن مَوْلًى شيئا**، يحتمل مولى الأعلى ومولى الأسفل على ما يعين بعضهم بعضا في الدنيا، ويحتمل كل ولي وقريب. يخبر أنه لا قريبَ يملك دفع ما ترك به ولا وليّ يملك نصره ومعونته،[8] لأن ولايتهم يومئذ تصير[9] عداوة، بقوله عز وجل: اَلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ،[10] الآية، استثنى المتقين، وعلى ذلك استثنى في هذه الآية أيضا حيث قال:

---

[1] ر م: فيما يتنازعوا.

[2] سورة الجاثية، ١٧/٤٥.

[3] ن: مسوما.

[4] ن: هنالك.

[5] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/٣٤-٣٧).

[6] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يَجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئا﴾ (سورة لقمان، ٣١/٣٣).

[7] ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٣).

[8] ر ث م: ولأولى ولا يملك نصرة ومعونة؛ ن: ولأولى ولا يملك نصره ومعونته. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٤و.

[9] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٤و.

[10] سورة الزخرف، ٤٣/٦٧.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٤٢]

إلا من رحم الله، أي إلا من رحمه الله[١] ومَنَّ عليه وهداه[٢] الإيمانَ ورزَقه التوحيدَ، فإنه يكون بعضهم لبعض شفعاء وأولياءَ ينصر بعضهم بعضا ويشفع بعضهم لبعض. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وهو العزيز الرحيم**، العزيز في نقمته من أعدائه لأوليائه، الرحيم للمؤمنين الذين استثنى في الآية حيث قال: **إلا من رحم الله**.

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾[٤٣] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾[٤٤]

وقوله: **إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**، ظاهر الآية أنها طعام كل أثيم، لكنها ليست بطعام كل أثيم، بل هو طعام أثيم دون أثيم، وهو الكافر؛ لأن الأثيم[٣] المطلق هو الأثيم[٤] من كل وجه، وهو الكافر. فأما المؤمن المسلم لا يكون أثيما مطلقا مع قيام إيمانه وكثير طاعته، فلا يكون صاحب الكبيرة داخلا تحت الآية. ثم قال بعض أهل التأويل: لما نزل قوله تعالى:[٥] **إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**، أتى بعض الكفار بالعسل والزَّبَد وقالوا لأصحابهم: تَعَالَوْا نَتَزَقَّم فإن محمدا أوعدنا[٦] بذلك، لِما كان الزقوم هو الزبد والتمر أو العسلَ بلغة قوم من العرب فنزل عند ذلك قوله تعالى: إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ،[٧] الآية، أخبر أنها شجرة أنشئت من النار، كقوله تعالى: إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، الآية، ليست كسائر الأشجار. ثم شبّهها بالمُهْل بقوله تعالى:

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾[٤٥] ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[٤٦]

كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم، والمُهْل دُرْدِيُّ الزيت.[٨] ثم يحتمل تشبيهها بالمهل وجهين. أحدهما لالتصاقه بالبدن، لأنه قيل: إنه ألصق الأشياءِ بالبدن. ويحتمل أن يشبّهها بذلك

[١] جميع النسخ - أي إلا من رحمه الله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٤ظ.
[٢] ن: ومن هداه.
[٣] ر ث م: لأن الإثم.
[٤] ر ث م: هو الإثم.
[٥] ر ث م: قال بعض أهل التأويل إنه يدل قوله تعالى؛ ن: قال بعض أهل التأويل إنه نزل قوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.
[٦] ر ث م: وعدنا.
[٧] سورة الصافات، ٣٧/٦٤-٦٥.
[٨] دردي الزيت بالضم: ما يبقى أسفلَه (*لسان العرب*، «درد»).

لكثرة تلونها وتغيرها من حال إلى حال. ثم الإشكال أنه ليس في أكل دردي الزيت فَضْلُ شدة وكثرة مؤنةٍ، فما معنى التشبيه به؟ لكن يقول:[1] إنه بين أن ذلك المُهل والدُّرْدِيّ / من النار [٧١٦ظ] حيث قال: **كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم**. ثم الإشكال أن شجرة الزقوم كيف تكون[2] طعام[3] الأثيم؟ فيحتمل[4] ذلك وجهين. أحدهما أنه يخرج منها شيء ويسيل فَيُسْقَى ذلك الكافر. و[الثاني] يحتمل أنه يأكل[ها] كما هي فتذوب في بطنه فتغلي،[5] فيكون ما ذكر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه[6] أنه رأى فضة قد أُذِيبَت فقال:[7] هذا المُهْل.[8] فجائز أن يكون على هذا كل[9] شيء يذاب ويُحرِق فهو المهل. والحميم هو الشيء الحار الذي قد انتهى حره غايته. *والله أعلم*.

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم**، ظاهر هذا أن يكون[10] ذلك بعد ما أُدخلوا في النار. لكن يحتمل أيضا أن يكون ذلك في أول ما يراد أن يُدخِلوا النار، كقوله: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ،[11] فعلى ذلك **خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم**. ثم قوله تعالى: **فَاعْتِلُوه**، قال بعضهم: أي ادفعوه[12] إلى سواء الجحيم، أي إلى وسط الجحيم. وقال بعضهم: **فاعتلوه**، أي قُودُوه قَوْدا إلى سواء الجحيم، يقال: جيء بفلان يُعْتَل إلى السلطان، أي يُجَرّ ويقاد. وقال بعضهم: هو السَّوق الذي فيه شدة وتعنيف، أي سُوقُوه سوْقا شديدا عنيفا، وبعضه قريب من بعض. و**الجحيم** هو معظم النار. *والله أعلم*.

---

[1] ن ث: نقول.
[2] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.
[3] ر ث م – طعام.
[4] ن: ويحتمل.
[5] جميع النسخ: فيذوب في بطنه فيغلي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.
[6] ث: رضي الله عنهما.
[7] ن: فيقال.
[8] انظر: *تفسير الطبري*، ٥٥/٢١.
[9] م – كل.
[10] ر ث م + هذا.
[11] ن ث + ثم الجحيم صلوه. سورة الحاقة، ٣٠/٦٩.
[12] ن: ادفعوا.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم**، أي من شراب الحميم. جعل الله عز وجل لأهل النار من ألوان الشراب الحميم والصديد ونحوهما مكانَ ما جعل لأهل الجنة من أنواع الشراب، حيث قال: فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ،[١] الآية. ثم في الآية أن[٢] الفريقين جميعا لا يتولون شُرْبها بأنفسهم لكنهم[٣] يُسْقَوْن على ما ذكر في أهل الجنة في غير آي من القرآن، حيث قال: يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ،[٤] وقوله تعالى: وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا،[٥] ونحو ذلك كثير. وقال في أهل النار: **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم**، وقوله تعالى: تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ،[٦] وقال في آية أخرى: وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ،[٧] وغير ذلك.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ذق إنك أنت العزيز الكريم**، قال أهل التأويل: إنما يقال هذا لأبي جهل اللعين،[٨] وله ذلك العذاب الذي ذكر في الآية، وهو المراد بالأثيم.[٩] كان في الدنيا يفتخر ويقول: أنا العزيز الكريم وليس ما بين كذا إلى كذا أعز مني وأنا المتعزز المتكرم. فيقال له في الآخرة: ذق هذا الذي ذكر إنك أنت العزيز الكريم في الدنيا، يُصغّرونه ويُهينونه. ويحتمل أن يكون هذا في كل كافر يتعزز في الدنيا ويتكرم وكل رئيس منهم. *والله أعلم*. وقال بعضهم في قوله عز وجل: **ذق إنك أنت العزيز الكريم**: أي ذق فإنك لست بعزيز ولا كريم،[١٠] يقال ذلك له على التهزُّءِ به، أي لو كنت عزيزا كريما ما دخلت النار. *والله أعلم*.

---

[١] سورة محمد، ١٥/٤٧.
[٢] ر – أن.
[٣] ن ث: ولكنهم.
[٤] سورة المطففين، ٢٥/٨٣.
[٥] ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ (سورة الإنسان، ١٧/٧٦-١٨).
[٦] سورة الغاشية، ٥/٨٨.
[٧] سورة الحاقة، ٣٦/٦٩.
[٨] ن – اللعين.
[٩] يشير إلى الآية التي سبقت في هذه السورة برقم ٤٤.
[١٠] جميع النسخ + ثم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٥و.

﴿إِنَّ هٰذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾[٥٠] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في مقام أمين**. فيه لغتان: مُقام بالرفع ومَقام بنصب الميم؛[١] فمن قرأ بالنصب فهو موضع المقام، وهو المنزل والمسكن، معناه في مسكن أمين، أي آمنون[٢] فيها من الآفات والأوصاب والأسقام. ومن قرأ برفع الميم فهو المصدر يعني الإقامة، أي مقيمون[٣] فيها آمنون عن الخروج عنها والزوال. ***والله أعلم***.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٥٢] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٥٣] ﴿كَذٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين**، قالوا: السندس ما رَقَّ من الديباج، والإستبرق ما غَلُظ منه. ثم يحتمل أن يكون ما ذُكِر من اللبس لِمَا رقّ منه، فأما ما غلُظ منه فإنه يُبْسَط وإن كان ذكر اللُّبْس[٤] فيهما في الظاهر يتناول ما رق منه وما غلُظ، فالمراد من ذكر اللبس يرجع إلى ما يُلْبَس وهو الذي يَرِق منه ويَدِق؛ وجائز في اللغة أن يذكر الشيئان باسم أحدهما إذا كان بينهما ازدواج في الجملة عادة أو حقيقة. ***والله أعلم***. ويحتمل أنه إنما ذكرهما جميعا لما يكون من رغبة الناس إليهما جميعا في الدنيا، فرغّبهم في الآخرة ووعد لهم أن يكون لهم ذلك. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **متقابلين**، يخبر أن مجلسهم في الجنة نحو مجلسهم في الدنيا يقابل[٥] بعضهم بعضا. ***والله أعلم***. حيث قال: **كذلك**، على إثر ذلك، أي كذلك[٦] يكونون في الجنة كما كانوا في الدنيا من مقابلة بعض بعضا واجتماعهم في المجلس في الشراب وغيره. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وزوجناهم بحور عين**، قال بعضهم: **بحور**، أي بِيض الوجوه، **وعِين**، أي حِسان الأعين. وقال بعض أهل الأدب: الحَوَر في العين هو شدةُ سوادِ سوادِها وبياضِ بياضِها، ويقال: امرأة حَوْرَاء، ونسوة حُور، ورجل أحور، وقوم حُور. والعيناء الحسنةُ العينين، يقال: رجل أعْيَنُ، ورجال عِينٌ، وامرأة عيناءُ، ونسوةٌ عِينٌ؛ فالجماعة على هيئة واحدة في هذا الباب في المذكر والمؤنث. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: بالنصب. انظر: *تفسير الطبري*، ٦٣/٢١.

[٢] ر م: آمنوا.

[٣] ر م: يقيمون.

[٤] ر ث م: وإن كان ذلك اللبس.

[٥] جميع النسخ: مقابل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.

[٦] ر م - أي كذلك.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين**، تأويله -والله أعلم- أن ثمار[١] الجنة وفواكهها ليس لها فناء[٢] ولا انقطاع ولا نقصانٌ كما يكون في الدنيا فناء وانقطاع ونقصان، فإذا لم يكن لثمار الجنة انقطاع[٣] ولا زوال يَدْعُون ويَسألون[٤] إن حضروها، لا يسألون كما يسألون في الدنيا: هل بقي شيء أو هل عندكم شيء من الفواكه، ونحو ذلك؟ لما ذكرنا أن لثمار[٥] الدنيا انقطاعاً[٦] وفناءً وليس لثمار الجنة وفواكهها كذلك، لذلك / ما ذكرنا. *والله أعلم*. [٧١٧و]

وقوله: **آمنين**، يحتمل وجهين. أحدهما آمنين من انقطاع فواكهها وثمارها وما ذُكر. ويحتمل آمنين فيها، أي[٧] في الجنة ليس لهم خوف الخروج عنها والزوال، وآمنين[٨] من جميع الآفات التي تكون[٩] في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى**، والإشكال أنه نفى الموت في الجنة واستثنى الموتة الأولى، وليس في الجنة موت أصلا، كيف يَستثني الموتة الأولى؟ وإن ظاهر الاستثناء أن يكون من[١٠] جنس المستثنى منه، فيُوهِم أن يكون في الجنة موت. قال بعضهم: إنّ "إلا" بمعنى غير وسوى وفيه إضمار، كأنه قال:[١١] لا يذوقون فيها، أي في الجنة الموتَ سوى الموتة التي[١٢] ذاقوا في الدنيا، لأن الموتة التي ذاقوا -وهي الموتة الأولى-

---

[١] ر م: أي ثمار.

[٢] جميع النسخ: فساد. والثابت في المتن من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ. ورجحت نسخة جار الله لأن النسخ الأخرى تنقص الجملة التالية التي تحتوي هذه الكلمة؛ وأيضا جميع النسخ تستعمل هذه الكلمة بعد قليل.

[٣] جميع النسخ - كما يكون في الدنيا فناء وانقطاع ونقصان فإذا لم يكن لثمار الجنة انقطاع. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.

[٤] جميع النسخ -يسألون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.

[٥] ن: أثمار.

[٦] جميع النسخ: انقطاع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.

[٧] جميع النسخ - أي. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٠ظ.

[٨] جميع النسخ: وآمنون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.

[٩] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.

[١٠] ر م - من.

[١١] ر م - قال.

[١٢] ر م: الأولى؛ ن: الذي.

لا يتصور ذوقها[1] ثانيا لو كان يكون مثلها. ولأن الجنة ليس محل الموت، فكان المراد ما قلنا، أي لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموت الذي ذاقوا في الدنيا، وهو كقوله عز وجل: وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ،[2] الآية، أي سوى ما قد سلف، أنه كان فاحشة في ذلك الوقت على أحد التأويلين. *والله أعلم*. وعندنا يخرج تأويله على وجهين. أحدهما لا يذوقون فيها الموت إلا ما ذاقوا من الموتة الأولى، لأنه ذكر[3] في الخبر أنه يُؤْتَى بالموت يوم القيامة على صورة كَبْشٍ أَمْلَحَ أو كذا فيُذْبَح بين يديهم، فعند ذلك يأمنون الموت هنالك.[4] *والله أعلم*. والثاني **لا يذوقون فيها الموت**،[5] أي لا يعرفون فيها الموت[6] ولا يرونه إلا الموتة الأولى التي رأوها في الدنيا، تلك يعرفونها ويذكرونها، فأما ما سواها[7] فلا. والذوق سبب المعرفة فاستعير للمعرفة مجازا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ووقاهم عذاب الجحيم**، ليس هو تخصيصَ وقايةِ عذابِ الجحيم فحسب، بل المراد أنه يقيهم[8] العذاب كله، لكن الجحيم معظم النار فذكره[9] كنايةً عن الكل. *والله أعلم*.[10]

﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥٧]

وقوله تعالى: **فضلا من ربك**، يخبر أن وقايته عنهم العذاب[11] فضل منه،[12] ليس باستحقاق منهم بالأعمال، على ما تقدم ذكره في غير موضع. وقوله عز وجل: **ذلك هو الفوز العظيم**،

---

[1] ن: دونها.
[2] سورة النساء، ٢٢/٤.
[3] ر ث م: ذلك.
[4] انظر: صحيح *البخاري*، التفسير ١/١٩؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ١٤.
[5] ن – الموت.
[6] ر ث م – أي لا يعرفون فيها الموت.
[7] ر م: فأما سواها.
[8] ر ن م: بل المراد نفيهم؛ ث: بل المراد تقيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[9] جميع النسخ: فذكروه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[10] ث – والله أعلم.
[11] ر ث م – وقوله تعالى فضلا من ربك يخبر أن وقايته عنهم العذاب؛ ن + والله أعلم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.
[12] جميع النسخ: فضلا منه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.

الفوز بأحد شيئين: إما الظفر بما يأمل[1] ويرجو، فإذا ظَفِر ذلك يقال: فاز؛ وإما النجاة مما يحذر[2] ويخاف، إذا حذر أمرا وخافه فتخلّص[3] من ذلك يقال: فاز؛[4] فأيهما كان فهو فوز. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **العظيم**، جميع أمور الآخرة وحالها سمي عظيما من العذاب والنعيم، قال الله[5] تعالى: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ،[6] وعَذَابٌ عَظِيمٌ،[7] والْفَوْزُ الْعَظِيمُ.[8]

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **فإنما يسرناه بلسانك**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما كأنه يقول: فإنما أنزلنا القرآن بلسانك ويسرناه للذكر ليلزمهم التذكر، لأنه أنزله بلسانه ويسره لقومه؛ لأنه لو كان منزلا بغير لسانه لم يكن ميسّرا لهم للذكر، وهو ما ذَكَر في آية أخرى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ،[9] أخبر أنه يسره للذكر لا أنه[10] يسره باللسان، ولكن معناه ما ذكرنا أنه أنزله بلسانه ويسره للذكر. *والله أعلم*. والثاني فإنما يسرناه على لسانك كي ذكرته وحفظته بلا كتابة ولا نظر في كتاب، لأنه ذُكر أنه كان عليه السلام يحفظ سورة طويلة إذا تلا عليه جبريل صلوات الله عليه، وقد أمّنه الله سبحانه وتعالى عن النسيان بقوله تعالى: سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى.[11]

وقوله عز وجل: **لعلهم يتذكرون**، وهو يخرج على وجوه. أحدها لكي يلزمهم التذكر. ويحتمل لكي يتذكروا ما[12] قد نَسُوا من حق الله الذي عليهم. أو ليتعظوا بمواعظِ الله تعالى.

---

[1] ر ث م: تأمل.

[2] ن: يجوز.

[3] جميع النسخ: فيخلص. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٠ظ.

[4] ر م - فاز.

[5] ن - الله.

[6] ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٤-٥).

[7] سورة البقرة، ٢/٧؛ ومواضع كثيرة.

[8] جميع النسخ: وفوز عظيم. ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ (سورة النساء، ٤/١٣).

[9] سورة القمر، ٥٤/١٧ وتكرر فيما بعده.

[10] جميع النسخ: لأنه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.

[11] سورة الأعلى، ٨٧/٦. للروايات حول أسباب نزول هذه الآية انظر: *تفسير الطبري*، ٢٤/٣١٥؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٣٤١٦.

[12] ر م: وأما.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **فارتقب إنهم مرتقبون**، هو[١] على وجهين. أحدهما ارتقب ما وعد الله أن ينزل بهم من العذاب، فإنهم مرتقبون هلاكك وانقطاعك ونحوه. أو يقول: ارتقب ولا تكافئهم[٢] ولا تَدْعُ عليهم بالهلاك، فإنهم مرتقبون بما ألقى الشيطان في أُمْنِيَّتهم بأن مُلكك يزول وأنه يعود[٣] إليهم. *والله أعلم*. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فارتقبهم إنهم مرتقبون.[٤] والارتقاب الانتظار. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ – هو. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦و.

[٢] جميع النسخ: ولا تكافهم.

[٣] ن: يزول.

[٤] لم أجده في المراجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجاثية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿حمٓ﴾[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **حم تنزيل الكتاب**، قد ذكرنا في غير موضع.[2]

وقوله: **العزيز الحكيم**، وقد ذكرنا أيضا تأويلَ العزيز الحكيم في غير موضع أيضا.[3]

ثم إنما ذكر قوله: **العزيز الحكيم**، على إثر ذلك لِيُعْلَم أنه ما أنزل الكتاب وما أمرهم وما نهاهم[4] و[ما] امتحنهم بأنواع المحن ليتعزز هو بذلك أو يزيدَ[5] له عزا وسلطانا أو قوة في شيء[6] إذا ائتمروه وأطاعوه، ولا إذا خالفوه[7] ولم يطيعوه فيما أمرهم به[8] وارتكبوا ما نهاهم[9] عنه،[10] يلحقه ذل أو نقصان في ملكه وسلطانه. بل إنما فعل ذلك من الأمر والنهي وأنواع المحن لمنفعة[11] أنفس الممتحنين ليتعززوا إذا اتبعوا أمره وأطاعوه، ويَلحقهم ذل ونقصانٌ إذا تركوا اتباعه.

---

[1] ر – سورة الجاثية؛ ن: ذكر أن سورة الجاثية وهي مكية؛ ث: سورة الجاثية وهي ثلاثون آيات مكية؛ م + مكية.

[2] انظر: السور التي تبدأ بـ﴿حم﴾ نحو سورة المؤمن وسورة الزخرف؛ وانظر أيضا للحروف المقطعة: أول سورة البقرة وسورة آل عمران.

[3] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات.

[4] ن: ونهاهم.

[5] جميع النسخ: أو يريد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.

[6] ر ث م – في شيء.

[7] ر ث م: وإذا خالفوه.

[8] – به.

[9] ث م: ما نبأهم.

[10] جميع النسخ – عنه. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.

[11] ن: بمنفعة.

بخلاف ملوك الأرض فإنه يزيد لهم اتباعُ من اتَّبعهم عزا وسلطانا وقوة في ملكهم؛ وترك اتباعهم إياهم وارتكابُ ما نهاهم عنه[1] يوجب لهم ذلا ونقصانا في ملكهم؛ لأن المخلوق كان عزيزا[2] بغيره، فإذا زال ذلك زال عزه وصار ذليلا؛[3] فأما الله سبحانه وتعالى عزيز بذاته فلا يلحقه النقصان / بمخالفة من خالفه ولا يزداد عزه بائتمار من ائتمره. [٧١٧ظ] وقوله:[4] **الحكيم**، والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. يذكر هذا ليعلم أن ما أنشأ[5] من الخلائق على علم منه أنهم يكفرون به ويعصونه لم يُزِل عنه الحكمةَ ولا أخرجه منها، لما ذكرنا أنه لم ينشئهم لحاجة[6] له فيهم أو لمنفعة ترجع[7] إليه، ولكن لحاجة لهم ولمنفعة ترجع[8] إلى أنفسهم. ومثله في الشاهد يزيل الحكمة ويُدخل في حد السفه لما ذكرنا أنهم إنما يفعلون لحوائجهم، فكان الفعل مع العلم بأنه لا منفعة له فيه بل مضرةٌ لا تكون[9] حكمة منهم، لذلك افترق الشاهد والغائب. **والله أعلم.**

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤] ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إن في السماوات والأرض لآياتٍ للمؤمنين، وآياتٌ لقوم يوقنون، وآياتٌ لقوم يعقلون**، ونحو ذلك، يخرج ذكر الآيات لهؤلاء[10] على[11] وجوه. أحدها أي يكون ما ذكر من الآيات لهؤلاء آياتٍ على أعدائهم يحتجون بها عليهم فتكون[12] هي آياتٍ لهم على أعدائهم.

[1] جميع النسخ: عنهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[2] ن + في.
[3] جميع النسخ: ذلا. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٦ظ.
[4] ر م: قوله؛ ن – وقوله.
[5] ر ث م: أن من يشاء.
[6] ر م: بحاجة.
[7] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[8] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢١و.
[9] جميع النسخ: لا يكون.
[10] ث + لهؤلاء.
[11] جميع النسخ – على. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[12] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢١و.

والثاني أن منفعة هذه الآيات تحصل[1] لهؤلاء وهم المنتفعون بها، أعني مُتَّبِعِيها[2] دون من ترك اتباعها. والثالث هي[3] آيات لمن اعتقد اتباع الآيات والإيقان بها وهم المؤمنون؛ فأما من اعتقد رد الآيات وترك الاتباع لها فليست هي آياتٍ لهم. *والله أعلم*. وقد ذكرنا في غير موضع جهة الآيات فيما ذكر من السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وإنزال الماء من السماء وإحياء الأرض وإخراج ما أخرج منها أن[4] في ذلك آياتِ هَسْتِيَّتِه[5] وآيات وحدانيته وآيات قدرته وسلطانه وآيات علمه[6] وتدبيره وآيات حكمته وغير ذلك ما يطول الكتاب بذكرها.[7] *والله الموفق*.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق**، قوله عز وجل:[8] **تلك**، إشارة إلى الآيات التي تقدم ذكرها، **نتلوها عليك بالحق**، أنها من الله تعالى لِمَا عجزوا عن إدراك ذلك من الحكمة البشرية به فيعلموا[9] أنها من الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون**. هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: لو كانوا بالذين يقبلون حديثا[10] فلا حديثَ أظهرَ صدقا من حديث الله تعالى ولا أبين حقا فيه من كلامه لأنه آيات معجزات عجزوا عن إتيان مثله. و[الثاني] إن كانوا بالذين لا يقبلون[11] حديثا قَطُّ[12] فيلحقهم السفه في ذلك فيكفي مئونتهم. *والله الهادي*.[13]

---

[1] ر ث م: يجعل؛ ن: نجعل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢١و.
[2] ث م: متبعها؛ ر: متبعا.
[3] جميع النسخ: هن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١و.
[4] ر م - أن.
[5] ر م: هيبته. الهستية بالفارسية: الوجود.
[6] ن - علمه.
[7] ن: يذكرها. انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات، «الآية، الآيات».
[8] ن: وقوله تعالى.
[9] ن: فتعلموا.
[10] جميع النسخ + قط.
[11] ن: لا يقبلوا.
[12] ر ن م - قط. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١ظ.
[13] ث - وقوله عز وجل فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون هذا يخرج على وجهين ... فيلحقهم السفه في ذلك فيكفي مئونتهم والله الهادي.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ويل لكل أفاك أثيم**، الأفاك هو المصروف[١] عن اتباع ما توجب[٢] الحكمةُ اتباعه، وقال بعضهم: الأفاك الكذاب. والأثيم هو الذي اعتاد الإثم، وهو أكثر من الآثم. ثم نعت ذلك الأفاكَ فقال:

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٨]

يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها، يحتمل قوله: **آيات الله تتلى عليه**، القرآن، ويحتمل **آيات الله تتلى عليه**، آيات وحدانية الله عز وجل أو آيات بعثهم[٣] ونشورهم،[٤] أو آيات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أخبر عن تعنته[٥] وعناده في آيات الله حيث قال: **ثم يُصِرّ مستكبرا**، أي يُصِرّ مستكبرا[٦] بعد تلاوة الآيات عليه وبعد معرفته وفهمه أنها آيات الله كما كان يُصِرّ قبل ذلك، لأنها آيات خارجات عن وسعهم إذ عجزوا عن إتيان مثلها. فإذا[٧] كانت خارجة عن احتمال وسعهم فكذلك هي خارجات عن وسع محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو واحد من البشر مثلهم، فعرفوا[٨] أنه إنما قدر على إتيان مثلها بالله تعالى بما أُوحي إليه وأعلمه بذلك. **كَأَنْ لم يسمعها**، عنادا منه واستكبارا. ثم أوعده العذاب الأليم، وهو قوله: **فبشره بعذاب أليم**، أي مؤلم موجع.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين**، أي عذاب يُهينهم باستهزائهم بالآيات.

---

[١] ن: المضروب.
[٢] جميع النسخ: ما يوجب.
[٣] ر م – أو آيات بعثهم.
[٤] ر م – ونشورهم.
[٥] ن: عن بعثته.
[٦] ن – أي يصر مستكبرا.
[٧] ر م: وإذا.
[٨] ر ث م: فيعرفوا.

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٠]

ثم قال: **من ورائهم جهنم**، أضاف جهنم إلى ورائهم، يحتمل أن يكون المراد من ذكر[١] وراءهم وراءَ الدنيا، كأنه قال: من وراء هذه الدنيا لهم جهنم، لكنه أضاف ذلك إليهم[٢] لأنهم فيها وهم أهلها.[٣] ويحتمل أن يكون قوله: **من ورائهم جهنم**، أي من وارء أحوالهم التي هم عليها جهنم.

وقوله: **ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء**، يحتمل **ولا يغني عنهم ما كسبوا**، أي ما عملوا من القُرَب التي عملوها رجاء أن ينفعهم ذلك في الآخرة وما عبدوا من الأصنام التي عبدوها[٤] رجاء أن تشفع لهم[٥] في الآخرة[٦] أو يقربهم ذلك إلى الله زلفى،[٧] يخبر أن ذلك مما لا يغنيهم ولا ينفعهم في الآخرة.

وقوله عز وجل: **ولهم عذاب عظيم**، وعد لهم في كل حال وكل أمر كان منهم عذابا غيرَ العذاب في حالٍ أخرى: ذكر في الحال التي عبدوا الأصنام دونه واتخذوها أربابا العذابَ العظيم؛ وذكر لهم باستهزائهم بآيات الله العذاب المهين عذابا يُهينهم ويهانون في ذلك؛ وذكر لهم بإصرارهم بما هم عليه واستكبارهم على آيات الله وعلى رسوله العذابَ الأليم حتى يكونَ مقابلُ كلِ ما[٨] كان منهم[٩] نوعا من العذاب غيرَ النوع الآخر وبصفةٍ غيرِ الصفة الأخرى. ***والله أعلم***.

﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **هذا هدى**، أي بيان لهم. وقوله عز وجل: **والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم**، أي عذاب من عذاب أليم، إذ الرجز هو العذاب، كأنه فسر ذلك العذاب ووصفه بالألم. ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م + من.
[٢] ن – إليهم.
[٣] ن + وهم أهلها والله أعلم.
[٤] ث – رجاء أن ينفعهم ذلك في الآخرة وما عبدوا من الأصنام التي عبدوها.
[٥] ر ن م: أن يشفع لهم؛ ث: أن يشفعهم.
[٦] ر م – وما عبدوا من الأصنام التي عبدوها رجاء أن تشفع لهم في الآخرة.
[٧] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[٨] ر ث م – ما. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢١ظ.
[٩] ن – كل ما كان منهم.

﴿اَللّٰهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٢]

[٧١٨و] / وقوله عز وجل: **الله الذي سخر لكم البحر**، يذكّرهم عظيم نعمه في تسخير البحر لهم، مع أهوالها وكثرة أمواجها وامتناعها عن منافع الخلق صيّرها بلطفه ورحمته لهم كسائر البقاع في الوصول إلى ما فيها من الجواهر واللآلي بالغَوْص فيه والخوض والاصطياد لما فيه من أنواع الصيد وغير ذلك الأشياء بحيلٍ[1] علّمهم وأسباب جعل لهم حتى يصلوا إلى ما فيه من أنواع الجواهر والأموال النفيسة. ***والله أعلم***. وسخرها لهم[2] أيضا حتى عبروا البحر ومَرُّوا[3] عليه بسفن أعطاهم وحِيَلٍ علّمهم حتى قدروا على عبوره والمرور عليه ليصلوا إلى قضاء حوائجهم التي تكون[4] لهم في البلدان النائية، وهو ما قال: **لتجري الفلك فيه بأمره**. ثم قوله تعالى: **بأمره**، يحتمل أن يكون عبارة عن تكوينه، أي بما كوّنه وأنشأه[5] كذلك، كقوله تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[6] والثاني يحتمل **بأمره**، أي بالأمر الذي له على العباد وسائر خلائقه. ويحتمل **بأمره**، أي بإذنه. وقوله عز وجل: **ولعلكم تشكرون**، أي لكي يَلْزَمكم الشكر بذلك، أو ما ذكر ما فيه من الوجوه. ***والله أعلم***.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا**، أي سخر لهم ما في السماوات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وما في الأرض من الأشجار والنبات والبهائم والدواب حتى استعملوها كلها في منافعهم وحوائجهم كما استعملوا أملاكهم التي تحويها[7] أيديهم بتسخير الله تعالى إياهم[8] ذلك كله. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: بحيل.
[2] ن: وسخر لهم.
[3] ر ث ن: ومروها؛ م: ومرورها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢و.
[4] جميع النسخ: يكون.
[5] ر م: وإنشاؤه.
[6] سورة يس، ٨٢/٣٦.
[7] ن + إليهم. جميع النسخ: يحويها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢و.
[8] ن + بتسخير الله تعالى إياهم.

وقوله[١] عز وجل: **جميعا**، أي جميعُ ذلك من الله تعالى، أخبر أنه سخر جميع ما في هذين: في السماوات والأرض. ثم أخبر: **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**، وقد ذكرنا جهة الآية في ذلك في غير موضع. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله**، أمر تعالى عز وجل المؤمنين[٢] بالعفو والصفح عمن أساء إليهم وظلمهم، حتى أمرهم بالعفو والمغفرة عمن ظلمهم وأساء إليهم من الكفرة ليُعلَم عظيم موقع العفو والصفح عن المظلمة والإساءة عن الله وما يكون لذلك من الثواب الجزيل.[٣] ***والله أعلم***.

فإن قيل: إن هذه الآيات إنما نزلت بمكة ومن أسلم من أهل مكة بمكة كانوا مستَخْفِين مقهورين في أيدي الكفرة، ثم لا يَتَهَيَّأ لهم الانتصار منهم والانتقام عن مساوئهم، وإنما يؤمر المرء بالعفو عن مظلمة من ظلمه وأساء إليه عند مَقْدَرة الانتقام منه والانتصار، فأما من لا يكون على مقدرة من ذلك فلا معنى للأمر له بذلك إذ هو عاجز عن ذلك.

فنقول:[٤] الأمر بالعفو والصفح عنه -وإن كان أهل الإسلام منهم مقهورين[٥] مغلوبين في أيدي أولئك الكفرة[٦] على ما ذكرتم- لوجهين. أحدهما أنه أمرهم بذلك ليتقربوا[٧] بذلك إلى الله تعالى ويجعلوا[٨] ذلك وسيلة وقربة فيما بينهم وبين ربهم، وإن لم تكن[٩] لهم مَقْدرة[١٠] الانتقام والانتصار منهم، ليكون العفو عنهم بحق القربة لا[١١] بحق[١٢] التذلل والخشوع.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ر م: للمؤمنين.

[٣] ن: وما يكون لذلك الجهل.

[٤] ر م: فيكون؛ ث: فيقول.

[٥] ن: معهودن.

[٦] ن – الكفرة.

[٧] ن: ليقربوا.

[٨] جميع النسخ: ويجعلون. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٢٨ظ.

[٩] جميع النسخ: وإن لم يكن.

[١٠] ن – مقدرة.

[١١] ن – لا.

[١٢] ن: الحق.

إذ يعفو[1] كلٌ عن اختيار وطوع ويصبر على ذلك ابتغاءً لوجه الله تعالى ويترك الجزع في نفسه والمخاصمة لو قدر على الانتقام. وهو ما أمر رسولَه عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة بعد[2] ما أخبره أنهم يريدون أن يقتلوه أو يخرجوه حيث قال: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ،[3] الآية، لتكون[4] الهجرة له إلى الله تعالى بحق القربة لا بحق التذلل بإخراجهم إياه. *والله أعلم*. والثاني أن يرجع الأمر بالعفو إلى كل واحد منهم في خاصة نفسه، وقد كان من[5] المسلمين فيهم من يقدر على الانتقام والانتصار من الأفراد والآحاد منهم، وإن لم تكن[6] لهم المقدرة على الانتقام من جملتهم. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **لا يرجون أيام الله**، هذا يخرج على وجوه. أحدها **أيام الله**، أي نعم الله الدائمةَ التي لا زوال لها ولا انقطاع التي وعدها في الآخرة لأهل الإيمان. وهو ما قال في آية أخرى في قصة موسى عليه السلام حيث قال: وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، أي بنعم الله تعالى؛ ألا ترى أن موسى عليه السلام فسر أيام الله بالنعمة، حيث قال على إثره: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ،[7] الآية. والثاني لا يرجون أيام الله على حقيقة الأيام، لأنهم كانوا يرون[8] هذه النعم والسعة في الدنيا بجهد أنفسهم وكَدِّهم[9] لا بما أجرى الله تعالى النعم إليهم في الأيام. *والله أعلم*. والثالث **لا يرجون أيام الله**، أي لا يحذرون نقمة[10] الله وعقوبته.

وقوله عز وجل: **ليجزي قوما بما كانوا يكسبون**، أي ليجزي كل قوم بما كسبوا من خير وشر، يجزي من عفا عنهم جزاء العفو ويجزي المحسن جزاء الإحسان والمُسيءَ جزاءَ الإساءة. *والله أعلم*.

---

[1] ن: أن يعفو.

[2] ن – بعد.

[3] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).

[4] جميع النسخ: ليكون.

[5] ن: أمر.

[6] جميع النسخ: وإن لم يكن.

[7] ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٥-٦).

[8] ن: يريدون.

[9] ن: أنفسهم ذكرهم.

[10] ر: نعمة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**، يخبر أن من عمل من خير فإنما يعمل لنفسه، ومن عمل من سوء / فإنما يعمل على نفسه. يخبر أن من عمل من خير [٧١٨ظ] أو صالح فلنفسه سعى في الآخرة، ومن عمل من شر فعلى نفسه سعى في الآخرة؛ كمن عمل في الدنيا من الأكل والشرب فلنفسه يعمل، ومن جنى من جنايات فعلى نفسه حتى في الدنيا والآخرة حيث يُهلك به نفسه ويرجع إليه وبالُ ذلك في الدنيا والآخرة، فعلى ذلك ما قلناه. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ثم إلى ربكم ترجعون**، أي ثم إلى ما وعد ربكم من الثواب والعقاب ترجعون.[١]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب**، قال أهل التأويل: أي التوراة. والإشكال أنه آتى بني إسرائيل جملةً كتبا كثيرة، أما التوراة والإنجيل والزبور هي كتب معروفة قد نعرفها،[٢] وقد يجوز أن تكون[٣] لهم كتب غيرها، فما معنى[٤] ذكر الكتاب، وما معنى حملهم على التوراة؟[٥] إلا أن نقول: يجوز أن يريد بذكر الكتاب الكتب، فإنه أدخل الألف واللام فيكون لاستغراق الجنس. ويحتمل أنه أراد به التوراة كما قال أهل التأويل إذ يجوز أن يذكر اسم العامّ ويراد به الخاصّ، وهو الواحد منهم. ويحتمل أن تكون[٦] التوراة[٧] هو الكتاب الذي فيه عامة الأحكام، فإنه قيل: إن الزبور ليس فيه الحكم، إنما فيه التسبيح والتحميد؛ وكذا الإنجيل ليس فيه إلا أحكام قليلة،[٨] فيجوز أن يكون المراد التوراة لهذا.[٩] *والله أعلم*.

---

[١] ن ث: يرجعون.
[٢] جميع النسخ: قد يعرفها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[٣] جميع النسخ: أن يكون.
[٤] ن: في معنى.
[٥] ر م: على أن التوراة.
[٦] ر ن م: أن يكون.
[٧] ث: ويحتمل أنه أراد به التوراة.
[٨] جميع النسخ: قليل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[٩] ث – لهذا.

وقوله تعالى: **والحُكْمَ**، قال بعضهم: **والحكم**، أي فَهْمَ ما فيه. وقال بعضهم: الحكم فقه ما في الكتاب، إذ الحكم الظاهر داخل تحت قوله: **الكتاب**، لكن[1] بيّن بقوله: **والحكم**، أنه أعطي له الحكم الظاهر فيه والحكم المستخرج منه بالاستنباط والاجتهاد. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يراد بالكتاب هو ما يتلى فيما بينهم وبين ربهم، وبالحكم[2] هو ما[3] أمرهم فيه أن يحكموا فيما بين العباد. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **والنبوة**، إنما ذكر النبوة لأن النبوة كانت ظاهرة في بني إسرائيل، فإنه ذُكِر أن في بني إسرائيل كذا كذا رسولا ونبيا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **ورزقناهم من الطيبات**، قد كان رزقهم من[4] الطيبات ما ذكر من المَنّ والسَّلْوَى وغير ذلك من الطيبات فلا تحصى.[5] وقوله عز وجل: **وفضلناهم على العالمين**، قد ذكرنا تفضيلهم على العالمين في موضعه.[6]

﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **وآتيناهم بينات من الأمر**، قال بعضهم: **بينات من الأمر**، أي آياتٍ من الأمر. وقيل: **بينات من الأمر**، أي ما بيّن لهم من الحلال والحرام والشُّبه ونبإ ما كان قبلهم. ***والله أعلم***. ويحتمل **بينات من الأمر**، أي بيانَ ما يقع الحاجة إليه من الأمر. وعندنا **بينات من الأمر**، يخرج على وجهين. أحدهما **وآتيناهم بينات من الأمر**، أي بينات التكوين ودلالاته[7] لما جعل الله لهم في نفس كل أحد من دلالات وحدانيته وألوهيته، أو ما أقام من الآيات في العالم على التكوين يدل على جَعْل الألوهية والربوبية له.

وقوله عز وجل: **فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم**، على ما ذكرنا من أمر التكوين، أي ما اختلفوا في صرف الألوهية والوحدانية عن الله تعالى إلى غيره إلا من[8] بعد ما جاءهم العلم،

---

[1] جميع النسخ – لكن. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[2] جميع النسخ: والحكم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٢ظ.
[3] ر ن: هو إما.
[4] جميع النسخ – من. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[5] جميع النسخ: فلا يحصى. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٢ظ.
[6] انظر: تأويل الآية ٤٧ من سورة البقرة، وانظر أيضا: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات، «بنو إسرائيل».
[7] ر م: ودلالات؛ ث: ودلالة.
[8] جميع النسخ – من. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.

أي إلا من بعد ما بَيّن لهم أن الألوهية والربوبية بالدلالات[١] الواضحة والحجج[٢] النيرة [له]، وأن له الخلق والأمر، إلا أنه ذكر العلم وأراد به أسباب العلم ودلائله. *والله أعلم*. والثاني يحتمل قوله عز وجل: **وآتيناهم بينات من الأمر**، أمر المحن من الأمر[٣] والنهي والتحليل والتحريم وبيان ما يؤتى وما يُتَّقَى[٤] وما لهم وما عليهم.

ثم قوله عز وجل: **فما اختلفوا إلا من بعد ما جاء هم العلم**، واختلافهم فيما امتحنوا يتوجه إلى وجوه. أحدها ما اختلفوا فيما امتحنوا من الدين[٥] أو فيما امتُحنوا في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والإجابة له إلى ما يدعوهم إليه والطاعة له.[٦] ويحتمل اختلافهم الذي ذَكَر الاختلافُ في القرآن أو فيما امتحنوا من التحليل والتحريم. ثم يخبر جل وعلا أنهم ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بالحق في ذلك[٧] والبيانُ أنه من الله وأن ما هم عليه باطل مضمحلّ. ثم أخبر أن اختلافهم إنما هو لبغي بينهم وحسدٍ حَمَلَهم ذلك على الاختلاف فيما بينهم. ثم أخبر أنه يقضي[٨] بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

ثم قوله تعالى: **يقضي بينهم يوم القيامة**، يحتمل وجهين. أحدهما أي يجزيهم[٩] في الآخرة جزاء اختلافهم في الدنيا، أو **يقضي**، أي يَفْصل ويبين يوم القيامة الحق من الباطل والمحق من المُبْطل.[١٠] *والله أعلم*.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها**، يحتمل أن يكون هذا صلة قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ،[١١] كأنه يقول: وآتيناهم بينات من الأمر وجعلنا ذلك

---

[١] ر م: بالدلالة.
[٢] ر ث م: والحجة.
[٣] ر ث م: أمر المجيء من الأمر؛ ن - أمر المحن من الأمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٢ظ.
[٤] ر م: ويتقى؛ ن: وما يبقى.
[٥] ن: من الذين.
[٦] ن - له.
[٧] ن - في ذلك.
[٨] ن: لقضي.
[٩] ر م: يخبر بهم.
[١٠] ر ث م: والمبطل.
[١١] الآية السابقة.

شريعة لك فاتبعها أنت وإن لم يتبعوها هم. والشريعة هي الملة والمذهب،[1] وهي ما يُشْرَع[2] فيه ويُذْهَب إليه، كذلك قاله القُتَبِي، قال: يقال شَرَع فلان في كذا إذا أخذ فيه، ومنه مشارع الماء الفُرَضُ[3] التي يَشرع فيها الناس والواردةُ.[4] وقال أبو عَوْسَجَة: الشريعة السنة. *والله أعلم*.

[٧١٩و] ثم أخبر أن الذي / هم عليه إنما هو هوى النفس، فقال عز وجل: **ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**، يحتمل قوله تعالى: **لا يعلمون** [وجهين. أحدهما أنهم لا يعلمون] لما لم يتأملوا فيه ولم يتفكروا ما لو تأملوا وتفكروا فيه لعلموا، لأنه[5] قد ذَكَر في أول الآية أنهم إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، أي جاءهم من دلائل العلم ما لو تأملوا ونظروا فيها لعلموا. والثاني نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا وما جعل لهم من العلم. *والله أعلم*.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا**، أي لو اتبعت أهواءهم لن يغنوا عنك من الله، أي لن يغنوا[6] أولئك عن دفع ما ينزل بك من عذاب الله شيئا، وهو ما قال في آية أخرى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ -إلى قوله- إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ،[7] الآية.

ثم أخبر أن الظالمين بعضهم أولياء بعض بقوله: **وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض**، يحتمل ولايةَ الدين والمذهب، أي بعضهم يوالي بعضا في الدين. ويحتمل في غيره، أي يلي[8] بعضهم أمر بعض في الإعانة والنصرة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والله**[9] **ولي المتقين**، يحتمل أي يلي أمور المتقين. ويحتمل **ولي المتقين**، أي ناصرهم ومعينهم.

---

[1] ث: والذهب.

[2] جميع النسخ: ما شرع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣و.

[3] فُرْضة النهر مشرب الماء منه، والجمع فُرَض وفِراض (*لسان العرب*، «فرض»).

[4] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥.

[5] ن – لأنه.

[6] جميع النسخ: لم يغنوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣و.

[7] ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثَبَّتْنَاك لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ (سورة الإسراء، ٧٣/١٧-٧٥).

[8] ن: بلي.

[9] ن: الله.

﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **هذا بصائر للناس**، سمى الله تعالى هذا القرآن مرة بصائر وهو ما يُبْصَر به، ومرة هدى وبيانا ورحمة ونورا ونحوه، وهو هكذا هو هدى وبيان ونور وبصيرة لمن اتبعه ونظر إليه بعين التعظيم والتبجيل وقَبِلَه.[١] ويحتمل **بصائر** بيانا[٢] يبين لهم أنه من الله، فيبين[٣] لهم[٤] الحق من الباطل ويبين لهم ما لهم[٥] وما عليهم لمن ذكر: **لقوم يوقنون**. ***والله أعلم***.[٦]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**. قال بعض أهل التأويل: إن نفرا[٧] من الكفرة قالوا: والله إن كان ما يقوله محمد من الثواب والنعيم في الجنة حقا فنحن أولى بذلك منهم كما كنا في نعيم الدنيا ولذّاتها أولى منهم، أو لنُعْطَيَنَّ أفضلَ مما يُعْطَوْن ولنُفَضَّلَنَّ عليهم كما فُضِّلْنا في الدنيا، فأنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك قوله:[٨] **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**، الآية.[٩] لكن هذا التأويل ضعيف، لأن هذا لا يصلح[١٠] أن يكون جوابا للنازلة التي ذكرها أهل التأويل، لأن أولئك قالوا: نحن أولى بما يكون في الآخرة من النعيم واللذات منهم كما كنا في الدنيا أولى، وكما فُضِّلنا في الدنيا نُفَضَّل في الآخرة، فلا يكون قوله تعالى: **أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**، جوابا[١١] لما قالوا. وهم إنما قالوا: نحن أولى بذلك ونحن نُفضَّل فيها كما فُضِّلنا في الدنيا،

---

[١] ث: وقيل.
[٢] ر ن م: بيان.
[٣] ن: فتبين.
[٤] ث - لهم.
[٥] ر م ن - ما لهم.
[٦] ر م - والله أعلم.
[٧] ر م: وقال بعض أهل التأويل نفر.
[٨] ر م - قوله.
[٩] انظر: *تفسير الثعالبي*، ٥/٢٠٧.
[١٠] ن: لا تصلح.
[١١] جميع النسخ: فلا يكون قوله تعالى أن نجعلهم سواء جوابا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣و.

فإذا كانوا حسبوا هم أنهم مفضَّلون على المؤمنين في الآخرة دون المساواة كيف يخبر عنهم أنهم حسبوا التساوي، ولا خُلْفَ في خبر الله عز وجل. *والله أعلم*. لكن الآية عندنا إنما كانت في منكري البعث وجاحديه، يقول -والله أعلم-:[1] **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء**، الآية، أي لو كان الأمر على ما ظن أولئك بأن لا بعث ولا نشور كان في ذلك جَعْلُ الذين اجترحوا السيئات -أي الشركَ- كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم، لأنهم جميعا قد استَوَوْا في هذه الدنيا في لذاتها ونعيمها وشدائدها وآلامها، وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز وإنزال كل واحد منهما منزلته وما يستحقه المسيء[2] العقوبة وجزاءَ الإساءة والمحسنُ الإحسان والإفضال وجزاءَ إحسانه. فإذا جمع بينهما في هذه الدنيا على ما ذكرنا دل أن هنالك دارا أخرى فيها يُفَرِّقُ وَيُمَيِّزُ بينهما في حق الثواب والعقاب. *والله أعلم*. وهو كقوله تعالى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[3] لو كان كما ظن أولئك الكفرة أن لا بعث ولا نشورَ كان خلق ما ذكر من السماوات والأرض وما بينهما باطلا على ظنهم. فكذلك[4] قوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[5] صيّر خلق السماوات والأرض إذا لم يكن هنالك رجوع إليه عبثا باطلا. *والله أعلم*.[6] فهذا أولى وأحق أن تصرف[7] إليه الآية. وعلى ذلك ما ذكر في قوله عز وجل: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ،[8] الآية، وقوله عز وجل: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً،[9] أي لا يستويان. ولو كان الأمر على ما ظن أولئك أن لا بعث ولا نشور ولا حياة كان في ذلك استواءٌ بين من ذكر، وقد سُوِّي بينهم في الدنيا، وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز، إذ لا يجوز التسوية بين الولي والعدو وقد سُوِّي بينهما في الدنيا، فعلم[10] أن المراد به نفي الاستواء بينهما في دار أخرى. *والله الموفق*.

---

[1] ث - لكن الآية عندنا إنما كانت في منكري البعث وجاحديه يقول والله أعلم.
[2] ن: المسمى.
[3] سورة ص، ٣٨/٢٧.
[4] ر ث م: فلذلك.
[5] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.
[6] ر م - والله أعلم.
[7] جميع النسخ: أن يصرف.
[8] سورة الأنعام، ٦/٥٩؛ سورة الرعد، ١٣/١٦.
[9] سورة هود، ١١/٢٤.
[10] ن: فعلى.

/ثم اختلف أهل الكلام فيما يعطي الولي والعدوّ في هذه الدنيا من الصحة والسلامة. [٧١٩ظ]
على قول أكثر المعتزلة أن الله تعالى لا يعطي أحدا في الدنيا من كافر أو مؤمن شيئا إلا وهو أصلح له في الدين. ثم على قولهم لا يظهر عفو الله تعالى[١] في الآخرة، لأنهم يقولون: إنما يستوجبون الثواب والجنة بأعمالهم لا برحمة الله تعالى، فإذا عفا عن المسيء فلا يُعلَم أنه كان مستحقا لذلك[٢] أو يعفو[٣] منه فضلا. وعندنا أن ما أعطاهم إنما يعطيهم إفضالا منه ورحمة فيعرفون فضله وإحسانه وعفوه. وأكثر أصحابنا يقولون: إن جميع ما أَعْطى الكافرَ في الدنيا فهو شر له، كقوله تعالى: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[٤] وقوله عز وجل: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ،[٥] ونحو ذلك مما[٦] يخبر أن ما يعطي إياهم يكون ذلك شرا لهم وما أعطى [المؤمنين] يكون خيرا لهم. ولكن عندنا ليس هذا على الإطلاق والإرسال، ولكن ما كان توفيقا منه على الخيرات في نفسها فهو خير له،[٧] وما كان خذلانا فهو شر له، وليس على الله حفظ الأصلح لهم على ما يقوله المعتزلة، ولكنه يفعل بهم ما هو حكمة [و]عدل كما يفعل ما هو إحسان وفضل. *والله الموفق.*

قال القُتَبِي: **اجترحوا السيئات**، أي اكتسبوها، ومنه قيل لكلاب[٨] الصيد: جوارح.[٩]

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهو لا يظلمون**، كأنه يقول -والله أعلم-: خلق السماوات والأرض بالحق لتجزى[١٠] كل نفس بما كسبت، أي إنما خلق ما ذكر بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت؛ فلو لم يكن جزاءٌ في الآخرة

---

[١] ر ث + لا يظهر عفوه تعالى.
[٢] ر ث م: كذلك.
[٣] ر م: أو يعفوا.
[٤] سورة آل عمران، ٣/١٧٨.
[٥] سورة المؤمنون، ٢٣/٥٥-٥٦.
[٦] جميع النسخ: ما.
[٧] ر ث م + أن ما يعطي إياهم يكون ذلك شرا لهم وما أعطى يكون خيرا لهم.
[٨] ن ث: للكلاب.
[٩] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١/٤٠٥.
[١٠] ر م: ولتجزى.

لِما كسبوا في الدنيا[1] -على ما قال أولئك الكفرة: أن لا جزاء من الثواب والعقاب لإنكارهم البعث- لم يكن خلقهما بالحق على ما ذكرنا، فتبين أنه إنما صار خلقهما حقا[2] إذا كان هنالك جزاءٌ. وهذا يدل على أن الآية الأولى هو في منكري البعث، ليست فيما ذكر أهل التأويل. *والله أعلم*.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما على التحقيق، على ما قاله عامة أهل التأويل: إنهم عبدوا كل شيء استحسنوه؛ كانوا إذا[3] استحسنوا شيئا هَوَوْه، وإذا هووه عبدوه، ثم إذا رَأَوْ[4] شيئا آخر أحسن منه تركوا عبادة الأول وعبدوا الثاني، فذلك كانت عادتهم؛ وذلك اتخاذ الآلهة بهواهم، إذ الإله هو المعبود عندهم، وهو التحقيق[5] الذي ذكرنا. والثاني على التمثيل، وهو ما قال قتادة: إنهم ما هووا شيئا إلا ركبوه، لا تمنعهم[6] مخافة الله عما هَووه ولا تَرْدَعهم[7] خشيته[8] عما اشتهوا، فصيّروا هواهم متَّبَعا فهو كالإله لهم لا يتبعون أمر الله فلا يكترثون له، أو كلام نحوه.[9] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأضله الله على علم،** يخرج على وجوه. أحدها أي أضله الله على علم[10] من ذلك الإنسان طريق[11] الهدى والحق لا أنه أضله على خفاء من ذلك الإنسان طريق[12] الحق وسبيله، أي قد بين له السبيل وطريق الحق لكنه باختياره ضل. والثاني قوله: **وأضله الله على علم،**

---

[1] ر ث م: فلو لم يكن جزاء لما كسبوا في الدنيا في الآخرة؛ ن: فلو لم يكن جزاء لما كسبوا في الدنيا وفي الآخرة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٣ظ.

[2] ر ث م - حقا.

[3] ر م - استحسنوه كانوا إذا.

[4] ر م - شيئا هووه وإذا هووه عبدوه ثم إذا رأو.

[5] ن: والتحقيق.

[6] جميع النسخ: لا يمنعهم.

[7] جميع النسخ: ولا يردعهم.

[8] ر م: خشية.

[9] روى عبد الرزاق الصنعاني والطبري عن قتادة نحو هذه الرواية، انظر: *تفسير عبد الرزاق*، ٢/٢١٢؛ و*تفسير الطبري*، ٩٣/٢١.

[10] ن - يخرج على وجوه أحدها أي أضله الله على علم.

[11] جميع النسخ: بالطريق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٧٠٢ظ.

[12] جميع النسخ: بالطريق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٧٠٢ظ.

أي أضله الله على علم منه باختياره[١] الضلال، أضله لِما علم منه أنه يختار الضلال والكفر ليكون ما علم أنه يكون ويختار. *والله أعلم*. والثالث **أضله الله على علم**، أي أنشأ منه فعلَ الضلال على علم منه بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي غطّى قلبه بما هَوِيَه[٢] وجعل فيه ظلمة، فتلك الظلمة وذلك الغطاء أوجب غطاء السمع والبصر وحال بينه وبين سماع الحجج والبراهين، وصارت[٣] ظلمة البصر وغطاءه مانعة[٤] له[٥] عن اكتساب التدبير والتفكر. ويحتمل أن يكون ما هووه مانعا لهم عن اكتساب الحياة الدائمة ما[٦] لو اتبعوا أمر الله تعالى وما دعاهم إليه كانت لهم تلك الحياة، كقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ،[٧] وكقوله تعالى: أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ،[٨] فما هووه واتبعوه منعهم عن اكتساب الحياة الدائمة المَدْعُوِّ إليها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فمن يهديه من بعد الله**،[٩] هذا أيضا يحتمل وجهين. أحدهما حقيقة الهداية وهو التوفيق والعصمة، فكأنه يقول -والله أعلم-: فمن يقدر دون الله هدايته وتوفيقه بعد اختياره الضلال. والثاني الهدى البيان، فكأنه يقول -والله أعلم-:[١٠] فمن يقدر أن يأتيَ ببيان أكثر وأبيَنَ مِن بعد بيان الله تعالى الذي بيّن له، أي لا أحد يقدر ذلك. **أفلا تذَكَّرون**، أي أفلا تتعظون، أو أفلا تذكرون بيان الله أو ما بين لهم. *والله أعلم*.

ثم الآية في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا لئلا يشتغل بهم ولا يهتمّ لهم ولكن يشتغل بغيرهم ويقطع طمعه عن إيمانهم.[١١] *والله أعلم*.

---

[١] ر ث م – ضل والثاني قوله وأضله الله على علم أي أضله الله على علم منه باختياره.
[٢] جميع النسخ: بما هواه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[٣] جميع النسخ: وصار.
[٤] جميع النسخ: مانعا.
[٥] ر م: لهم.
[٦] جميع النسخ: لما. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[٧] سورة الأنفال، ٢٤/٨.
[٨] ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ (سورة الأنعام، ١٢٢/٦).
[٩] ث + الآية.
[١٠] ر م – والله أعلم.
[١١] أي لئلا يشتغل النبي صلى الله عليه وسلم بهم...

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا**، أي قالوا:[١] ما الحياة إلا حياة الدنيا. ويحتمل أنهم يقولون: **ما هي**، أي لا حياة إلا الحياة التي دنت منا. وقوله عز وجل: **نموت ونحيا**، يخرج على وجهين.[٢] أحدهما أي نموت نحن ويحيا آخرون، أو نموت نحن[٣] ويحيا[٤] أبناؤنا وأولادنا. والثاني **نموت**، أي كنا مَيِّتِين[٥] فحَيِينا، **نموت** بمعنى كنا أمواتا، **ونحيا**، أي فصِرْنا أحياء، ثم لا حياة / بعد تلك الحياة. **والله أعلم**. [٧٢٠و]

وقوله عز وجل: **وما يهلكنا إلا الدهر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي ما يهلكنا إلا مرور الأزمنة والأوقات، أي بسبب مرور الأوقات تنتهي[٦] آجالنا ونبلغ إلى الهلاك؛ كذلك قال القُتَبِي: **وما يهلكنا إلا الدهر**، أي إلا مرور السنين والأيام.[٧] والثاني[٨] يكون الدهر عندهم عبارة عن الأبد، فكأنهم يقولون في قوله: **وما يهلكنا إلا الدهر**: وما يُهلك أنفسَنا إلا لأن أنفسنا لم تجعل[٩] للأبد ولا للبقاء[١٠] بل جعلت للانقضاء والفناء. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**، [هذا يخرج على وجهين أيضا. أحدهما] أي ما لهم[١١] [في قولهم] بأن لا حياةَ إلا حياتنا الدنيا من علم[١٢] إلا[١٣] ظَنٌّ يظنون. والثاني **وما لهم بذلك**، أي وما لهم بما قالوا: **وما يهلكنا إلا الدهر**، **من علم إن هم إلا يظنون**، أي ما هم إلا على ظن، أي على ظن يقولون ذلك لا عن علم. **والله أعلم**.

---

[١] ر م: أي ما قالوا.
[٢] ر ث م: على الوجهين.
[٣] جميع النسخ – ويحيا آخرون أو نموت نحن. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[٤] جميع النسخ: ونحيا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤و.
[٥] ر: تبين؛ ن + أي كنا ميتين.
[٦] جميع النسخ: ينتهي.
[٧] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥.
[٨] ر ثم + أن.
[٩] جميع النسخ: لم يجعل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[١٠] ر م + للأبد.
[١١] جميع النسخ: ما هم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤و.
[١٢] جميع النسخ – بأن لا حياة إلا حياتنا الدنيا من علم. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٤و.
[١٣] جميع النسخ + على. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤و.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٥]

وقوله: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، أي وإذا تتلى عليهم آياتنا في البعث والحياة بعد الموت، **بينات**،[١] أي ما يوضح و يبين لهم البعث والحياة بعد الموت. وقوله عز وجل: **ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**. والإشكال أنه ذكر ما كان حجتهم،[٢] والحجة هي التي إذا أقامها الإنسان وأتى بها عُذِر في ذلك، وما قالوا لم يكن حجة إذ لم يعذروا بها.[٣] فنقول:[٤] معنى قوله: **ما كان حجتهم**، أي ما كان احتجاجهم إلا أن قالوا كذا، أو يقول: ما كانوا يحتجون إلا أن قالوا كذا. ثم قوله: **ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**، فيه دلالة أن لا يَلزم المسئولَ أن يأتي بحجة وآية يختارها السائل ويشتهيها، لكن يلزمه أن يأتي بما هو حجة في نفسه ويلزمه الاتباع بها؛ فأما أن يَلزم على ما يختاره السائل أو يتمناه فلا، وقد أتاهم الله تعالى من الآيات والحجج ما ألزمهم القولَ بالبعث والإقرارَ به. ثم أخبر أن الله تعالى هو يحييكم ثم يميتكم لا[٥] الدهرُ الذي قالوا، وهو قوله:

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٦]

قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة، يحتمل قوله: **قل الله يحييكم**،[٦] أي يحييكم في قبوركم ثم يميتكم فيها ثم يجمعكم إلى يوم القيامة. أو يقول: الله يحييكم في ابتداء أمركم[٧] ثم يميتكم في الدنيا عند انقضاء آجالكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة. وقوله عز وجل: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أي ولكن أكثر الناس لا ينتفعون بما يعلمون،[٨] أو يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون لِما تركوا النظر بالتأمل في أسباب العلم.

---

[١] ن – أي وإذا تتلى عليهم آياتنا في البعث والحياة بعد الموت بينات، صح هـ.

[٢] ر م + إذ لم يعذروا فيقول.

[٣] ر م – بها.

[٤] ر ث م: فيقول.

[٥] م: إلا.

[٦] ن – ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة يحتمل (ويحتمل) قوله قل الله يحييكم، صح هـ.

[٧] ر ث م: الأمر.

[٨] ن ث: بما يعملون.

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **ولله ملك السماوات والأرض**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي ولله مُلْك كل مَلِك في السماوات والأرض، أو لله ملك السماوات والأرض، أي خزائن السماوات والأرض، وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه،[١] أو يقول: ولله حقيقة ملك السماوات والأرض. فإن كان التأويل هو الأولَ[٢] فإن له مُلكَ كل مَلِك[٣] في السماوات والأرض. ففيه إخبار وإعلام لمنع[٤] اتباع أولئك الملوك والتعظيم لهم والإجلال والخدمة لهم بما في أيديهم من الملك والسلطان وفضل الأموال، بل فيه الأمر بصرف[٥] ذلك كله إلى الله تعالى والقيام له بالشكر لا لأولئك؛ لأن الذي في أيديهم لله تعالى، وهو الجاعل ذلك[٦] في أيديهم والواضع عندهم، فإليه يلزم صرف الشكر والعبادة. *والله أعلم*. وإن كان تأويل المُلك الخزائنَ ففيه قطع[٧] الأطماع عما في أيدي الناس والأمرُ بصرف ذلك إلى الله تعالى والرجاءِ منه دون مَن سواه. *والله أعلم*. وإن كان الثالثَ، وهو أن حقيقة الملك لله تعالى، ففيه أنه فيما امتحنهم في الدنيا بأنواع المحن لم يمتحنهم لمنفعة ترجع[٨] إلى نفسه أو لمضرة يدفع عنها، وكذلك ما يثيبهم في الآخرة ويعاقبهم ليس يفعل ذلك لمنفعة كانت له في الدنيا أو دفع مضرة عنه، ولكن لحكمة أوجبت ذلك لهم وعليهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويوم تقوم الساعة**، سَمَّى القيامة ساعة، فجائز أن يكون سماها لسرعة قيامها أو نفاذها، كقوله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[٩] أو أن يكون سماها بذلك لما يكون حسابهم وأمرهم يوم القيامة إنما يكون في ساعة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **يومئذ يَخْسَر المبطلون**. يحتمل أي يومئذ يتبين[١٠] خسران المبطلين في الدنيا،

---

[١] لم أجده في المراجع.
[٢] ن – هو الأول، صح هـ.
[٣] ن – كل ملك، صح هـ.
[٤] ر ث م: بليغ؛ ن: من يمنع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[٥] ن: تصرف.
[٦] ر ث م – ذلك.
[٧] ر ث م: مطلع.
[٨] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[٩] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[١٠] جميع النسخ: يبين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.

وعلى ذلك يتبين[1] خسران كل مشتركين[2] في تجارة الدنيا أو[3] في عمل بالقسمة، عند ذلك يتبين[4] خسران عملهم وتجارتهم. وأصله أن الله تعالى جعل الدنيا وما أنشأ فيها من الأموال والأملاك رءوس أموال لأهلها يَتَّجِرون ويكتسبون بها الربح في الآخرة، وأنه إنما أنشأ الدنيا للآخرة لا أنه أنشأها لنفسها، ولذلك قال: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ [بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ]،[5] الآية، وقال: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ،[6] ونحوه. **والله أعلم**.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها**، يحتمل ما ذكر من الجُثُوِّ للرُّكَب في الآخرة تعريفا[7] لهم وإنباءَ أنَّهم يختصمون يوم القيامة جاثين للرُّكَب[8] كما يختصم في الدنيا عن الحكام والأمراء جاثٍ[9] للركبتين.[10] **والله أعلم**. ويحتمل أن يذكر جثوهم لما لا تقوم[11] لهم الأقدام ولا تحملهم[12] لهول ذلك اليوم والخوف فيها فيكونون جاثين / للركب ويقومون بها. **والله أعلم**. وقوله عز وجل: **كلُّ أمة تُدْعَى إلى كتابها**، يحتمل **كتابها**[13] كتابَ كلٍ في نفسه، وهو كقوله تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ،[14] وقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[15] وقوله:[16] وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ،[17] ونحوه. [٧٢٠ظ]

---

[1] ر ث م: يبين؛ ن: تبين. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[2] جميع النسخ: مشركين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[3] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[4] جميع النسخ: في عمل عند القسمة يتبين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٢و.
[5] سورة التوبة، ١١١/٩.
[6] سورة البقرة، ٢٠٧/٢.
[7] ر ث م: تعريف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[8] ن – في الآخرة تعريفا لهم وإنباء أنهم يختصمون يوم القيامة جاثين للركب.
[9] جميع النسخ: جاثين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[10] جميع النسخ: للركب.
[11] جميع النسخ: لما لا يقوم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[12] جميع النسخ: ولا يحملهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٤ظ.
[13] ن + يحتمل كتابها.
[14] سورة الإسراء، ١٣/١٧.
[15] سورة الحاقة، ١٩/٦٩.
[16] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٤ظ.
[17] سورة الحاقة، ٢٥/٦٩.

ويحتمل أن يكون قوله: **كلُّ أمة تدعى إلى كتابها**، أي كتابها[1] الذي دعي[2] كل أمة إليه في الدنيا من نحو القرآن ونحوه، فيقال: يا أهل الإنجيل! يا أهل التوراة! ونحو ذلك. ***والله أعلم***.

ويحتمل أن يكون **كل أمة تدعى إلى كتابها**، أي إلى حسابها الذي عملت في الدنيا، تفسير ذلك ما ذكر: **اليوم تجزون ما كنتم تعملون**.[3]

[٧٢٠ظ س ٢٠] *وقال أبو عَوْسَجَة: الجاثية هي التي جَثَتْ واجتمعت، ويقال: تجاثينا، أي بَرَكْنا على رُكَبنا للخصومة. وقال القُتَبِي: **جاثيةً** على الرُّكَب، يراد أنها غير مطمئنة. وقوله تعالى: **تُدْعَى إلى كتابها**، أي[4] إلى حسابها.* [٧٢٠ظ س ٢١]

﴿هٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق**، يحتمل الكتاب الذي أضاف إلى نفسه هو القرآنَ الذي كان ينطق لهم بالحق، أي بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض، أو **بالحق**، أي بالصدق بأنه من الله تعالى. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون ذلك الكتاب هو الكتابَ الذي يكون لكل بالانفراد الذي[6] كتبته[7] له الملائكة مما عملوا من خير أو شر، وهو كقوله تعالى: اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[8] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**، اختلف في تأويله؛ قال بعضهم: إن الحفظة تكتب أعمال بني آدم ثم يعارضون ذلك بما في اللوح المحفوظ المكتوب فيه أن فلانا يعمل كذا وكذا فلا يزيد شيء ولا ينقص. وعن ابن عباس رضي الله عنه يقول قريبا من هذا: إن في السماء كتابا عليه ملائكة، والملائكة الذين مع بني آدم يستنسخون من ذلك الكتاب ما يعملون؛ ثم قال: وهل تكون[9] النسخة إلا من كتاب أو شيء.[10] ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م – أي كتابها.
[2] جميع النسخ: دعيت.
[3] ن – تفسير ذلك ما ذكر اليوم تجزون ما كنتم تعملون.
[4] جميع النسخ – أي. والزيادة من *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٢٠ظ/سطر ٢٠-٢١.
[6] ر ث م: للذي.
[7] ر م: كتبه.
[8] سورة الإسراء، ١٤/١٧.
[9] جميع النسخ: يكون.
[10] انظر: *تفسير مقاتل*، ٢١٥/٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٠٤/٢١-١٠٥.

وقال بعضهم: ملكان مَوَكَّلان بالكتابة يكتب كل واحد منهما ما يعمله، فإذا أراد أن يصعد إلى السماء يعارض[١] كل واحد منهما كتابه الذي كتبه مع كتاب الآخر فلا يخطئ حرفا مما كتب هذا ما كتب الآخر. *والله أعلم*. وقال بعضهم: يعرض[٢] كتاب الناس الذي عملوا كل يوم أو كلَّ خميسٍ فينسخ منه الخير والشر وما يثاب عليه وما يعاقَب ويُلْقَى ما سوى ذلك مما لا ثواب له ولا عقاب. *والله أعلم*. ويحتمل أن يراد من الانتساخ ابتداءُ الكتابة من غير أخذ من كتاب أو نحوه، فإنه يجوز أن يستعمل الانتساخ في ابتداء الكتابة على غير أخذ من الكتاب أو غيره، نحوَ أن يقول الرجل: انتسخته،[٣] أي كتبته، فيكون كأنه قال: **إنا كنا نستنسخ**، أي نكتب، **ما كنتم تعملون**، ونُثْبِته عليكم من خير أو شر، فيُخرج لهم كتبَهم التي فيها أعمالهم فكانت عليهم حجة، وهي التي كتبت عليهم الحفظة.* وقوله: **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق**، يريد أنهم يقرءونه فيدلهم ويُذَكِّرهم، فكأنه ينطق عليهم. وقوله تعالى: **إنا كنا نستنسخ**، أي نكتب،[٥] على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[٣٠]

وقوله تعالى: **فأما الذين آمنوا**، آمنوا بجميع ما كان عليه الإيمان به والتصديق. وقوله عز وجل: **وعملوا الصالحات**، أي عملوا بما فيه صلاحهم وما توجبه[٦] الحكمة من العمل. **فيدخلهم ربهم في رحمته**، أي في جنته؛ سَمَى الجنة رحمة لأنها تنال[٧] برحمته ويدخل فيها، أو سماها رحمة لأنها هي النهاية والغاية التي تطلب بالرحمة وتراد بها.[٨] *والله أعلم*.[٩] وقوله: **ذلك هو الفوز المبين**،[١٠] الفوز هو الظفر بما يؤمل ويرجى من العمل، أو يقال: الفوز هو الفلاح الذي لا خوفَ بَعدَه. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: فيعارض.

[٢] جميع النسخ: عرض.

[٣] ن: انتسخه.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٢٠ظ/سطر ٢٠-٢١.

[٥] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٥-٤٠٦.

[٦] جميع النسخ: وما يوجبه.

[٧] جميع النسخ: ينال.

[٨] جميع النسخ: يطلب بالرحمة ويراد بها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥و.

[٩] ر م – والله أعلم.

[١٠] ر م + الآية.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[٣١]

وقوله: **وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم**، كأن فيه إضمارا، لأن قوله تعالى: **وأما الذين كفروا**، إنما هو إخبار على المغايبة،[١] وقوله تعالى: **أفلم تكن آياتي تتلى عليكم**، خطاب ومشافهة فليس هو من جواب الأول ولا من نوعه، فكأنه قال -والله أعلم-: وأما الذين كفروا في الدنيا فيقال لهم في الآخرة إذا طلبوا الرجوع والإقالة أو التخفيف ونحو ذلك: أفلم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا؟ ثم تحتمل[٢] آياته آياتِ وحدانيته وألوهيته، أو آيات قدرته وسلطانه على التعذيب، أو آيات قدرته على البعث، أو آيات[٣] رسالة رسله.[٤] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين**، لا أحد يقصد قصد الاستكبار على آيات الله، لكنهم لما كذبوها وردوا آياته و لم يعملوا بها فكأنهم استكبروا عليها، وهو كما قال: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[٥] ولا أحد يقصد قصد[٦] عبادة الشيطان، لكنهم لما عبدوا الأصنام بأمر الشيطان فكأنهم عبدوه. ويحتمل أن يكونوا استكبروا على رسله، فيكون استكبارهم على رسله كأنهم استكبروا عليه، أو[٧] استكبروا على آياته. ***والله أعلم***.
وقوله عز وجل: **وكنتم قوما مجرمين**. قيل المجرم، هو الوَثّاب في المعصية. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين**، كان عندهم فيها ريب، لكنهم لو تأملوا ونظروا[٨] فيما أقام من آياته زال عنهم الريب الذي كان لهم فيها. ويحتمل أن يقال: هذا على الإيقان[٩] إذا كان القائل به موقنا وإن كان الذي يقال له شاكا في ذلك، والأول أقرب وأشبه.

---

[١] ر م: على المعاينة؛ ث: على المعاتبة.
[٢] جميع النسخ: يحتمل.
[٣] ن: أو آية.
[٤] ر م: رسالته.
[٥] سورة يس، ٣٦/٦٠.
[٦] ن - قصد.
[٧] ر م - استكبروا عليه أو.
[٨] ن + فيها.
[٩] ر م: على الإتقان.

ثم / الناس رجلان في الساعة: موقن بها ومتحقق، ولكن في العمل بها والاستعداد لها كالظان. [٧٢١و]
والثاني ظانٌ بها شاك فيها جاحد[١] لها ومكذب كالموقن أن لا يكون. ثم الإيقان[٢] بالشيء هو العلم بالأسباب الظاهرة، وقد يدخل[٣] في تلك الأسباب أدنى شبهة وشك، لذلك ذَكَر فيه الظن. *والله أعلم*. وأما العلم بالشيء قد يكون بالسبب وقد يكون[٤] بالتجلي له بلا سبب، ولذلك وُصف الله تعالى بالعلم ولم يوصف بالإيقان ولا يقال:[٥] إنه موقن، لما ذكرنا أن أحدهما يكون بأسباب والآخر لا -والله أعلم- فيتمكن في الإيقان[٦] أدنى شبهة وشك، وقد يَعْمَل غالبُ الأسباب[٧] عمل[٨] حقيقة الأعمال، نحو المكرَه على الشر يعلم بما أُوعِد به بغالب أسبابه ليس على الحقيقة. *والله أعلم*.

*ثم في قوله: **إن نظن إلا ظنا**، وقوله: وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا،[٩] الآية، [٧٢١و س ٣١
وقوله عز وجل: اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ،[١٠] دلالةٌ أَنْ لا يجبُ أن يُفهم على ظاهر ما[١١] خرج الخطاب، لأنه[١٢] ذكر الظن في المؤمنين والمراد به الإيقان لا ظاهر الظن، وذكر في الكافرين الظن وأريد به الحقيقة، ولا يجوز أن يفهم من الظن في الفرقين معنى واحد بل يفهم من هذا غير الذي فهم من الآخر. *والله أعلم*.* ٧٢١و س ٣٤]

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وبدا لهم سيئات ما عملوا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما بدا لهم أن الأعمال التي عملوها في الدنيا أنها سيئات[١٤] في الآخرة، لأنهم عملوها في الدنيا وعندهم

---

[١] جميع النسخ: حاجة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥و.
[٢] ر م: ثم الإتقان.
[٣] ن: وقد حل.
[٤] ن – بالسبب وقد يكون.
[٥] ر م: بالإتقان ولا يقال؛ ث + ولا يقال.
[٦] ر م: في الإتقان.
[٧] ر م: غالبا لأسباب.
[٨] ر م: على.
[٩] سورة الكهف، ٥٣/١٨.
[١٠] سورة البقرة، ٤٦/٢.
[١١] جميع النسخ: على ظاهرها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥ظ.
[١٢] ر م: أنه.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية الآتية برقم ٣٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٢١و/سطر ٣١-٣٤.
[١٤] ر ث م: أسباب.

أنها حسنات فيظهر لهم في الآخرة أنها سيئات. والثاني **وبدا لهم**[1] **سيئات ما عملوا**، أي ظهر لهم في الآخرة، وتذكروا سيئات ما عملوا[2] في الدنيا، أي يتذكرون تلك السيئات التي عملوها في الدنيا[3] في الآخرة.[4] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**، أي نزل بهم ووجب ما كانوا يستعجلون[5] من الرسل، وهو العذاب الذي كانوا يوعدونهم، لأنهم إنما كانوا[6] يستعجلون ذلك استهزاء منهم بهم بأنه غير كائن ولا نازل بهم ما كانوا يوعدونهم. *والله أعلم*.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**. والإشكال أنهم كيف يُنْسَون[7] يومئذ، لأنهم لو كانوا يُنْسَون لسَلِموا من العذاب. لكن ما ذكر من النسيان يخرج على وجهين. أحدهما كَنَى بالنسيان عن الترك، يقول: اليوم نترككم في النار وفي العذاب كما تركتم أنتم العملَ لذلك اليوم والنظرَ فيه. والثاني على التمثيل، أي اليوم نُصيِّركم في[8] النار كالشيء المنسيّ لا يُكترَث[9] إليكم ولا يُلتفت ولا يُعْبَأ بكم، كما صيرتم أنتم ذلك اليوم كالشيء المنسي لم تكترثوا[10] إليه ولم تعملوا له.[11] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومأواكم النار وما لكم من ناصرين**، جعل الله تعالى النار لهم مأوى بإزاء كل ما افتخروا في الدنيا على رسل الله عليهم السلام وأتباعهم من المنازل والمراكب والملابس وغير ذلك، وأخبر أنه لا ناصر لهم يملك إخراجهم من تلك النار والمأوى الذي جعل لهم ولا يقدر دفعَ ذلك عنهم. *والله أعلم*.

---

[1] ن: بدا لم.
[2] جميع النسخ: ما عملوها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٣ظ.
[3] ر ث م – أي يتذكرون تلك السيئات التي عملوها في الدنيا.
[4] ر م: والآخرة.
[5] ن + ذلك.
[6] ن – يوعدونهم لأنهم إنما كانوا.
[7] ن: تنسون.
[8] ن + في.
[9] ن – لا يكترث.
[10] ر ن م: لم يكترثوا.
[11] ن: به.

﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٣٥]

ثم أخبر أن بعض ذلك الذي أصابهم ونزل بهم إنما كان بما ذكر من اتخاذهم آيات الله هُزُوًا في الدنيا هَزَءُوا بها وسَخِروا بالرسل عليهم السلام. ثم **آيات الله**، يحتمل ما ذكرنا من آيات وحدانيته وألوهيته أو آيات[1] قدرته وسلطانه على البعث أو آيات رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام. وقوله عز وجل: **وغرتكم الحياة الدنيا**، قد ذكرنا فيما تقدم[2] معنى نسبة التغرير إلى الحياة الدنيا وإضافته إليها وإن لم يكن منها على التحقيق تغرير وخِداع. وهو أنهم إنما اغتروا[3] بها فنسب فعل التغرير إليها كأنها هي غرتهم، وقد ينسب الفعل إلى السبب الذي به صار ذلك[4] وإن لم يكن منه حقيقة ذلك، نحو قوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[5] أي يُبْصَر به، وذلك كثير في اللغة. أو يقال:[6] إن ما كان منها لو كان ذلك ممن يحتمل التغرير ويملك ذلك كان تغريرا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاليوم لا يُخْرَجون منها ولا هم يُسْتَعْتَبون**، اختلف في قوله: **ولا هم يستعتبون**؛ قال بعضهم: إنهم يعاتَبون إلى أن يُدْخلوا النار: "إنكم فعلتم كذا وتركتم كذا ولم فعلتم[7] كذا؟" فإذا أدخلوا النار يُترك العتاب ويجعل كالشيء[8] المنسي فيها. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **ولا هم يستعتبون**، أي لا يُسترجَعون إلى ما يطلبون من العَوْد والرجوع إلى العمل الصالح، لقولهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[9] الآية.*

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين**. إن جميع ما ذُكر في القرآن من الحمد له فإنما ذكر لأحد شيئين. أحدهما بما يستحق من الثناء بتعاليه

---

[1] جميع النسخ: وآيات. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥ظ.
[2] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات «الدنيا».
[3] ن: اعتبروا.
[4] ن – ذلك.
[5] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[6] ن: إذ يقال.
[7] ر: ولو فعلتم.
[8] ن: كالنسيء.
[9] سورة فاطر، ٣٧/٣٥.
* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٣٢، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٢١و/سطر ٣١-٣٤.

عن جميع معاني الخلق وأوصافهم. والثاني بما يستحق من الثناء عليهم بالنعم والإحسان الذي كان منه[1] إليهم، وهو ما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾،[2] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾،[3] ونحوَ ذلك. *والله أعلم*. وأصل آخر أنه إذا أضيفت[4] كلية الأشياء إلى الله تعالى ففيه وصف له بالعظمة والجلال، وإذا أضيفت[5] جزئية الأشياء إليه وخاصَّيَّتها[6] فإنما[7] فيه تعظيم تلك الخاصية المضافة إليه. وفي قوله / تعالى: **فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين**، [٧٢١ظ] إضافة كلية الأشياء والخاصية والجزئية جميعا[8] ففيه الأمران جميعا؛ فإن قوله عز وجل: **فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض** إضافة جزئية الأشياء إليه وخاصيته، وقوله عز وجل: **ربِّ العالمين** إضافة كلية الأشياء إليه. *والله أعلم*. وقد تقدم تأويل[9] الرب في غير موضع.[10]

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وله الكبرياء في السماوات والأرض**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي وله الوصف بالكبرياء والعظمة على أهل السماوات وأهل الأرض،[11] أو من حقه على أهل السماوات وأهل الأرض أن يصفوه بالكبرياء والعظمة والجلال. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وهو العزيز الحكيم**، أي هو العزيز الذي لا يلحقه الذل بخلاف الخلق له ولا بعصيانهم، أو هو العزيز بما به يتعزز من أعتز[12] دونه ومن وُصِف بعزٍ دونه، فذلك راجع في الحقيقة إليه. **الحكيم** الذي وضع كل شيء موضعه، أو **الحكيم** الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. *والله الموفق والحمد لله رب العالمين وبه نستعين*.[13]

---

[1] ر ث م: الذي منه إليهم؛ ن: كان منهم إليهم.
[2] انظر مثلا: سورة الفاتحة، ٢/١.
[3] سورة الأنعام، ١/٦.
[4] جميع النسخ: أضيف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٥ظ.
[5] جميع النسخ: أضيف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٥ظ.
[6] جميع النسخ: وخاصيته. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٥ظ.
[7] ن + هي.
[8] جميع النسخ – جميعا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٥ظ.
[9] ر ث م: ذكر.
[10] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات «الرب».
[11] ر ث م + أن يصفوه بالكبرياء والعظمة.
[12] ر ث م: أعز.
[13] ر: والله الموفق والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحقاف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿حمٓ﴾[١] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم**، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[2]

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق**، قوله عز وجل: **إلا بالحق**، أي خلق السماوات والأرض وما بينهما[3] بالحق[4] الذي صار إنشاء ذلك وخلقه حكمة، لأنه لو كان الأمر على ما ظن أولئك الكفرة وتوهموا بأنْ لا بعث ولا جزاءَ من ثواب وعقاب كان إنشاء ما ذكر من السماوات والأرض وخلقُ ذلك كلِّه عبثا باطلا، على ما تقدم ذكره في غير موضع.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والذين كفروا عما أنذروا معرضون**، يحتمل **عما أنذروا معرضون**، وجهين. أحدهما أي بما ألزمهم من النظر والتفكر فيما ذكر من خلق السماوات والأرض وما أنشأ فيهما من المنافع وجَعْلِ ذلك لهم أنه[6] لم يفعل ذلك كله عبثا باطلا ولكن لعاقبة[7] يقصد ولأمر يراد،

---

[1] ر – سورة الأحقاف؛ ن م: ذكر أن سورة الأحقاف مكية؛ ث + وهي ثلاثون وأربع آيات مكية.

[2] انظر: أوائل السور التي تبدأ بـ﴿حم﴾ نحو سورة المؤمن وسورة الزخرف. وانظر أيضا: أول سورة البقرة وسورة آل عمران.

[3] ر م + إلا.

[4] ث – بالحق.

[5] انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات.

[6] جميع النسخ: آية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥و.

[7] ر ث م: العاقبة.

إذ عرفوا بعقولهم أنه لا يجوز خلق الخلق على أن يهملوا ويُترَكوا سُدًى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يُمتحنون.[1] فأعرضوا عما ألزمهم من النظر والتفكر في ذلك، فهم معرضون إعراض ترك النظر والتفكر. *والله أعلم*. والثاني ما أنذروا بألسن الرسل، ثم هو يكون بوجهين. أحدهما ما أنذروا[2] بما نزل لمن[3] تقدمهم من مكذبي الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ والثاني ما أنذروا بما أوعد لهم[4] من العذاب في الآخرة، فهم معرضون عن ذلك كله. *والله أعلم*.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين.** يحتمل أن يكون ما ذكر كله موصولا بعضُه ببعض، ويحتمل أن يكون بعضه مفصولا عن بعض. فإن كان على الوصل فكأنه يقول: أرأيتم ما تعبدون من دون الله من الأصنام وتدعونها آلهة هل خلقوا مما لكم من المنافع ومما به حياتكم وقوامكم ومعاشكم مما تخرج الأرض؛[5] أو هل يُنزلون لكم من المنافع التي[6] جعل لكم في السماء من الأمطار[7] وغيرها؛ أو هل أتاكم كتاب من عند الله فيه أنه أمركم بعبادة من[8] تعبدونه؟ **أو أثارة من علم**، هو يخرج على وجهين. أحدهما أَوَ جاءكم من الحكماء الأولين المتقدمين كتاب أو قول فيه الأمر بذلك، أو استخرجتم[9] من العلوم ذلك فعلمتم[10] به؟ يقول -والله أعلم-: إن الأسباب التي تحمل[11] الناس على العبادة والخدمة لهم هذه الوجوه: إما منافعُ تتصل[12] بهم منهم مما به قوامهم ومعاشهم وحياتهم،

---

[1] ر م: ولا يمتحنهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦و.
[2] جميع النسخ - بألسن الرسل ثم هو يكون بوجهين أحدهما ما أنذروا. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٢٦و.
[3] ر ث م: بمن.
[4] ر ث م: بما أنذروا وأوعد لهم.
[5] جميع النسخ: مما يخرج الأرض. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦و.
[6] ر ن م: الذي.
[7] ن: من الانفطار.
[8] ن - من.
[9] ر م: واستخرجتم.
[10] ر م: فعلتم.
[11] ر ث م: يحمل؛ ن: يحمد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦و.
[12] جميع النسخ: يتصل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٦و.

وإما كتابٌ من الله تعالى فيه حجة لهم وأمر لهم في ذلك، أو كتاب من الحكماء والرسل يأمرون لهم، وهم قوم لا يؤمنون بالرسل ولا بالكتاب، وليست لهم علوم مستخرجة من العلوم [الأخرى]. يقول: ليس لكم مما ذكر من الأسباب[١] والعلوم لما عبدتموها،[٢] فكيف اخترتم عبادتها على عبادة من عرفتم أن ما به قوامكم وحياتكم منه؟ **والله أعلم**. وإن كان بعضه[٣] مفصولا من بعض فيكون كأنه يقول: أروني ماذا خلقوا من الأرض من المنافع وغيرها أم لهم شرك فيما ذكر؟ فإن قالوا: قد خلقوا ما ذكر ولهم شرك فيما ذكر، فقل لهم: ائتوني بكتاب من قبل هذا من كتاب الحكماء أو العلوم المستخرجة من العلوم إن كنتم صادقين أنهم خلقوا ما ذكرتم أو لهم شرك فيما ذكر. **والله أعلم**. وقد علموا أنهم لا يقدرون أن يُرُوه[٤] ما ذكر لما لم يكن لهم من هذه الأسباب شيء، إذ هي أسباب العلم وقد عجزوا عن ذلك كله.

ثم قوله عز وجل: **أو أثارة من علم**، قال بعضهم: أو خاصّة من علم، وقال بعضهم: أو بقية من علم،[٥] وقال بعضهم: أو بقية من علم أوائلهم، وهو قول القُتَبِي: أي بقية من علم تُؤْثَر[٦] عن الأولين. ويقرأ: أَثَرَةٍ:[٧] اسم مبني على فَعَلَةٍ من ذلك، والأثارة على فَعَالَةٍ.[٨] / وأصله ما ذكرنا [٧٢٢و] من الوجهين. أحدهما كتاب الحكماء والرسل عليهم السلام، والثاني العلوم المستخرجة من سائر العلوم. وقال بعضهم: **أو أثارةٍ من علم**، هو الخط، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[٩] وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان نبي من الأنبياء عليهم السلام يخط فمن صادف مثل خطه عَلِمَ».[١٠] وقال أبو عَوْسَجَة: **أو أثارة من علم**، أي قديم من علم، قال: والأثارة[١١] الشحم القديم.

---

[١] ن: من الأشياب.

[٢] جميع النسخ: بما عبدتموها. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥و.

[٣] ر م - بعضه.

[٤] جميع النسخ: أن يرونه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٨و.

[٥] ر ث م - وقال بعضهم أو بقية من علم.

[٦] جميع النسخ: يؤثر. والتصحيح من *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٧.

[٧] للقراءات المختلفة انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١١٢-١١٣.

[٨] جميع النسخ - اسم مبني على فعلة من ذلك والأثارة على فعالة. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٧و. وعبارة ابن قتيبة هكذا: ويقرأ: أَثَرَةٍ اسم مبني على فَعَلَةٍ من ذلك، والأول على فَعَالَةٍ. (*غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٧).

[٩] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١١٣؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٢٣٩٣.

[١٠] جميع النسخ - علم. والتصحيح من *كتاب الضعفاء* للعقيلي، ٢/٦٩٣؛ وانظر أيضا: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٣١١؛ و*تفسير الألوسي*، ٢٦/٥-٦.

[١١] ر م: ذا الأثارة.

وقيل: **أو أثارة من علم**، أي رواية يروون[1] عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ثم ذكر سفههم وبين نهاية تعنتهم، وهو قوله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[٥]

ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة، أي لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.[2] ثم يحتمل قوله: **من لا يستجيب له إلى يوم القيامة**،[3] وجهين. أحدهما لا يستجيب له إذا دعاه إلى يوم القيامة،[4] لأنه لا يملك إجابته ولا يحتمل ذلك. والثاني لا يستجيب له إلى يوم القيامة،[5] ثم إذا أجابه يوم القيامة أجابه باللعن والتبري، كقوله تعالى: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[6] وقوله عز وجل: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[7] وقوله تعالى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ،[8] وغير ذلك من الآيات التي فيها ذكر تبري بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وهم عن دعائهم غافلون**، لم يكن منهم لهم أمر بذلك ولا دعاء ولا شيء من ذلك، كقوله تعالى: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.[9]

[٧٢٢ظ س٢٩] *ثم قوله عز وجل: **ومن أضل ممن يدعو من دون الله**، إن كان على حقيقة العبادة فهو صلة قوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ،[10] الآية،

---

[1] ر ث م – يروون.

[2] جميع النسخ – أي لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥ظ.

[3] ر ث م – ثم يحتمل قوله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.

[4] جميع النسخ – وجهين أحدهما لا يستجيب له إذا دعاه إلى يوم القيامة. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٥ظ.

[5] ن – لأنه لا يملك إجابته ولا يحتمل ذلك والثاني لا يستجيب له إلى يوم القيامة.

[6] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥.

[7] سورة البقرة، ٢/١٦٦.

[8] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيّلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨).

[9] ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٩).

[10] الآية السابقة.

يقول -والله أعلم-: ومن أضل ممن يعبد من لا يملك ما ذكر من خلق الأرض ولا له شرك في السماوات وما ذكر وترَك عبادة من خلَق السماوات وخلَق الأرض وشهد كل شيء له بذلك وأتى بالحجج والبراهين على ذلك، أي لا أحد أضل ممن ترك عبادة من هذا وصفه وصرف العبادة إلى الذي لا يملك شيئا من ذلك. *والله أعلم*. وإن كان على الدعاء نفسه فهو صلة ما يتلوه، وهو[1] ما ذكر من قوله: **لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون،** أي ومن أضل ممن يدعو[2] من دون الله من لا يملك[3] إجابته ولا يسمع دعاءه وترَك دعاء من يملك إجابته ويسمع دعاءه ويقدر قضاء ما يدعون ويسألون، أي لا أحد أضل ممن[4] اختار دعاء من لا يملك شيئا من ذلك على دعاء من يملك ذلك كله. يُسفّههم في صنيعهم واختيارهم[5] على ما اختاروا. *والله أعلم*.* [٧٢٢ظ س ٣٧]

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين،** هو ما ذكرنا أنه يصير بعضهم لبعض أعداء يتبرءون منهم ويلعنونهم ويكفرون بعبادتهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات،** أي بينات أنها من الله تعالى، أو بينات واضحات ما يبين[7] لهم ما عليهم مما لهم وما لبعض على بعض وما لله عليهم. وقوله عز وجل: **قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين،** يحتمل أن يكون الحق الذي قالوا: إنه سحر هو تلك الآياتِ البينات التي ذكر أنها تُلِيت[8] عليهم، قالوا لها: إنها سحر. ودل قولهم: إنها سحر على أنها كانت معجزاتٍ خارجات عن وسعهم حيث نسبوها إلى السحر.

---

[1] ر م - ما يتلوه وهو.

[2] ن: تدعو.

[3] ن: ولا يملك.

[4] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.

[5] ن + واختيارهم.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٢٢ظ/سطر ٢٩-٣٧.

[7] ن: ما تبين.

[8] ر ن م: بنيت؛ ث: بينت. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا**، هذا حرف المنابذة، يقول: إن افتريته فلا تملكون أنتم دفع عقوبة ذلك الافتراء عن نفسي، وهو كقوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي،[١] يقول: عليّ إثم ذلك وجُرْمه، وإنما يقال: هذا عند انتهاء الحجج والبراهين غايتها حتى لا يُطْمَعَ منهم القبول والنُّجْعُ فيهم ويُيْأَس[٢] منهم، فعند ذلك يقال ذلك وينابذ. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **هو أعلم بما تفيضون فيه**، أي بما تخوضون[٣] فيه. يقول هذا ويذكر لئلا يقولوا ولا يَدّعوا[٤] غفلته عن ذلك، بل يذكّرهم أنه كان عالما بما يُسِرّون وما يعلنون.[٥] وقيل: **تفيضون**،[٦] من قولهم: أفاضوا إذا تكلموا[٧] وتحدثوا،[٨] وهو قول القُتَبِي.[٩]

وقوله عز وجل: **كفى به شهيدا بيني وبينكم**، يخرج على الوجهين.[١٠] أحدهما أي يشهد[١١] في الآخرة أنه قد بلّغ رسالته. والثاني أي كفى به شهيدا بيني وبينكم في الدنيا بما علم ما كان منهم من الشرك والتكذيب ومِنّي من التبليغ، فهو شاهد بما كان مني ومنكم في الدنيا من سر وعلانية. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وهو الغفور الرحيم**، ذكر هذا في هذا الموضع على إثر ما ذكر من غاية سفههم وتعنتهم -والله أعلم- كأنه يقول: إنكم وإن بَلَغْتم في السفه ما بلغتم فإنكم إذا رجعتم عن ذلك وتبتم يَغْفِرُ لكم ما كان منكم. ***والله أعلم***.*

[١] سورة هود،١١/٣٥.

[٢] ن: ويؤيس.

[٣] جميع النسخ: بما يخوضون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.

[٤] ر م: ولا تدعوا.

[٥] ر ث م: ويعلنون.

[٦] ن: يفيضون.

[٧] جميع النسخ: إذا علموا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٦ظ.

[٨] ث: ويحدثوا.

[٩] قال ابن قتيبة: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (سورة يونس، ٦١/١٠)، أي: تأخذون فيه، يقال: أفَضْنا في الحديث. (*غريب القرآن*، ١٩٧).

[١٠] ن: وجهين.

[١١] ر ث م: يشهدون.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٥، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٢٢ظ/سطر ٢٩-٣٧.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **قل ما كنت بدعا من الرسل**، كأن هذا إنما ذكر -والله أعلم- لإنكار أهل مكة الرسل من البشر واستعظامهم وَضْعَ الرسالة فيهم فقال عند ذلك: **ما كنت بدعا من الرسل**، أي لست أنا بأول[1] رسول من البشر، بل لم يزل الرسل / من قبل كانت من البشر [٢٢٧ظ] في آفاق الأرض وأطرافها، فما بالكم تنكرون[2] رسالتي وأنْ كنت من البشر وتستعظمونها وسائرُ الرسل الذين[3] من قبلي كانوا من البشر؟ *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجَة: **ما كنت بدعا من الرسل**، أي ما أنا بأولهم، قد أُرسل قبلي. وقال القُتَبِي: وما كنت بَدْءًا منهم ولا أوّلا.[4]

وقوله عز وجل: **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي ما كنت أدري قبل ذلك ما يفعل بي[5] ولا بكم: أُرسَل وأُختَصّ للرسالة وأُختار لها وأُبعَث إليكم وتُلْزَمون أنتم اتباعي والإجابةَ إلى ما أدعوكم إليه. *والله أعلم*. والثاني وما أدري ما يفعل[6] بي ولا بكم من إخراجي من بين أظهركم وإهلاككم كما فُعِل بالرسل الذين كانوا من قبل وأقوامِهم أمروا بالخروج من بين أظهرهم، ثم تعقّب[7] ذلك استئصال قومهم. أي ما أدري أيفعل[8] بي وبكم ما ذكرنا كما فُعل لمن تقدمنا من الرسل وقومهم أم لا.[9] *والله أعلم*. والثالث وما أدري ما يفعل بي ولا بكم مخافة التغيير عليه وتبديل الحال. ولم يزل الرسل عليهم الصلاة والسلام يخافون تغيير الأحوال عليهم وتبديل ما أُنعم عليهم وذهاب ما اختَصُّوا هم به، كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[10] وقال شعيبٌ عليه الصلاة والسلام:

---

[1] ث: تارك.

[2] ر ن م: ينكرون.

[3] ر م: الذي.

[4] ر ث م – اولا؛ ن: ولاوّلا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧و. *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٧.

[5] ث – بي.

[6] ر م: ما تفعل.

[7] ن: يعقب.

[8] ث ن: أنفعل.

[9] جميع النسخ – أم لا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧و.

[10] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا،[1] الآية، وما ذكر في سورة يوسف عليه السلام: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ،[2] الآية، وقول يوسف عليه السلام: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[3] وقول يعقوب عليه السلام: فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ،[4] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مُقَلِّبَ القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك».[5] لم يزل[6] الرسل عليهم الصلاة والسلام [كانوا] على خوف من تغيير الأحوال التي كانوا عليها. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**، أَتُغَيَّرُ[7] عليَّ وعليكم الأحوالُ التي نحن عليها اليومَ، أم نُتْرَك على ذلك. وحقيقة هذا الكلام على الاستقصاء قد مرت.[8] ***والله أعلم***.

وذكر بعض أهل التأويل[9] أن أهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين[10] بأنواع الأذية، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يَلْقَوْن منهم، فقال: «إني لم أُؤْمَر بشيء فيهم من القتال وغيره، فاصبروا على ذلك، ولكني رأيت في المنام أن أُهَاجِرَ إلى أرضٍ أخرى ذاتِ كذا»، فاستبشروا بذلك فمكثوا[11] بعد ذلك زمانا لا يرون شيئا مما ذكر. فشكوا إليه ثانيا بما يلقون منهم، وقالوا: ما نرى[12] ما قلت لنا من الخروج عنهم. فقال: «إنما رأيت ذلك في المنام ولم يأت به وحي من السماء أيكون ذلك أم لا يكون»،

---

[1] ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لَنُخرجَنك يا شعيبُ والذين آمنوا معك من قريتنا أو لَتعودُنّ في ملتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عُدْنا في ملّتكم بعد إذ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء اللهُ ربنا وَسِع ربنا كل شيء علما﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨٨-٨٩).

[2] ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كِدْنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ (سورة يوسف، ١٢/٧٦).

[3] سورة يوسف، ١٢/١٠١.

[4] ﴿وَوَصّى بها إبراهيم بَنِيه ويعقوب يا بَنِيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تَموتُنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٣٢).

[5] مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/٩١؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ٩٥؛ و*المستدرك* للحاكم، ٢/٣٤٥-٣٤٦.

[6] جميع النسخ + كانت. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٦.

[7] ن: أيغير.

[8] لعل المؤلف رحمه الله يقصد قوله: «العصمة لا تزيل المحنة». انظر: "فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات، «العصمة»، «محمد (ع)».

[9] ن - بعض أهل التأويل.

[10] ن - رضوان الله عليهم أجمعين.

[11] ر م: نكثوا.

[12] ر: ما ترى.

أو نحو هذا من الكلام.[١] وهذا لا يحتمل أن يكون، فإنه لا يُظَنّ[٢] بأصحابه رضي الله عنهم أن يقولوا له: ما نرى الذي قلت لنا من الخروج عنهم؛[٣] وفي ذلك اتهامه بذلك وترك تعظيمه؛ ولا يظن[٤] بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: «أنا رأيت ذلك[٥] في المنام ولم يأت به وحي من السماء»، جوابا لقولهم؛ ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالوحي من السماء؛ دل أن هذا لا يحتمل أن يصح ويثبت. ***والله أعلم***. فجائز أن يكون[٦] بعض ما ذكر في القصة من الشكاية منهم من الأذى والوعد لهم بالخروج من بينهم. ***والله أعلم***. والوجوه التي ذكرنا أشبه وأقرب إلى العقل. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين**، ظاهر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم**، الآية. قال بعضهم: إن عبد الله بنَ سلام آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه[٧] وشهد أنه رسول الله ثم شهد بمثل ذلك ابن يامِينَ. وقال بعضهم: شهد ابن يامين أولا أنه[٨] رسول وآمن به وصدقه ثم شهد بمثله ابن سلام. ***والله أعلم***. والأشبه في هذا أن يكون قوله تعالى: **وشهد شاهد من بني إسرائيل**، التوراةَ أو موسى عليه السلام على ذلك، كقوله تعالى: وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا؛[٩] شهد كتاب موسى وموسى على مثل ما شهد[١٠] كتاب رسول الله ورسولُه عليه السلام. ***والله أعلم***.

---

[١] انظر: *أسباب النزول* للواحدي، ٦٠٥؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٨٦/١٩. قال محقق *أسباب النزول*: هذا إسناد الكذب، وأبو صالح ضعيف لم يلق ابن عباس.

[٢] ر ث م: لا نظن.

[٣] ن – عنهم.

[٤] ر ث م: ولا نظن.

[٥] ن – ذلك.

[٦] جميع النسخ: أما جائز. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٧و.

[٧] ر م – وصدقه.

[٨] ن + أنه.

[٩] الآية ١٢ من هذه السورة.

[١٠] ر م – كتاب موسى وموسى على مثل ما شهد.

ولأن عبد الله بن سلام إنما أسلم بالمدينة وكذلك ابن يامين، وهذه السورة مكية، لكنهم يقولون: هذه السورة مكية إلا هذه الآيات الثلاث.[1] *والله أعلم*.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [١١]

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه**، يحتمل أن يكون هذا القول من الأَجِلّة والرؤساء منهم الذين كان منهم صلة الأرحام وأنواع الخيرات والأعمال الصالحة، قالوا: إنا قد سبقناهم في الخيرات كلها[2] سوى ذلك، فلو كان ذلك الذي يدعوننا[3] إليه خيرا ما سبقونا[4] كما لم يسبقونا إلى سائر الخيرات.

وقوله عز وجل: **وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم**، أي وإذ لم يهتدوا به هم من بيننا فيقولون: هذا القرآن[5] إفك قديم، أي كذب قديم. فكأن قولهم: **لو كان خيرا ما سبقونا إليه**، منهم[6] بحق الاحتجاج، وقولهم: **فسيقولون هذا إفك قديم**، تكذيب منهم ورد لذلك. ثم قوله: **إفك قديم**، يقولون -والله أعلم-: لم يزل من ادعى / الرسالة يدعي[7] على الله [٧٢٣و] ما يدعي محمد صلى الله عليه وسلم من إنزال الكتب[8] عليهم وبعثه إياهم رسلا[9] إلى الناس وطلب[10] الرياسة[11] لهم عليهم.

---

[1] أخرج البخاري والترمذي وغيرهما أن هذه الآية نزل في عبد الله بن سلام، وهي رأي أكثر أهل التأويل. لكن الطبري تابعا للمسروق رحمه الله رأى أن ظاهر الآية في مشركي العرب. انظر: *صحيح البخاري*، مناقب الأنصار ١٩؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٤٦؛ وانظر أيضا: *تفسير مقاتل*، ٤/١٧-١٩؛ وتفسير *الطبري*، ٢١/١٢٤-١٣٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٣١٨-٣٢١.

[2] ر م - كلها.

[3] ر م: تدعونا؛ ث ن: تدعوننا.

[4] ن + إليه.

[5] م - القرآن.

[6] جميع النسخ - منهم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧ظ.

[7] ن: تدعي.

[8] ر م: الكتاب.

[9] ر ث م: ابن سلام.

[10] جميع النسخ: بطلب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٧ظ.

[11] جميع النسخ: الرسالة. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٧ظ.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة**، أي إماما يقتدى به ورحمةً لمن اتبعه في دفع العذاب عنه. وقوله تعالى: **وهذا كتاب مصدق**، ذكر هاهنا، **مصدق**، ولم يذكر أنه مصدق لماذا، لكن قد ذكر في غير آي من القرآن: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ.[1] ثم قوله: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يحتمل أي موافقا، لما لم يُحَرَّف ولم يغير من تلك الكتب، لأن تلك الكتب قد حرفوها وغيروها، ولم يغير[2] ولم يحرف هذا الكتاب، وقد حفظه الله تعالى عن التبديل والتغيير، فهو مصدق موافق لما لم يغير ولم يُحَرَّف من تلك الكتب. *والله أعلم*. وقوله: **لسانا عربيا**، أي أنزله بلسان عربي ليعلم أنه لم يأخذه محمد صلى الله عليه وسلم من تلك الكتب، لأن تلك الكتب كانت على غير لسان العرب، ولسانه عربي، ولكن جاءه من الله تعالى بلسانه. وقوله عز وجل: **لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين**، فمن قرأ: لتنذر، بالتاء فتأويله لتنذر يا محمد الذين ظلموا؛ ومن قرأ بالياء: **لينذر**، أي لينذرهم القرآن.[3] وقد ذكرنا فيما تقدم تفسير النذارة والبشارة.[4] *والله أعلم*.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٣] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**، الاستقامة تحتمل[5] وجهين. أحدهما أي قالوا: ربنا الله ثم استقاموا على ذلك القول الذي[6] قالوا وثبتوا على ذلك ولم تتغير ولم تتبدل[7] حالتهم تلك. *والله أعلم*. والثاني قالوا: ربنا الله ثم استقاموا بحق الوفاء بالعمل بما أعطوا بلسانهم وقلوبهم. **فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها**، وقد ذكرناه في غير موضع. وقوله عز وجل: **جزاء بما كانوا يعملون**، جعل ذلك لهم جزاء أعمالهم بفضله ورحمته، لا أنهم يستوجبون ذلك بنفس عملهم ولكن بالتفضل والرحمة، وذَكَر جزاء العمل[8] فضلا منه.

---

[1] انظر مثلا: سورة البقرة، ٩٧/٢؛ وسورة آل عمران، ٣/٣؛ وسورة المائدة، ٤٦/٥.

[2] ر م: ولم يغيروا.

[3] لمختلف القراءات انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٥/٢١.

[4] انظر: «فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية» أواخر المجلدات «الإنذار»، «البشارة».

[5] ر م: احتمل؛ ن ث: يحتمل.

[6] ر م: بالذي.

[7] جميع النسخ: ولم يتغير ولم يتبدل.

[8] ر ث م: جزاءه الأعمال.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا**، وحَسَنًا.[١] كأنه قال: أمرنا الإنسانَ أن يحسن إلى والديه. فالحَسَن[٢] هو اسم[٣] ما يقع بهما[٤] من البِرّ وهو المفعول، والإحسان هو اسمُ فِعْلِه الذي يَفعل بهما.[٥] وقوله عز وجل: **حملته أمه كرها ووضعته كرها**، وقال في آية أخرى: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ،[٦] وقال في آية أخرى: حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ،[٧] الآية، وبين هذه الآيات اختلاف من حيث الظاهر. ثم تخرج على وجهين. أحدهما جائز أن تكون على التفريق، بعضها في حق الوالدة وبعضها في حق الولد، فقوله: حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا،[٨] أي إنها في أول ما حملت حملا خفيفا، فلما كبر أَثْقَلَتْ، وهو وصف الولد. وقوله عز وجل: وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ،[٩] وذلك في الأم لأنها لا تزال[١٠] تَضْعُف وتَهِن من أول ما حملت إلى آخر ما وضعت. وقوله تعالى: **حملته أمه كرها ووضعته كرها**، في أول ما تحمل تجد[١١] كراهة في نفسها إلى وقت وضعها. والثاني يشبه أن يكون على الجمع في الأم دون الولد على اختلاف الأحوال،

---

[١] ر – وحسنا. قرأ الكوفيون إحسانا، وقرأ الباقون: حسنا (انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/١٣٦-١٣٧؛ و*الكافي في القراءات السبع* للرعيني، ٢٠٣).

[٢] ن ث + إحسانا.

[٣] ن – اسم.

[٤] جميع النسخ: بهم.

[٥] جميع النسخ: بهم.

[٦] سورة لقمان، ٣١/١٤.

[٧] ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها لِيَسْكُن إليها فلما تَغَشَّاها حملت حملا خفيفا فَمَرَّتْ به فلما أثقلت دعوا الله ربهما﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٨٩).

[٨] جميع النسخ – فمرت به الآية وبين هذه الآيات اختلاف من حيث الظاهر ثم تخرج على وجهين أحدهما جائز أن تكون على التفريق بعضها في حق الوالدة وبعضها في حق الولد فقوله حملت حملا خفيفا. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١١٩ظ.

[٩] سورة لقمان، ٣١/١٤.

[١٠] ن: لا يزال.

[١١] ن م: تجد.

وهو في الابتداء يَخِفّ عليها الحمل، ويَثْقُل ذلك عليها إذا دنا وقت وضعها. وما ذكر من الوهن فهو ما ذكرنا أنها لا تزال[1] تزداد ضعفا فيها ووهنا من أول حملها إلى وقت وضعها. وما ذكر من الكراهة فهو إذا تم حملها شق ذلك عليها، وكذلك الوضع لا شك أن ذلك يشق عليها. والتأويل الأول على التفريق: في حال يرجع الوصف إلى الولد وفي حال إلى الوالدة، والثاني يرجع ذلك كله[2] إلى وصف الأم. وعلى التأويلين حصل التوفيق بين الآيات لرجوعها إلى اختلاف الأحوال فأمكن الجمع بين الكل في أحوال، والاختلاف إنما يكون في حال واحد. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، **حملته أمه كرها**، أي بمشقة **ووضعته** بمشقة، ثم وضعته على تمام ستة أشهر. وقال بعضهم: الآية نزلت في الحسن والحسين رضي الله عنهما وضعته[3] على ما ذكر في المدة. ثم منهم من يقول: الآية وإن نزلت في نازلة بعينها لكن ما ذكر من الحُكْم فذلك في كل إنسان، وهو أن يكون الولد ثابت النسب من الأب بهذه المدة. فإنه روي عن عمرَ رضي الله عنه أنه أُتِيَ بامرأة وضعت في ستة اشهر فأراد أن يرجمها، فقال ابن عباس رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قد جعل لها في كتابه مخرجا، قال الله تعالى: وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ،[4] وقال: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، ستةُ أشهر لحملها ورضاعه[5] سنتين، فأخذ بقول ابن عباس رضي الله عنه ودَرَأَ عنها الرجم. وكذلك روي عن عثمان رضي الله عنه أنه أُتِيَ بامرأة وضعت لستة أشهر فهَمَّ أن يرجمها، فقال له ابن عباس رضي الله عنه:[6] أَمَا إنها لو خاصمتْكم بكتاب الله خَصَمَتْكم، ثم تلا هذه الآية.[7] وكذلك ذكر عن علي رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه[8]

---

[1] ن: لا يزال.
[2] ث – كله.
[3] أي وضعت كل واحد منهما.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٣٣.
[5] ن: ورضاعة.
[6] ن: ورضاعة.
[7] روى عبد الرزاق وابن أبي حاتم رواية أخرى فيها تقول: إن الذي ذكر هذه الآية لعمر هو علي بن أبي طالب لا ابن عباس. انظر: *مصنف عبد الرزاق* ٧/٣٥٠-٣٥٢؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٢/٤٢٨.
[8] ن: ورضاعة.

لما أمر[1] برجم المرأة التي وضعت لستة أشهر سمع[2] علي رضي الله عنه فأتى عثمان رضي الله عنه فقال له: ما صنعت؟ فقال له عثمان رضي الله عنه: وهل تلد / المرأة الولد التامَّ لستة أشهر؟ [٧٢٣ظ] قال: نعم، ثم تلا عليه هذه الآية.[3] فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم[4] قد رأوا الآية في كل امرأة وضعت لتلك المدة في حق ذلك الحكم الذي ذكر. ***والله أعلم***.

ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا وضعت المرأة لستة أشهر أرضعته حولين كاملين، لأن الله عز وجل يقول: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهرا، وإذا وضعته لتسعة أشهر أرضعته أحدا[5] وعشرين شهرا.[6] فعلى قياس هذا جائز أنها[7] وضعته لِسَنَتَيْنِ أن يكفي رضاع ستةِ أشهرٍ، يزاد وينقص على ذلك القدر. ألا ترى أنه روي أن المرأة التي حملت سنتين ولدت وقد نبتت له ثَنِيَّتَان،[8] فمثل هذا الولد لا يحتاج من الرضاع ما يحتاج الذي ولد لستة أشهر، لذلك كان ما ذكرنا. ثم إذا احتمل النقصانَ عن الحولين لما ذكرنا جازت الزيادة على الحولين على ما قال أبو حنيفة رحمه الله، لأن ما ذكر من الحولين إنما هو رضاع أقل الحمل وهو ستة أشهر، لأن الذي وُلد لستة أشهر كان إلى الاغتذاء بالطعام أبعد من الذي ولد لتسعة أشهر لضعفه في نفسه؛ والذي ولد لتسعة أشهر[9] فهو إلى الاغتذاء بالطعام أقرب منه؛ والذي ولد لسنتين هو أقرب إلى الاغتذاء بالطعام من المولود لتسعة أشهر لقوته وقلة حاجته إلى الغذاء باللبن، فإذا كان قوله تعالى: حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ[10] هو أقلَ رضاع يكون -لأنه ذكر للمولود لأقل الحمل حيث قال: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**، ثم قال: وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ،[11] فإذا كان أقلَ- احتمل الزيادة التي ذكر أبو حنيفة رحمه الله

[1] ن – أمر.

[2] ر م: فسمع؛ ن ث: فسمع ذلك.

[3] انظر: *مصنف عبد الرزاق* ٣٥٢/٧؛ *والموطأ* لمالك، الحدود ١١؛ *وتفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٩٣/١٠.

[4] ن: رضوان الله عليهم أجمعين.

[5] جميع النسخ: أحد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨و.

[6] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠١/٤-٢٠٢؛ *وتفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ٣٢٩٤/١٠؛ *والمستدرك* للحاكم، ٣٣٦/٢.

[7] ن ث + إذا.

[8] الثَّنِيَّة من الأضراس أولُ ما في الفم. وثَنايا الإنسانِ في فمه الأربعُ التي في مقدم فيه (*لسان العرب*، «ثني»).

[9] ن – لضعفه في نفسه والذي ولد لتسعة أشهر.

[10] سورة البقرة، ٢٣٣/٢.

[11] سورة لقمان، ١٤/٣١.

وهو ستة أشهر على السنتين كما يصير رضاع أكثر الحمل ستةَ أشهرٍ، واعتُبر في الباب إلى قوة الولد وضعفه[1] واحتمال الغذاء بالطعام وعدم الاحتمال.[2] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **حتى إذا بلغ أشُدَّه وبلغ أربعين سنة،** إلى آخر ما ذكر.[3] دلت هذه الآية على أن الآية التي ذكرنا نزلت في نازلة حيث أخبر أنه إذا بلغ ذلك المبلغ **قال رب أَوْزِعْنِي أن أشكرَ نعمتَك التي أنعمتَ عليَ،** الآية. ثم قوله تعالى: **حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة،** ذكر أولَ ما يشتدّ عقلُه ويدخل في القوة إلى الوقت الذي يكون على الزيادة، فإذا جاوز ذلك الوقتَ يأخذ في الانتقاص، وهو أربعون سنة. وقال أهل التأويل: بلوغ الأَشُدّ هو ثمانيَ[4] عَشْرَةَ سنةً إلى أربعين سنة،[5] وهو ما ذكرنا أنه أول وقت دخوله في الزيادة والقوة إلى الوقت الذي إذا بلغ ذلك جعل[6] يأخذ في النقصان. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديَ،** دل قوله: **وعلى والدي،** على أنه[7] على الرجل شكر ما أنعم على والديه وأحسن إليهما

---

[1] ر م - وضعفه.

[2] قال السرخسي: ثم اختلف العلماء في المدة التي تثبت فيها حرمة الرضاع. فقدّر أبو حنيفة رحمه الله تعالى بثلاثين شهرا، وأبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى قدّرا ذلك بحولين، وزُفَرُ قدر ذلك بثلاث سنين، فإذا وجد الإرضاع في هذه المدة تثبت الحرمة وإلا فلا. واستدلا بظاهر قوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾، ولا زيادة بعد التمام والكمال، وقال الله تعالى: ﴿وفصاله في عامين﴾، ولا رضاع بعد الفصال. ولأن الظاهر أن الصبي في مدة الحولين يكتفي باللبن وبعد الحولين لا يكتفي به، فكان هو بعد الحولين بمنزلة الكبير في حكم الرضاع. وأبو حنيفة رحمه الله تعالى استدل بقوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾، وظاهر هذه الإضافة يقتضي أن يكون جميع المذكور مدة لكل واحد منهما، إلا أن الدليل قد قام على أن مدة الحبل لا تكون أكثر من سنتين فبقي مدة الفصال على ظاهره. وقال الله تعالى: ﴿فإن أرادا فصالا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ﴾ الآية، فاعتُبر التراضِي والتشاوُرُ في الفصلين بعد الحولين، فذلك دليل على جواز الإرضاع بعد الحولين. وقال الله تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾، قيل: بعد الحولين إذا أبت الأمهات. ولأن اللبن كما يغذي الصبي قبل الحولين يغذيه بعده، والفطام لا يحصل في ساعة واحدة لكن يُفْطَم درجة فدرجةً حتى ينسى اللبن ويتعود الطعام، فلا بد من زيادة على الحولين بمدة. وإذا وجبت الزيادة قدرنا تلك الزيادة بأدنى مدة الحبل وذلك ستة أشهر اعتبارا للانتهاء بالابتداء. وبهذا يحتج زفر رحمه الله تعالى أيضا إلا أنه يقول: لما وجب اعتبار بعض الحول وجب اعتبار كله، وتُقَدَّر مدة الفطام بحول، لأنه حَسَن للاختبار والتحول به من حال إلى حال. *المبسوط* للسرخسي، ١٣٦/٥.

[3] ر م: إلى آخره ذكر.

[4] جميع النسخ: ثمان. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨و.

[5] ر م - سنة.

[6] جميع النسخ - جعل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٩و.

[7] ر م: على أن.

كما يلزمه شكر ما أنعم عليه، لما يكون بَدْءُ إسلام[1] الأولاد الصغار بالوالدين، وما لهما من النعم يصل نفعها إليهم أيضا، فيلزمهم شكر ما أنعم عليهم بالإيمان والنعم في وقته. وقوله عز وجل: **وأن أعملَ صالحا ترضاه**، هذا، على كل مسلم أن يدعوَ بمثل هذا الدعاء يسأل ربه التوفيق على عمل صالح يرضاه. وقوله عز وجل: **وأصلح لي في ذريتي**، هذا يحتل وجهين. أحدهما أصلح لي في ذريتي ليقتدوا بي ويتبعوني. والثاني **وأَصْلِحْ لي في ذريتي**، أي أصلح ذريتي[2] على طرح حرف "في" منه، كقوله: هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً،[3] وقوله عز وجل: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي.[4] ***والله أعلم.***

ثم قوله تعالى: **أَوْزِعْنِي**، ألهمني. وفيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه سأل ربه أن يوزعه ما أنعم عليه، ومن قولهم أن ليس على المرء الشكر إلا بعد إعطاء جميع ما به يشكر[5] حتى لا يبقى عنده[6] مزيد، فيكون مثل هذا الدعاء لَعِبا وهُزْءًا[7] على قولهم، لأنهم يسألون ما يعلمون أن ليس عنده ذلك وأنه لا يملك، وكذلك قوله: وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ،[8] ومن قولهم أنه ليس عنده ما يُغيثه، فيخرج دعاؤهم على ما ذكرنا على مذهبهم. ***وبالله العصمة.***

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم**، كان لهم عملان: حسنات وسيئاتٌ، فأخبر أنه يتقبل عنهم حسناتهم ويجزيهم جزاءها ويتجاوز عن سيئاتهم ويُكفّرها ولا يجزيهم جزاءها فضلا منه ورحمة. والمراد من الأحسن الحَسَنُ ويجوز ذلك في اللغة. وقوله عز وجل: **وعد الصدق الذي كانوا يوعدون**، أي ذلك الذي أخبر وذكر أنه يفعل لهم هو وعد الصدق يَفِي ذلك لهم وهو قادر على وفاء ما وعد.

---

[1] ن: وإسلام.

[2] جميع النسخ – ليقتدوا بي ويتبعوني والثاني وأصلح لي في ذريتي أي أصلح ذريتي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ.

[3] آل عمران، ٣٨/٣.

[4] سورة مريم، ١٩/٥-٦.

[5] ر ن: نشكر.

[6] ر م: عند.

[7] ر م: لعباد ردا.

[8] الآية ١٧ من هذه السورة.

ومن يكون منه الخلف في الوعد في الشاهد إنما يكون لأحد وجوه ثلاثة: إما لعجز يمنعه عن وفاء ما وعد، أو جهلٍ وبُدُوٍ يَبْدُو له فيرجع[١] عن ذلك، أو حاجة. والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك كله للقدرة الذاتية والغنى الذاتي والعلم الأزلي. **والله الموفق.**

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٧] ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج**، إلى آخر ما ذكر. خرج أهل التأويل هذه الآيةَ في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ووالدته فلانةَ والآيةَ الأولى في أبي بكر الصديق ووالديه،[٢] وهي قوله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ.[٣] فيقولون: إن أبا بكر الصديقَ رضي الله عنه / أطاع والديه وأُمر بالإحسان إليهما والشكر لهما [٧٢٤و] وسأل التوفيق في الشكر لربه[٤] على ما أنعم عليه وأنعم على والديه؛[٥] وعبد الرحمن ابنه قد عصى والديه وخالفهما فيما يدعوانه إليه وقال لهما قولا رديئا[٦] حيث قال: أُفٍّ لكما أتعدانني أن أُخرَج من القبر وأُحيا وقد خلتْ من قبلي من القرون فلا أَراهم بُعثوا، ونحو ذلك من الكلام.[٧] إلا أن هذا لا يصح لأن عبد الرحمن بنَ أبي بكر الصديق عُدَّ[٨] في أَجِلَّة الصحابة رضي الله عنهم، فالظاهر أنه لم يكن منه مثل هذه المجادلة. ولأن أهل التأويل قالوا: إنه[٩] قال لوالديه: إن كان ما تقولون حقا أخرجوا فلانا وفلانا، ذكر نفرا من أجداده، فقال: **أولئك الذين حق عليهم القول**، الآية، ولا يحتمل أن يكون هذا جواب ما تقدم من القوم،

[١] ر م: فرجع.
[٢] ن: ووالدته.
[٣] الآية ١٥ من هذه السورة.
[٤] ر م: له به.
[٥] ر ث م: والدته.
[٦] ن ث: رويا.
[٧] انظر: *تفسير مقاتل*، ٣/٢٥٨؛ و*تفسير الطبري*، ٢١/١٤٤-١٤٥؛ و*تفسير ابن أبي حاتم الرازي*، ١٠/٣٢٩٥-٣٢٩٦.
[٨] جميع النسخ - عد. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ.
[٩] جميع النسخ + كان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٩ظ.

لأنه ليس[1] في وجوب ما ذكر -وهو استحقاق العذاب عليهم- منعُ العَوْد والإحياء في الدنيا، ولأنهم لو كانوا يعادون لا يسقط ذلك الذي حُقّ عليهم إذ هم لا يؤمنون. ألا ترى أن الله تعالى قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[2] لكن جائز أن يكون الآيتان في رجلين من ولد بني آدم عليه السلام مع والديهما[3] أطاع أحدهما والديه وأجابهما إلى ما دعواه إليه وأَبَى الآخر إجابة والديه إلى[4] ما[5] دعواه إليه وخالفهما في أمرهما. فاستغاث والدا[6] مَنْ عصاهما وخالفهما في أمرهما، وقالا ما ذُكر في الآية؛ وقال من أجابهما ما ذكر. وهو كما ذكرنا في قوله تعالى: حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا،[7] صرف أهل التأويل بأجمعهم هذه الآية إلى آدم وزوجته حواء عليهما السلام. وقلنا نحن: جائز أن يكون هذا في كل والد ووالدة يقولان ما ذُكر ويدعوان[8] إلى ما ذكر؛ فلما آتاهما ما ذكرا[9] من الصلاح كانا ما ذكر. فعلى ذلك جائز أن تكون[10] الآيتان اللتان ذكرناهما تكونان[11] في كل ولد مع والديه: من أجاب والديه ومن عصاهما. **والله أعلم.** فلا يصرف الآية إلى من ذكروا إلا ببيان من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنها في كذا وكذا وفي فلان وفلان على طريق التواتر، فعند ذلك يقال ما قالوا، فأما إذا لم تثبت[12] النصوص والإشارة إلى قوم بالتواتر فالكف عن ذلك أسلم. **والله أعلم.**

ودل قوله تعالى: **وهما يستغيثان الله ويلك آمِنْ إن وعد الله حق،**[13] أن عند الله[14] لطفا لو أعطي ذلك لآمن، لذلك يستغيثان الله ويأمرانه بالإيمان بقولهما: آمن.[15] **والله أعلم.**

---

[1] جميع النسخ – ليس. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٣٩ظ.
[2] سورة الأنعام، ٦/٢٨.
[3] ر ث م: مع والدته؛ ن: مع والديه.
[4] ن – إلى.
[5] ن: إما.
[6] ر م: والد.
[7] سورة الأعراف، ٧/١٨٩.
[8] جميع النسخ: ويدعون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ.
[9] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٣٩ظ.
[10] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٨ظ.
[11] جميع النسخ: يكونان. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٨ظ.
[12] جميع النسخ: لم يثبت.
[13] ن ث – إن وعد الله حق.
[14] ر م – حق أن عند الله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٠و.
[15] ر م – لذلك يستغيثان الله ويأمرانه بالإيمان بقولهما: آمن؛ + وقوله وهما يستغيثان الله ويلك آمن فيقولان ويلك آمن.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **ولكل درجات مما عملوا**، من خير أو شر، **وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون**، أي لِيُوَفِّيَهم أجر أعمالهم وجزاءَ أعمالهم من خير أو شر، **وهم لا يظلمون**،[١] أي لا يُنقصون من خيراتهم ولا يزاد لهم في سيئاتهم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا**، وقال في آية أخرى: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ،[٢] وقال في آية أخرى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[٣] ونحوهما، يذكّرهم بهذه الآيات وأمثالها ليعرفوا ما كان منهم وما استوجبوا من العقوبات إنما استوجبوا بما كان منهم في الدنيا من التكذيب والاستهزاء بآياته لينزجروا عن ذلك.

ثم قوله عز وجل: **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها**، يخرج على وجهين. أحدهما أذهبتم طيباتكم التي أُعْطِيتُموها في الدنيا[٤] في منافعكم وأتلفتموها[٥] ولم تؤدوا شكرها ولم تقوموا[٦] بوفائها. *والله أعلم*. والثاني **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا**، أي أتلفتموها[٧] ولم تكتسبوا بها الطيباتِ الموعودة في الآخرة والنعم[٨] الدائمةَ، فكل ما أُعطى في هذه الدنيا من الأموال إنما أُعطى ليستعينوا بها على عمل الآخرة وليتزوّدوا[٩] بها ويجعلوها[١٠] زاد الآخرة.[١١] فأما إذا جعلوها في غير ذلك فهو إتلافٌ وجَعْلٌ في غير ما جُعل، وذلك وبال عليهم وحسرة،

---

[١] ن – أي ليوفيهم أجر أعمالهم وجزاء أعمالهم من خير أو شر.

[٢] الآية ٣٤ من هذه السورة.

[٣] سورة الزمر: ٧١/٣٩.

[٤] ر م – في الدنيا.

[٥] ن: وأبلغتموها.

[٦] ر ن م: ولم يقوموا.

[٧] ن: وأبلغتموها.

[٨] ن: والنعيم.

[٩] ر م: ولتزودوا.

[١٠] ن: زادا للآخرة.

[١١] ر م: وتجعلوها.

وهو ما قال الله تعالى: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ،[1] وكذا [ما] ذكر: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ.[2] فكل نفقة كانت في غير ما ذكر من الاستعانة على زاد الآخرة والتزود لها فهو لحياة الدنيا، وهو لعب ولهو، وهو ما ذكر من الريح فيها صِرٌّ. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاليومَ تُجْزَوْن عذابَ الهون**، أي عذابًا تُهَانون[3] فيه ويُهينكم ذلك العذاب. وقوله عز وجل: **بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق**، يحتمل استكبارهم الذي ذَكَر على الرسل استكبروا على الرسل[4] فتركوا اتّباعهم فاستكبروا على آياته. وقوله عز وجل: **وبما كنتم تَفسُقون**، والفسق هو الخروج عن أمر الله تعالى.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٢١]

وقوله عز وجل: **واذكر أخا عاد**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي اذكر نبأ أخا عاد، وهو هودٌ عليه السلام بما عامله قومه من سوء المعاملة وما قاسى هو منهم لِتتسلَّى[5] بذلك بعض ما عامل به قومك معك. *والله أعلم*. والثاني واذكر نبأ عاد بما نزل بهم من العذاب والاستئصال بتكذيبهم الرسل والاستكبار عليهم والاستهزاءِ بهم لتُحَذِّر به قومَك في تكذيبك والاستهزاء بك. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **إذ أنذر قومه بالأحقاف**، أي خوّف قومه بالأحقاف. وقد اختلف في تأويل الأحقاف. قال بعضهم: الأحقاف هو[6] اسم أرض خوّفهم بنزول العذاب هنالك. وقال بعضهم: هي / جبال من رَمْلٍ مستطيلةٌ مرتفعةٌ. وقال القُتَبِي: الأحقاف واحد حِقْف، وهو الرمل: ما أشرف[7] من كُثْبانه واستطال وانحنى.[8] وقال أبو عَوْسَجَة: الأحقاف رمل بشِحْر[9] عُمَان،[10] [٢٧٤ظ]

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٣٢.

[2] ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٧).

[3] ن: يهانون.

[4] ن م – استكبروا على الرسل.

[5] ر ن م: ليتسلى.

[6] ر م – وقال بعضهم الأحقاف هو.

[7] جميع النسخ: ما أسرف. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩و.

[8] انظر: *غريب القرآن*، ٤٠٧.

[9] ر ث م: بشجر.

[10] الشحر بكسر أوله وإسكان الحاء المهملة هو شحر عمان، وهو ساحل اليمن، وهو ممتد بينها وبين عمان (*الروض المعطار في خبر الأقطار* للحميري، «شحر»).

وهي منازل عادٍ فيما زعموا، وشِحْرُ[١] بلاده.[٢] وقيل الحِقْف تَلّ مُعْوَجّ. وقال بعضهم: الأحقاف الجبل حين نَضَب الماء[٣] زمانَ الغرق ينضُب[٤] عن المكان من الجبل ويبقى أثره وينضب[٥] من مكان أسفل من ذلك[٦] ويبقى أثره دون ذلك فذلك الأحقاف. وقيل أيضا: الأحقاف جبل بالشام. وقيل: هو المكان الذي كان منازل عاد ومُقامَهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله**، أي خلت الرسل من قبلِ هود ومن بعده[٧] عليه الصلاة والسلام. وقوله عز وجل: **ألا تعبدوا إلا الله**، كان الخطاب بهذا وقع للكل،[٨] يقول: لم يزل[٩] الرسل عليهم السلام ينذر قومهم بأنواع العذاب عند تكذيبهم إياهم، ولم يزل الرسل عليهم السلام مِن قبل ومن بعدُ دعوا الناس إلى عبادة الله تعالى ونهوهم عن عبادة غيره. وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**، يحتمل قوله: **أخاف عليكم**، حقيقة الخوف لما لم ييأس من إيمانهم واتباعهم إياه، لذلك لم يقطع فيهم القول بنزول العذاب بهم. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون الخوف هو العلمَ حقيقةً، أي أعلم أن ينزل بكم عذاب يومٍ عظيم إن خُتِمْتم على ما أنتم عليه. وقد يذكر الخوف في موضع العلم.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا**، أي قالوا لهودٍ عليه السلام: أجئتنا لِتَصرفنا عن عبادة آلهتنا، وقال بعضهم: لتردّنا عن عبادة آلهتنا، وقال بعضهم: لتصدنا،[١٠] وقال بعضهم: لتكذّبنا في آلهتنا، والإفك الكذب، وكله واحد. وأصل الإفك الصرف، كأنهم قالوا: أجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا. *والله أعلم*.

---

[١] ر ث م: بشجر.
[٢] جميع النسخ: تلاوة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩و.
[٣] نضب الشيء: سال، ونضب الماء ينضب بالضم نضوبا ونضّب إذا ذهب في الأرض (*لسان العرب*، «نضب»).
[٤] ر: حين نصف المارمان الغرق كان ينصب؛ ن: حين نصب المارمان الغرق ينصب؛ ث: حين نضب المارمان الغرق ينضب؛ م: حين نصف المارمان العرق كان ينصب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩و.
[٥] ر ن م: وينصب.
[٦] ن – من ذلك.
[٧] م: من بعده.
[٨] ن: الكل.
[٩] ر – لم يزل؛ + ثم.
[١٠] ر م – وقال بعضهم لتصدنا.

وقوله عز وجل: **فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**، كانوا يقولون ذلك استهزاء منهم به،[1] ولم يزل الكفرة يسألون ويستعجلون العذاب الذي كانوا يوعدون استهزاءً بهم[2] وتكذيبا بما يوعدون. *والله أعلم*.

﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **قال إنما العلم عند الله**، الآية، أجابهم هود عليه السلام أن العلم بنزول العذاب ووقته عند الله. **وأبلغكم ما أرسلت به**، من الدعاء إلى توحيد الله تعالى والنهي عن عبادة غيره. أو يقول: أبلغكم ما أمرت من التوحيد والتبليغ[3] بنزول العذاب بكم، ولست أبلغكم أنه متى[4] ينزل بكم لما لم أؤمر به. وقوله عز وجل: **ولكني أراكم قوما تجهلون**، أي تجهلون[5] دين الله، أو تجهلون آيات الله وقبولها، أو تجهلون نعم الله وإحسانه، أو تجهلون أمر الله تعالى.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا**، قال بعضهم: العارض السحاب، فقالوا: هذا سحاب ممطرنا، وكأن حقيقة العارض هي[6] الريح[7] التي فيها عذاب أليم، ظنوا أنها سحاب ولم يكن سحابا ولكن كانت ريحا؛ لكن من ذلك الجانب كان يأتيهم السحاب الممطر، لذلك[8] قالوا: هذا[9] عارض ممطرنا. وقوله عز وجل: **بل هو ما استعجلتم به**، كان هود عليه السلام قال لهم: ليس هو بعارض ممطر ولكن هو ما استعجلتم به من العذاب حيث[10] قلتم: فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[11] هو **ريح فيها عذاب أليم**.

---

[1] ر ث م: به منهم.
[2] ر ث م: لهم.
[3] ر ث م: ما أمرت من التبليغ.
[4] ن: متى.
[5] ر م – أي تجهلون.
[6] جميع النسخ: هو.
[7] ر م: العارض والريح.
[8] ر م – لذلك.
[9] ن ث – هذا.
[10] ر م + قال.
[11] الآية ٢٢ من هذه السورة.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢٥]

ثم وصف ذلك الريح فقال كما أخبر الله تعالى بقوله عز وجل: **تدمر كل شيء بأمر ربها**، يخرج قوله: **تدمر كل شيء بأمر ربها**، على وجهين. أحدهما تدمر كل شيء[١] أُرسِلتْ وأُمِرتْ بتدميره،[٢] لا تجاوز[٣] أمر ربها ولا تدمر ما لم تُرسَل و لم تُؤمَر[٤] بتدميره،[٥] كقوله تعالى: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ.[٦] هذه الآية تفسر قوله: **تدمر كل شيء**، أي[٧] كلَّ شيء[٨] أتت[٩] عليه وأمرت[١٠] بتدميره؛ فأما ما لم تؤمر[١١] بالتدمير فلا، على ما ذكر في تلك الآية. *والله أعلم*. والثاني **تدمر كل شيء**، أي عند من عاينها وتأملها عنده أنها تدمر كل شيء لا تُبقي[١٢] شيئا على وجه الأرض لشدتها وقوتها لكنها لا تجاوز[١٣] أمر ربها. ألا ترى أنها لا تدمر هودا وأتباعه وهم فيهم وبقرب[١٤] منهم، وهو كقوله تعالى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[١٥] أي يأتيه أسباب الموت وما به يموت لو كان فيه أمر الموت. فعلى ذلك قوله تعالى: **تدمر كل شيء** أي تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر في أحوالها وأهوالها أن لو كان لها أمر بذلك لكنها لم تجاوز[١٦] أمر ربها. ألا ترى أنه قال:[١٧]

---

[١] ن - يخرج قوله تدمر كل شيء بأمر ربها على وجهين أحدهما تدمر كل شيء.

[٢] ث: بتدبيره.

[٣] جميع النسخ: لا يجاوز. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.

[٤] ن: و لم يؤمر.

[٥] ث: بتدبيره.

[٦] سورة الذاريات، ٥١/٤١-٤٢.

[٧] ن: الا.

[٨] ر م - أي كل شيء.

[٩] ن: أنت.

[١٠] ن: وأقرت.

[١١] جميع النسخ: لم يؤمر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.

[١٢] جميع النسخ: لا يبقي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[١٣] جميع النسخ: لا يجاوز. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[١٤] جميع النسخ: ويقرب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[١٥] سورة إبراهيم، ١٤/١٧.

[١٦] جميع النسخ: لم يجاوز. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.

[١٧] جميع النسخ + في آية أخرى. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤١و.

فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنُهم، في ظاهر هذه الآية أنها قد أبقت[1] مساكنهم و لم تدمرها،[2] وكذلك قال في آية أخرى: تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ،[3] قال بعضهم: إنهم لما التجئوا إلى مساكنهم وهربوا منها كانت تدخل[4] الريح مساكنهم وتخرجهم[5] منها فتلقيهم[6] في صحاريهم وأفنيتهم موتى. وقال بعضهم: تنزع[7] مفاصلهم وتقطعها ثم تُلقيهم[8] في أفنيتهم على ما وصف، وشبههم بأعجاز نخل منقعر. فالريح التي تعمل في إخراج أهلها من مساكنهم وإلقائهم في الفيافي لَأَنْ تعمل[9] في هدم المساكن والمنازل أولى،[10] وكذلك إذا عملت في نزع / المفاصل وقَطْعِها[11] ففي[12] نقض البنيان والمساكن أولى؛ ومع ذلك لم تعمل[13] في هدم مساكنهم، [٧٢٥و] فدل ما ذكرنا أنها لم تجاوز[14] أمر ربها في الإهلاك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنُهم**، الآية. يحتمل قوله:[15] **لا يرى إلا مساكنُهم**، وجهين. أحدهما أي لم تَترك[16] الريح مِن عادٍ ومما لهم إلا مساكنَهم التي ذكر. والثاني **لا يرى إلا مساكنُهم**، أي[17] إلا آثار مساكنهم. فعلى أحد التأويلين تركت لهم المساكن لم تهلكها؛[18] وعلى التأويل الآخر تركت آثار مساكنهم، فأما نفس مساكنهم فقد أهلكتها.

---

[1] ن: قد أبقيت.

[2] جميع النسخ: و لم يدمرها.

[3] سورة القمر، ٥٤/٢٠.

[4] ن: يدخل.

[5] جميع النسخ: ويخرجهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.

[6] جميع النسخ: فيلقيهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[7] جميع النسخ: ينزع. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[8] جميع النسخ: ويقطعها ثم يلقيهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[9] جميع النسخ: يعمل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[10] ر ث م + ومع ذلك.

[11] ر م: واقطعها.

[12] ر م: نفي.

[13] جميع النسخ: لم يعمل.

[14] جميع النسخ: لم يجاوز. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

[15] ر م - قوله.

[16] جميع النسخ: لم يترك.

[17] ر ث م - أي؛ ن - وجهين أحدهما أي لم تترك الريح من عاد ومما لهم إلا مساكنهم التي ذكر والثاني لا يرى إلا مساكنهم أي. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٢٩ظ.

[18] جميع النسخ: لم يهلكها. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.

وهذان التأويلان خرجا على ما ذكرنا من التأويلين في قوله تعالى: **تدمر كل شيء بأمر ربها،** فالأول على التأويل الأول في قوله: **تدمر كل شيء،** أرسلت وأمرت بتدميره و لم تُؤمَر[١] بتدمير مساكنهم فبقيت.[٢] والتأويل الثاني على التأويل الثاني في قوله: **تدمر كل شيء،** أي[٣] عند من عاينها ونظر إليها لشدتها وقوتها فتدمر مساكنهم أيضا فلا يرى إلا آثارها، لكن سماها مساكن باسم ما قد كان، وإنه أمرٌ مستعمل في عرف لسان اللغة. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **كذلك نجزي القوم المجرمين،** كأن[٤] المجرم هو الذي يُدِيم اكتساب الجرم والإثم. وقال بعضهم: هو الوَثَّاب في الجرم. ***والله أعلم***.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه،** الآية،[٥] قال بعضهم: "إنْ" هاهنا في موضع "لَمْ"، كأنه يقول: ولقد مكناهم فيما لم نُمَكِّن لكم من القوة والشدة والعقل والبصيرة وغير ذلك، وذلك قوله تعالى: **وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء،** أي قد مكنا عادا فيما ذكرنا ما لم نمكن لكم يا أهل[٦] مكة في ذلك. ثم إذا أتاهم عذاب الله بتكذيبهم الرسل لم يملكوا دفع عذابه، فأنتم -حيث لم نُمكّن لكم ذلك- أحرى أن لا تملكوا دفع ذلك[٧] إذا نزل بكم بتكذيبكم الرسول عليه الصلاة والسلام. وقال بعضهم: إن حرف "إن" صلة زائدة، فيكون تقدير الآية كأنه يقول: ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد، ثم[٨] لم يملكوا دفع العذاب عن أنفسهم فأنتم لا تملكون[٩] أيضا دفعه عن أنفسكم، وكان لهم ما لكم مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد.

---

[١] جميع النسخ: و لم يؤمر. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٢٩ظ.
[٢] ر م: وبقيت.
[٣] جميع النسخ - أي. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٢و.
[٤] ر م - كأن.
[٥] جميع النسخ + فيه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.
[٦] ن: بأهل.
[٧] ر م: دفع عذابه؛ ن: أن لا يملكوا دفع ذلك.
[٨] ن - ثم.
[٩] رم: عن نفسهم فأنتم لا تملكون؛ ن: لا يملكون.

وقوله عز وجل: **وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء**، على التأويل الأول -حيث ذكرنا أنهم مُكِّنوا ما لم يُمكَّن[1] هؤلاء- يكون ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد لا يراد به أعيانها حقيقة لكن السمع يكون كناية عن العقل، كقوله تعالى: أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ،[2] ذكر السمع ثم فسر به العقل، ويكون قوله: **أبصارا**، أريد به البصائر؛ فالبصر يذكر ويراد به البصيرة، إذ قد وصفهم الله تعالى بذلك بقوله: وَعَادًا وَثَمُودَ، إلى قوله: وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ؛[3] ويكون قوله: **وأفئدة**، كناية عن القوى، فالفؤاد يكنَّى به عن القوة. يخبر تعالى أنهم مُكِّنوا من العقل والبصيرة والقوة ما لم تُمكَّنوا[4] أنتم يا أهل مكة، ثم لم يقدروا على رفع[5] عذاب الله إذا نزل بهم، فأنتم كيف تملكون[6] دفعه وليس لكم تلك الأسباب؟ وعلى التأويل الثاني كان المراد هو حقيقةَ ما ذَكَر من السمع والبصر والفؤاد، فيكون معناه ما ذكرنا: أنْ لكم هذه الأسبابُ مثلَ ما لهم، ثم هم لم يقدروا على دفع[7] ما حل بهم من العذاب، فأنتم لم تقدروا[8] أيضا.[9] *والله أعلم*.

ثم بين الله سبحانه وتعالى الذي بهم نزل ما نزل من العذاب حيث قال: **إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون**، وكان استهزاؤهم مرة بما يوعد لهم الرسل عليهم السلام بالعذاب،[10] ومرة كانوا يستهزءون بالرسل عليهم السلام لما يدعونهم[11] إلى ما دَعَوْا. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: ما لم تمكن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.

[2] سورة يونس، ٤٢/١٠.

[3] ﴿وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطانُ أعمالَهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٣٨/٢٩).

[4] ر م: ما لم تمكنوا.

[5] ر: على وقع.

[6] ر م: يملكون.

[7] ر: على وقع.

[8] ن: لم يقدروا.

[9] جميع النسخ + بها. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٧٥٧و.

[10] ن: بالعقاب.

[11] جميع النسخ: لما يدعوهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.

ثم عذاب عادٍ بالريح التي وضعها الله تعالى في سورة الحاقّة وذكر فيها، حيث قال: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، أي شديدة عاتية،[1] سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا،[2] الآية، وقال في آية أخرى: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ.[3] *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى**. خلق الله تعالى البشر على طبعٍ وبِنْيَةٍ وحال يحذرون ما ينزل بأشكالهم وأمثالهم بذنوب ارتكبوها ويتعظون بغيرهم، فكأنه يقول: احذروا صنع الذين أُهلِكوا ما حولكم ويقربكم لئلا ينزل بكم ما نزل بأولئك[4] بتكذيبهم الرسل وعنادهم واستهزائهم بهم، يحذّرهم بما[5] نزل بأولئك الذين أهلكوا حولهم ليرتدعوا عن ذلك وأن لا يعاملوا[6] رسوله كما عاملوا أولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون**، قوله تعالى: **وصرفنا الآيات**، يخرج على وجهين. أحدهما أي جعلنا للرسل عليهم السلام آيات أقاموها على قومهم ما يُعْلِمهم ذلك ويُخبِرهم[7] على صدقهم / فردوها وكذبوهم بها، فعند ذلك أهلكناهم. فعلى ذلك جعلنا لمحمد صلى الله عليه وسلم من الآيات ما يُعلمكم[8] يا أهل مكة ويخبركم[9] عن صدقه ويدلكم[10] على رسالته، فلا تردوها حتى لا ينزل بكم ما نزل بهم. *والله أعلم*. والثاني **وصرفنا الآيات**، أي نشرنا[11] في الآفاق والأطراف النائية ما حل بأولئك ونزل بهم بتكذيب الرسل وما كان منهم من العناد والرد ما يُلزِم من بَلَغ ذلك الخبر واتصل به ما نزل بأولئك الرجوعَ عن مثل صنيعهم ومثل معاملتهم.

[٧٢٥ظ]

---

[1] جميع النسخ: عادية. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٢و.

[2] سورة الحاقة، ٦٩/٦-٧.

[3] سورة الذاريات، ٥١/٤١.

[4] جميع النسخ + الذين أهلكوا حولهم ليرتدعوا عن ذلك وأن لا يعاملوا رسوله كما عامل أولئك حتى لا يزال بهم مثل ما نزل بأولئك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠و.

[5] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[6] ر ث م: وأن لا تعاملوا.

[7] ر م: ما نعلمهم ذلك ونخبرهم؛ ن ث: ما تعلمهم ذلك وتخبرهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[8] ر ث م: ما تعلمكم.

[9] جميع النسخ: وتخبركم. والتصحيح من *الشرح*، من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[10] جميع النسخ: وتدلكم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠و.

[11] ن: بشرنا.

فأحد التأويلين يرجع إلى انتشار ما نزل بأولئك في الآفاق ليرجعوا عن ذلك فيصير ذلك آية له، فيحملهم على الرجوع عن صنيع أولئك؛[1] والثاني إخبار أنه جعل لكل رسول ونبي آية على صدقه ودلالةً على رسالته، أي لم يهلكهم إلا بعد لزومهم التصديق لهم. *والله أعلم*.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يرجع إلى الله تعالى، والآخر يرجع إلى الأصنام التي عبدوها واتخذوها آلهة. فأما الذي يرجع[2] إلى الله تعالى يقول: لو لا نصرهم الله، أي هلا نصرهم الله تعالى عند نزول العذاب بهم ولا يهلكهم لو كانت[3] عبادتهم الأصنامَ مما يقربهم إلى الله زلفى ويكونون شفعاء عنده. يقول -والله أعلم-: لو كان قولهم حقا أن ذلك مما يقربهم إلى الله هلا نصرهم الله عند نزول ذلك بهم.[4] فإذ لم ينصر الله تعالى أولئك بل أهلكهم فاعلموا أنه ليس الأمر كما توهمتم وظننتم. *والله أعلم*. والثاني يقول -والله أعلم-: لو كان للأصنام التي تعبدونها شفاعةٌ عند الله تعالى على ما زعمتم هلا نصروا أولئك ودفعوا[5] الهلاك عنهم بشفاعتهم. وإذ لم يفعلوا ذلك ولم ينصروهم ولم يدفعوا عنهم فعلى ذلك لا يملكون دفع ذلك عنكم إذا نزل بكم ما نزل بأولئك. *والله أعلم*. وتفسير **لَوْلا** هاهنا هلّا، وهلّا يستعمل في الماضي فيكون معناه لم يفعل، أي لم ينصرهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بل ضلوا عنهم**، أي ضل هؤلاء عنها، أو ضل الأصنام عنهم، فلم يكن لهم منها[6] ما طَمِعوا ورَجَوْا بسبب عبادتهم إياها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وذلك إفكهم وما كانوا يفترون**، يحتمل أن يكون إفكهم وافتراؤهم هو قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ونحوه. *والله أعلم*.

---

[1] ر م + ليرجعوا عن ذلك.

[2] جميع النسخ: ترجع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.

[3] جميع النسخ: لو كان. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠ظ.

[4] جميع النسخ: لو كان قولكم (ر م: حقكم) حقا أن ذلك مما يقربكم إلى الله هلا نصركم الله عند نزول ذلك بكم.

[5] ر ث م: ودفع.

[6] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٠ظ. أي لم يكن و لم يحصل لعبدة الأصنام ما طمعوا من شفاعة الأصنام ونصرها إياهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي**، أي فُرِغ مِنْ قراءته، **وَلَّوْا إلى قومهم منذرين**. قال بعضهم: إن النُّذُر من الجن، والرُّسُل والنُّذُر من الإنس؛ فإن كان ما ذُكر فجائز على هذا أن يكون النفر الذين[١] ذَكَر[٢] أنه صرفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمعوا القرآن منه هم النُّذُر، يدل على ذلك قوله: **وَلَّوْا إلى قومهم منذرين**. وفي ظاهر قوله تعالى: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا،[٣] أن قد يكون[٤] من الجن الرسلُ كما يكون من البشر، إلا أن يقال: إنه[٥] قد يُذكر الإثنان[٦] والمراد به أحدهما، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ،[٧] وإنما يخرج من أحدهما، وهو المِلْح،[٨] فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

ثم يحتمل **صرفنا إليك نفرا من الجن**، أي ألهمناهم وقذفنا في قلوبهم حتى صاروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا إليه ليستمعوا القرآن منه. ويحتمل أنه أمرهم في الكتب التي أُعطُوا معرفتَها بالتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمعوا منه القرآن، لأنه قال عز وجل على إثره خبرا عنهم:

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣٠]

قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه، هذا يدل على أنهم قد عرفوا الكتب التي[٩] قبل هذا الكتاب حيث قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتابا

---

[١] ر م: الذي.
[٢] ر م + أنهم.
[٣] سورة الأنعام، ١٣٠/٦.
[٤] ر ث م: أن قد يكونون.
[٥] جميع النسخ: بأنه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.
[٦] ر ث م: الاتيان.
[٧] سورة الرحمن، ٢٢/٥٥.
[٨] المِلْح والمَلِيح خلاف العَذْب من الماء. والجمع مِلَحَةٌ ومِلاح وأَملاح ومِلَح. وقد يقال: أَمواهٌ مِلْح، ورَكِيَّة مِلْحة، وماء مِلْح، ولا يقال: مالح إلّا في لغة رديئة (*لسان العرب*، «ملح»).
[٩] ر م − التي.

أنزل من بعد موسى مصدقا لما يديه.[1] فجائز أن يكونوا أُمِروا بتلك الكتب استماعَ هذا الكتاب والعملَ به.[2] ويحتمل أن يكونوا عرفوا بذلك لِمَا كانوا يَسْتَرِقُون السَّمعَ إلى السماء فيستمعون أخبار السماء ثم ينزلون فيخبرون أهل الأرض بذلك، فيكون[3] العلم لهم بذلك من الوجوه الثلاثة التي ذكرناها. *والله أعلم*. وقوله تعالى: **يهدي إلى الحق**، أي يدعو إلى الحق الذي لله عليهم والحق الذي لبعض على بعض. ويدعو **إلى طريق مستقيم**، المستقيم هو الذي من سلكه أفضاه إلى مقصوده وبلغ مراده وحاجته. *والله أعلم*.[4]

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به**، فيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد، لأن النفر الذين[5] حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن سمعوا القرآن منه وصدقوه كانوا قليل العدد؛ ولَمَّا رجعوا[6] إلى قومهم فإنما يرجع كل إلى قومه. وقد يحتمل الاجتماع والتواطؤ[7] على ذلك ودعا كلٌّ قومَه إلى إجابته داعيَ الله تعالى وحذَّرهم مخالفته، وقد[8] يحتمل ما ذكرنا من الأفراد والآحاد. دل أن خبر الواحد حجة في حق العمل، وهو ما قال عز وجل: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ،[9] فكان العمل بخبر الآحاد والأفراد ظاهرا مشهورا في الإنس والجن حيث ذكر ما ذكرنا وألزمهم الإجابة والحذر. *والله أعلم*. ثم قوله تعالى: **أجيبوا داعي الله**، يحتمل الإجابة في الاعتقاد بالتوحيد[10] والإيمان به. ويحتمل / في المعاملة في كل أمر وفي كل شيء. وكذلك[11] قوله: [٧٢٦و]

---

[1] ث – هذا يدل على أنهم قد عرفوا الكتب التي قبل هذا الكتاب حيث قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما يديه.

[2] ث – به.

[3] جميع النسخ: ليكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.

[4] جميع النسخ – وقوله تعالى يهدي إلى الحق أي يدعو... وبلغ مراده وحاجته والله أعلم. والزيادة من نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٠ظ.

[5] ر م: الذي.

[6] ر ث م: لما رجعوا.

[7] جميع النسخ: والتواصل. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٣و.

[8] جميع النسخ: وأنه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٤٣و.

[9] سورة التوبة، ١٢٢/٩.

[10] ر ث م – بالتوحيد.

[11] جميع النسخ: فكذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣٢]

ومن لا يجب داعي الله، يحتمل هذين الوجهين. أحدهما في الاعتقاد بالتوحيد والإيمان به. ويحتمل في المعاملة في كل أمر. ثم أخبر أن من لم يجب داعي الله[1] فيما دعاه، **فليس بمعجز في الأرض**، أي ليس بسابق ولا هارب من عذابه. يقول -والله أعلم-: أن ليس يقدر[2] أحد التخلص من عذابه بهربه[3] منه والفرار عنه كما يقدر[4] الفرار والهرب بعضٌ من عذاب بعض في الدنيا ربما. وكذلك[5] ما قال: **وليس له من دونه أولياء**، أي ليس لهم من دونه أولياء ينفعونهم[6] ويدفعون العذاب عنهم، كما يقوم بعض في دفع ما يلحقهم من البلايا والشدائد في الدنيا؛ إذ ليس قوله: **ليس له من دونه أولياءُ**، أن لا ولاية لهم، إذ قال في موضع آخر: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[7] ولكن لا ينفع ولايتهم يومئذ كما تنفع[8] في الدنيا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **أولئك في ضلال مبين**، أي من لم يجب داعي الله فهم في ضلال مبين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٣]

وقوله: **أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض**، الآية. والإشكال ما معنى قوله:[9] **أولم يروا**، وهم لم يشاهدوا خلقهما و لم يروا؟ لكن قال بعضهم: أي أو لم يُخْبَرُوا، وقال بعضهم: أو لم يعلموا، أي قد أُخبِروا أو عَلِموا،[10] ذكر هذا لأنهم كانوا مقرين جميعا أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض.

---

[1] جميع النسخ - يحتمل هذين الوجهين أحدهما في الاعتقاد بالتوحيد والإيمان به ويحتمل في المعاملة في كل أمر ثم أخبر أن من لم يجب داعي الله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٣و.

[2] ر ن: بقدر.

[3] ن: يهربه.

[4] ن: كما يقرر.

[5] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.

[6] جميع النسخ: ينفعونه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣١و.

[7] ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ (سورة الأنفال، ٧٣/٨).

[8] ر م: كما لا ينفع؛ ن ث: كما ينفع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.

[9] ن: لقوله.

[10] ث: وأعلموا.

ثم قوله عز وجل: **ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى**، يقول -والله أعلم-: أي لما علموا أن الله سبحانه وتعالى هو خلق السماوات والأرض و لم يُضْعِفه خلقُ ما ذكر ولم يُعْجِزه ذلك عن تدبير ما يحتاج ذلك إليه من الإمساك[1] والقيام بما به قوام ما خلق فيهن من الخلائق وإصلاحهم؛ فإذ لم يَعْجِز عما ذكر[2] لا يحتمل أن يكون عاجزا عن إحياء الموتى أو عن شيء ألبتة. أو يقول: حيث لم يعي و لم يظهر فيه الضعف فإذًا لم يَعْجِز و لم يَضْعُف[3] في خلق ما ذكر. ثم لا أحد يملك أن يعمل عملا إلا ويظهر فيه الضعف، فإذن لم يَعْجِز و لم يَضْعُف[4] في خلق[5] ما ذكر دل ذلك على أنه إنما لم يُضْعِفه لأن قدرته ذاتية؛ ومن كانت قدرته ذاتيةً لا يُعجزه شيء. فأما غيره إنما يعمل بأسباب فيقدر على العمل على قدر الأسباب ويعجز ربما عنه. ***والله أعلم***. أو يقول: إذ قد عرفتم أن الله تعالى هو خلق السماوات والأرض، ثم لا يحتمل أن يخلقهما عبثا باطلا إذ لو لم يكن بعثٌ كان خلقهما باطلا عبثا. وأصله ما ذكرنا بدءًا أن من قدر على إنشاء ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما بلا احتذاء تقدم ولا استعانة[6] بغيرٍ ثم الإمساكِ والقوام على التدبير الذي دبّر إلى آخر الدهر لا يحتمل أن يعجزه شيء.

وقوله عز وجل: **بلى إنه على كل شيء قدير**، لأنه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة. قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: قوله: **ولم يعي بخلقهن**، يقال: عَيِيتُ بهذا الأمر، أي لم أُحسنه ولم أقْوَ[7] عليه.[8]

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا**، مرة قيل لهم: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلَى،[9]

---

[1] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ (سورة فاطر، ٤١/٣٥).

[2] ر ث م: عما ذكره.

[3] ر م - فإذن لم يعجز ولم يضعف. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١و.

[4] ن ث - فإذن لم يعجز ولم يضعف في خلق ما ذكر ثم لا أحد يملك أن يعمل عملا إلا ويظهر فيه الضعف فإذا لم يعجز ولم يضعف.

[5] ن ث: بخلق.

[6] ر: والاستعانة.

[7] ر: عيت بهذا أي لم أحسنه ولم أقو؛ م: عيت بهذا أي لم أحسنه ولم أقر.

[8] لم أجده في غريب *القرآن* لابن قتيبة.

[9] سورة الزمر، ٧١/٣٩.

ومرة قيل لهم: **أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا**، يعرض[1] هذا عليهم يومئذ ليعترفوا بالذي كانوا ينكرون في الدنيا، لأنهم كانوا ينكرون في الدنيا الرسل والآيات وكانوا ينكرون كون البعث وعذابه، فيعرضون على النار فيقال لهم: هذا الذي وُعِدْتم في الدنيا، أليس هو حق؟ فيعترفون ويقولون: بلى وربنا، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا. ***والله أعلم***.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣٥]

وقوله: **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**، يَلزَم الرسلَ الصبرُ من وجوه ستة: ثلاثة مما خُصّوا هم بها لا يَشْرَكهم غيرهم فيها، وثلاثة مما يشترك غيرهم فيها. فأما الثلاثة التي خصوا[2] بها أحدها هم بُعثوا لتبليغ الرسالة إلى الفراعنة والأكابرة والجبابرة الذين[3] كانت عادتهم وهمتهم القتل وإهلاكَ من خالفهم وعصى أمرهم ومذهبهم، فلم يُعذَر الرسل[4] في ترك تبليغ الرسالة إليهم مع ما ذكرنا من[5] خوف الهلاك والقتل؛ فأما غيرهم من الناس قد أبيح لهم كتمان الدين الحق[6] منهم حتى لا يُهلَكوا. والثاني ألزمهم الصبرَ بالمُقام بين أظهر قومهم واحتمال ما كان يلحقهم منهم من الاستهزاء بهم والافتراء عليهم والتكذيب لهم وأنواع الأذى الذي كان منهم إلى الرسل، لم يؤذن لهم بمفارقتهم لذلك، ولذلك قال: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ،[7] لم يكن منه سوى الخروج من بين قومه لسلامة دينه أو ليُسلِم[8] أولئك،[9] ثم أصابه ما أصاب بذلك الخروج لما لم يؤذن له بالخروج. ***والله أعلم***. والثالث لم يجعَل لهم الدعاء على قومهم بالهلاك والعذاب وإن كان منهم من التمرد والتعنت ما كان. فهذه الثلاثة من المعاملة مما خُصّ الرسل عليهم السلام بها من بين سائر الناس.

---

[1] ر ن م: نقض؛ ث: يقص. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٤و.

[2] ر م: حضوا.

[3] ر ن م: الذي.

[4] جميع النسخ – الرسل. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٤و.

[5] ر م: مع.

[6] ن – الحق.

[7] سورة القلم، ٦٨/٤٨.

[8] ر م: لو لم يسلم؛ ن ث: أو لم يسلم. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٨١ظ.

[9] ر م – أولئك.

وأما الثلاثة التي يشترك فيها غيرهم أحدها أُمروا بالصبر على ما يصيبهم[1] وينزل من البلايا والشدائد. والثاني أمروا بالمحافظة على العبادات التي[2] جعلت عليهم ومحافظة حدودها والصبر على القيام بها. والثالث أمروا بالصبر على ترك قضاء الشهوة وترك إعطاء النفس هواها ومُناها.

[٧٢٦ظ] / فهذه الثلاثة لهم فيما بينهم وبين ربهم، وهي مما يشترك فيها غيرهم. والثلاثة الأولى لهم فيما بينهم وبين الخلق، وهم قد خُصّوا بتلك الثلاثة دون غيرهم. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **أولوا العزم من الرسل**، قال بعضهم: أولوا العزم من الرسل هم[3] نوحٌ وإبراهيمُ ويعقوبُ ويوسفُ وموسى عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء عُدّوا نفرا منهم. وقال بعضهم: هم الرسل جميعا. وجائز أن يكون أولوا العزم من الرسل هم الذين كان منهم الصبر على ما[4] ذكرنا من المعاملة مع قومهم. وقيل: أولوا العزم هم الذين كانوا أبدا متيقظين[5] القائمين بأمر الله الحافظين لحدوده؛ وقال[6] في آدم عليه السلام: وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا.[7] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ولا تستعجل لهم**، أي لا تستعجل[8] عليهم بالهلاك والنقمة.

وقوله عز وجل: **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول –والله أعلم–:[9] كأنك لا توعدهم بالعذاب إلا ساعة من النهار، وعذاب ساعة من النهار مما لا يحملهم على ترك قضاء شهواتهم ومنع ما هم فيه من الأحوال. والثاني كأنهم إذا عاينوا عذاب الآخرة وشاهدوه استقصروا المُقام في الدنيا، كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، وهو كقوله عز وجل: كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[10] وقوله عز وجل: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ،[11] استقصروا المقام في الدنيا إذا عاينوا يوم القيامة وأهوالها. *والله أعلم.*

---

[1] ر م: على ما تصيبهم.
[2] ر م – التي.
[3] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.
[4] ر م: كانوا منهم الصبر على ما صبر؛ ث: كانوا منهم الصبر على ما.
[5] ر: متعظين.
[6] جميع النسخ: وقالوا. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.
[7] سورة طه، ١١٥/٢٠.
[8] ر م: أن لا يستعجل.
[9] ر م + كأنك لا توعدهم بالساعة إلا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين أحدهما يقول والله أعلم.
[10] سورة الكهف، ١٩/١٨.
[11] سورة الروم، ٥٥/٣٠.

وقوله عز وجل: **بلاغٌ**، قال بعضهم: من الإبلاغ.[1] وقيل: البلاغ من البُلْغَة، أي زَادٌ يَبْلُغ به السفرَ حيث يريد. *والله أعلم.*[2] وقوله عز وجل: **فهل يُهْلَك إلا القوم الفاسقون**، كأنه يقول: لا يهلك الهلاك الدائم المؤبدَ إلا القوم الفاسقون، وإلا الهلاكُ الذي ليس هو بالهلاك الدائم المؤبد مما يُهلك [به] الفاسق وغير الفاسق، إذ الموت حتم[3] على الكل. أو يقول: لا يُهلك هلاكَ العذاب إلا الفاسق، فأما الهلاك الذي هو هلاك النجاة والفوز عن شدائد الدنيا فمما[4] يُهلك به الصالح. *والله أعلم.*[5]

---

[1] ر ث م: قال بعضهم الإبلاغ. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.

[2] ن – وقوله عز وجل بلاغ قال بعضهم من الإبلاغ وقيل البلاغ من البلغة أي زاد يبلغ به السفر حيث يريد والله أعلم. صح هـ.

[3] ر م: حق.

[4] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من *الشرح* نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣١ظ.

[5] ر + بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد عليه الصلاة والسلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[١]

قوله عز وجل: **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**، قال عامة أهل التأويل: هم أهل مكة؛ والأشبه أن تكون[2] الآية في كفار المدينة وهم أهل الكتاب، لأن السورة مدنية على ما قال بعض أهل التأويل. لكن جائز أن تكون[3] كما قال أهل التأويل بأنها نزلت في كفار مكة، لأن هذه السورة ذكرت على إثر خبرهم وعَقيب نبإهم في سورة الأحقاف. ثم إن كانت الآية في كفار المدينة وأهل الكتاب فيكون قوله تعالى: **الذين كفروا**، بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه؛ **أضلَّ أعمالهم**، أي أبطل إيمانهم الذي كان لهم بسائر الأنبياء وبمحمد عليهم الصلاة والسلام، لأنهم كانوا مؤمنين به قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. يقول -والله أعلم-: قد أبطل إيمانهم الذي كان منهم قبل ذلك بما كفروا به إذا بُعث. وإن كانت الآية في كفار مكة على ما قال أكثرهم فيكون قوله: **الذين كفروا**، بوحدانية الله تعالى، أو كفروا[4] بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه الصلاة والسلام، أو كفروا بالبعث ونحو ذلك.

---

[1] ر – سورة محمد عليه الصلاة والسلام؛ ن: ذكر أن سورة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مدنية. ث: سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية؛ م + مدنية.

[2] جميع النسخ: أن يكون.

[3] جميع النسخ: أن يكون.

[4] م: وكفروا.

أضل أعمالهم، أي أبطل[1] حسناتهم التي كانت لهم في حال كفرهم من نحو الصدقات وصلة الأرحام وفك الرقاب وغير ذلك من الأعمال التي كانوا يتقربون بها -والله أعلم- قد أبطل أعمالهم التي كانوا يتقربون بها ويرونها قربة عند الله. أو[2] يقول:[3] قد أبطل عبادتهم[4] التي كانوا يعبدون من الأصنام وغيرها لِتُقرّبهم[5] عبادتهم إلى الله زلفى، لقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[6] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[7] يقول: قد أبطل ذلك ولم يكن على ما رجَوْا وطَمِعوا. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وصدوا عن سبيل الله،** يحتمل[8] صدوا بأنفسهم، أي أعرضوا عن سبيل الله على ما ذكر من الكفر[9] عنهم. ويحتمل **وصدوا عن سبيل الله،** أي صدوا الناس عن سبيل الله، وقد كان منهم الأمران جميعا. **أضل أعمالهم،** أي أبطلها،[10] يقال: ضل الماء في اللبن إذا غُلِب فلم يتبين.[11]

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[٢]

والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد، يقول: والذين آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك لم يُضلَّ أعمالهم و لم يبطل إيمانهم الذي كان منهم، بل يكفرَ سيئاتهم التي كانت منهم من الكفر وغيره من[12] السيئات. أو يقول: والذين أمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم كفر عنهم سيئاتهم،

---

[1] ر: وأبطل؛ م: أو أبطل.

[2] ن – والله أعلم قد أبطل أعمالهم التي كانوا يتقربون بها ويرونها قربة عند الله أو.

[3] ن + والله أعلم.

[4] ن: قد أبطل الله أعمالهم.

[5] ر ث م: ليقربهم.

[6] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[7] سورة يونس، ١٨/١٠.

[8] ر م + أن؛ ن ث + أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و.

[9] جميع النسخ – من الكفر. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٣٢و.

[10] ر م: أي أبطل؛ ن ث: أي أبطلنا. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٢و.

[11] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٩.

[12] ن: من الكفر والسيئات.

وهو الكفر والمساوئ التي كانت لهم في الكفر،[1] كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[2] إن كانت الآية في مؤمني مشركي[3] العرب وأهل مكة فيكون قوله:[4] **كفر عنهم سيئاتهم،** الشرك والمساوئ التي كانت لهم في حال الكفر؛ وإن كان في مؤمني أهل الكتاب فيكون قوله: **كفر عنهم سيئاتهم،** التي كانت لهم في حال إيمانهم. ***والله أعلم.***

وقوله: **وهو الحق من ربهم،** هذا / يخرج على وجهين. أحدهما آمنوا بما نزل على محمد [٧٢٧و] عليه الصلاة والسلام وهو الحق، أي[5] من ربهم نزل، وكل شيء من الله تعالى فهو الحق. والثاني **وهو الحق من ربهم،** أي وهو الصدق من ربهم. وقوله عز وجل: **وأصلح بالهم،** أي حالهم وشأنهم فيما كان من قبلُ وفيما بعده.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [٣]

ثم أخبر أن الذي أبطل أعمالهم لأولئك الكفرة وما ذكر وثبّتَ للذين[6] آمنوا ولم يبطل أعمالهم وما ذكر من إصلاح حالهم هو ما قال: **ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل،** يحتمل الباطل الشيطانَ أو هوى النفس أو كلَّ باطل؛ وهو الذي يذم عليه فاعله ومُتَّبِعُه. وقوله عز وجل: **وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم،** يقول لهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الباطل ولهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الحق وقبوله. وقوله عز وجل: **كذلك يضرب الله للناس أمثالهم،** أي مثل الذي بيّن ما لهؤلاء[7] وما لهؤلاء يُبَيِّن ما لكل متبع الباطل ومتبع الحق،[8] وضربُ المثل هو أن يبين لهم ما خفي واشتبه عليهم بالذي ظهر عندهم وتقرر وتجلى لهم ليصير الذي خفي عليهم واشتبه ظاهرا متجلّيا. والله أعلم بالذي ذكر لهم من أمثاله ومَشَابِهه.[9] ***والله أعلم.***[10]

[1] جميع النسخ: من الكفر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و.
[2] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[3] ر م: ومشركي.
[4] ن - قوله.
[5] ر م - أي.
[6] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٥ظ.
[7] ر: ما هؤلاء.
[8] ر م: الباطل.
[9] ن: مشابهة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و. مشابه، أي أشباه (*لسان العرب*، «شبه»).
[10] ر ث م - والله أعلم بالذي ذكر لهم من أمثاله ومشابهه والله أعلم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٤] ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**، وقال في آية أخرى: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ.[١] جائز أن يكون قوله تعالى: **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**، في القتال والحرب، وكذلك قوله تعالى: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ، في القتال والحرب أيضا يضربون ويقتلون على ما يَظْفَرون ويقدرون بهم من المفاصل وغير المفاصل وفي كل موضع، ويكون قوله:[٢] فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، في المفاصل التي ليس فيها كَسْرُ عِظَمٍ[٣] ولا شيءٌ[٤] ولكن إبانةٌ من المفصل. *والله أعلم*. لما روى في الخبر: «إذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة»،[٥] وحُسْن القتل هو أن يضرب ويبان[٦] من المفصل. *والله أعلم*. فعلى هذا جائز أن[٧] يخرج تأويل قوله تعالى: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ،[٨] وتأويل قوله: **فَضَرْبَ الرقاب**. وجائز أن يكون لا على التقديم والتأخير والإضمار، ولكنْ كلُّ آية على نظم ما ذكر. *والله أعلم*؛ ثم إن كان على ما ذكرنا من التقديم والتأخير والإضمار فيكون كأنه قال تعالى: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا الرقاب حتى إذا أثخنتموهم وأَسَرْتمُوهم فاضربوا فوق الأعناق، لأن الإمام بالخيار عندنا إذا أخذهم وظفرهم: إن شاء قتلهم وإن شاء مَنَّ عليهم وتركهم بالجزية، لقوله: حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ،[٩] ويكون قوله: **فَشُدُّوا الوَثاق**، على هذا في المن يستوثقهم بالمواثيق وإن شاء فَادَاهُمْ. لكنهم اختلفوا في المفاداة؛

---

[١] سورة الأنفال، ١٢/٨.

[٢] ث – قوله.

[٣] ن ث: عظيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و.

[٤] ر م – وغير المفاصل وفي كل موضع ويكون قوله فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان في المفاصل التي ليس فيها كسر عظم ولا شيء.

[٥] جميع النسخ: القتل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢و. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٢٣/٤، ١٢٤، ١٢٥؛ وصحيح *مسلم*، الصيد ٥٧؛ وسنن *ابن ماجة*، الذبائح ٣.

[٦] ر م: وبيان؛ ن: وبنان.

[٧] ن + يكون.

[٨] سورة الأنفال، ١٢/٨.

[٩] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٢٩/٩).

قال بعضهم: يُفدَون بالأموال وأُسَرَاء المسلمين منهم. وقال بعضهم: يفادون بالأسراء منهم ولكن لا يجوز أن يفادوا بالأموال، وهو قولنا. وقال بعضهم: لا يفادون بأسراء المسلمين ولا بالأموال، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.[1] واختلفوا في قتل الأسراء منهم. قال بعضهم: لا يقتلون[2] ولكن يُمَنُّ عليهم أو يفادون. وقال بعضهم: الإمام بالخيار: إن شاء قتلهم وإن شاء من عليهم وإن شاء فاداهم بالأسارى من المسلمين. أما القتل فلما ذكرنا من الاستدلال بقوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ،[3] ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه استشار أبا بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم في أسارى بدر فأشاروا إلى المن عليهم والترك وأشار عمر إلى القتل فيهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «لو جاءت من السماء نار ما نجا منكم إلا عمر»، أو كلام نحوه.[4] دل أن الحكم فيهم القتلُ، أعني في هؤلاء الذين حكم فيهم عمر رضي الله عنه بالقتل، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نجا إلا عمر». فدل هذا الخبر أن للإمام[5] أن يقتل أسارى أهل الشرك، وله أن يَمُنّ عليهم بالترك بالجزية في حق أهل الكتاب والعجم، فإنه لمّا جاز لنا في الابتداء أن نأخذ[6] منهم الجزية إذا أبوا الإسلام ونتركَهم[7] على ما هم عليه فعلى ذلك بعد الظفر بهم والقدرة عليهم. ثم قال بعضهم: هذه الآية -وهي قوله **فإما مَنًّا بعدُ وإما فِداءً**- منسوخة بقوله:[8] فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ،[9] ونحو ذلك. ولكن أمكن التوفيق بين الآيتين؛ هذه في قوم والأخرى في قوم آخرين، أو هذه في وقت والأخرى في وقت آخر. **والله أعلم.**

---

[1] انظر للأقوال حول هذه الآية: *أحكام القرآن* للجصاص، ٥/٢٦٨-٢٧٢.

[2] ر م: لا تقتلون.

[3] سورة الأنفال، ٨/١٢.

[4] انظر للروايات في قصة أسرى بدر: مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢٥٣-٢٥٤؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٧١؛ وتفسير *الطبري*، ١١/٢٧٤-٢٧٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٢٠١-٢٠٤.

[5] ر: أن الإمام.

[6] ر ث م: أن يأخذ.

[7] جميع النسخ: وتركهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.

[8] جميع النسخ: الآية وهو قوله فإما منا بعد وإما فداء يخالف من حيث الظاهر لقوله. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٢ظ.

[9] سورة التوبة، ٩/٥.

وقوله عز وجل: **حتى تضع الحرب أوزارها**، وقال بعضهم: حتى يخرج عيسى ابن[1] مريم عليه السلام فعند ذلك تذهب[2] الحروب والقتال، أي اقتلوهم وافعلوا بهم ما ذكر إلى وقت خروج عيسى عليه السلام. وقال بعضهم: **حتى تضع الحرب أوزارها**، أي حتى يضعوا[3] أسلحتهم ويتركوا[4] القتال. وقال بعضهم: حتى يذهب الكفر والشرك ولا يكونَ الدين إلا دين الإسلام، وهو كقوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ،[5] أي شرك وكفر. ***والله أعلم.***

قيل: الإثخان هو الغلبة والقهر بالقتل والجراح. وقال أبو عَوْسَجة: **أثخنتموهم**، أي أكثرتم[6] فيهم القتل والجِراحة، ويقال في الكلام: ضربته حتى أثخنته حتى لا يقدر أن يتحرك. **والوثاق** ما أوثقتَ به[7] يدي الرجل أو رجليه، يقال: أوثقته واستوثقت منه. وقوله: **أوزارَها**، أي أثقالها، واحدها وزر وهو الثِقل. وقال القُتَبِي: **حتى تضع الحرب أوزارها**، أي يضع[8] / أهل الحرب السلاح، وأصل الوِزْر ما حملته، فسمى السلاح وزرا لأنه يحمل.[9] ***والله أعلم.*** [٧٢٧ظ]

وقوله عز وجل: **ذلك ولو يَشاءُ اللهُ لانتصر منهم**، قوله: **ذلك**، أي ذلك الذي أُمِرتم[10] به من أول ما ذكر من قوله تعالى: **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**، إلى قوله: **حتى تضع الحرب أوزارها**. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **ولو يشاء الله لانتصر منهم**، تأويله -والله أعلم- ولو يشاء الله لانتصر[11] لأوليائه من أعدائه بلا قتال ولا نَصْبِ الحروب فيما بينهم. ثم انتصاره منهم يكون مرة بأن يُهلكهم إهلاكا ويَقْهَرهم قهرا، ومرةً ينتصر[12] منهم بأن يسلِّط عليهم أضعف خلقه وأخسّهم فيَقهَرهم بأضعف خلقه.

---

[1] ن: عيسى بن.
[2] ر ث م: مذهب؛ ن: يذهب.
[3] ر م: حتى تضعوا.
[4] جميع النسخ: وتركوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.
[5] سورة البقرة، ١٩٣/٢؛ وسورة الأنفال، ٣٩/٨.
[6] ن: أكثرتموهم.
[7] جميع النسخ + كل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.
[8] ر ن م: أي تضع.
[9] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٠٩.
[10] جميع النسخ: أمرتهم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٦ظ.
[11] ر ث م - منهم تأويله والله أعلم ولو يشاء الله لانتصر.
[12] ر م: ومرة ينصر.

وقوله عز وجل: **ولكن لِيَبْلُوَ بعضَكم ببعض**، أي يمتحن بعضكم بقتال بعض وبأنواع المحن، أنشأ[1] الله عز وجل هذا البشر في ظاهر الأحوال بعضَهم مشابها لبعض غيرَ مخالف بعضُهم بعضا، فإنما يظهر الاختلاف[2] بالامتحان بأنواع المحن على اختلاف الأحوال، فعند ذلك يظهر المصدّق من المكذّب والمُحق من المبطل والموافق من المخالف والمتحقق من المضطرِب والموقن من الشاك على ما ذكر تعالى: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[3] وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[4] و[الَّذِي] خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً،[5] وغير ذلك من الآيات التي ذكر الابتلاء[6] والامتحان فيها باختلاف الأحوال التي عند ذلك يظهر ما ذكر من التصديق والتكذيب والتحقيق[7] وغيره. ثم لو كان جل وعلا انتصر لأوليائه من أعدائه بما ذكرنا بأن ينصرهم على أعدائهم نصرا بلا امتحان وكُلْفة منه لأوليائه لكان التوحيد له والتصديق لرسله بحق الاضطرار لا بحق الاختيار، لأنهم إذا رأوا أنهم يُستَأصلون ويُهلَكون إهلاكا بخلافهم إياهم لكانوا لا يخالفونهم بل يوافقونهم مخافة الهلاك والاستئصال، فيرتفع الابتلاء والامتحان عنهم فلا يظهر المختار من غيره، لذلك كان ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يُضلَّ أعمالهم سيهديهم**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: والذين قاتلوا في سبيل الله فَهُزِموا أو غُلبوا أو هَرَبوا في وقت أو في قتال، **فلن يضل أعمالهم**، أي لن يبطل أعمالهم[8] التي كانت منهم من الجهاد مع الأعداء وغير ذلك من الأعمال التي كانت لهم. **سيهديهم**، أي[9] يوفقهم ثانيا مرة أخرى للقتال والنصر لهم على أعدائهم في الدنيا ويُدخلهم في الآخرة الجنة.[10] والثاني أي والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم في الآخرة سيهديهم في الآخرة الجنة.[11]

---

[1] جميع النسخ: إن شاء. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٢ظ.

[2] جميع النسخ: اختلاف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٢ظ.

[3] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.

[4] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

[5] سورة الملك، ٢/٦٧.

[6] جميع النسخ: الاختلاف. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٦ظ.

[7] ر م: والتكذيب التحقيق.

[8] ر م – أي لن يبطل أعمالهم.

[9] ر م: أو.

[10] ر م: لجنته.

[11] ر: لجنته.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ويدخلهم الجنة عرفها لهم**، قال بعضهم: أي يدخلهم الجنة التي بينها لهم في الدنيا ووصفها. وقال بعضهم: عرّفها لهم في الآخرة[١] حتى يَعرِفَ كلُّ منزله وأهله[٢] من غير أعلام وأدلة جعلت لهم كما يعرف كل أحد في الدنيا منزله[٣] وأهله وخَدَمَه. *والله أعلم*.
وقال بعضهم: **عرفها لهم**، أي طَيَّبها لهم، يقال: فلان مُعرِف، أي مُطيِب، وطعام مُعرّف،[٤] أي مُطيَّب،[٥] وهو قول القُتَبِي.[٦]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم**، أي إن تنصروا دين الله ينصركم، أو[٧] إن تنصروا أولياء الله ينصركم على أعدائكم. ثم نَصْرُنا دينَ الله وأولياءه يكون مرة بالأنفس والأموال ببذلها في سبيله لابتغاء وجهه. والثاني يكون[٨] نصرا بالحجج والبراهين بإقامتها عليهم بما أُمِرْنا من إقامة الحجج والآيات. ثم يكون نصر الله إيانا[٩] وجهين. أحدهما ينصرنا على أعدائه بما نغلبهم ونقهرهم؛[١٠] لكن إن كان هذا فيكون في حال دون حال وفي وقت دون وقت لا في كل الأحوال. والثاني يكون نصره إيانا بما يجعل العاقبة لنا،[١١] وإن كنا غُلِبنا وقُهِرنا في بعض الحروب والقتال وكانوا هم الغالبين علينا قاهرين لنا. *والله أعلم*.
وقوله عز وجل: **ويُثَبِّتْ أقدامكم**، يحتمل في الحروب والقتال، أو يثبت أقدامكم[١٢] في الآخرة كيلا تزول. *والله أعلم*.

---

[١] ن – التي بينها لهم في الدنيا ووصفها وقال بعضهم عرفها لهم في الآخرة.
[٢] ر: منزلة وأهله؛ ث: منزلة أهله.
[٣] ر: منزلة.
[٤] ر م: معروف.
[٥] ن – وطعام معرف أي مطيب.
[٦] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤١٠.
[٧] ر ث م: أي.
[٨] ن: أن يكون.
[٩] ن + من.
[١٠] جميع النسخ: بما يغلبهم ويقهرهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣و.
[١١] ر م – لنا.
[١٢] ر ن م: أقدامهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا فتعسا لهم**، أي بُعْدًا لهم؛ ثم يحتمل بعدا لهم عن النصر، ويحتمل بعدا لهم عن رحمته. وقال بعضهم: **فتعسا لهم**،[١] أي هلاكا لهم، وقيل:[٢] فَخَيْبَةً[٣] عند الهزيمة والقتل؛ وجائز أن يكون أريد به الهلاك. وأصل التعس هو العَثر والسقوط وهو الهلاك، فيرجع كله[٤] إلى ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**، أي ذلك الذي ذَكَر لهم من التعس والهلاك وإبطال الأعمال بأنهم تركوا اتباع ما أنزل الله على رسوله، إذ كل من ترك اتباع شيء اعتقادا فقد كرهه. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون قوله: **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله**، أي كرهوا ما أنزل الله[٥] على غير بني إسرائيل؛ فإن كان هذا فالآية في أهل الكتاب لأنهم لم يروا الرسل من غير بني إسرائيل ولا إنزالَ الكتب على أحد من غير بني إسرائيل. ***والله أعلم***. وقوله: **فأحبط أعمالهم**، أي بتركهم اتباع ما أنزل الله وقبولَه. ***والله أعلم***.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**، قد ذكرنا فيما تقدم أنه يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها أي لو ساروا في الأرض / لعرفوا [٧٢٨ر] ما نزل بأولئك بماذا نزل بهم، وهو تكذيبهم للرسل وكفرُهم بهم، ولعرفوا أن من نجا منهم بماذا نجا، وهو التصديق لهم والإيمان بهم.[٦] والثاني على الأمر، أي سيروا في الأرض

---

[١] جميع النسخ – أي بعدا لهم ثم يحتمل بعدا لهم عن النصر ويحتمل بعدا لهم عن رحمته وقال بعضهم فتعسا لهم. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣و.

[٢] ر ث م + أي.

[٣] ر ث: محنته؛ ن: فحينة؛ م: محنة. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣و.

[٤] جميع النسخ – كله. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٧و.

[٥] ن – أي كرهوا ما أنزل الله.

[٦] ن: لهم.

فانظروا ما الذي نزل بمكذِّبِي الرسلِ ومستهزئيهم ليكونَ ذلك مَزْجَرَةً[1] لهم عن مثل معاملتهم الرسول عليه السلام. والثالث أي قد ساروا في الأرض لكن لم ينظروا ولم يعتبروا فيما نزل بأولئك أنه بماذا نزل بهم، ولو تأملوا فيهم لكان ذلك زجرا لهم عن المعاودة إلى مثل ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي دمر الله عليهم وللكافرين[2] سوى[3] هؤلاء الكفار الذين دمر الله عليهم أمثالُ مالَهم من الهلاك بتكذيبهم الرسل. والثاني[4] **دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**، أي للكافرين من قومك أمثالها، وهذا وعيد لقومه. والثالث أن يقول لقومه: ولكل كافر أمثالُ ذلك. *والله أعلم*.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**، تأويله أي ذلك الذي ذكر لهم لِأَجْلِ أنَّ الله ناصر الذين اتبعوا[5] أمره وآمنوا به وصدقوه فدفع العذاب عنهم باتباعهم أمره، وأن للكافرين[6] ذلك لما ليس[7] هو بناصر لهم لتركهم اتباع أمره[8] وتصديقهم إياه فلم يدفع العذاب عنهم؛ أو يقول: **ذلك**، أي دَفْعُ العذاب عن الذين آمنوا لما أن الله تولى[9] أمورهم وعصمهم، وأنه لم يتولَّ أمور الكفرة، أي لم يعصمهم وخَذَلَهم وتركهم على ما اختاروا، لعلمه باختيارهم ما يختارون[10] من التكذيب، وتوَلَّى[11] المؤمنين وعصَمهم لعلمه بما يختارون من التصديق والاتباع له. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: من قوة؛ ن: من حرة.
[2] ن + أمثالهم.
[3] ن: استوى.
[4] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣ظ.
[5] ر م: اتبعوه.
[6] جميع النسخ: وأن الكافرين. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٧ظ.
[7] ر م: لما بئس؛ ث: لما يئس.
[8] ر م: أمر.
[9] جميع النسخ: يتولى.
[10] ر م: ما اختارون.
[11] ث: ويتولى.

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[١٢]

ثم ذكر عاقبة المؤمنين من الاتباع لأمره والتصديق لرسله عليهم السلام وهو قوله تعالى: **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار**، وبيّن ما لأولئك الذين اختاروا من الكفر به والتكذيب لرسله في العاقبة حيث قال: **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**، أي مأوًى لهم بما اختاروا. *والله أعلم*. وذلك أن أهل الإيمان والتوحيد نظروا في جميع أحوالهم وأمورهم إلى ما فيه أمر الله تعالى وما يُعقِب لهم نفعا في العاقبة، لم ينظروا إلى ما فيه قضاء شهواتهم ومُنَاهُم، بل اختاروا أمر الله على جميع ما ذكرنا. وأولئك[١] الكفرة لم ينظروا إلى ما فيه أمر الله ولا ما يوجب[٢] لهم في العاقبة من النفع، بل اختاروا شهواتهم[٣] ومُناهم وما فيه هَواهم على ما فيه أمر الله ونهيه. فجعل للمؤمنين في الآخرة قضاء شهواتهم التي تركوا قضاءها في الدنيا وكَفُّوا أنفسهم عن مناها مكانَ[٤] ذلك في الجنة والبساتين التي وعد لهم في الآخرة؛ وجعل لأولئك الكفرة في الآخرة مكان ما قضوا في الدنيا من شهواتهم وإعطاءِ أنفسهم مناها النارَ وما يُنغِّصهم[٥] ما أَعطَوا أنفسَهم في الدنيا.

ثم قوله: **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**، يحتمل تشبيه أولئك الكفرة بالأنعام في الأكل وجهين. أحدهما يخبر أنهم يأكلون وهِمَّتُهم في الأكل ليست إلا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة، لا ينظرون إلى ما أمرهم الله به ونهاهم عنه[٦] كالأنعام التي ذكر، همتها ليست في الأكل إلا الشِّبَعُ وامتلاء البطن وقضاء الشهوة. *والله أعلم*. والثاني يخبر عنهم أنهم لا ينظرون في أكلهم وشربهم إلى عاقبة ولا إلى وقت ثانٍ، بل نظرهم إلى الحال التي هم فيها كالأنعام التي ذكر أنها تأكل ولا تنظر ولا تدخر شيئا لوقت ثان ولا تترك[٧] شيئا ما دامت تشتهي،[٨] فعلى ذلك أولئك الكفرة. *والله أعلم*.

---

[١] ث: أولئك.

[٢] ر ث م: ولا يوجب.

[٣] ر م: لشهواتهم.

[٤] ن: فكان.

[٥] ر م: وما ينقصهم. نَغَّص عليه عيشه تنغيصا، أي كدّره (*لسان العرب*، «نغص»).

[٦] ر: إلى أمر الله به ونهاهم منه؛ إلى أمر الله به ونهاهم عنه.

[٧] ر ن م: يأكل ولا ينظر ولا تدخر شيئا لوقت ثان ولا يترك.

[٨] ر م: يشتهي.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [١٣]

وقوله عز وجل: **وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم**، كأن سنة الله تعالى في الذين كانوا من قبل أنه إذا أُخرِج الرسل من بين أظهرهم أهلَكهم،[١] فيخبر أن أهل مكة قد استوجبوا العذاب -إذ أُخرجتَ من بين أظهرهم- كما يستوجب أولئك الكفرة. لكن الله تعالى بفضله ورحمته أخر ذلك عنهم لأنه بعثك إليهم رحمةً، كقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛[٢] أو أخر ذلك عنهم لما وعد أنه خاتم الأنبياء عليهم السلام لتبقى[٣] شريعته ورسالته إلى يوم القيامة، ولو أهلكهم واستأصلهم على ما فعل بأولئك لانقطعت رسالته وشريعته، وقد وعد أنها تبقى[٤] وأنه رحمة لهم وأنه[٥] لا يخلف الميعاد. ثم أخبر أن أولئك الكفرة[٦] أكثر أهلا وأشد قوة وبطشا من هؤلاء، ثم لم يتهيأ لهم دفع ما نزل بهم بقوتهم في أنفسهم[٧] وبطشهم، ولا كان لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله ولا مانع يمنعهم عنه. فأنتم يا أهل مكة أولى أن لا تدفعوا[٨] عن أنفسكم العذاب إذا نزل بكم. **والله أعلم.**

ثم قوله عز وجل: **أخرجتك**، أضاف الإخراج إلى قومه وهم لم يتولوا إخراجه بأنفسهم بل اضطروه حتى خرج هو بنفسه، لكنه أضاف الإخراج / إليهم لأن سبب خروجه من بينهم كان منهم فكأن قد أخرجوه. وهو كما ذكر من إخراج الشيطان آدم وحواء عليهما السلام من الجنة بقوله: فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ،[٩] والشيطان لم يتول إخراجهما حقيقة؛ لكن لَمّا كان منه من أشياء حملهم ذلك على الخروج فكأنه وُجد الإخراجُ منه. وأصله أن الأشياء والأفعال ربما تنسب[١٠] إلى أسبابها وإن لم يكن لتلك الأسباب حقيقةُ الأفعال. **والله أعلم.**

[٧٢٨ظ]

[١] ن: أملكهم.
[٢] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[٣] جميع النسخ: ليبقى. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣ظ.
[٤] ن: يبقى.
[٥] ن – لهم وأنه.
[٦] ن – الكفرة.
[٧] م: في نفسهم.
[٨] ر ث م: أن تدفعوا؛ ن: أن لا يدفعوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٣ظ.
[٩] سورة البقرة، ٢/٣٦.
[١٠] جميع النسخ: ينسب. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤و.

وقوله عز وجل: **فلا ناصر لهم**، هو خبر من الله تعالى،[١] أي لا يكون لهم ناصر، وهو يحتمل وجهين. أحدهما لا يكون ناصر لهم[٢] في الآخرة. والثاني على إضمارٍ، أي لم يكن لهم ناصر وقت ما عُذِّبوا في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم.** لم يخرج لهذا الحرف جواب لما هم عرفوا بالبديهة[٣] أن ليس من كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ويتبع هواه، يُعرَف ذلك بالبديهة، كمن يقول: ليس المحسن كالمسيء وليس من يحسن كمن يسيء ونحوه ذلك مما يعرفه كل أحد لا يحتاج إلى بيان وجواب، فعلى ذلك هذا. ثم في ذلك وجهان. أحدهما يذكر سفههم باختيارهم اتباع هواهم وما زُيِّن لهم من سوء عملهم على اتباع من كان على بينةٍ منه وبيانٍ على علم منهم[٤] بذلك ويقين. *والله أعلم*. والثاني فيه ذكر دلالة البعث، يقول -والله أعلم-: لمّا عرفتم أن من كان على بينة من ربه ليس كمن يتبع هوى نفسه، وقد استويا في هذه الدنيا: انتفع هذا كما انتفع الآخر، وفي العقول لا استواء بينهما، فدل استواؤهما في هذه الدار على أن هناك دارا أخرى ثُمّ يُفرِّق بينهما ويميز. *والله الموفق*.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **مثل الجنة التي وعد المتقون**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أن قوله تعالى:[٥] **وعد المتقون**، على حقيقة المَثَل، كأنه يقول: مثل الجنة التي وعد المتقون من جناتكم هذه لو كانت جناتُكم في الدنيا على المثل الذي وَصَف في الآية، أليس كانت نفس كل أحد ترغب[٦] فيها

---

[١] ن: هو خبرا منه تعالى.

[٢] ر ث م – لهم؛ ن: لهم ناصر.

[٣] ر م: بالبديهية.

[٤] ر ث م – منهم.

[٥] ن + مثل الجنة التي.

[٦] جميع النسخ: يرغب. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤و.

وتَحرِص[1] في طلبها لتكون[2] تلك الجنة له؟ فما بالكم لا ترغبون في تلك الجنة التي وعد المتقون في الآخرة، لا ترغبون فيها ولا تحرصون في طلبها؟ ***والله أعلم***. ويخرج على هذا التأويل قوله تعالى: **كمن هو خالد في النار**، أي ليس من كان خالدا في جنة من جناتكم التي[3] وصفها كمن هو خالد في نار من نيرانكم.

والثاني يحتمل قوله تعالى: **مثل الجنة التي وعد المتقون**، أي صفة الجنة التي وعد المتقون[4] ما ذكر، فيخرج على الصلة لما تقدم من قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[5] ثم وصف ونعت الجنة التي أخبر أنه يُدخلهم فيها فقال: **مثل الجنة التي وعد المتقون**، أي صفتها فيها أنهار من كذا وكذا الآية. وعلى هذا ما ذكر في آخره من قوله: **كمن هو خالد في النار**، يحتمل أن يكون صلة قوله: مَثْوًى لَهُمْ،[6] ثم وصف تلك النار التي أخبر أنها مثوى لهم[7] ومأوى لهم فقال: **وسُقُوا ماءً حميما**، الآية.

والثالث يذكر على أن من وعِد له ما وُعِد للمتقين من الجنة وما فيها من النعم ليس كمن وعد له النار. ألا ترى أنه جل وعلا ذكر في آخر ما ذكر من وصف الجنة: **كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميما فقطَع أمعاءَهم**، أي ليس هذا كهذا ولا سواءَ بينهما، أي لا مساواةَ، وهو كقوله تعالى فيما تقدم من حيث قال: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ،[8] أي ليس هذا كهذا؛[9] فعلى هذا يحتمل ما ذكر من وصف الجنة ووصف النار، أي ليس من وَعد له الجنة التي وصفها ونعتها كمن وعد له النار التي وَصْفُها ما ذكر. ***والله أعلم***.

ثم قال: **فيها أنهار من ماء غير آسن**، الآية، يخبر أن ما يكون في الجنة من المياه والخمور والألبان وما ذكر ليس كالتي في الدنيا، لأن المياه في الدنيا يتغير بأحد وجهين.

---

[1] جميع النسخ: ويحرص. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٤و.
[2] جميع النسخ: ليكون.
[3] جميع النسخ + ما ذكر. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٤٩و.
[4] ر م – أي صفة الجنة التي وعد المتقون.
[5] الآية ١٢ من هذه السورة.
[6] الآية ١٢ من هذه السورة.
[7] ر ن م: له.
[8] الآية السابقة.
[9] ر م: كهكذا.

إما لنجاسة وآفة تصيبها[1] أو لطول الزمان والمكث، فيخبر أنْ ليس في الجنة شيء يغيّر مياهها؛[2] وكذلك اللبن في الدنيا يتغير ويَفسد عن قريب[3] إذا تُرك لما ذكر، فيخبر أن ألبان[4] الجنة لا يَفسُد للترك ولا يصيبها شيء فيفسدها ويُخرجها عن طعم اللبن. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين**، يخبر أن الخمر في الجنة مما يتلذذ بها أهلها عند الشرب ليس كخمور الدنيا يتكرّه[ها] أهلها عند شربها ويَعبِسون وجوههم عند التناول منها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأنهار من عسل مصَفًّى**، أي أنهار من عسل خلق وأُنْشِئ[5] مصفى لا كدورة فيه، لا أنه كان كَدِرا فصُفِّي[6] أو كان خَلق بعضَه كَدِرا وبعضَه مصفى ولكن خلق كله مصفى من الابتداء، وهو كقوله تعالى: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[7] أي خلقها في الابتداء مرفوعة لا أنها كانت موضوعة ثم رفعها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولهم فيها من كل الثمرات**، يحتمل[8] / من كل الثمرات التي عرفوها [٧٢٩و] في الدنيا ورأوها،[9] أو يقول لهم: فيها من كل الثمرات التي يريدون فيها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسُقُوا ماءً حميما فقطّع أمعاءَهم**، أي ليس من وُعد له ما ذُكر من الجنة وهو خالد فيها متنعم بما ذكر من ألوان الثمار والنعم وما ذكر[10] من المياه والخمور والألبان كمن هو خالد في النار وما ذُكر. *والله أعلم*.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا**. جعل الله عز وجل آيات رسالة رسوله عليه الصلاة والسلام

---

[1] جميع النسخ: يصيبها. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤و.
[2] ن: أن ليس في الجنة تغير مياهها.
[3] ن: عن قرب.
[4] ن: أن النار.
[5] ر م: والشيء؛ ن: وأنسئ.
[6] ر م: مصفى.
[7] سورة الرعد، ٢/١٣.
[8] ر ن م + أي.
[9] ر م: ورادها.
[10] ر ث م: ما ذكر.

وحججه على المنافقين صنيعَهم وما أسرُّوا في أنفسهم من الخلاف له والعداوة، فأطلع الله رسوله على ما أَسَرُّوا في أنفسهم وأضمروه ليكون ذلك آية لرسالته وحجة لنبوته، إذ علموا أن لا أحد يطّلع على ما في القلوب إلا اللهُ تعالى. فإذا أخبر رسول الله لهم بما أسروا وأضمروا علموا[1] أنه عرف ذلك بالله تعالى، كقوله: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا،[2] وقوله: وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ[3] ونحو ذلك. ثم الناس في الاستماع[4] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَفْتَنّ[5] إلى فرق ثلاث. فالمؤمنون كانوا يستمعون إليه للاسترشاد ولاستزادة الهدى،[6] *وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى،[7] الآية. والكفرة كانوا يستمعون إليه ليقولوا لأتباعهم: إنه افترى بنفسه وإنه كَذِب وإنه سحرٌ، كيلا يقعَ في قلوب أتباعهم أن ما جاء محمد حق فيسمعوا منه، ويُزيِّفوا[8] ذلك بين يدي أتباعهم، وهو كقوله: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ،[9] الآية. والمنافقون كانوا يستمعون إليه لإظهار الموافقة له لئلا يتعرض لهم فيما أضمروه وأسروا منهم من العداوة والخلاف. *والله أعلم*. ثم قوله: **قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا**، هذا القول منهم في الظاهر ليس هو قولا يجب أن يذم قائله، لأن من خفي عليه أو أشكل أو ذهب عنه ما سمعه فالواجب عليه أن يسأل من حفظ ذلك وضبط، لكن أولئك إنما قالوا لهم ذلك ليعلموا أنهم على دينهم وأنهم يستمعون إليه ويحفظونه، وكانوا في الحقيقة[10] يستهزءون بهم، لذلك ذُمّوا بذلك القول.

ثم أخبر أنه طبع على قلوبهم بقوله: **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم**، لما كان استماعهم إليه لما ذكرنا من إظهار الموافقة وإضمار الخلاف له والعداوة والاستهزاء. وقوله: **آنفا**، قال بعضهم: أي مستأنَفًا من الائتناف. وقال بعضهم: الساعة.

---

[1] ر م: واعلموا.

[2] سورة النور، ٢٤/٦٣.

[3] سورة البقرة، ٢/١٤.

[4] ر م: في الاستمتاع.

[5] ر م: يفرق. يَفْتَنّ: أي يتنوع.

[6] ر م: الاسترشاد واستزادة الهدى.

[7] الآية التالية.

[8] زيّف قوله أو رأيه: فنّده وأظهر باطله، صغّره وحقّره (*المعجم الوسيط*، «زيف»).

[9] سورة المائدة، ٥/٤١-٤٢.

[10] ن + يستمعون.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[١٧]

وقوله تعالى: **والذين اهتدوا زادهم هدى،** لأنهم كانوا يستمعون إليه للاسترشاد واستزادة الهدى،* وهو كقوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ.[٢] وقوله تعالى: **وآتاهم تقواهم،** يحتمل قوله: **وآتاهم تقواهم،** أي أعطاهم ما اتقوا مخالفة أمره. ويحتمل **آتاهم تقواهم،** أي يوفقهم ما يتقون مخالفة أمره مِنْ بعدُ[٣] في المستأنَف. وقال بعضهم: أي أعطاهم الله ثواب أعمالهم في الآخرة. يقول: كلما جاءهم من الله أمر وأخذوا به[٤] فزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم، أي أجْرهم. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: وأنطاهم تقواهم، أي أعطاهم،[٥] وهي لغة معروفة: أنطى، أي أعطى، وكذلك قرأ: إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.[٦]

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة،** كأن هذه الآية نزلت[٧] في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون إلا عند قيام الساعة، كأنه يقول: ما ينتظرون[٨] لإيمانهم إلا الساعة أن تأتيهم[٩] بغتة لكن لا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت، كقوله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[١٠] وقوله: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[١١] كأنه -والله أعلم-[١٢] يُؤْيِس رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في إيمانهم قبل ذلك الوقت.

---

* ما بين النجمتين لا يوجد في نسخة ر، ونسخة م. انظر: ورقة ٧٢٩و/سطر ١١ من نسخة مهرشاه.

[٢] سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥.

[٣] ن – من بعد.

[٤] ر م: كلما جاء من الله وأخذوا به.

[٥] انظر: معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٦/٩.

[٦] سورة الكوثر، ١/١٠٨.

[٧] ر م – نزلت.

[٨] ر م: ما ينظرون.

[٩] جميع النسخ: أن يأتيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٤ظ.

[١٠] سورة الأنعام، ١٥٨/٦.

[١١] سورة المؤمن، ٨٥/٤٠.

[١٢] ن – والله أعلم.

وقوله عز وجل: **فقد جاء أشراطها**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يحتمل [أن يكون] ما ذكر من مجيء أشراطها هو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، لأنه خاتم الأنبياء وبه ختمت النبوة، وروى عنه أنه قال: «بُعثتُ والساعةُ كهاتَين»، وأشار إلى إصبعين جمع بينهما.[1] فإن كان التأويل هذا فهو على تحقيق مجيء أشراط الساعة، أي قد جاء أشراط الساعة حقيقة وتحققت. والثاني يحتمل أن يكون ما ذكر من مجيء أشراطها هي الأعلام والشرائطَ التي جعلت عَلَمًا لقيامها من نحو نزول عيسى وخروج دابة الأرض وخروج الدجال وغير ذلك، وقد مضى بعض تلك الأعلام. فيكون قوله: **فقد جاء أشراطها**، أي كأنْ قد جاء أشراطها، إذ كل ما هو آتٍ جاءٍ فكأنْ قد جاء، كقوله تعالى: أَتَى أَمْرُ اللهِ.[2]

وقوله عز وجل: **فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**، يحتمل وجهين. أحدهما من أين[3] ينتفعون بإيمانهم في ذلك الوقت وكيف لهم منفعة الذكرى إذا جاءت والتوبة لا تقبل[4] حينئذ. والثاني من أين لهم الإيمان والتوبة إذا جاءتهم[5] الذكرى، أي ما يُذكّرهم، أي ما يؤمنون وقد ذكّروا[6] في الدنيا قبل ذلك فلم يؤمنوا ولم يتذكروا. ***والله أعلم***.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **فاعلم أنه لا إله إلا الله**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما اعلم في حادث الوقت أنه لا إله إلا الله، كقوله تعالى: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[7] وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[8] ونحو ذلك. والثاني يقول: فاعلم أن الإله[9] المستحق للعبادة والمعبود الحقّ هو الإله الذي لا إله غيره إذ الإله عند العرب هو المعبود، يقول: إن المعبود الذي يستحق العبادة

[1] صحيح *البخاري*، التفسير ٧٩، الطلاق ٢٦، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الجمعة ١٨، الفتن وأشراط الساعة ١٧٦-١٧٩، ١٨١.

[2] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة النحل، ١/١٦).

[3] جميع النسخ: من أني. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.

[4] ن: لا يقبل.

[5] ر: إذا جاء بهم.

[6] جميع النسخ – أي ما يؤمنون وقد ذكروا. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٥٠و.

[7] سورة الفاتحة، ٦/١.

[8] سورة النساء، ١٣٦/٤.

[9] ر ث م: أن لا إله.

هو الله تعالى لا الأصنام التي تعبدونها[1] دونه وتزعمون أن عبادتكم إياها تقربكم[2] إليه زلفى. والثالث أَمَره أن يُشعر قلبه في كل وقت حالَ كلمة الإخلاص والتوحيد له والقول به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واستغفر لذنبك**، جائز أن يكون قوله: **واستغفر لذنبك**، إنما هو لافتتاح الكلام وابتدائه على ما يُؤمَر المرء أن يبتدئ بالدعاء لنفسه[3] عند أمره بالدعاء لغيره،[4] وكان حقيقة الأمر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات دون نفسه، ولكن أُمِر بالدعاء لنفسه استحبابا.[5] *والله أعلم*. وجائز أن يكون له ذنب فيأمره بالاستغفار له، لكن نحن لا نعلمه، وليس علينا أن نتكلف حفظ ذنوب الأنبياء عليهم السلام وذكرها. وكل موهوم منه الذنبُ يجوز أن يؤمر بالاستغفار، كقول إبراهيم عليه السلام / حيث قال: وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ.[6] [٧٢٩ظ] لكن ليس ذنب الأنبياء وخطاياهم كذنب غيرهم، فذنب غيرهم[7] ارتكاب القبائح من الصغائر والكبائر، وذنبُهم ترك الأفضل دون مباشرة القبيح في نفسه. *والله الموفق*.

ثم أرجى آية للمؤمنين هذه الآية، لأنه عز وجل أمر رسوله أن يستغفر لهم، فلا يحتمل أن لا يستغفر وقد أمره مولاه بالاستغفار؛ ثم لا يحتمل أيضا أنه إذا استغفر لهم على ما أمره به فلا يجيبُ له.[8] وكذلك دعاء سائر الأنبياء عليهم السلام، نحو دعاء نوح عليه السلام: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[9] وقول إبراهيم عليه السلام: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ،[10] ونحو ذلك.[11]

---

[1] ر ث م: يعبدونها.

[2] جميع النسخ: يقربون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.

[3] ن: بنفسه.

[4] أي حين أَمَره الله تعالى بالدعاء لغيره.

[5] ر: استحابا.

[6] سورة الشعراء ٨٢/٢٦.

[7] م - فذنب غيرهم.

[8] ر ن + وكذلك دعاء سائر الأنبياء نحو دعاء نوح رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك.

[9] سورة نوح، ٢٨/٧١.

[10] سورة إبراهيم، ٤١/١٤.

[11] ث: وكذلك دعاء سائر الأنبياء عليهم الصلاة السلام نحو دعاء نوح عليه الصلاة والسلام رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك.

وكذلك[1] استغفار الملائكة لهم أيضا لقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ،[2] وقوله: فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ،[3] الآية. هذه الآيات أرجى آيات للمؤمنين، ودعوات الأنبياء عليهم السلام أفضلُ وَسائِلَ تكون[4] إلى الله تعالى وأعظمُ قُرَبٍ عنده. *والله الموفق.*

ثم قوله عز وجل: **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات،** فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الصغائر مغفورة لا يجوز لله تعالى أن يعذّب عباده عليها، والكبائرَ مما لا يحل له أن يغفرها لهم إلا بالاستغفار منهم والتوبة. فهذه الآية تنقض قولهم ومذهبهم، لأنه أمر رسوله أن يستغفر لهم. فلا يخلوا إما أن يكون صغائر وهي مغفورة عندهم فكأنه يقول: اللهم لا تَجُرْ،[5] لأنها مغفورة لا يسع له أن يعذب عليها، ولو عذب يكون جائرا؛[6] أو كبائرَ ولا يحل له المغفرة عنها، فيكون قوله: اللهم اغفر لهم، كأنه قال:[7] اللهم جُرْ،[8] لأن مغفرته إياهم عن الكبائر لا تجوز[9] وتكون[10] جورا ووضع الشيء في غير موضعه. فكيف ما كان ففيها نقض قولهم وحجةٌ لقولنا: إن له أن يعذبهم عليها وإن كانت صغائر وله أن يعفوَ عنها وإن كانت كبائرَ، إذ المغفرة عن الذنب تكون.[11] *والله الموفق للصواب.*

وقوله عز وجل: **والله يعلم مُتَقَلَّبَكم ومَثْواكم،** قال بعضهم: والله يعلم متقلبكم في النهار ومثواكم من الليل. وقيل: يعلم ما تتقلبون[12] بالنهار وما تسكنون[13] بالليل، وهما واحد.

---

[1] جميع النسخ: وكذا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.

[2] ﴿تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ والملائكة يُسبِّحون بحمد ربهم ويستغفرون لِمَنْ في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٥/٤٢).

[3] ﴿الذين يَحملون العرش ومَنْ حولَه يُسبِّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كل شيء رحمةً وعِلْمًا فاغْفِرْ للذين تابوا واتَّبَعوا سبيلك وَقِهِمْ عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).

[4] ر ث م: يكون؛ ن – تكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥و.

[5] ن: لا تحر؛ ث: لا فحش.

[6] ر م – ولو عذب يكون جائرا.

[7] ن – اللهم اغفر لهم كأنه قال.

[8] ن: حر.

[9] ر م – لا تجوز؛ ن ث: لا يجوز. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.

[10] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

[11] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

[12] جميع النسخ: ما يتقلبون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

[13] ر ث م: ويسكنون؛ ن: وما يسكنون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

وقال بعضهم: والله يعلم متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة، أي مُقامَكم فيها. وهو يخرج عندنا على وجوه. أحدها يحتمل أنه ذكر هذا لظن قومٍ[1] وتوهمهم أن الله تعالى يجهل عواقب الأمور حيث أنشأ هذا العالم فجحدوه وجحدوا نعمه، فلا يحتمل أن ينشئهم ويجعل لهم النعم وهو يعلم أنهم يجحدون[2] وينكرون نعمه، لأن من فعل هذا في الشاهد فهو عابث غير حكيم. فعلى ذلك هذا على زعمهم، فقال تعالى جوابا لهم: **والله**[3] **يعلم مُتَقَلَّبَكم ومثواكم**، أي على علم بما يكون منهم أنشأهم وخلقهم، لا عن جهل على ما ظنوا هم. لكن ما ينبغي لهم أن ينسُبوا الجهل إلى الله تعالى لجهلهم بحق الحكمة في فعله، لأن الله جل وعلا لم ينشئ هذا العالم لحاجة له أو لمنافع نفسه بل إنما أنشأه لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، فإليهم يرجع منفعة الإجابة والطاعة وعليهم يكون مضرة الجحود والرد. فأما في الشاهد فمن يأمر أحدا أمرا أو ينهاه عن أمر أو أرسل إليه رسولا على علم منه بالرد والجحود فهو سفيه غير حكيم، لأنه إنما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه ومنفعة له، فإذا[4] علم منه الرد والإنكار فهو غير حكيم، فافترق الشاهد والغائب لافتراق وجه الحكمة. ***والله الموفق.***

والثاني قوله تعالى: **والله يعلم مُتَقَلَّبَكم ومثواكم**، أي يعلم[5] جميع أحوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم لتكونوا[6] أبدا على حذر ويَقَظَة. ***والله أعلم.***

والثالث **يعلم متقلبكم ومثواكم**،[7] أي يعلم متقلبكم في الدنيا ويعلم إلى ماذا يكون مرجعكم في الآخرة. أي أنشأ كلا على ما علم أنه يكون منهم، كقوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ،[8] وقال في آية أخرى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[9] أي أنشأ مَن عَلِم أنه يختار الكفر وعداوته لجهنم وأنشأ من علم أنه يختار التوحيد وولايته للجنة. ***والله الموافق.***

---

[1] ر م: يحتمل هذا الظن قوم؛ ن ث: يحتمل إنما ذكر هذا الظن قوم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٥ظ.

[2] ن: يجحدونه.

[3] ن + أعلم.

[4] ن + عمل.

[5] ن: أي ليعلم.

[6] ر ن م: ليكونوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.

[7] ث - أي يعلم جميع أحوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم لتكونوا أبدا على حذر ويقظة والله أعلم والثالث يعلم متقلبكم ومثواكم.

[8] ﴿ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).

[9] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾[٢٠] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال**، إن الذين آمنوا كانوا يتمنون إنزال السورة ويقولون: "هلا نزلت سورة" لوجوه. أحدها لتكون[١] السورة حجة لهم وآية على أعدائهم في الرسالة والبعث والتوحيد. والثاني كانوا يستفيدون[٢] بإنزال السورة أشياء ويزداد لهم يقينا وتحققا في الدين، كقوله تعالى: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ، إلى قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٣] على ما ذكر. والثالث يتمنون نزول السورة ليتبين لهم المصدق من المكذب والمتحقِّق من المُريب. هذه الوجوه التي ذكرنا تكون[٤] لأهل الإيمان في إنزال السورة، إذ[٥] لذلك يتمنون. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فإذا أُنزلت سورة محكمة**، قال بعضهم: **محكمة**، أي[٦] محدَثة، والمحدثة ليست بتفسير للمحكمة إلا أن يعنوا بالمحدَثة الناسخَ، والناسخُ هو المحدَث والمتأخر نزولا، وهو محكم لأنه يلزم العمل به. *والله أعلم*. وفي حرف / ابن مسعود رضي الله عنه: لو لا نُزِّلت سورةٌ محدَثة،[٧] والوجه ما ذكرنا. والمحكمة عندنا على وجهين. أحدهما أي محكمة بالحجج والبراهين، والثاني لِما أنزلت على أيدي قوم وتداولت[٨] فيما بينهم فلم يغيروه ولم يبدلوه[٩] بل حفظوه ليُعلَم أنه من عند الله جاء ومنه نزل. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **وذُكر فيها القتالُ**، جعل الله عز وجل في القتال خصالا. أحدها[١٠] كثرة أهل الإسلام وكثرة الأموال

[٧٣٠و]

---

[١] ر ن م: ليكون.

[٢] ر ث م: يستعدون؛ ن: يستبعدون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.

[٣] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).

[٤] ر ن م: يكون.

[٥] جميع النسخ – في إنزال السورة إذ. والزيادة من نسخة جار الله، ورقة ٢٥١ظ.

[٦] جميع النسخ – قال بعضهم محكمة أي. من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٥ظ.

[٧] انظر: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٤٢٠؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٤/٣٠٠؛ *وفتح القدير* للشوكاني، ٥/٥٠.

[٨] ن: قداولت.

[٩] ن: ولا بدلوه.

[١٠] ن: إحداها.

وإن كان في ظاهر القتال إفناءُ الأنفس والأموال، لأنه قبل أن يُفرَض القتال كان يدخل في الإسلام[١] واحد واحد،[٢] فلما فرض القتال دخل فيه فوج فوج على ما أخبر: [وَرَأَيْتَ النَّاسَ] يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.[٣] والثاني ليتبين المصدق منهم من المكذب لهم والمتحقِّق من المريب، لأنه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيره إلى ذلك الوقت، فلما فرض القتال عند ذلك ظهر وتبين[٤] لهم أهل النفاق والارتياب من أهل الإيمان والتصديق. والثالث فيه آية الرسالة والبعث. أما[٥] آية الرسالة فلأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عددا قليلا لا عُدَّةَ لهم ولا قوة. أُمروا بالقتال مع عدد لا يُحصُون ولهم عدة وقوة ليُعلم أنهم لا بأنفسهم يقاتلون ولكن بالله تعالى، أو لا يحتمل قيام أمثالهم لأمثال أولئك مع كثرتهم وقوتهم. **والله أعلم**. وأما آية البعث فلأنهم أمروا بقتال[٦] أقاربهم وأرحامهم والمتصلين[٧] بهم، وفي ذلك قطع أرحامهم وقطع صلة قراباتهم ليعلم أنهم إنما يفعلون هذا بالأمر لعاقبة تُؤمل وتقصد،[٨] إذ لا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة تقصد[٩] وبلا شيء[١٠] يعمد.[١١] **والله أعلم**. وقوله عز وجل: **رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عليه من الموت**، كان أهل النفاق يكرهون نزول ما ينبئهم[١٢] عما في ضميرهم من النفاق والارتياب، كقوله تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ؛[١٣] وإذا أنزلت السورة يزداد لهم ما ذكر حيث قال: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ.[١٤]

---

[١] ر م: من الإسلام.
[٢] ر م - واحد.
[٣] سورة النصر، ٢/١١٠.
[٤] ر: ويتبين.
[٥] ر م: وأما.
[٦] ر م: بالقتال.
[٧] ر ث م: والمتعلق.
[٨] ر م: ويقصد.
[٩] جميع النسخ: ويقصد. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦و.
[١٠] ن: وتلا شيء.
[١١] جميع النسخ: يعتقد. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٥١ظ.
[١٢] ر: ما بينهم؛ م: ما يبينهم.
[١٣] ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ (سورة التوبة، ٦٤/٩).
[١٤] سورة التوبة، ١٢٥/٩.

وقوله عز وجل: **فأَوْلَى لهم طاعةٌ وقول معروف**، قال أهل التأويل: هذا وعيد لهم كقوله: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى،[1] الآية. لكنّ ظاهره ليس بوعيد ولا تهديد[2] إنما ظاهره أي أحرى لكم وأولى أن تطيعوه وأن تقولوا معروفا، فإذا تركوا ذلك فعند ذلك[3] يكون وعيدا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فإذا عزم الأمر**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: هو صلة قوله: **فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال** وعَزَم الأمر فعند ذلك كان ما ذكر[4] من المنافقين[5] حيث قال: **رأيت الذين في قلوبهم مرض [ينظرون إليك نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عليه من الموت]**، وليس في نفس ذكر القتال ما ذكر من نظر المغشي عليه من الموت، إنما ذلك الوصف وتلك الحال عند وجوب القتال ولزومه وتأكيده[6] عليهم، وذلك في قوله تعالى: **فإذا عزم الأمر**، أي وجب وفُرِض فعند ذلك يكون حالهم ما ذكر، فأما بذكر[7] نفس القتال فلا. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: **فإذا عزم الأمر**، هو في الآخرة، أي فإذا تحقق وظهر ما كان أوعدهم الرسول عليه الصلاة والسلام من نزول العذاب بهم في الآخرة، **فلو صدقوا الله**، في الدنيا، **لكان خيرا لهم**، في الآخرة، حيث كان لا يزال العذاب بهم في الآخرة، أي لو صدقوا رسول الله فيما يوعدهم من العذاب أنه ينزل بهم في الآخرة وتركوا مخالفته في الدنيا لكان خيرا لهم في الآخرة. ***والله أعلم***.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**، اختلف في تأويل هذه الآية؛ قال بعضهم: قوله تعالى: **فهل عسيتم**، أي فلعلكم، **إن توليتم**، أي وَلِيتم أمر هذه الأمة، **أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**. قال ابن عباس رضي الله عنه: قد كان هذا، وهم بنو أمية وُلُّو أمر هذه الأمة ففعلوا ما ذكر من الفساد وقطع الأرحام، وكان لهم اتصال برسول الله وكان منهم ما ذكر.[8] ***والله أعلم***.

---

[1] سورة القيامة، ٣٤/٧٥.

[2] ر: بتوعد ولا تعدد؛ م: بتوعد ولا تهدد.

[3] ر م – فعند ذلك.

[4] جميع النسخ: بما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦و.

[5] ن: من المناقض.

[6] م: وتأكده.

[7] ث: يذكر.

[8] لم أستطع أن أجد هذا التأويل في كتب الروايات والتفاسير لأهل السنة، ولكنها موجودة في كتب الروايات للشيعة. انظر مثلا: *الفروع من الكافي* للكليني، ١٠٣/٨.

وقال بعضهم: إن الآية في المنافقين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون منه ما قال، ثم إذا تولوا منه كانوا يَسعون في الأرض بالفساد وما ذكر، كقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا -إلى قوله- وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ -إلى قوله- وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ.[1] وقال بعضهم: ما أُراه إلا نزلت الآية في الحَرورية وهم الخوارج. وجائز أن يكون هذا ما ذكر في آية أخرى حيث قال: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[2] وقد انقلبوا على ما أخبر، وهو في أهل الردة.[3] *والله أعلم*. وقال قتادة: فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ،[4] أي طواعية الله ورسوله، وقول المعروف عند حقائق الأمور خير لهم. **فهل عسيتم إن توليتم**، يقول: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أن تفسدوا في الأرض، يقول: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يَسفكوا الدماء / الحرام وقَطَعوا الأرحام [٧٣٠ظ] وعصوا الرحمنَ وأكلوا المال الحرام؟[5] ويحتمل أن تكون[6] الآية في الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. *والله أعلم*.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين لعنهم الله**، اللعن هو الطرد عن الرحمة، وهو كقوله لإبليس: وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،[7] أي أنت مطرود[8] عن رحمتي. وقوله تعالى: **لعنهم الله**، أي طردهم الله[9] عن رحمته. وقوله عز وجل: **فأصمهم وأعمى أبصارهم**، أي أصمهم حتى لم يسمعوا سَماعَ الاعتبار[10] والتفكر، **وأعمى أبصارهم**، حتى لم ينظروا فيما عاينوا نظرَ اعتبارٍ وتفكرٍ ما لو تفكروا وتأملوا ونظروا نظر مُعتَبِر لأدركوا. *والله أعلم*.

---

[1] ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد اللهَ على ما في قلبه وهو ألَدُّ الخِصام وإذا تولّى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ سورة البقرة، ٢/٢٠٤-٢٠٥.

[2] سورة آل عمران، ٣/١٤٤.

[3] ر: في أهل الرد.

[4] الآية السابقة.

[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٢١/٢١٣-٢١٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٤٣٥.

[6] ر ن م: أن يكون.

[7] سورة ص، ٣٨/٧٨.

[8] ر م: مطرد.

[9] ر ث م – الله.

[10] ر: اسماع الاعتبار.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**،[1] فيه أنهم لو تدبروا وتأملوا[2] فيه لأدركوا ما فيه. وفيه أيضا أنهم لو تدبروا العذاب لَفَتَح تلك الأقفال التي ذكر أنها عليها وذَهَب بها. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **أم على قلوب أقفالها**، أي بل[3] على قلوبٍ أقفالها. ثم يحتمل **أقفالها** الظلمة التي فيها وهي ظلمة الكفر؛ تلك الظلمة تُغطِّي[4] نور البصر ونور السمع. وجائز أن يكون ما ذكر من الأفعال هي كنايةً عن الطبع. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم**، وقوله: **سول لهم**،[5] أي زين. أضاف التزيين مرة إلى الشيطان ومرة إلى نفسه، فما يفهم من تزيين الشيطان غير الذي يفهم من تزيين الله تعالى كالإضلال المضاف إلى الله تعالى والمضاف إلى الشيطان؛ فالمفهوم من إضلال الله غير المفهوم من إضلال الشيطان، فعلى ذلك التزيين. وقوله عز وجل: **وأملى لهم**، أي أخرهم وأمهلهم إلى أجل ووقت، كقوله تعالى: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ [لِيَزْدَادُوا إِثْمًا]،[6] الآية، أي يؤخرهم ليكون ما ذكر. *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى**، الآية، جائز أن تكون[7] الآية في اليهود لما ذكرنا أنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ،[8] الآية، ارتدوا على أدبارهم من بعد ما آمنوا به واتبعوه. وجائز أن تكون[9] في المنافقين، ارتدوا على أدبارهم وأظهروا الخلاف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أظهروا الموافقة لهم في حياته. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م + الآية.

[2] ر م: وقاتلوا.

[3] جميع النسخ - بل. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦ظ.

[4] جميع النسخ: يعطي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٦ظ.

[5] ر ث م - وقوله سول لهم.

[6] سورة آل عمران، ١٧٨/٣.

[7] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦ظ.

[8] سورة البقرة، ٨٩/٢.

[9] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٦ظ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر**، قوله: **ذلك بأنهم**، إن كان راجعا إلى قوله: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ،[١] فإن[٢] المراد بذلك اليهودُ؛ فالمعنى فيه غير المعنى لو كان في المنافقين، وإنّ[٣] قوله: **ذلك بأنهم**، راجع إلى قوله: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ؛[٤] فإذا احتمل ذلك الوجهين فلا نفسره أنه إلى ماذا يرجع. ثم قال بعضهم: **للذين كرهوا ما نزل الله**، هم المنافقون قالوا لليهود: سنطيعكم في تكذيب محمد والمظاهرة عليه. وقال بعضهم: هم اليهود ظاهروا سائر الكفرة على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم. ثم كراهة نزول ما أنزل الله تعالى على رسوله كان من اليهود وجميع الكفرة لقوله تعالى: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ.[٥] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والله يعلم إسرارهم**، هذا يدل على أنه[٦] لا يفسر قوله: **ذلك بأنهم قالوا**، ولا يشار[٧] على أنه أراد كذا ورجع إلى كذا لما أخبر الله تعالى أنه هو العالم بما أَسَرُّوا، ولم يبين ذلك. *والله أعلم*.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[٢٧] **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾**[٢٨]

وقوله عز وجل: **فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه**، لا أحد يقصد قصدَ اتباع سَخَطَ الله ولا كراهةَ رضوانه، لكنهم لمّا اتبعوا الفعل الذي كان الله يَسْخَطَ ذلك الفعل فكأنهم اتبعوا سخطه، وكذلك إذا تركوا اتباع ما كان الله يرضاه وكرهوه[٨] فكأنهم كرهوا رضوانه، وهو كقوله تعالى:

---

[١] الآية السابقة.
[٢] جميع النسخ + كان. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٥٣و.
[٣] جميع النسخ + كان.
[٤] الآية السابقة.
[٥] سورة البقرة، ١٠٥/٢.
[٦] ن: على أنهم.
[٧] ن: ولا نشار.
[٨] ن: وكرهوا.

[أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ] لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[1] ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان، لكنهم لما اتبعوه فيما يأمرهم ويدعوهم إليه فكأنهم عبدوه، وهو تسمية الشيء باسم سببه، واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فأحبط أعمالهم**، التي كانت قبل ارتدادهم في حال اتباعهم إياه. *والله أعلم*.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم**، أي حسب المنافقون أن لن يظهر الله عداوته وأن لن يُبديَ الله ما في قلوبهم من العداوة. جعل الله جل وعلا في إظهار ما أسر أهل النفاق وإبداء ما أخفوه فيما بينهم آية عظيمة ودلالة ظاهرة على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**، كأنه على التقديم والتأخير كأنه قال: ولو نشاء لأريناكهم[2] بسيماهم بالنظر إليهم بالبديهة ولتعرفنهم أيضا في لحن القول، أي لو نشاء لجعلنا لهم أعلاما في الوجه والقول لتعرفنهم، ولكن لم تجعل لهم. ولكن جَعَل معرفتهم بأعمال يعملون فيظهر نفاقهم بذلك -والله أعلم- كقوله: وَمِنَ النَّاسِ /مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[3] وقال في آية أخرى: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ [كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ]،[4] وقوله: رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ،[5] الآية، وقوله عز وجل: وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،[6] وقوله: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ،[7] [٣١٧و]

---

[1] سورة يس، ٦٠/٣٦.

[2] ن - فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول كأنه على التقديم والتأخير كأنه قال ولو نشاء لأريناكهم.

[3] ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو أَلَدُّ الخِصام وإذا تولى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٠٤-٢٠٥).

[4] سورة المنافقون، ٦٣/٤.

[5] الآية ٢٠ من هذه السورة.

[6] سورة التوبة، ٩/٥٤.

[7] سورة التوبة، ٩/٤٥.

ونحو ذلك من الآيات مما كان يظهر نفاقهم وخلافهم بالأعمال التي كانوا يعملون. فدلت هذه الآيات على أنه كان لا يعرفهم بالسيماء والنطق والقول والأجسام وإنما يعرفهم بأفعال كانوا يفعلونها. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ [القول]**، أي فحوى الكلام، فكان يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلموا، فيخرج على هذا التأويل قولُه:[1] **ولتعرفنهم**، على الوعد، أي تعرفهم في حادث الوقت.[2] *والله أعلم*. قال أبو عَوْسَجَة: يقال: رجل لَحِنٌ بحجته،[3] ويقال: لَحَنَ يَلْحَن، إذا أخطأ، لَحْنا فهو لاحن، كأنه من العدول والميل عن الحق. وقال القُتَبِي: **في لحن القول**، أي في فحوى كلامهم.[4] وقوله عز وجل: **والله يعلم أعمالكم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما والله يعلم[5] ما تُسِرُّون[6] من الأعمال وتخفونها. والثاني على الجملة، أي يعلم جميع أعمالهم ما أسروا وأعلنوا؛ يخرج على الوعيد، كقوله: إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.[7] *والله أعلم*.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**، هذا يخرج على وجوه. أحدها أي حتى يعلم أولياؤه المجاهدين منكم والصابرين من غير المجاهدين وغير الصابرين، فيكون المراد من إضافته العلم إلى نفسه عِلْمَ أوليائه، كقوله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ،[8] وقوله عز وجل: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ،[9] ونحوه. فالمراد منه أولياؤه على أحد التأويلات. *والله أعلم*. والثاني يكون المراد بالعلم المعلومَ، وذلك جائز في اللسان واللغة كقول الناس: الصلاة أمر الله، أي مأمور الله، وكقوله عز وجل: حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ،[10] أي الموقَن[11] به،

---

[1] ر م: وقوله.
[2] ر م: الوعد.
[3] ر م: ألحن بحجحه؛ ن ث: وألحن بحجته. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧و.
[4] غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤١١.
[5] ر م: أعلم.
[6] م: ما يسرون.
[7] سورة هود، ١١/١١٢؛ وسورة فصلت، ٤١/٤٠.
[8] الآية ٧ من هذه السورة.
[9] سورة النساء، ٤/١٤٢.
[10] ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٩٩).
[11] ن: أي الموقر.

وقولِه: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ،[1] أي بالمُؤْمَنِ به، ونحو ذلك كثير. والثالث أي يعلم كائنا ما قد علمه أنه سيكون، إذ لا يجوز أن يوصف هو بعلمِ ما سيكون يعلمه كائنا أو بعلم ما قد كان يعلمه أنه يكون كائنا، ولكن يوصف بما قد علمه كائنا أنه علمه كائنا[2] أو يعلم ما علم أنه سيكون أنه يكون، لأنه يوجب الجهل، ويكون التغير في ذلك في المعلوم[3] لا في علمه. ***والله الموفق.***

وقوله عز وجل: **ونَبْلُوَ أخباركم**، أي ونبلو في أخباركم التي أخبرتم عن أنفسكم، كقوله: يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ،[4] وقوله عز وجل: مَنْ عَاهَدَ اللهَ، إلى آخر ما ذكر؛[5] أُبْتُلوا في تلك الأخبار التي[6] أخبروا عن أنفسهم. ***والله أعلم.*** ويحتمل أن يكونوا ابتلوا في قولهم الذي قالوا وأعطوا[7] بلسانهم حيث قالوا: آمنا، كقوله تعالى: الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ،[8] فُتِنوا فيما قالوا وأخبروا، أي ابتلوا؛ فالفتنة والمحنة والابتلاء والبلاء واحد. ***والله أعلم.*** وقال بعضهم: **ونَبْلُوَ أخباركم**، أي نُظهر[9] نفاقكم للمسلمين، إذ كان الله تعالى عالما قبل أن يبلوَهم. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**، قوله: **كفروا**، أي كفروا بنعم الله، من الكفران، أو كفروا بتوحيد الله. وقوله: **وصدوا عن سبيل الله**، يحتمل قوله: **وصدوا**، أي أعرضوا بأنفسهم عن دين الله؛ ويحتمل **صدوا**، أي صرفوا[10] الناس عن دين الله. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة المائدة، ٥/٥.

[2] ث – أنه علمه كائنا.

[3] جميع النسخ: في ذلك المعلوم. والتصحيح من نسخة جار الله، ورقة ٢٥٤و.

[4] ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٤).

[5] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لَنَصَّدَّقَنَّ ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون فأَعْقَبهم نفاقا في قلوبهم إلى يومِ يَلْقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٧).

[6] ن – التي.

[7] ر ث م: لو أعطوا.

[8] سورة العنكبوت، ٢٩/١-٢.

[9] جميع النسخ: أي يظهر. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧و.

[10] ر م: أي صدفوا.

وقوله عز وجل: **وشاقُّوا الرسول**، أي عَادُوه وعاندوه من بعد ما تبين لهم الهدى. وقوله عز وجل: **لن يضروا الله شيئا**، يحتمل لن يضروا الله بكفرانهم نعمه أو كُفِرهم بوحدانية الله تعالى. ومعناه -والله أعلم- أنه ليس يأمر بما يأمر أو ينهى عما[1] ينهى لدفع مضرة عن نفسه أو لجر منفعة إلى نفسه ولكن يأمر وينهى لحاجة أنفس أولئك ولمنافعهم؛ فهم بتركهم اتباع أمره والانتهاء عن نهيه ضَرُّوا أنفسهم. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون المراد من قوله: **لن يضروا الله شيئا**، أي لن يضروا[2] أولياء الله بما كفروا وصدوهم عن سبيله بل ضروا أنفسهم، كقوله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[3] أي إن تنصروا أولياء الله ينصركم. وقوله عز وجل: **وسيُحبط أعمالهم**، يحتمل حبطَ الأعمال بالارتداد بعد الإيمان وإحداث الكفر بعد الإسلام. ويحتمل سيحبط[4] أعمالهم التي كانت لهم بالإيمان قبل بَعْثِه[5] صلى الله عليه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**، قال بعضهم: أي أطيعوا الله في الجهاد ولا تبطلوا حسناتكم بالرياء والسُّمْعة. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الرسول.[6] ويحتمل **ولا تبطلوا أعمالكم**، بالارتداد والكفر بعد الإيمان.[7] / ويحتمل أي لا تبطلوا[8] أعمالكم بالمن على الله [٧٣١ظ] أو على الرسول في الإسلام، أي تُسلمون[9] فَتَمُنُّون[10] على الله أو على رسوله، كقوله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ [إِسْلَامَكُمْ]،[11] الآية. وقال قتادة: ولا تبطلوا أعمالكم بالرياء، وقال: فمن استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا بعمل سَيِّء[12] فليفعل،

---

[1] ر م: مما ينهى.
[2] ر: أن لن يضروا.
[3] الآية ٧ من هذه السورة.
[4] ر م - سيحبط.
[5] ر م: قبل بعثة.
[6] لم أجده في المراجع.
[7] ر م + ويحتمل أي لا تبطلوا أعمالكم بالارتداد والكفر بعد الإيمان.
[8] ن: ولا تبطلوا.
[9] ر م: يسلمون.
[10] جميع النسخ: متمنون. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧ظ.
[11] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.
[12] ر ث م: شيء.

إن الشر ينسخ[1] الخير، وإنما مَلَاك العمل بخواتيمه؛ فمن استطاع أن يختم بخير فليفعل. ولا قوة إلا بالله.[2] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما كنا معشرَ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نرى شيئا يبطل أعمالنا حتى نزلت هذه الآية فعلمنا ما الذي يبطل أعمالنا، يبطل أعمالنا[3] الكبائرُ الموجبات[4] والفواحش، فكنا على ذلك حتى أنزل الله تعلى: إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[5] الآية، فلما نزلت هذه الآية كَفَفْنَا عن هذا القول.[6] وجائز أن يكون قوله تعالى: **ولا تبطلوا أعمالكم،**[7] قال هذا ليكونوا أبدا على اليقظة والحذر لئلا تَبْطُلَ[8] أعمالهم من حيث لا يشعرون، كقوله: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.[9] وفي حرف أُبَيّ رضي الله عنه: ولا تبطلوا إيمانكم.[10]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم،** تأويلها ظاهر.

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم،** أي فلا تَضْعُفُوا[11] وتدعوا إلى الصلح، كذلك قال القُتَيْبِي.[12] وقال أبو عَوْسَجَة: السِّلم بكسر السين الصلح، ولا أعرف[13] بفتح السين هاهنا له معنى.

---

[1] ن: كمسح؛ ث: يكسح.

[2] انظر: تفسير *الطبري*، ٢١/٢٢٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٤٥٠.

[3] ر م – يبطل أعمالنا.

[4] أي الكبائر الموجبات للنار. انظر: *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «وجب».

[5] سورة النساء، ٤/٤٨.

[6] انظر: *تعظيم قدر الصلاة* لمحمد بن نصر المروزي، ٢/٦٤٦؛ وتفسير *الطبري*، ٢٠/٢٢٩-٢٣٠؛ وشرح *مشكل الآثار* للطحاوي، ٥/٣٨٣.

[7] ر م + وأنتم لا تشعرون.

[8] جميع النسخ: لئلا يبطل.

[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/٢).

[10] لم أجده في المراجع.

[11] ر ث م: أي لا تضعفوا؛ ن: إلى السلم ولا تضعفوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧ظ.

[12] انظر: *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤١١.

[13] ن: وإلا عرف.

وقوله عز وجل: **وأنتم الأعلون**، أي وأنتم الغالبون. فيه النهي[١] عن الدعاء إلى الصلح إذا كانوا هم الأعلون أعني أهل الإسلام. ثم قوله تعالى: **وأنتم الأعلون**، يحتمل وجوها. يحتمل الأعلون بالحجج والبراهين، فإن كان أراد هذا فمعناه فلا تدعوهم إلى الصلح في كل وقت لأن أهل الإسلام هم الأعلون عليهم بالحجج والبراهين[٢] في كل وقت. ويحتمل وأنتم الأعلون بالقهر والغلبة في العاقبة،[٣] أي آخرِ الأمر لكم. ويحتمل وأنتم الأعلون في الدنيا والآخرة لأنهم وإن غُلبوا في الدنيا وقُتلوا كانت لهم الآخرةُ، وإن ظَفِروا بهم[٤] كانت لهم الدنيا والأموال. وقال بعضهم: **وأنتم الأعلون**، أي وأنتم أولى بالله منهم، وهو ما ذكرنا في الآخرة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والله معكم**، يحتمل[٥] معكم في النصر والغلبة، ويحتمل معكم في الوعد الذي وعد، أي يُنجز ما وعد لكم في الدنيا ويفي بذلك. وقوله: **ولن يَتِرَكم أعمالَكم**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: أي لن يجعل الله للكافرين عليكم مَظلَمةً ولا تَبِعةً، وهو يحتمل في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً.[٦] وقال بعضهم: **لن يتركم أعمالكم**، أي لن يَنقصكم أعمالكم، وكذا قال أبو عَوْسَجَة: يقال: وَتَرْتُه، أي نقصته.[٧] وقال بعضهم: لن يظلمكم أعمالكم، يقال: وترني حقي، أي بَخَسَنيه، كذلك قال القُتَبِي.[٨] ولكن كلاهما واحد في المعنى، أي لا يَنقُص من أعمالهم شيئا[٩] ولا يُظلَمون فيها ولا يُبخَسون. *والله أعلم*.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾[٣٦] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو**، أي الحياة الدنيا على ما عندهم[١٠] وعلى ما يُقدِّرون لعب ولهو، لأنهم كانوا يقولون: أنْ لا بعث ولا حياةَ، فعلى ما عندهم

---

[١] ن: فيه التمني.

[٢] جميع النسخ – فإن كان أراد هذا فمعناه فلا تدعوهم إلى الصلح في كل وقت لأن أهل الإسلام هم الأعلون عليهم بالحجج والبراهين. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٧ظ.

[٣] ن: في الغلبة.

[٤] ن: وإن ظفر واتهم.

[٥] ر م: ويحتمل.

[٦] سورة النساء، ١٤١/٤.

[٧] ر م: أي نقصه.

[٨] انظر: غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤١١.

[٩] ن: شيء.

[١٠] ر م: على ما عدهم.

تكون[1] حياة الدنيا على ما ذكر من اللهو. ويحتمل أنه سماها لعبا ولهوا[2] لأنهم على ما يزعمون أنشأها للانقطاع والفناء لا لتُكتَسَب[3] بها الحياة الدائمةُ في الآخرة، وإنشاء الشيء للانقطاع والفناء خاصة بلا عاقبة تُقْصَد[4] يكون لعبا ولهوا. ثم اللعب واللهو يجوز أن يكونا[5] شيئا واحدا، ويجوز أن يكون أحدهما ما يُستَمتع بظاهر الأشياء والآخرُ ما يُستمتَع بباطن الأشياء؛ اللعب هو[6] ما يُستمتَع بظواهر الأشياء واللهو هو ما يُتلهَّى ببواطنها. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم**، أي وإن تؤمنوا بما أُمِرتم الإيمانَ به[7] وتتقوا[8] عما نُهيتم عن مخالفة أمره، **يؤتكم أجوركم**. جعل الله عز وجل بفضله ورحمته لأعمالهم التي يعملون لأنفسهم أجرا إذ لا أحد يعمل لنفسه ويأخذ الأجر من غيره، لأنهم بالأعمال[9] يُسقطون عن أنفسهم التكليف بالشكر لنعم الله تعالى حيث أسدى عليهم النعم ابتداء. لكنه جعل لأعمالهم أجرا كأنهم يعملون له ابتداء وإن كانوا عاملين لأنفسهم في الحقيقة، وإليهم[10] ترجع[11] منافع أعمالهم؛ ولأن أنفسهم وأموالهم في الحقيقة لله تعالى، فكيف يستحقون الأجر على مولاهم بأعمالهم؟ وهذا كما ذكر[12] من الإقراض له والشراء منهم،[13] كَأَنْ لا ملك له في ذلك وأن ليس له ذلك وإن كانت[14] حقيقة أملاكهم وأنفسهم لله تعالى، فضلا منه وكرما، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: يكون.
[2] جميع النسخ: لهوا ولعبا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[3] جميع النسخ: ليكتسب.
[4] ر ن م: يقصد.
[5] ث: أن يكون.
[6] ن – ما يستمتع بظاهر الأشياء والآخر ما يستمتع بباطن الأشياء اللعب هو.
[7] ر ث م – به.
[8] ر م: ويتقوا.
[9] ن + لأنهم بالأعمال.
[10] جميع النسخ: وإليه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[11] جميع النسخ: يرجع.
[12] جميع النسخ: كما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[13] ر م: من الاقتراض له والاستدانة منه. يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الذي يُقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٥)، وقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[14] جميع النسخ: وإن كان.

وقوله عز وجل: **ولا يَسْأَلْكم أموالكم**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي ليس يسألكم الإنفاق من أموالكم وإنما يسألكم من ماله لِتَسْتَمْتِعُوا[١] بمال غيره لأنفسكم وتجعلون[٢] ذُخْرا لأنفسكم بمال[٣] غيرٍ. [وقوله:] **إن يَسْأَلْكموها فَيُحْفِكُم تَبخلوا**، أي لو كان يسألكم من أموالكم لبخلتم وتركتم الإنفاق منها. والثاني **ولا يسئلكم أموالكم**، أي ولا يسألكم الإنفاق من جميع أموالكم ولكن يسألكم الإنفاق من طائفة من أموالكم. / **إن يسألكموها فيحفكم**، [٧٣٢و] أي لو يسألكم جميع أموالكم لحملكم ذلك على البخل وترك الإنفاق. فإذ[٤] يسألكم الإنفاق من جزء من أموالكم فلماذا بخلتم وتركتم الإنفاق؟ وقوله: **فيحفكم تبخلوا**، يخرج على وجوه.[٥] أحدها أي يَحْملكم على البخل لو سألكم جميع الأموال. ويحتمل **فيحفكم**، أي يَجْعلكم حُفاة لا شيءَ يبقى عندكم. الإحفاء أن يأخذ كلَّ شيء عنده وهو من الاستئصال، ومنه إحفاء الشوارب. وقال أبو عَوْسَجة: الإحفاء شدة المسألة، أي إن يُلِحَّ عليكم فيما[٦] يوجبه في أموالكم. **تبخلوا**، يقال: أحفى في المسألة[٧] وألحف[٨] وألحَّ، واحد. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويُخْرِجْ أضغانكم**، أي لو أمر بالإنفاق من جميع أموالكم أو من أموالكم[٩] حقيقة يُظهر ذلك من أضغانكم التي في قلوبكم؛ لأن ذلك الأمر إنما يجري على ألسن الرسل فيوجب[١٠] ذلك إظهار ما في قلوبهم من الضغائن للرسل عليهم السلام. فإن كان التأويل هذا فهو في المنافقين فيكون الأمر بالإنفاق سببَ إظهار نفاقهم وضغائنهم وعداوتهم، فكان كالأمر[١١] بالقتال كان[١٢] سببا لإظهار نفاقهم. وإن كان في المسلمين فيحتمل أنه قال ذلك تحريضا لهم على الإنفاق والتصدق،[١٣]

---

[١] ر ث م: ليستمتعوا؛ ن: استمتعوا. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨و.
[٢] جميع النسخ: ويجعلون. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٨و.
[٣] جميع النسخ - بمال. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ١٣٨و.
[٤] م: فإن.
[٥] جميع النسخ: من وجوه.
[٦] ر م: فيها.
[٧] ن - أي إن يلح عليكم فيما يوجبه في أموالكم تبخلوا يقال أحفى في المسألة.
[٨] ر م: والخف.
[٩] ر م: ومن أموالكم.
[١٠] ر م: فوجب.
[١١] م: الأمر.
[١٢] ر م: كأنه.
[١٣] ر: والصدق.

أي إنه سبب إخراج الضغائن والعداوة لما فيه من التحبب[1] والتودد بإيصال[2] ما هو محبوب إليه. *والله أعلم*.

﴿هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله**، أي ها أنتم يا هؤلاء تدعون لتنفقوا[3] في سبيل الله، أي في إظهار دين الله أو في طاعة الله أو في الجهاد، لأن الإنفاق في ذلك كله في سبيل الله. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **فمنكم من يبخلُ ومن يبخلْ فإنما يبخلُ عن نفسه**، جعل الله عز وجل الإنفاق لهم حقيقة إذا أنفقوا فيما أمرهم الله تعالى بالإنفاق في طاعته، عند ذلك يصير تلك الأموال لهم، لأنهم إذا أنفقوا فيما أمر الله تعالى انتفعوا بها في الدنيا بما استمتعت[4] أنفسهم بذلك وتلذذت، وانتفعوا بها أيضا في الآخرة وقت حاجتهم وفقرهم، بذلك تتحقق وتحصل[5] لهم تلك الأموال. فأما عند تركهم الإنفاق فيما أمروا بالإنفاق والبذل فلا تتحقق[6] لهم تلك الأموال المجعولة في أيديهم، لأنه إما أن تُجعَل[7] لوارثهم أو يأخذها منهم بلا سبب من غير أن يحصل لهم بذلك نفع، فيكون ما ذكرنا.[8] فذلك تأويل قوله تعالى: **ومن يَبخلْ فإنما يبخلُ عن نفسه**، -والله أعلم- لما يُهلِك نفسه بترك الإنفاق منها[9] ولم يتمتع ولم ينتفع به[10] وقت حاجته[11] إليه في الآخرة. وقال بعضهم:[12] فمنكم من يبخل عن الصدقة والإنفاق في طاعة الله،[13] ومن يبخل بالصدقة في طاعة الله فإنما يبخل عن نفسه بالجزاء في الآخرة.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ر م: من التحبب.
[2] ن: باتصال.
[3] ر ن ث: لينفقوا.
[4] ر م: واستمتعت.
[5] جميع النسخ: يتحقق ويحصل.
[6] جميع النسخ: فلا يتحقق.
[7] جميع النسخ: أن يجعل.
[8] ن - فيكون ما ذكرنا؛ + والله أعلم.
[9] ن: بينهما.
[10] أي بماله.
[11] ن: وقت حاجتهم.
[12] ر ث م + قوله. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.
[13] ن - وقال بعضهم فمنكم من يبخل عن الصدقة والإنفاق في طاعة الله.
[14] ر م - في الآخرة.

وقوله عز وجل: **والله الغني وأنتم الفقراء**، أي والله الغني عن إنفاقكم وعما يأمركم بالإنفاق وأنتم الفقراء إلى ما تنفقون،[1] أي أنتم المنتفعون بذلك الإنفاق الذي يأمركم به لا أنه ترجع[2] منفعة ذلك إليه أو يأمر لحاجة نفسه ولكن إنما يأمركم بذلك لحاجتكم إليه يوما ما.[3] ***والله أعلم***. ويحتمل أن[4] يقول: والله الغني عنكم وعما في أيديكم وأنتم الفقراء إليه في كل وقت وكل ساعة في جميع أحوالكم وأوقاتكم، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.[5] ويحتمل والله الغني عن أموالكم وأنتم الفقراء إلى مغفرته ورزقه وجنته ورحمته.

وقوله عز وجل: **وإن تَتَوَلَّوا يستبدلْ قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالَكم**، قال بعضهم: قد تولوا، وهم أهل مكة، واستبدل قوما غيرهم، وهم أهل المدينة. لكن هذا بعيد لأن السورة مدنية فلا يحتمل الخطاب به لأهل مكة بقوله: **وإن تتولوا**. ومنهم من يقول: الله عز وجل أخبر ووعد أهل المدينة أنهم إن يتولوا يستبدلْ[6] غيرهم أطوع منهم لله تعالى فلا تَوَلَّوا هؤلاء ولا استبدل غيرَهم.[7] وقال بعضهم: هو على وجهين. أحدهما قوله: **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم**، أي لم يتولوا ولم يستبدل قوما غيرهم.[8] والوجه الآخر قد تولوا واستبدل بهم النَخَع[9] والحُمْس[10] وناسا[11] من كندة[12] والذين تولوا حنظلةُ وأَسَدُ وغَطَفَان وبنو فلان. وقوله عز وجل: **ثم لا يكونوا أمثالكم**، أي لا يكونوا أمثالكم في الطاعة لله تعالى بل أطوع له وأخضع. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ن: إلى ما ينفقون.

[2] جميع النسخ: يرجع.

[3] جميع النسخ - ما. والزيادة من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.

[4] ر م + يكون.

[5] سورة فاطر، ١٥/٣٥.

[6] ر ن م: استبدل.

[7] ن: فلا تولى ولا استبدل غيرهم؛ ث: فلا تولى استبدل غيرهم.

[8] ر ن م: غيركم.

[9] ر م: البخع. النَّخَع قبيلة من الأَزْد، وقيل: النَّخَع قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النخعي (*لسان العرب*، «نخع»).

[10] جميع النسخ: وأحمس. والحُمْس: قريش ومن وَلَدَتْ قريش وكِنانة وجَديلةُ قَيْسٍ وهم فَهْمٌ وعَدْوَانُ ابنا عمرو بن قَيْس عَيْلان وبنو عامر بن صَعْصَعَة، هؤلاء الحُمْس، سُموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا. والأَحْمَس: الشديد الصُّلْب في الدين والقتال. وقد حَمِس، بالكسر، فهو حَمِس، وأَحْمَس: بَيِّن الحَمَس (*لسان العرب*، «حمس»).

[11] جميع النسخ: وناس. والتصحيح من الشرح، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.

[12] ن: من كيده.

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله: **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم**، فضرب يده على فخذ سلمان الفارسي وقال: «والذي نفسي بيده لو كان الدين منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس».[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت غنما سُودا رَدِفَتْها غنم[2] بِيضٌ فاختلطَتْ بها فنَعَقْتُ[3] بهن جميعا». قالوا: يا رسول الله! فما أوَّلت؟[4] قال: «العجم يَشْرَكونكم في دينكم وأنسابكم». قالوا: العجم[5] يا رسول الله؟ قال: «نعم، لو كان الإيمان معلَّقا بالثريا لناله رجال من العجم / وأسعَدُهم به أهل فارس».[6] فإن ثبت هذا الخبر فجائز أن يستدل به على جعل العجم أكفاء العرب، لأنه قال: يَشْرَكونكم في أنسابكم؛ فإذا أشركوهم في أنسابهم صاروا أكفاء لهم. ويحتمل أن يكون قوله: «يشركونكم في أنسابكم»، لأنهم ينسبونهم فتلد[7] منهم أولاد فشَرِكوا فيما ذكر.[8] *والله أعلم*. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**، قالوا: ومن يستبدل قوما؟ قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَنْكِب سلمانَ ثم قال: «هذا وقومه هذا وقومه».[9] وقال في حديث آخر: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس».[10] *والله أعلم بالصواب*.

[٧٣٢ظ]

---

[1] انظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٧/٢-٣؛ و*تفسير الطبري*، ٢٣٤/٢١؛ و*شرح مشكل الآثار* للطحاوي، ٣٧٩/٥-٣٨٢؛ و*صحيح ابن حبان*، ٢٠٥/١٠؛ و*تفسير القرآن العظيم* لابن كثير، ٨٣/١٣. وزاد ابن كثير: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأئمة. وروى البخاري ومسلم والترمذي وغيره هذا الحديث حول تفسير الآية ٣ من سورة الجمعة؛ واللفظ في المتن للترمذي. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٦٢/١؛ و*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ٢٣٠-٢٣١.

[2] ر ث م: سوداء ردفها غيم؛ ن: سوداء رد فيها غيم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.

[3] جميع النسخ: فتعقب. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٣٨ظ. ونَعَق الراعي بالغنم يَنْعِق، بالكسر، نَعْقًا ونُعاقًا: صاح بها وزجرها (*لسان العرب*، «نعق»).

[4] ر: فما أقالت.

[5] ث: العجز.

[6] رواه الحاكم عن ابن عمر بلفظ «رأيت غنما كثيرة سُودا دخلتْ فيها غنم كثيرة بِيضٌ»، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «العجم يَشْرَكونكم في دينكم وأنسابكم، لو كان الإيمان معلَّقا بالثريا لناله رجال من العجم وأسعدهم به الفارس». وزاد الحاكم: هذا حيث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. انظر: *المستدرك*، ٥٥١/٤.

[7] ر ث م: فتلد.

[8] ر ث م: فيتركوا فما ذكر؛ ن: فشركوا فما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، نسخة ولي الدين ٤٢٦، ورقة ١٣٨ظ.

[9] ر م - وقومه؛ ث: هذا وقوم هذا. سبق مثله قريبا. وانظر: *سنن الترمذي*، التفسير ٤٧/٢-٣؛ وزاد الترمذي: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال.

[10] سبق قريبا.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *أحكام القرآن*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بيروت ١٤٠٥هـ.
- *الأدب المفرد*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق سمير بن أمين الزهري، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- *أسباب نزول القرآن*؛
تصنف أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق ماهر ياسين الفحل، الرياض ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- *الاستيعاب*
في معرفة الأصحاب؛ تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.
- *البحر المحيط*؛
تأليف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- *تاج العروس*
من جواهر القاموس؛ تصنيف السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- *تأويل مشكل القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٣م.
- *تعظيم قدر الصلاة*؛
تصنيف الإمام محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفَريوائيّ، المدينة المنورة ١٤٠٦هـ.
- *تفسير ابن أبي حاتم*
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- *تفسير ابن كثير*
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- ***تفسير الثعالبي***

... المسمى *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*؛ تأليف عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ***تفسير الطبري***

... المسمى *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق عبد المحسن التركي، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- ***تفسير القرطبي***

... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد المحسن التركي، بيروت ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- ***تفسير عبد الرزاق***؛

تصنيف عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود مسلم محمد، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

- ***تفسير غريب القرآن***؛

تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- ***تفسير مقاتل بن سليمان***؛

تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق عبد الله محمود شحاته، القاهرة ١٩٧٩م.

- ***حلية الأولياء***

وطبقات الأصفياء؛ تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الإصفهاني، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- ***الدر المنثور***

في التفسير بالمأثور؛ تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق عبد المحسن التركي، القاهرة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- ***روح المعاني***

في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- ***الروض المعطار في خبر الأقطار***؛

تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحميري، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥م.

- ***زاد المسير***

في علم التفسير؛ تأليف الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد اللرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق زهير الشاويش، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

- ***سنن ابن ماجة***؛

تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *سنن أبي داود؛*
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

- *سنن الترمذي؛*
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *السنن الكبرى؛*
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- *سنن النسائي؛*
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- *شرح التأويلات؛*
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ وقسم ولي الدين أفندي، رقم ٤٢٦ [Veliyyüddin Efendi nr. 426].

- *شرح مشكل الآثار؛*
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- *شعب الإيمان؛*
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، رياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم؛*
تصنيف أبي سعيد نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دمشق ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- *الصحاح*
تاج اللغة وصحاح العربية؛ تصنيف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت ١٩٩٠م.

- *صحيح ابن حبان؛*
تصنيف أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- *صحيح ابن خزيمة؛*
تصنيف أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- **صحيح البخاري؛**
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفِي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **صحيح مسلم؛**
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، نسخة مصورة ضمن - موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **غريب الحديث؛**
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، بيروت ١٩٨٨م.
- **فتح القدير**
الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الخولاني الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، المنصورة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- **الفروع من الكافي؛**
تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تصحيح علي الأكبر الغفاري، بيروت ١٤٠١هـ.
- **القند**
في ذكر *علماء سمرقند*؛ تأليف نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي، تحقيق يوسف الهادي، طهران ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- **الكافي في القراءات السبع؛**
تأليف أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تحقيق أحمد محمود عبد الله السميع، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- **كتاب الإيمان؛**
تأليف محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، دراسة وتحقيق حمد بن حمدي الجابري الحربي، الكويت ١٤٠٧م.
- **كتاب الزهد؛**
تأليف أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- **كتاب الضعفاء؛**
تأليف أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفي، الرياض ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- **الكشاف**
عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ تأليف العلامة جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- **كشف الخفاء**

ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **لسان العرب؛**

تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

- **المبسوط؛**

تأليف أبي بكر شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- **مجاز القرآن؛**

تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، القاهرة ١٩٨٨م.

- **مجمع الزوائد**

ومنبع الفوائد؛ تصنيف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت ١٩٦٧م.

- **مختصر قيام الليل؛**

تأليف أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، واختصار أحمد بن علي المقرزي، فيصل آباد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **المستدرك**

على الصحيحين؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **مسند أحمد بن حنبل؛**

تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **مصنف عبد الرزاق؛**

تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- **معالم التنزيل؛**

تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **معاني القرآن؛**

تأليف أبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السّري بن سهل، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **معاني القرآن؛**

تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء؛ تحقيق محمد علي نجار - أحمد يوسف نجاتي، بيروت ١٩٨٠م.

- **معاني القرآن**؛
تأليف أبي جعفر النّحّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري؛ تحقيق محمد علي الصابوني، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **معجم القراءات**؛
عبد اللطيف الخطيب، دمشق ٢٠٠٠م.
- **معجم المؤلفين**
تراجم مصنفي الكتب العربية؛ تأليف عمر رضا كحالة، دمشق ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- **المعجم الأوسط**؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق محمود الطحان، الرياض ١٤١٥هـ.
- **المعجم المفهرس**
لألفاظ القرآن الكريم؛ إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- **المعجم الوسيط**؛
تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- **المغرب في ترتيب المعرب**؛
تأليف الإمام اللغوي أبي الفتح ناصر الدين المطرزي، تحقيق محمود فاخوري - عبد الحميد مختار، حلب ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- **الموطأ**؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **النشر في القراءات العشر**؛
تأليف أبي الخير ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- **النكت والعيون**؛
تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **النهاية**
في غريب الحديث والأثر؛ تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- **الوافي بالوفيات**؛
تأليف أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط - تركي مصطفى، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ